

سورة 1

الحذاء عن أبي تميمه وهو الهجيمي عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال لا تقل هكذا 1 قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد روى النسائي في اليوم والليلة وابن مردويه في تفسيره من حديث خاله وسلم حمارة فقلت : تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعت وإذا في مسنده حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال : سمعت أبا تميمه يحدث عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم قال : عثر بالنبي صلى الله عليه وثلاثين ملكا يبتدرونها لقول الرجل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفا وغير ذلك . وقال الإمام أحمد بن حنبل بسم الله الرحمن الرحيم فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد ذكره ابن عطية والقرطبي ووجهه ابن عطية ونصره بحديث لقد رأيت بضعة أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه . وقال وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بأذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله تعالى بعزته وجلاله الرحيم وروي بإسناده عن عبد الكريم الكبير بن المعافى بن عمران عن أبيه عن عمر بن ذر عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل بسم أمية عن أبي بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزلت علي آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري وهي بسم الله الرحمن والله أعلم . وقد روى جويبر عن الضحاك نحوه من قبله وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن خالد عن سليمان بن بريدة وفي رواية عن عبد الكريم أبي صلى الله عليه وسلم فذكره وهذا غريب جدا وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات زبريق عن إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عن حدثه عن ابن مسعود ومسعر عن عطية عن أبي سعيد . قال : قال رسول الله سناؤه والميم مملكته والله إله الآلهة والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء الملقب بابن ليعلمه فقال له المعلم : اكتب فقال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري ؟ قال له عيسى : الباء بهاء الله والسين إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عيسى ابن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتاب رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن أحمد عن علي بن المبارك عن زيد بن المبارك به . وقد روى الحافظ ابن مردويه من طريقين عن إسماعيل بن عياش عن وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب وهكذا بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الصنعاني حدثنا سلام بن وهب الجندي حدثنا أبي عن طاوس عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه بالبسملة ومن أسر ولله الحمد والمنة . فصل في فضلها قال الإمام العالم الحبر العابد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره حدثنا جعفر ونحوها في السنن عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه فهذه مأخذ الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة وهي قريبة لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون ب الحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة ب الحمد لله رب العالمين وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال : صليت خلف النبي صلى الله عليه بن حنبل . وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ بالبسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرا واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى يجهر بالبسملة في الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد في الاحتجاج لهذا القول عما عداها . فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليقها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر . وذهب آخرون إلى أنه لا صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسمل . وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقتنع رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الدارقطني إسناده صحيح . وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي والحاكم في مستدركه عن أنس بن معاوية ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله عليه وسلم فقال : كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم . وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وصحيح رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح . وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي وليس إسناده بذلك وقد رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : كان إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ البيهقي وعبد الله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو بن دينار والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة فيجهر فيها كسائر أبعاضها وأيضا فقد محمد ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والأزرق بن قيس وحبيب بن أبي ثابت وابن الشعثاء ومكحول وعبد الله بن مغفل بن مقرر زاد وسالم ومحمد بن كعب القرظي وعبيد وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبي وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلي بن عبد الله بن عباس وابنه وعلي وهو غريب ومن التابعين عن سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبي قلابة والزهري وعلي بن الحسن وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية وحكاة ابن عبد البر والبيهقي عن عمر وعلي ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان

تفسير ابن كثير

فاختلفوا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفا وخلفا فجهر بها من الفاتحة أم لا . فأما الجهر بها ففرع على هذا فمن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال إنها آية في أولها وأما من قال بأنها من أوائل السور وهذا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وحكاها أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله . هذا ما يتعلق بكونها آية طرق مذهبه هي آية من الفاتحة وليست من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان وقال داود هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال الشافعي في قول في بعض ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه وإسحاق بن راهويه أبي هريرة مرفوعا وروى مثله عن علي وابن عباس وغيرهما وممن حكي عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلي في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عنها وروى له الدارقطني متابعا عن في مستدركه أيضا وروي مرسلًا عن سعيد بن جبير وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري أنها إنما كتبت للفصل لا أنها آية على أقوال العلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله النمل ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة أو من كل سورة كتبت في أولها أو أنها بعض آية من كل سورة أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها أو يرجم الناس بالوساوس والخبائث والأول أشهر وأصح . بسم الله الرحمن الرحيم افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة بروجًا وزينها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين إلى غير ذلك من الآيات وقيل رجيم بمعنى راجم لأنه يسمعون إلى المألأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصلب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب وقال تعالى ولقد جعلنا في السماء قال تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا عنه وقال ما حملتموني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي إسناده صحيح . والرجيم فعيل بمعنى مفعول أي أنه مرجوم مطرود عن الخير كله كما وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب بردونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فنزل يقطع الصلاة المرأة والحصار والكلب الأسود فقلت : يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر ؟ فقال : الكلب الأسود شيطان . وقال ابن تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فقلت أولالإنس شياطين ؟ قال نعم وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وفي مسند الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل من ترمد من جني وإنسي وحيوان شيطانا قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والفرّاد بها رهين يقول بعدت بها طريق بعيدة وقال سيبويه العرب : تقول تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيط فالشيطان يقل أيما شاطئ وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان : نأت بسعاد عنك نوى شطون فباتت يدل كلام العرب . قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام : أيما شاطئ عساه عكاه ثم يلقي في السجن والأغلال فقال أيما شاطئ ولم طبعه عن طباع البشر وبعيد بنفسه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى ولكن الأول أصح وعليه وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم . الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد فهو بعيد تعالى في سورة حم السجدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا سورة قد أفلح المؤمنون ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وقال فيه وأعرض عن الجاهلين فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر ثم قال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم وقال تعالى فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة قوله في الأعراف خذ العفو وأمر بالعرف تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر الرجيم أن يضرنني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ولهذا أمر أعوذ به ممن أحاذره لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي أستجير بجناب الله من الشيطان إلى الله تعالى والاتصاق بجنابه من شر كل ذي شر والعيادة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قاله المتنبي : يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن الباطني كان مفتونا أو موزورا ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه الشيطان . فصل والاستعاذة هي الالتجاء لمقاتلة العدو البشري فمن قتله العدو الظاهر البشري كان شهيدا ومن قتله العدو الباطني كان طريدا ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورا ومن قهره العدو نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني وقال تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك ولا يدرى بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالإحسان بخلاف العدو من لطائف الاستعاذة أنها طهارة للنفوس مما كان يتعاطاه من اللغو والرث وتطبيب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد ومحمد . وقال أبو يوسف : بل للصلاة فعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الإحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعدها قبل القراءة

تفسير ابن كثير

ابن عباس المذكور والأحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم . مسألة ثم الاستعاذة في الصلاة إنما هي للتلاوة وهو قول أبي حنيفة الرقيم إن الله هو السميع العليم قاله الثوري والأوزاعي وحكي عن بعضهم أنه يقول أستعيز بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم : أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول : أعوذ بالله من الشيطان عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب والله أعلم فإذا قال المستعيز المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه . مسألة وقال الشافعي في الإملاء يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر وقال في الأم بالتخيير لأنه أسر ابن واجب ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم : كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكي عن مالك أنه لا يتعوذ في إعطاء بظاهر الآية فاستعذ وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولأنها تدرك شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال : وقال ابن سيرين : إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب واحتج الرازي ليعرف فإن في إسناده ضعفا وانقطاعا والله أعلم . مسألة وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمحتمة يأتى تاركها وحكى الرازي عن عطاء ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق قال عبد الله : وهي أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل . وهذا الأثر غريب وإنما ذكرناه على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال أستعيز بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال : أول ما نزل جبريل الأذكار وفضائل الأعمال والله أعلم وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعاذة كما قال الإمام وقد رواه أيضا مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الأعمش به . وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا وموطنها كتاب لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني لست بمجنون رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة رضي الله عنهم . قال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن عدي بن ثابت قال : قال سليمان بن صرد رضي الله عنه . استب عشرين قلت وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل فإن هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضبا وهذا لفظ أبي داود وقال الترمذي : مرسل يعني أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل فإنه مات قبل سنة إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب فقال : ما هي يا رسول الله ؟ قال يقول اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم قال : فجعل رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى يخيل إلي أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عن الثوري والنسائي أيضا من حديث زائدة بن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : استب بن حنبل عن أبي سعيد عن زائدة , وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد والترمذي والنسائي في اليوم والليلة عن بندار عن ابن مهدي وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن يوسف بن عيسى المروزي عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدية وقد روى هذا الحديث أحمد الله عليه وسلم فتمزع أنف أحدهما غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم شيئا لو قاله لذهب عنه ما يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بن هشام بن البريد عن يزيد بن زياد عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : تلاحى رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم من همزه ونفخه ونفته وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي حدثنا علي الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثا ثم قال لا إله إلا الله ثلاث مرات وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الكبير ونفته الشعر وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا شريك عن يعلى بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول : كان رسول الرحمن السلمي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفته قال : همزه الموتة ونفخه ونفته قال عمر : وهمزه الموتة ونفخه الكبير ونفته الشعر . وقال ابن ماجه : حدثنا علي بن المنذر حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد آله وسلم حين دخل في الصلاة قال الله أكبر كبيرا ثلاثا الحمد لله كثيرا ثلاثا سبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم العنزي عن نافع بن جبير المظعم عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سليمان عن علي بن علي وهو الرفاعي وقال الترمذي : هو أشهر شيء في هذا الباب وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق والنفخ بالكبر والنفت بالشعر . كما رواه ثم يقول لا إله إلا الله ثلاثا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفته وقد رواه أهل السنن الأربعة من رواية جعفر بن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك بن حنبل رحمه الله حدثنا محمد بن الحسن بن أنس حدثنا جعفر بن سليمان عن علي بن علي الرفاعي البشكري عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية أي إذا أردتم القيام والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . قال الإمام أحمد قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها ومعنى الآية عندهم فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى إذا قمتم الفاتحة واستغفبه ابن العربي ! وحكى قولاً ثالثاً وهو الاستعاذة أولاً وآخراً جمعا بين الدليلين نقله الرازي . والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون : وهو قول إبراهيم النخعي وداود بن علي الأصبهاني الظاهري وحكى القرطبي عن أبي بكر بن العربي عن المجموعة عن مالك رحمه الله : أن القارئ يتعوذ بعد

تفسير ابن كثير

الهذلي المغربي في كتاب العيادة الكامل وروي عن أبي هريرة أيضا وهو غريب ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيمن نقله عنه ابن فلوفا وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جنادة ربههم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون قالت طائفة من القراء وغيرهم يتعوذ بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين وقال تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال فبعزتك كما أخرج أبويكم من الجنة وقال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال أفئتخذونه وذريته لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وقال تعالى ادفع بالتتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم وقال تعالى ادفع بالتتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل الفرائض وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت . تفسير الاستعاذة وأحكامها قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف بن سعد الجوهري حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وضعت جنبك على الله تعالى والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم مسلم بن الحجاج أيضا فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعي رحمه الله والله أعلم . ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : وإذا قرأ فأنصتوا وقد صححه عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا وذكر بقية الحديث وهكذا صلى الله عليه وسلم والله أعلم والقول الثالث أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ولا يجب ذلك في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم الإمام له قراءة ولكن في إسناده ضعفا . ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه وقد روي هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي الجهرية ولا في صلاة السرية لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كان له إمام فقراءة أحدها أنه تجب عليه قراءتها كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة والثاني لا تجب على المأموم قراءة بالكلية للفاتحة ولا غيرها لا في صلاة هذا نظر وموضع تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير والله أعلم . الوجه الثالث هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء من حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها وفي صحة حنيقة وأصحابه والثوري والأوزاعي : لا تتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى : فاقراءوا ما تيسر من القرآن والله أعلم . وقد روى ابن ماجه وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذا بمطلق الحديث لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب . وقال أبو في ذلك رحمهم الله . ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة . وقال آخرون : إنما تجب قراءتها في معظم الركعات الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن والأحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرنا إلى مأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب . وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول كما فسر به في الحديث غير تمام . واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عباد بن الصامت قال : قال واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج والخداج هو الناقص والقول الثاني أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء وسلم قال له إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن قالوا فأمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا . بعموم قوله تعالى : فاقراءوا ما تيسر من القرآن وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسبي في صلته أن رسول الله صلى الله عليه هي أو غيرها ؟ على قولين مشهورين فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم : أنها لا تتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة واحتجوا القراءة في الصلاة وهو اتفاق من العلماء ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني وذلك أنه هل يتعين للقراءة في الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزئ إن قرآن الفجر كان مشهودا والمراد صلاة الفجر كما جاء مصرحا به في الصحيحين أنه يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فدل هذا كله على أنه لا بد من في الصلاة وأنها من أكبر أركانها إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها وهو القراءة كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله وقرآن الفجر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة تعالى : ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أي بقرائك كما جاء مصرحا به في الصحيح عن ابن عباس وهكذا قال في هذا الحديث غريب من هذا الوجه . الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه أحدها أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة والمراد القراءة كقوله وله ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي ثم قال هذا لي وله ما بقي وهذا

تفسير ابن كثير

بن إسحاق عن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين هريرة عن أبي بن كعب مطولا وقال ابن جرير حدثنا صالح بن مسمار المروزي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عنبة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد كلا الحديثين صحيح من قال عن العلاء عن أبي السائب وعن العلاء عن أبيه وقد روى هذا الحديث عبد الله ابن الإمام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هكذا ورواه أيضا من حديث ابن أبي أويس عن العلاء عن أبيه وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة وقال الترمذي هذا حديث حسن وسألت أبا زرعة عنه فقال هذا السياق فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل وهكذا رواه ابن إسحاق عن العلاء وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبي السائب ما سأل وهكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه وقد روياه أيضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن أبي هريرة وفي وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدي ولعبدي الله أثنى علي عبدي فإذا قال : مالك يوم الدين قال الله مجدي عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال : الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال فهي خداج ثلاثا غير تمام فقيل لأبي هريرة إنا نكون خلف الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز العلاء يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن حرفا منها إلا أوتيته وهذا لفظ النسائي ولمسلم نحوه : حديث آخر قال مسلم حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي هو ابن راهويه حدثنا سفيان بن عيينة عن قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح في سننه من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس روايات مسلم لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم يعني اللديغ يسمونه بذلك تافؤلا. حديث آخر : روى مسلم في صحيحه والنسائي بن سيرين حدثني معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري بهذا وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفي بعض ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : وما كان يدرى أنها رقية أقسموا واضربوا لي بسهم وقال أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد له أكننت تحسن رقية أو كنت ترقى ؟ قال لا ما رقيت إلا بأم الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى نأتي ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة جارية فقالت إن سيد الحي سليم وإن نفرنا غيب فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا البخاري في فضائل القرآن حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد بن سعيد عن أبي سعيد الخدري قال : كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت فاضلا نقله القرطبي عن الأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم بن حبان البستي وأبي حيان ويحيى بن يحيى ورواية عن الإمام مالك أيضا حديث آخر قال العربي وابن الحفار من المالكية وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل في ذلك لأن الجميع كلام الله ولثلاث يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وإن كان الجميع عساكر واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والصور على بعض كما هو المحكي عن كثير من العلماء منهم إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن به الأئمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا الصحابي ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدي والله أعلم ويقال إنه عبد الله بن جابر الأنصاري البياضي فيما ذكره الحافظ ابن يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن ؟ قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختتمها هذا إسناد جيد وابن عقيل هذا يحتج صلى الله عليه وسلم وقد تطهر فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته عليك السلام ورحمة الله وبركاته عليك السلام ورحمة الله ثم قال ألا أخبرك فلم يرد علي قال فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كنييا حزينا فخرج علي رسول الله وسلم وقد أهرق الماء فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي قال فقلت السلام عليك يا رسول الله الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا هاشم يعني بن البريد حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن جابر قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي نصفين هذا لفظ النسائي وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال عن الفضل بن موسى عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب فذكره مطولا بنحوه أو قريبا منه وقد رواه الترمذي والنسائي جميعا عن أبي عمار حسين بن حريث ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله بن الإمام أحمد عن إسماعيل بن أبي معمر عن أبي أسامة عن عبد الحميد بن الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وعنده إنها من السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته ؟ قال فقرأت عليه أم القرآن قال والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنها السبع المثاني ورواه الله بيدي يحدثني وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث فلما دنونا من الباب قلت أي رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال ما تقرأ في الصلاة ولا في الفرقان مثلها ؟ قلت نعم أي رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن لا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها قال فأخذ رسول لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال بلى يا رسول الله لا أعود قال أتحب أن أعلمك سورة لم تنزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور فقال عليك السلام ما منعك أي أبي إذ دعوتك أن تجيبي فقال أي رسول الله إني كنت في الصلاة قال أولست تجد فيما أوحى الله إلي استجيبيوا كعب وهو يصلي فقال يا أبي فالتفت ثم لم يجبه ثم قال أبي فخفف أبي ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أي رسول الله

تفسير ابن كثير

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن هذا من أبي بن كعب فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم على أنه قد روي عن أبي بن كعب من غير وجه كما قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ومن تبعه فإن ابن المعلّى صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالي خزاعة وذاك الحديث متصل صحيح وهذا ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلّى كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول وعدنتي ؟ قال كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟ قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها قال أبي رضي الله عنه فجعلت أبطى في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله ما السورة التي الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ابن عامر بن كريز أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبي صلى . وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس رحمه الله ما ينبغي التنبيه عليه فإنه رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي أن أبا سعيد مولى عن شعبة به ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الأنصاري عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلّى عن أبي بن كعب فذكر نحوه رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ورواه في موضع آخر من التفسير وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق قلت : يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وهكذا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال : فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد حتى صليت قال : فاتيت فقالت ما منعك أن تأتيني ؟ قال قلت : يا رسول الله إني كنت أصلي قال : ألم يقل الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا استجبوا حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال : كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه موضعه والله المستعان . ذكر ما ورد في فضل الفاتحة قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة أحد أقوال ثلاثة وقيل يا أيها المدثر كما في حديث جابر في الصحيح وقيل : اقرأ باسم ربك الذي خلق وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في : واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها وقد قيل : إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن كما ورد في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة ونقله الباقلاني : قيل لابن مسعود : لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك ؟ فقال : لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة قال أبو بكر بن أبي داود يعني حيث يقرأ في الصلاة قال أنهم فسروا قوله تعالى : سبعا من المثاني بالفاتحة وأن البسملة هي الآية السابعة منها وسيأتي تمام هذا عند البسملة . وقد روى الأعمش عن إبراهيم قال أم الكتاب وفاتحة الكتاب وقد رواه الدارقطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع آيات : بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي بن غالب بن حارث حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي حدثنا المعافى بن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن المقبري عن أبي هريرة أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا محمد يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هي هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم ثم رواه عن إسماعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب به وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : حدثني : حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا ابن أبي ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن المثاني قالوا لأنها تتلى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . قال الإمام أحمد ما سواها . وقيل لأن الأرض دحيت منها . ويقال لها أيضا الفاتحة لأنها تفتتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام وصح تسميتها بالسبع واستشهد بقول ذي الرمة : على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع أمور ليس نعصي لها أمرا يعني الرمح قال وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع أما فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة وقيل إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته . قال ابن جرير : والعرب تسمي كل جامع أمرا أو وبه الثقة . قالوا وكلمايتها خمس وعشرون كلمة وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفا . قال البخاري في أول كتاب التفسير وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها الخلف أو بعض آية أو لا تعد من أولها بالكلية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفهاء ؟ على ثلاثة أقوال كما سيأتي تقريرها في موضعه إن شاء الله تعالى وهذا القولان شاذان وإنما اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريب جدا نقله القرطبي عنه وهي سبع آيات بلا خلاف وقال عمرو بن عبيد ثمان وقال حسين الجعفي ستة ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة . والأول أشبه لقوله تعالى : ولقد آتيناك سبعا من المثاني والله تعالى أعلم وحكى أبو الليث السمرقندي أن الصلاة والكنز ذكرهما الزمخشري في كشافه . وهي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية وقيل مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها . ويقال لها سورة عباس أنه سماها أساس القرآن قال وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينة بالواقية وسماها يحيى بن أبي كثير الكافية لأنها لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنها رقية ؟ وروى الشعبي عن ابن

تفسير ابن كثير

. فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعا فاتحة الكتاب شفاء من كل سم ويقال لها الرقية لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم ويقال لها الحمد ويقال لها الصلاة وقال الحسن الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال قال في الصلوات ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور ذكره أنس ، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم سورة الفاتحة . يقال لها الفاتحة أي فاتحة الكتاب خطأ وبها تفتح القراءة

وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز: فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد. 2. العالمين كقوله قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين والعالم مشتق من العلامة قلت لأنه علم دال على ألف عالم الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها. وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة قال القرطبي وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل مقاتل العوالم ثمانون ألفاً وقال كعب الأحبار لا يعلم عدد العوالم إلا الله عز وجل نقله كله البغوي وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال إن لله أربعين البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمئة في البر وقال وهب بن منبه لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وقال البحر وأربعمئة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضعيف وحكى الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة ستمائة في فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل ركباً يضرب إلى اليمن وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رأي من الجراد شيء أم لا قال فأتاه الراكب بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها مثله عن سعيد بن المسيب وقد روى نحو هذا مرفوعاً كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في مسنده: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد يعني ابن الوليد عن معتب بن سمي عن سبيع يعني الحميري في قوله تعالى رب العالمين قال العالمين ألف أمة فستمائة في البحر وأربعمئة في البر وحكى جرير وابن أبي حاتم. وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الفرات ألف أو أربعة عشر ألف عالم هو يشك الملائكة على الأرض وللأرض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم الله لعبادته ورواه ابن الله عز وجل. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى رب العالمين قال الإنس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف بالجعد ويلقب بالحمار أنه قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السماوات وأهل الأرض ما لم واحد وسائرهم لا يعلمهم إلا زيد بن أسلم وأبي محيصن العالم كل ما له روح ترفرف. وقال قتادة رب العالمين كل صنف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد وهو ليكون للعالمين نذيراً وهم الجن والإنس قال الفراء وأبو عبيد العالم عبارة عما يعقل وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم. وعن وكذلك قال سعيد بن جببر ومجاهد وابن جريج وروي عن علي نحوه قال ابن أبي حاتم بإسناده لا يعتمد عليه واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى الحمد لله الذي له الخلق كله السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن مما نعلم وما لا نعلم. وفي رواية سعيد بن جببر وعكرمة عن ابن عباس: رب الجن والإنس في السماوات وفي البر والبحر وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضاً قال بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس الحمد لله رب العالمين لله عز وجل وقد قيل إنه الاسم الأعظم. والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل والعالم جمع لا واحد له من لفظه والعوالم أصناف المخلوقات على السيد وعلى المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول رب الدار كذا وأما الرب فلا يقال إلا كما جاء في الحديث اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله الحديث. والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة مرفوعاً أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وحسنه الترمذي. والآلف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى لا إله إلا الله كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقد تقدم عن جابر إلا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد وقال آخرون لا إله إلا الله أفضل لأنها تفصل بين الإيمان والكفر وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا الله لهما: اكتبها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا قول العبد الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله لا إله مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قال يا رب إنه قال لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال عباد الله قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا يا ربنا إن عبداً قد قال الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبداً من قال القرطبي وغيره أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى المال والبنون زينة نادر الأصول عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ وقال القرطبي في تفسيره وفي الله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال الترمذي حسن غريب. وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه به. وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول

تفسير ابن كثير

بها ربي تبارك وتعالى فقال أما إن ربك يحب الحمد ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن بن الأسود بن سريع
شكرت الله فزادك وقد روى الإمام أحمد بن حنبل حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن بن الأسود بن سريع قال: قلت يا رسول الله ألا أشدك محامد حمدة
بن إبراهيم بن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد
الله وقال الضحاك الحمد لله رداء الرحمن وقد ورد الحديث بنحو ذلك. قال ابن جرير حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقيق بن الوليد حدثني عيسى
عن ابن عباس أنه قال: الحمد لله هو الشكر لله هو الاستخاء له والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك وقال كعب الأحبار الحمد لله ثناء
كلمة الشكر وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي. رواه ابن أبي حاتم وروى أيضا هو وابن جرير من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك
له؟ قال علي: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن يقال وقال علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال ابن عباس الحمد لله
كلمة رضيها الله لنفسه ورواه غير أبي معمر عن حفص فقال قال عمر لعلي وأصحابه عنده لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد
عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه قد علمنا سبحانه الله ولا إله إلا الله فما الحمد لله؟ فقال علي:
قبل الإحسان وبعده وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضا فهو أعم. ذكر أقوال السلف في الحمد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا حفص
يقال شكرته وشكرت له وباللأم أفصح. وأما المدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحي ولل ميت وللجماد أيضا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون
الرجل أحمده حمدا ومحمدة فهو حميد ومحمود والتحميد أبلغ من الحمد والحمد أعم من الشكر وقال في الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف
شكرته على كرمه وإحسانه إلي. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم. وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الحمد نقيض الذم تقول حمدت
أعم من حيث ما يقنع عليه لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته وتقول
من الشكر من حيث ما يقنع عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية تقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول والشكر
النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المجبى ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا فالحمد أعم
أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر: أفادتكم
وقد استدلل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل الحمد لله شكرا. وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين
الحمد والشكر مكان الآخر وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية وقال ابن عباس الحمد لله كلمة كل شاكر
بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأبدايه. ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من
الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله قال وقد قيل إن قول القائل الحمد لله ثناء عليه
عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا. وقال ابن جرير رحمه الله:
جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ومع ما نبههم
ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعدها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين
لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي الحمد لله بكسر الدال اتباعا للأول الثاني قال أبو جعفر بن جرير معنى الحمد لله الشكر لله خالصا دون سائر
عينه ورؤية بن العجاج أنهما قالا الحمد لله بالنصب وهو على إضمار فعل وقرأ ابن أبي عبله الحمد لله بضم الدال واللام اتباعا للثاني الأول وله شواهد
القراء السبعة على ضم الدال في قوله الحمد لله هو مبتدأ وخبر وروي عن سفيان بن

صلى الله عليه وسلم لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد. 3
تعالى إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم قال فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله
بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم وقوله
وقوله تعالى الرحمن الرحيم تقدم الكلام عليه في البسطة بما أغنى عن الإعادة قال القرطبي إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم
أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية. 4
لمدينون أي مجزيون محاسبون وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أي حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا
أنبياء وجعلكم ملوكا وفي الصحيحين مثل الملوك على الأسرة. والدين الجزاء والحساب كما قال تعالى: يومئذ يوفيه الله دينهم الحق وقال: أننا
الواحد القهار فأما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا وكان وراءهم ملك إذ جعل فيكم
يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ وفي القرآن العظيم لمن الملك اليوم لله
عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أخرج اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك ولا مالك إلا الله وفيهما عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
ويوم يقول كن فيكون والله أعلم. والملك في الحقيقة هو الله عز وجل قال الله تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام وفي الصحيحين
ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا كما قال تعالى: الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا والقول الثاني يشبه قوله تعالى:
القادر على إقامته ثم شرع يضعفه والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم وأن كلا من القائلين هذا القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره
شرا فشر إلا من عفا عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر وحكي ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى تفسير مالك يوم الدين أنه

تفسير ابن كثير

يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكما كملهم في الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن الأوصات للرحمن فلا تسمع إلا همسا وقال تعالى: يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد وقال الضحاك عن ابن عباس مالك يوم الدين هنالك شيئا ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقال تعالى: وخشعت الملك بيوم الدين لا ينفية عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك عام في الدنيا والآخرة وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد تعالى: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال: قوله الحق وله الملك وقال: الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا وتخصيص مأخوذ من الملك كما قال تعالى: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون وقال: قل أعوذ برب الناس ملك الناس وملك مأخوذ من الملك كما قال لم يطلع عليه ابن شهاب والله أعلم. وقد روي من طرق متعددة أوردها ابن مردويه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها مالك يوم الدين ومالك ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون مالك يوم الدين قال ابن شهاب وأول من أحدث ملك مروان قلت مروان عنده علم بصحة ما قرأه أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا عبد الوهاب بن عدي بن الفضل عن أبي المطرف عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان أبي حنيفة أنه قرأ ملك يوم الدين على أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدا وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئا غريبا حيث قال حدثنا من حيث المعنى وكلاهما صحيحة حسنة ورجح الزمخشري ملك لأنها قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم و قوله الحق وله الملك وحكي عن متواتر في السبع ويقال ملك بكسر اللام وبإسكانها ويقال ملك أيضا وأشيع نافع كسرة الكاف فقرأ ملكي يوم الدين وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون قرأ بعض القراء ملك يوم الدين وقرأ آخرون مالك وكلاهما صحيح

كما قال ذلك الأعرابي: أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ إنما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولها دندن. 5 ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة وقد رد ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة لله عز وجل لا ينافي أن يطلب معها ثوابا ولا أن يدفع عذابا وإما للتشريف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضا عندهم ضعيف بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال قالوا ولهذا يقول المصلي: أصلي لله له ولم يتعرض له الرازي بتضعيف ولا رد. وقال بعض الصوفية العبادة إما لتحصيل ثواب أو درء عقاب قالوا وهذا ليس بطائل إذ مقصوده تحصيل مقصوده إلى الحق والرسالة من الحق إلى الخلق قال ولأن الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته وهذا القول خطأ والتوجيه أيضا ضعيف لا حاصل الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد حكى الرازي في تفسيره عن بعضهم أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق به وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الذي أنزل على عبده الكتاب وأنه لما قام عبد الله يدعوه سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا فسماه عبدا عند إنزاله عليه وعند قيامه في الدعوة وإسرائه الله تعالى كما قال بعضهم: لا تدعني إلا بعبادتها فإنه أشرف أسمائي وقد سمى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعبده في أشرف مقاماته فقال: الحمد لله نفسه وحده أهلا لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبد حق عبادته ولا يثني عليه كما يليق به والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلى الله عز وجل وفقدهم إليه. ومنهم من قال إياك نعبد أطف في التواضع من إياك عبدنا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله له إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل إياك نعبد وإياك نستعين وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في مائة ألف جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها وتوسط لهم بخير ومنهم من قال يجوز أن تكون للتعظيم كأن العبد قيل للجمع فالداعي واحد وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام؟ وقد أجيب بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم ولا سيما إن كان في وسيلة إليها والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم والله أعلم. فإن قيل: فما معنى النون في قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين فإن كانت نستعين يأمرهم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أمورهم وإنما قدم إياك نعبد على وإياك نستعين لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة رضي الله عنهما إياك نعبد يعني إياك نوح ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك وإياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة إياك نعبد وإياك قال إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سألت وقال الضحاك عن ابن عباس الله أثنى علي عبدي فإذا قال: مالك يوم الدين قال الله مجدني عبدي وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سألت فإذا وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سألت إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. وفي صحيح أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لأنه لما أثنى على الله فكانه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلماذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين وفي هذا دليل على أمنا به وعليه توكلنا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا وكذلك هذه الآية الكريمة إياك نعبد وإياك نستعين وتحول الكلام من الغيبة إلى والقوة والتفويض إلى الله عز وجل وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى: فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون قل هو الرحمن هذين المعنيين. وهذا كما قال بعض السلف الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة إياك نعبد وإياك نستعين فالأول تبرؤ من الشرك والثاني تبرؤ من الحول المحبة والخضوع والخوف. وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحرص أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة. والدين كله يرجع إلى

تفسير ابن كثير

فإنهما كسراها وهي لغة بني أسد وربيعه وبني تميم والعبادة في اللغة من الذل يقال طريق معبد وبغير معبد أي مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال قال الشاعر: فهياك والأمر الذي إن تراحت موارده ضاقت عليك مصادره ونستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والأعمش بتخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مردودة لأن إيا ضوء الشمس وقرأ بعضهم إياك بفتح الهمزة وتشديد الياء وقرأ بعضهم هياك بالهاء بدل الهمزة كما قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من إياك وقرأ عمرو بن فايد

بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرا فمعنى قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره . 6 وقال تعالى أمرا لعباده المؤمنين أن يقولوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ الآية فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك والله أعلم . المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار وقد قال تعالى : يا أيها آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل أن يسأله في كل وقت أن يمدد بالمعونة والثبات والتوفيق فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولا سيما المضطر الله تعالى في تنبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله فأرشدته تعالى إلى باب تحصيل الحاصل أم لا ؟ فالجواب أن لا ولولا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية لما أرشدته الله تعالى إلى ذلك فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم. فإن قيل فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك ؟ فهل هذا من للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه الخلفاء الأربعة عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق رحمه الله والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني اهدنا الصراط المستقيم أن يكون معنيا به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت أبي زائدة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير فكلها صحيحة يصدق بعضها ولله الحمد وقال الطبراني حدثنا محمد بن الفضل السقطي حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا يحيى بن زكريا بن من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم عاصم فذكرنا ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح . وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فإن من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى بالذين بن القاسم أنا حمزة بن المغيرة عن عاصم الأحول عن أبي العالية اهدنا الصراط المستقيم قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده قال . وقال مجاهد اهدنا الصراط المستقيم قال الحق وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث أبي النضر هاشم جميعا عن علي بن حجر عن بقة عن جبير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به . وهو إسناده حسن صحيح والله أعلم الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم . وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد به . ورواه الترمذي والنسائي قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة قال حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان لا يقبل من العباد غيره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال هو الإسلام وفي هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث اهدنا الصراط المستقيم قال هو الإسلام أوسع مما بين السماء والأرض . وقال ابن الحنفية في قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذي وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي اهدنا الصراط المستقيم قالوا هو الإسلام وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر عباس في قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم قال ذاك الإسلام وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس لمحمد عليهما السلام قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن والله أعلم وقال الثوري عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم كتاب الله . وقيل هو الإسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال : قال جبريل الحارث الأعور عن علي مرفوعا وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وقد روي موقوفا على علي رضي الله عنه وهو أشبه الصراط المستقيم كتاب الله وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة ابن حبيب الزييات وقد تقدم في فضائل القرآن فيما رواه أحمد والترمذي من رواية سعيد وهو ابن المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروي أنه كتاب الله قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يمان عن حمزة الزييات عن باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه . ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط وإن كان يرجع على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم قال والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر قال ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي : أمير المؤمنين أهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلا . وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير أجمعت الأمة من أهل التأويل

تفسير ابن كثير

صراط مستقيم فاهدوهم إلى صراط الجحيم وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة وكذلك قوله : وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقد تعدى باللام كقول المستقيم فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو أرزقنا أو أعطنا وهديناه النجدين أي بينا له الخير والشر وقد تعدى إلى كقوله تعالى : اجتبه وهداه إلى حيأوك إن شيمتك الحياء إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء والهداية ههنا الإرشاد والتوفيق وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا اهدنا الصراط مسئول كقول ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول كقول الشاعر : أذكر حاجتي أم قد كفاني الأكمل وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى عليه السلام رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وقد يتقدمه مع ذلك وصف أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله : اهدنا الصراط المستقيم لأنه أنجح للحاجة وأنجح للإجابة ولهذا أرشد الله إليه لأنه كلب . لما تقدم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبي ما سأل وهذا أكمل أحوال السائل اهدنا الصراط المستقيم قراءة الجمهور بالصاد وقرئ السراط وقرئ بالزاي قال الفراء وهي لغة بني عذرة وبني

ذنبه ومثل من لا يقول آمين كمثله رجل غزا مع قوم فاقتربوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم لم يخرج سهمي؟ فقيل: إن لم تقل آمين . 7
الله صلى الله عليه وسلم إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين فوافق آمين أهل الأرض أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من مردويه حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام حدثنا جرير عن ليث عن ابن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال: قال رسول رواه أحمد في مسنده وكان بلال يقول لا تسبقني بآمين يا رسول الله. فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية والله أعلم. ولهذا قال ابن فكانما قاله فهذا قال من قال إن المأموم لا يقرأ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ولهذا جاء في الحديث من كان له إمام فقرأ الإمام له قراءة عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون آمن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى قد أجيب دعوتكما فدل ذلك على أن من آمن على دعاء اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيب دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فذكر الدعاء بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا وعند الدعاء لم يعط أحد قبلي إلا أن يكون موسى كان موسى يدعو وهرون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيبه لكم قلت ومن هنا نزع صلى الله عليه وسلم قال آمين خاتم رب العالمين على عبادته المؤمنين وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت آمين في الصلاة على شيء ما حسدتم على قول آمين فأكثرنا من قول آمين وفي إسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف وروى ابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله الجمعة التي هداها الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هداها الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين ورواه ابن ماجه ولفظه ما حسدتم اليهود وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليهود فقال إنهم لن يحسدونا على شيء كما يحسدونا على ولنا قول آخر ثالث أنه إن كان المسجد صغيرا لم يجهر المأموم لأنهم يسمعون قراءة الإمام وإن كان كبيرا جهر ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد والله أعلم. من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة. والقديم أنه يجهر به وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل والرواية الأخرى عن مالك لما تقدم حتى يرتج المسجد أن الإمام إن نسي التأمين جهر المأموم به قولاً واحداً وإن آمن الإمام جهرا فالجديد أنه لا يجهر المأموم وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك لأنه ذكر عليه الصلاة والسلام كان يؤمن إذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية وحاصل الخلاف آمين الحديث واستأنسوا أيضا بحديث أبي موسى عند مسلم وإذا قرأ ولا الضالين فقولوا آمين وقد قدما في المتفق عليه إذا آمن الإمام فأمنوا وأنه ومؤمن المأموم لما رواه مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإذا قال يعني الإمام ولا الضالين فقولوا وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى. وروى عن ابن عباس مرفوعا ولا يصح قاله أبو بكر بن العربي المالكي. وقال أصحاب مالك لا يؤمن الإمام الجوهري معنى آمين كذلك فليكن. وقال الترمذي معناه لا تخيب رجاءنا. وقال الأكثرون معناه اللهم استجب لنا. وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق يعني الإمام ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله وقال جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال: قلت يا رسول الله ما معنى آمين؟ قال رب افعل وقال قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الإجابة وقيل في صفة الإخلاص. وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا إذا قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قال أحدكم في الصلاة آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحدهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ولمسلم وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ويتأكد في حق المصلي وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموما وفي جميع الأحوال لما جاء في الصحيحين الله لا تسبقني بآمين رواه أبو داود ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق أنها شدد الميم من آمين مثل آمين البيت الحرام قال أصحابنا حتى يسمع من يليه من الصف الأول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه: فيرتج بها المسجد. والدارقطني وقال: هذا إسناده حسن. وعن بلال أنه قال: يا رسول وروي عن علي وابن مسعود وغيرهم. وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين النبي صلى الله عليه وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين مد بها صوته ولأبي داود رفع بها صوته وقال الترمذي هذا حديث حسن يس ويقال آمين بالقصر أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال: سمعت بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد. فصل يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فليس بحمد الله لمبتدع في القرآن حجة صحيحة لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا

تفسير ابن كثير

وقد ورد في الحديث الصحيح. إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم يعني في قوله تعالى فأما الذين فى قلوبهم هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي في طغيانهم يعمهون إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال لا كما تقول الفرقة القدريّة ومن هذا حذوهم من أن العباد قام به وإن كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا وقال من يضل الله فلا هادي له ويذرهم المغضوب عليهم وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم الآية. وكذلك إسناد الضلال إلى من وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى غير الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون حتى يقضي لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسية يوم القيامة المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واشتملت على وتوحد بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى إرشاده عبده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرئ من حولهم وقوتهم وإلى إخلاص العبادة له من نطق بالصاد فلا أصل له والله أعلم. فصل اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم وأما حديث أنا أفصح وذلك أن الصاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ولأن كلا من الحرفين من الحروف لما بعته آمن بما وجد من الوحي رضي الله عنه مسألة والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الصاد والطاء لقرب مخرجيهما اليهود ولا النصارى وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله فقال لا أستطيعه فاستمر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحد من الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله فقال أنا من غضب الله أفر وقالت له النصارى إنك عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وقال في المائدة قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ابن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافا وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون الحديث المتقدم وقوله وابن جريج عن ابن عباس غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وكذا قال الربيع بن أنس و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم هم اليهود ولا الضالين هم النصارى وقال الضحاك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قتل الضالين قال النصارى وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس عروة تسمية عبدالله بن عمرو فالله أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت هم النصارى وقد رواه الجريري وعروة وخالد الحذاء عن عبدالله بن شقيق فأرسلوه ولم يذكروا من سمع النبي صلى الله عليه وسلم ووقع في رواية الله عليه وسلم وهو بوادي القرى على فرسه وسأله رجل من بنى القين فقال يا رسول الله من هؤلاء قال المغضوب عليهم وأشار إلى اليهود والضالون عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها وقال عبدالرزاق أنا معمر عن بديل العقيلي أخبرني عبدالله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله صلى ولا الضالين قال: النصارى هم الضالون وهكذا رواه سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم به وقد روي حديث سلمة عن سماك عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى غير المغضوب عليهم قال هم اليهود اليهود وإن الضالين النصارى وذكر الحديث ورواه الترمذي من حديث سماك بن حرب وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه. قلت وقد رواه حماد بن لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله ما أفرك أن يقال الله أكبر؟ فهل شيء أكبر من الله عز وجل؟ قال فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال إن المغضوب عليهم منه فأتيتته فإذا عنده امرأة وصبيان وذكر قريتهم من النبي صلى الله عليه وسلم قال فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر فقال يا عدي ما أفرك؟ أن يقال إلى جنبه ترى أنه علي قال سليه حملانا فسلته فأمر لها قال فأتتني فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها فإنه أتاه فلان فأصاب إلى كبيرة ما بي من خدمة فمن علي من الله عليك قال من وافدك؟ قالت عدي بن حاتم قال الذي فر من الله ورسوله قالت فمن علي فلما رجع ورجل صلى الله عليه وسلم فأخذوا عمتي وناسا فلما أتوا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوا له فقالت يا رسول الله: نأى الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال سمعت سماك بن حرب يقول سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم قال جاءت خيل رسول الله أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وبهذا جاءت الأحاديث والآثار وذلك واضح بين فيما اتباع الحق وضلوا وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم من لعنه الله وغضب عليه وأخص للنصارى لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا لكنهم لا يهتدون إلى طريقة لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه وهو

تفسير ابن كثير

كل واحد منهما فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود والضلال منهما على وجه التفسير. فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء لتأكيد النفي لئلا يتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم والفرق بين الطريقتين ليجتنب رضي الله عنه أنه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وهذا إسناد صحيح وكذلك حكى عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على أنه صدر حور والصحيح ما قدمناه ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى ولا الضالين زائدة وأن تقدير الكلام عنده غير المغضوب عليهم والضالين واستشهد ببيت معجاج. في بنى لا حور السعي وما شعر أي في بنى وقد دل عليه سياق الكلام وهو قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ثم قال تعالى غير المغضوب عليهم ومنهم من زعم أن لا من جمال بني أقيش فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهكذا غير المغضوب عليهم أي غير صراط المغضوب عليهم اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف هذا منقطعاً لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم وما أوردناه أولى لقول الشاعر: كأنك من جمال بني أقيش يقع عند رجله بشن أي كأنك جمل يهتدون إلى الحق. وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثم مسلكن قاصدين وهما طريقة اليهود والنصارى وقد زعم بعض النحاة أن غير ههنا استثنائية فيكون على غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعملوا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا الضمير في عليهم والعامل أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجه على النعت قال الزمخشري وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال ومن معه والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أعم وأشمل والله أعلم. وقوله تعالى: غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرأ الجمهور غير بالجر وقال ابن جريح عن ابن عباس هم المؤمنون وكذا قال مجاهد وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم النبي صلى الله عليه وسلم ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس صراط الذين أنعمت عليهم قال هم النبيون. الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين وذلك نظير ما قال ربنا تعالى: الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً وقال وهو بدل منه عند النحاة ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم. والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى: ومن يطع العبد اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها أن الله يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سألت وقوله تعالى: صراط الذين أنعمت عليهم مفسر للصراط المستقيم قد تقدم الحديث فيما إذا قال

سورة 2

كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. 1 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد بس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم فقال إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتردخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمضى حي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي

تفسير ابن كثير

الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق و حرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل المر و المص وخمسة مثل كهيعص و حمعسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاها لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركون فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاها ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاها ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمنا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا هاهنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاها ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتل ا ق وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق وص وحم وطسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا فالا ولا أريد الشر إلا أن تقول وإن شرا فشرالا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفى بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا ينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبالألانه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو

تفسير ابن كثير

ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبير وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بNDAR عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاة القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود سورة البقرة حتى فتح الله عليهم رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين. بسم الله الرحمن الرحيم قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في يقبلون من كل وجه وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة جعل الصحابة يفرون لكثافة جيش بني حنيفة فجعل المهاجرون والأنصار يتنادون يا أصحاب حنين يوم ولوا مدبرين أمر العباس فناداهم يا أصحاب الشجرة يعني أهل بيعة الرضوان وفي رواية يا أصحاب سورة البقرة لينشطهم بذلك فجعلوا شعبة عن عقيل بن طلحة عن عتبة بن مرثد قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه تأخرا فقال يا أصحاب سورة البقرة وأظن هذا كان يوم أنه رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة أخرجاه وروى ابن مردويه من حديث كله هذا حديث غريب لا يصح رفعه وعيسى بن ميمون هذا هو أبو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن بن علي بن الوليد الفارسي حدثنا خلف بن هشام وحدثنا عيسى بن ميمون عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال نزلت البقرة بالمدينة وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه. وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا الحسن خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة وقال الواقدي حدثني الضحاک بن عثمان عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت وإحدى وعشرون كلمة وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة حرف فالله أعلم. قال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس نزلت بالمدينة سورة البقرة وقال القرآن قال بعض العلماء وهي مشتملة على ألف خبر وألف أمر وألف نهى وقال العادون آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات وكلماها ستة آلاف كلمة ومائتان فيه إلى الله الآية يقال إنها آخر ما نزل من القرآن ويحتمل أن تكون منها وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل وكان خالد بن معدان يسمي البقرة فسطاط بذلك وفي تعدادها وإن يونس هي السابعة. فصل والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف وهي من أوائل ما نزل بها لكن قوله تعالى فيه واتقوا يوما ترجعون قال وقال مجاهد هي السبع الطول وهكذا قال مكحول وعطية بن قيس وأبو محمد الفارسي وشداد بن أوس ويحيى بن الحارث الذمري في تفسير الآية بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال هي السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس بعث بعثا وهم ذوو عدد وقدم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له اذهب فأنت أميرهم وصححه الترمذي ثم قال أبو عبيد: حدثنا هشيم أنا أبو أرى فيه عن أبيه عن الأعرج ولكن كذا كان في الكتاب فلا أدري أغفله أبي أو كذا هو مرسل وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فهو حبر قال أحمد: وحدثنا حسين حدثنا ابن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قال عبد الله بن أحمد وهذا بن جعفر به ورواه أيضا عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال عن حبيب بن هند عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ السبع الأول بن عمرو وعبد الله بن أبي بكره وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا فالله أعلم. وقد رواه الإمام أحمد عن سليمان بن داود وحسين كلاهما عن إسماعيل عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخذ السبع فهو حبر وهذا أيضا غريب وحبيب بن هند بن أسماء بن هند بن حارثة الأسلمي وروى عنه عمرو أعلم ثم قال حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب عن حبيب بن هند الأسلمي. عن عروة عن عائشة رضي الله بن أبي بشير فيه لين وقد رواه أبو عبيد عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره والله وسلم قال: أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المثني مكان الإنجيل وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل هذا حديث غريب وسعيد قال أبو عبيد حدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي عن أحمد بن شعيب عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه

تفسیر ابن کثیر

من القانتين. فيه انقطاع ولكن ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهما في ركعة واحدة. ذكر ما ورد في فضل السبع الطول سوى جزئه. وحدثننا يزيد عن ورقاء بن إياس عن سعيد بن جبيرة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان أو كتب كان يحدث أنه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى يمسي ومن قرأهما من ليلة برئ من النفاق حتى يصبح قال فكان يقرؤهما كل يوم وليلة يدفعان عنه ويؤنسانه فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن. وقال أيضا حدثنا أبو مسهر الغساني عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي أن يزيد بن الأسود الجرشى وأقامت البقرة جمعة فقيل لها ما يبذل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد قال فخرجت كأنها السحابة العظيمة قال أبو عبيد أراه يعني أنها كانتا معه في قبره قرأ القرآن أغار على جار له فقتله وإنه أقيد به فقتل فما زال القرآن ينسل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة ثم إن آل عمران انسلت منه دنتا منه بأعذاقهما حتى يتعلق بهما فيخطران به الجبل: وحدثننا عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن أبي عمران أنه سمع أم الدرداء تقول إن رجلا ممن وعر طويل وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان هل فيكم قارئ يقرأ سورة البقرة؟ وهل فيكم قارئ يقرأ سورة آل عمران؟ قال فإذا قال الرجل نعم أنا وأنت وحدثننا عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر أنه سمع أبا أمامة يقول إن أبا لكم أري في المنام أن الناس يسلكون في صدع جبل فوالذي نفسي بيده إن فيهما اسم الله الذي إذا دعى به استجاب. قال فأخبرني به قال لا والله لا أخبرك به ولو أخبرتك به لأوشكت أن تدعوه بدعوة أهلك فيها بن عمير قال: قال حماد أحسبه عن أبي منيب عن عمه أن رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب: أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال نعم قال: عن يزيد بن عبدربه به والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشى به وقال حسن غريب وقال أبو عبيد حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن عبد الملك نسيتهن بعد قال كأنهما غماتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ورواه مسلم عن إسحاق بن منصور وسلم يقول يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما مسلم عن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى عن جبيرة بن نفير قال: سمعت النواس بن سمعان الكلبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أي لا يمكنهم حفظها وقيل لا تستطيع النفوذ في قارئها والله أعلم. ومن ذلك حديث النواس بن سمعان قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبدربه حدثنا الوليد بن الباهلي به. الزهراوان: المنيرتان والغاية: ما أظلك من فوقك والفرق: القطعة من الشيء والصواف المصطفة المتضامة والبطلة السحرة ومعنى لا تستطيعها البطلة وقد رواه مسلم في الصلاة من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام مطور الحبشي عن أبي أمامة صدى بن عجلان كأنهما غماتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان طير صواف يحاجان عن أهلها يوم القيامة ثم قال اقرؤا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة اقرءوا الزهراوان البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمر حدثنا هشام عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي أمامة يخالف في بعض حديثه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن عدي روى ما لا يتابع عليه وقال الدارقطني ليس بالقوي قلت ولكن خرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي ما به بأس إلا أن الإمام أحمد قال فيه هو منكر الحديث قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تأتي بالعجب وقال البخاري وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه وهذا إسناد حسن على شرط مسلم فإن بشرا هذا على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسبنا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرءا واصعد في درج الجنة القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول أنا صاحبك تستطيعها البطلة قال ثم سكت ساعة ثم قال تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غماتان أو غيايتان أو حدثني عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعت يقول تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا البقرة وهذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهاما ثم هو مرسل والله أعلم. ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر الله عليه وسلم قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهو مصابيح قال فلعلة قرأ سورة البقرة قال فسألت ثابتا فقال قرأت سورة رضي الله عنه وذلك فيما رواه أبو عبيد حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله صلى بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث به. وقد روي من وجه آخر عن أسيد بن حضير كما تقدم والله أعلم. وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن شماس دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم وهكذا رواه الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن عبدالله رأسي وانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال وتدرى ما ذاك؟ قال لا قال تلك الملائكة السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرءا يا ابن حضير قال قد أشفقت يا رسول الله على يحيى وكان منها قريبا فرفعت فسكت فسكنت فقرا فجالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلما أخذه رفع رأسه إلى يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس لفظ رواية الترمذي ثم قال هذا حديث حسن ثم رواه من حديث الليث عن سعيد بن عطاء مولى أبي أحمد مرسلًا فالحق أعلم. قال البخاري وقال الليث حدثني القرآن لمن تعلمه فقرا وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك هذا رجل من أشرفهم والله ما معنى أن أنعلم سورة البقرة إلا أنني خشيت أن لا أقوم بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن واطرقوه فإن مثل

تفسير ابن كثير

على رجل من أحدثهم سنا فقال: ما معك يا فلان؟ فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال نعم قال: اذهب فأنت أميرهم فقال أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن فأثني به. وعند ابن حبان خالد بن سعيد المديني. وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي الطبراني وأبو حاتم وابن حبان في صحيحه وابن مردويه من حديث الأزرق بن علي حدثنا بن إبراهيم حدثنا خالد بن سعيد المدني عن أبي حازم عن سهل سنا ما وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهارا لم يدخله شيطان ثلاثة أيام رواه أبو القاسم لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان. ولا شيء يكرهه ولا يقرأ على مجنون إلا أفاق. وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخرها وفي رواية إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن سورة البقرة وإن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن المفصل. وروى أيضا من طريق الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود محمد بن نصر عن أيوب بن سليمان به. وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال البقرة يقرؤها فإن الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة وإن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن بن عجلان عن أبي إسحاق عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجله على الأخرى يتغنّى ويدع يخرجاه. وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا أبو إسماعيل الترمذي حدثنا أيوب بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن محمد يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ثم قال الحاكم. صحيح الإسناد ولم وغيره. وقال أبو عبيد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن عبد الله - يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال إن الشيطان الله عليه وسلم إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه سنان بن سعد ويقال بالعكس وثقه ابن معين واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم قبورا فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وقال الترمذي حسن صحيح آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها معرفة المبهمة في الرواية الأولى. وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه وقد روى الترمذي من حديث أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوها على موتاكم يعني يس فقد تبينا بهذا الإسناد رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له واطرءوها على موتاكم انفراد به أحمد وقد رواه أحمد أيضا عن عارم عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت الله لا إله إلا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ويس قلب القرآن لا يقرؤها في فضلها قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر عن أبيه عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سنام القرآن وذروته نزل سورة البقرة ذكر ما ورد

العرب أن محمدا يقتل أصحابه وفي رواية في الصحيح إني خيرت فاخترت وفي رواية لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت. 10 لما مات صلى الله عليه النبي صلى الله عليه وسلم وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين وقد عاتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه فقال إني أكره أن تتحدث في لحن القول وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبي بن سلول وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين ومع هذا على أنه لم يغر بهم ولم يدرك على أعيانهم وإنما كان تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم كما قال تعالى ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا فيها دليل غير هؤلاء فقد قال الله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم الآية وقال تعالى: لن لم ينته أن ينفروا به الناقة ليسقط عنها فأوحى الله إليهم أمرهم فأطلع على ذلك حذيفة ولعل الكف عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك أو لغيرها والله أعلم. فأما الإيمان في تسمية أولئك الأربعة عشر منافقا في غزو تبوك الذين هموا أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلماء الليل عند عقبة هناك عزموا على موضع بسطها وتقريرها وعزوها كتاب الأحكام. تنبيه قول من قال كان عليه الصلاة والسلام يعلم أعيان بعض المنافقين إنما مستنده حديث حذيفة بن يستتاب أم لا أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا أو يتكرر منه ارتداده أم لا أو يكون إسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه أو بعد أن ظهر عليه؟ على أقوال متعددة وعلمه المسلمون قال مالك: المنافق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزنديق اليوم قلت وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق إذا أظهر الكفر هل أنه إنما لم يقتلهم لأنه كان يخاف من شرهم مع وجوده عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يتلو عليهم آيات الله مبينات فأما بعده فيقتلون إذا أظهروا النفاق حقت المحقوقية تميزوا منهم وتخلفوا بعدهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يمكنهم أن يسجدوا معهم كما نطقت بذلك الأحاديث ومنها ما قاله بعضهم ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتمكم الأماني حتى جاء أمر الله الآية فهم يخاطبونهم في بعض المحشر فإذا أحكام الإسلام ظاهرا فإن كان يعتقدونها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة وإن لم يعتقدوها لم ينفعه جريان الحكم عليه في الدنيا وكونه كان خليط أهل الإيمان أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه

تفسير ابن كثير

مع العلم بنفاقهم لأن ما يظهرونه يجب ما قبله. ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما أمرت بعلمه وإن اختلفوا في سائر الأحكام قال: ومنها ما قال الشافعي إنما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبين لأمتة أن الحاكم لا يحكم بعلمه قال القرطبي: وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بسوء اعتقادهم. قال ابن عطية وهي طريقة أصحاب مالك نص عليه محمد بن الجهم والقاضي إسماعيل والأبهرى وعن ابن الماجشون. ومنها: ما قال مالك إنما على الكفر فإنهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون إن محمدا يقتل أصحابه. قال القرطبي وهذا قول علمائنا وغيرهم كما كان يعطي المؤلف مع علمه يقتل أصحابه ومعنى هذا خشية أن يقع بسبب ذلك تغير لكثير من الأعراب عن الدخول في الإسلام ولا يعلمون حكمة قتله لهم وأن قتله إياهم إنما هو علمه بأعيان بعضهم وذكروا أجوبة عن ذلك منها ما ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه أكره أن يتحدث العرب أن محمدا فإنهم كانوا كذبة ويكذبون بالغيب يجمعون بين هذا وهذا. وقد سئل القرطبي وغيره من المفسرين عن حكمة كفه عليه الصلاة والسلام عن قتل المنافقين مع قتله الأولون وهو نظير قوله تعالى أيضا والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم وقوله بما كانوا يكذبون وقرئ يكذبون وقد كانوا متصفين بهذا وهذا مرض فزادهم رجسا إلى رجسهم قال شرا إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم وهذا الذي قاله عبدالرحمن رحمه الله حسن وهو الجزء من جنس العمل وكذلك والمرض الشك الذي دخلهم في الإسلام فزادهم الله مرضا قال زاده رجسا وقرأ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم الله مرضا قال نفاقا وهذا كالأول. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدين وليس مرضا في الأجساد وهم المنافقون وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة. وعن عكرمة وطاوس في قلوبهم مرض يعني الرياء. وقال الضحاك عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال نفاق فزادهم ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قلوبهم مرض قال شك. وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية في قلوبهم مرض قال شك فزادهم الله مرضا قال شك. وقال قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني

وقد أمروا فيها باتباعه وموازرتة ونصرتة كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل الآية. 100 التي تقدم الله إليهم في التمسك بها والقيام بحقها ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم وإلى الناس كافة الذي في كتبهم نعتة وصفته وأخباره وهو التمر والزبيب إذا طرحا في الماء. قال أبو الأسود الدؤلي: طرت إلى عنوانه فنبتته كتبتك نعلنا أخلقت من نعالكا قلت فالقوم ذمهم الله بنبتهم العهد صلى الله عليه وسلم. وقال قتادة: نبذه فريق منهم أي نقضه فريق منهم. وقال ابن جرير أصل النبذ الطرح والإلقاء ومنه سمي اللقيط منبذًا ومنه سمي النبيذ لا يؤمنون قال نعم ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه يعاهدون اليوم وينقضون غدا. وقال السدي: لا يؤمنون بما جاء به محمد وسلم: والله ما عهد إلينا في محمد وما أخذ علينا ميثاقًا أنزل الله تعالى أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم وقال الحسن البصري: في قوله بل أكثرهم وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد إليهم في محمد صلى الله عليه

القرآن فذلك قوله كأنهم لا يعلمون وقال قتادة في قوله كأنهم لا يعلمون قال: إن القوم كانوا يعلمون ولكنهم نبذوا علمهم وكتموه وجحدوا به. 101 صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبتوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما سيأتي بيانه. قال السدي ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم قال: لما جاءهم محمد تولى ذلك منهم رجل يقال له لبيد بن الأعصم لعنه الله وقبحه فأطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم وشفاه منه وأنقذه كما ثبت ذلك مبسوطا تعلم السحر واتباعه ولهذا أرادوا كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسحروه في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة بنبر أروان وكان الذي أي طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم أي تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها وأقبلوا على قال ههنا ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم الآية

خلاق قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة وقوله تعالى ولبنس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. 102 وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة ما له في الآخرة من جهة عند الله وقال عبدالرزاق وقال الحسن ليس له دين وقال سعد عن قتادة ما له في الآخرة من استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ذلك أنه ما له في الآخرة من خلاق قال ابن عباس ومجاهد والسدي من نصيب ما يضرهم ولا ينفعهم أي يضرهم في دينهم وليس له نفع يوازي ضرره ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق أي ولقد علم اليهود الذين لم يسلط ولا يستطيعون من أحد إلا بإذن الله كما قال الله تعالى وفي رواية عن الحسن أنه قال لا يضر هذا السحر إلا من دخل فيه وقوله تعالى ويتعلمون إسحاق إلا بتخليفة الله بينه وبين ما أراد وقال الحسن البصري وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله قال نعم من شاء الله سلطهم عليه ومن لم يشأ الله امرأة ويثنى كل منهما ولا يجمعان والله أعلم. وقوله تعالى وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله قال سفيان الثوري إلا بقضاء الله وقال محمد بن إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر أو خلق أو عقد أو بغضه أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة والمرء عبارة عن الرجل وتأنيته شيئا ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال: فيقر به يدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت وسبب التفرق بين الزوجين بالسحر ما يخيّل في الناس فأقرهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس: لا والله ما صنعت عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه

تفسير ابن كثير

ما إنهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والانتلاف وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن أبي سفيان منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة أتى كاهن أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا إسناد صحيح وله شواهد أخر وقوله تعالى فيتعلمون واستشهد له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن عبد الله قال: من قال إن هي إلا فتنتك أي ابتلاؤك واختبارك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقد استدلل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر الفتنة فهي المحنة والاختبار ومنه قول الشاعر: وقد فتن الناس في دينهم وخلي ابن عفان شرا طويلا وكذلك قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام حيث تعالى وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر الآية وقال سعيد بن جراح عن ابن جريج في هذه الآية لا يجترئ على السحر إلا كافر وأما السماء وذلك الإيمان وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك غضب الله فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه وقال له: لا تكفر إنما نحن فتنة فإذا أبى قال له: انت هذا الرماذيل فبل عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل إنما نحن فتنة فلا تكفر رواه ابن أبي حاتم. وقال قتادة: كان أخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر. وقال السدي: أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أنزل الملك بالبحر ليعلم الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا مكان كذا وكذا فإذا أتاه عاين الشيطان فعلمه فإذا علمه خرج منه النور فنظر إليه ساطعا في السماء فيقول: يا حسرتاه يا ويله ماذا صنع. وعن الحسن البصري نهياه أشد النهي وقال له: إنما نحن فتنة فلا تكفر وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر قال: فإذا أبى عليهما أمرهما أن يأتي من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال: فإذا أتاهما الاتي يريد السحر وأما عرضها وهو بعد ما بينها وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب وهو المسامت لخط الاستواء اثنان وثلاثون درجة والله أعلم. وقوله تعالى وما يعلمان أن يكونوا باكين قال أصحاب الهيئة: وبعد ما بين بابل وهي من أقليم العراق عن البحر المحيط الغربي ويقال له أوقيانوس سبعون درجة ويسمون هذا طولا رواه وسكت عليه ففيه من الفقه كراهية الصلاة بأرض بابل كما تكره بديار ثمود الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدخول إلى منازلهم إلا وابن لهيعة عن حجاج بن شداد عن أبي صالح الغفاري عن علي بمعنى حديث سليمان بن داود قال: خرج منها برز وهذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود لأنه صلى الله عليه وسلم نهاني أن أصلي في المقبرة ونهاني أن أصلي بأرض بابل فإنها ملعونة. حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أزهر المرادي عن أبي صالح الغفاري: أن عليا مر ببابل وهو يسير فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال: إن حبيبي نهاني أن أصلي بأرض المقبرة ونهاني أن أصلي ببابل فإنها ملعونة. وقال أبو داود: أخبرنا سليمان بن داود أخبرنا ابن وهب ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد رضي الله عنه مر ببابل وهو يسير فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال: إن حبيبي صلى الله عليه وسلم الحسين أخبرنا أحمد بن صالح حدثني ابن وهب حدثني ابن لهيعة ويحيى بن أزهر عن عمار بن سعد المرادي عن أبي صالح الغفاري أن علي بن أبي طالب به على أن بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق لا بابل ديناوند كما قاله السدي وغيره ثم الدليل على أنها بابل العراق ما قال ابن أبي حاتم أخبرنا علي بن له قدرة إلا على التخيل كما قال تعالى سحرُوا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وقال تعالى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى واستدل رضي الله عنها. وقد استدلل بهذا الأثر من ذهب إلى أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان لأن هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال. وقال آخرون: بل ليس هشام يقول: إنهم كانوا أهل الورع والخشية من الله ثم يقول هشام: لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوكي أهل حمق وتكلف بغير علم. فهذا إسناد جيد إلى عائشة بما لا يعلمه إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان أبوك حبيبن أو أحدهما. قال هشام: فلو جاءتنا أفئتناها بالضمان. قال ابن أبي الزناد: وكان أبدا فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت وفاة رسول الله وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف أن يفتيها سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا ولا أفعله أبدا ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولا كما تقدم وزاد بعد قولها ولا أفعله وقلت: احقلي فأحقلت ثم قلت: افركي فأفركت ثم قلت: ابيسي فأبيست ثم قلت: اطحني فأطحنت ثم قلت: اخبزي فأخبزت فلما رأيت أنني لا أريد شيئا إلا كان خرج منك. اذهبي فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا فقالت: بلى لم تريدي شيئا إلا كان خذي هذا القمح فابذري فبذرت وقلت: اطلعي فاطلع وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت: قد فعلت فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارسا مقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فقالا: صدقت ذلك إيمانك تكفري فإنك على رأس أمرك فأربيت وأبيت فقالا: اذهبي إلى التنور فبولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني فذهب في السماء التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعرت وخفت ثم رجعت إليهما وقلت: قد فعلت فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئا فقالا: كذبت لم تفعلين أرجعي إلى بلادك ولا إليهما قال: أفعلت؟ فقلت: نعم فقالا: هل رأيت شيئا؟ فقلت: لم أر شيئا فقالا: لم تفعلين أرجعي إلى بلادك ولا تكفري فأربيت وأبيت فقالا: اذهبي إلى ذلك بك؟ قلت: نتعلم السحر فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري فأرجعي فأبيت وقلت: لا قال: فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت ففزعت ولم أفعل فرجعت فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن شيء حتى وقفنا ببابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء تبكي حتى إنني لأرحمها وتقول: إنني أخاف أن أكون قد هلكت: كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت: إن فعلت ما أمرك به من أمر السحر ولم تعمل به وقالت: عائشة رضي الله عنها لعروة: يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفها فكانت وسلم أنها قالت: قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حادثة ذلك تسأله أشياء دخلت فيه

تفسير ابن كثير

جرير رحمه الله تعالى: أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه في القرآن على ما أراد الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال. وقد ورد في ذلك أثر غريب وسياق عجيب في ذلك أحببنا أن ننبه عليه قال: الإمام أبو جعفر بن متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها فنحن نؤمن بما ورد بن حيان وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد وفي الدنيا تسع مرات مثلاً؟ فأمر أن ينزل بباب فثم عذابها وزعم أنها معلقان في الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما. السماء فوعدهما يوماً وغدا يدعو لهما فدعا لهما فاستجيب له فخيراً بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: ألا تعلم أن أفواج عذاب لهما ولم تحملهما أجنحتهما فاستغاثا برجل من بني آدم فأتياه فقالا ادع لنا ربك فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالوا: سمعنا ربك يذكر بك بخير في في أنفسهما ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذاتها فلما بلغا ذلك واستحلا افتتنا فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت فلما أمسيا عرجا فجزا فلم يؤذن لصاحبه وجدت مثل الذي وجدت؟ قال نعم فبعثنا إليها أن اثنيانا نقض لك فلما رجعت قالوا وقضيا لها فأتتهما فكشفا لهما عن عورتيهما وإنما كانت سواتهما يصبحان فيحكما فيعدلان حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم فضيا عليها فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه فقال أحدهما بأمور ونهاهما ثم نزل على ذلك ليس أحد أطوع لله منهما فحكما فعلا فكانا يحكما في النهار بين بني آدم فإذا أمسيا عرجا فكانا مع الملائكة منزلان حين أعجبتم من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء. وإنكما ليس بيني وبينكما رسول فافعلا كذا وكذا ودعا كذا وكذا فأمرهما الرسل والكتب والبيئات فقال لهم ربهم تعالى: اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكما في الأرض فاختراروا فلم يألوا هاروت وماروت فقال لهما حين أنزلهما ببابل وجعلنا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أما شأن هاروت وماروت فإن الملائكة عجبته من ظلم بني آدم وقد جاءتهم وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت فلما كان الليل أراد أن يصعد فلم يطيقا فعرفا الهلكة فخيراً بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختراروا عذاب الدنيا فعلا السماء وبأي كلام تنزلان منها فأخبرها فتكلمت فصعدت فأنساها الله تعالى ما تنزل به فثبتت مكانها وجعلها الله كوكبا فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها لها على زوجها ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتياها فيها فأتياها لذلك فلما أراد الذي يواقها قالت ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى قال نعم ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر إنا لندرجو رحمة الله فلما جاءت تخاصم زوجها ذكر إليها نفسها فقالت: لا حتى تقضيا لي على زوجي فضيا بيدخت وبالفارسية أناهيد. فقال أحدهما لصاحبه إنها لتعجبني قال الآخر قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك. فقال الآخر هل لك أن أذكرها لنفسها؟ فكانا يحكما حتى إذا أمسيا عرجا فإذا أصبحا هبطا فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنهما واسمها بالعربية الزهرة وبالنبطية هاروت وماروت: ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكما بالعدل فقال: لهما انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر فاحكما بين الناس فنزلا ببابل ديناوند السدي أنه قال كان من أمر هاروت وماروت أنهم طعنا على أهل الأرض في أحكامهم فقبل لهما إني أعطيت بني آدم عشرة من الشهوات فيها يعصوني قال: فاختراروا عذاب الدنيا. وقال معمر: قال قتادة فكانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر. وقال أسباط عن وذلك أن الملائكة سخرها من حكام بني آدم فحاکمت إليهما امرأة فحافا لها ثم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة قال معمر قال قتادة والزهري عن عبيد الله بن عبد الله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت كانا ملكين من الملائكة فأهبطا ليحكما بين الناس وعذاب الآخرة فاختراروا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والأرض وهذا السياق فيه زيادة كثيرة وإغراب ونكارة والله أعلم بالصواب. وقال عبدالرزاق: أخبرني بالكلمة التي إذا قلتها طرما فأخبرها فطارت فمسخت جمرة وهي هذه الزهرة وأما هما فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا فقالت: لهما لا حتى تشربا خمري وتقتلا ابن جاري وتسجدا لوثني فقالا: لا نسجد ثم شربا من الخمر ثم قتلا ثم سجدا فأشرف أهل السماء عليهما وقالت: لهما لوثن فاستقال منهم واحد فأقيل فأهبط اثنا إلى الأرض فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها مناهية فهويها جميعا ثم أتيا منزلها فاجتمعا عندها فأراداها ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض على أن يحكما بين أهل الأرض جعل فيهم شهوة الأدميين فأمرها أن لا يشربوا خمر ولا يقتلوا نفسا ولا يزنوا ولا يسجدوا يعملون المعاصي فقالوا: يا رب أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي فقال الله أنتم معي وهم في غيب عني فقبل لهم اختاروا منكم ثلاثة فاختراروا منهم حاتم أخبرنا أبي أخبرنا سلم أخبرنا القاسم بن الفضل الحذاني أخبرنا يزيد يعني الفارسي عن ابن عباس أن أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم عن حكام بن سلم الرازي وكان ثقة عن أبي جعفر الرازي به: ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة والله أعلم. وقال ابن أبي له فاختراروا عذاب الدنيا فجعلوا ببابل فهما يعذبان. وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولا عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبدالسلام عن إسحق بن راهويه ربهم ويستغفرون لمن في الأرض فقبل لهما اختاروا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فقالا أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع فيه فعجبوا كل العجب وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض فنزل في ذلك والملائكة يسبحون بحمد فيه من الخطيئة أراد أن يصعدا إلى السماء فلم يستطيعا وحيل بينهما وبين ذلك وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة إلى ما وقعا كلا هذا لا ينبغي وأهون هذا شرب الخمر فشربا الخمر فأخذت فيهما فواقعا المرأة فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه فلما ذهب عنهما السكر وعلم ما وقعا فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدوا الصنم. قالت: لهما اختاروا أحد الخلال الثلاث إما أن تعبدوا هذا الصنم وإما أن تقتلوا هذه النفس وأما أن تشربا هذه الخمر فقالا: هذا أعبدناه فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبنا فعبدنا ما شاء الله ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها ففعلت مثل ذلك فذهبنا ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها

تفسير ابن كثير

الكواكب وأنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول وأراداها على نفسها فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها فسألاها عن دينها فأخرجت لهما صنما فقالت: الخمر فلبثا في الأرض زمانا يحكمان بين الناس بالحق وذلك في زمن إدريس عليه السلام وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر إلى الأرض وجعل لهما شهوات بني آدم وأمهرهما الله أن يعبداه ولا يشركا به شيئا ونهيا عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام وعن الزنا والسرقة وشرب فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم ففعل إنهم في غيب فلم يعذروهم ففعل لهم اختاروا من أفضلكم ملكين أمرهما وأنهاهما فاخترتا هاروت وماروت فأهبطا يا رب هذا العالم الذي إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل المال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر بن عباد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما وقع الناس من بعد آدم عليه السلام فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء المروي عن علي فيه غرابة جدا. وأقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم أخبرنا عاصم بن رواد أخبرنا آدم أخبرنا أبو جعفر حدثنا الربيع بن أنس عن قيس وأصح إسنادا ثم هو والله أعلم من رواية ابن عمر عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم عن أبيه وقوله إن الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء وكذا في من نار عاليهما سافلهما وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر وقد تقدم في رواية ابن جرير من حديث معاوية بن صالح عن نافع عنه رفعه وهذا أثبت أرجو إن علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة أن لا يجمعهما علينا قال: فاخترنا عذاب الدنيا فجعلنا في بكرات من حديد في قليب مملوءة الآخر ويحك إني قد أعطتك في الأمر الأول فأطعني الآن إن عذابا يفنى ليس كعذاب يبقى. فقال إنما يوم القيامة على حكم الله فأخاف أن يعذبنا قال لا: إني إن اخترت معافاة الدنيا وعذاب الآخرة وإن أحببتا فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم الله فقال أحدهما إن الدنيا لم يمض منها إلا القليل. وقال الأرض لأهل السماء قال: إنما قد ابتلينا قال اثنياني يوم الجمعة فأتياه فقال: ما أجبت فيكما بشيء اثنياني في الجمعة الثانية فأتياه فقال: اختارنا فقد خيرتما وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعيتين فإذا كان يوم الجمعة أجيب. فقالا: لو أتينا فلانا فسألناه فطلب لنا التوبة فأتياه فقال: رحمكما الله كيف يطلب التوبة أهل فعلت فأقرا لها بدينها وأتياها فيما يريان ثم صعدا بها إلى السماء فلما انتهيا بها إلى السماء اختطفتهما منها وقطعت أجنحتهما فوقعا خائفين نادمين يبكيان فراوداها عن نفسها فقالت ما شئتما غير أن لي زوجا وأنا أكره أن يطلع على هذا مني فأفتضح فإن أقررتما لي بديني وشرطتما لي أن تصعدا بي إلى السماء لا يصح لأحد أن يأتيني إلا من كان على مثله قال: وما دينك قالت المجوسية قال: الشرك هذا شيء لا نقر به فمكثت عنهما ما شاء الله تعالى. ثم تعرضت لهما ولا تزنيا ولا تخونا فأهبطا إلى الأرض وألقى عليهما الشهوة وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فتعرضت لهما فراوداها عن نفسها فقالت إني على دين به فعلتم كالذي يفعلون قالوا لا قال: فاخترتا من خياركم اثنتين فاخترتا هاروت وماروت فقال لهما إني مهبطكما إلى الأرض وعاهد إليكما أن لا تشركا يا رب كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام وينتهكون محارمك ويفسدون في الأرض. قال إني ابتليتكم ففعل إن ابتليتكم بمثل الذي ابتليتكم نازلا على عبد الله بن عمر في سفر فلما كان ذات ليلة قال لغلامه انظر هل طلعت الحمراء لا مرحبا بها ولا أهلا ولا حياها الله هي صاحبة الملكين قالت الملائكة أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبد الله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب عن مجاهد قال كنت فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم فخيرنا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا عذاب الدنيا. وقال: ابن أبي حاتم الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها بيذخت قال فوقعا بالخطيئة فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما لفعلتم أيضا. قال فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم فاخترتا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وأنزلت عليهم والأرض والجال: ربنا لا تمهلهم فأوحى الله إلى الملائكة إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ولو نزلتم أخبرنا الحجاج بن منهال حدثنا حماد عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا جميعا لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة لعن الله الزهرة فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت وهذا أيضا لا يصح وهو منكر جدا والله أعلم. وقال ابن جرير: حدثني المثنى بن إبراهيم وهذا لا يثبت من هذا الوجه. ثم رواه من طريقين آخرين عن جابر عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما أنزل على الملكين ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بسنده عن مغيث عن مولاة جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي مرفوعا أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا معاوية عن أبي خالد عن عمير بن سعيد عن علي رضي الله عنه قال هما ملكان من ملائكة السماء إلى السماء فعلماهما فتكلمت به فخرجت إلى السماء فمسخت كوكبا وهذا الإسناد رجاله ثقات وهو غريب جدا وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان امرأة جميلة من أهل فارس وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت فراوداها عن نفسها فأبت عليهما إلا أن يعلماهما الكلام الذي إذا تكلم به أحد يعرج به قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الحذاء عن عمير بن سعيد قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول كانت الزهرة نافع فدار الحديث ورجع إلى نقل الأخبار عن كتب بني إسرائيل والله أعلم. ذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأخبار فذكره فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين وسالم أثبت في أبيه من مولاة بن عاصم عن مؤمل عن سفيان الثوري به ورواه ابن جرير أيضا حدثني المثنى أخبرنا المعلى وهو ابن أسد أخبرنا عبدالعزيز بن المختار عن موسى بن عقبة كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه رواه ابن جرير من طريقين عن عبدالرزاق به ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد منكم اثنتين فاخترتا هاروت وماروت فقال لهما إني أرسل إلى بني آدم رسلا وليس بيني وبينكم رسول انزلا لا تشركا بي شيئا ولا تزنيا ولا تشربا الخمر قال في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأخبار قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب ففعل لهم اختاروا وهذان أيضا غريبان جدا. وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأخبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال عبدالرزاق

تفسير ابن كثير

والذنوب قال إني ابتليتكم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم قال فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا طلعت الحمراء؟ قلت لا مرتين أو ثلاثا ثم قلت قد طلعت قال لا مرجأ بها ولا أهلا قلت سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت وهو سنيد بن داود صاحب التفسير أخبرنا الفرّج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع انظر بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فذكره بطوله وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا القاسم أخبرنا الحسين من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا دملج بن أحمد حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى شيئا من هذا ولا هذا فهو مستور الحال وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي له متابع وسعيد بن سلمة وعبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث ويحيى بن أيوب وروى له أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحك المدني الحذاء وروي عن ابن عباس وأبي أمامة بن سهل بن حنيف ونافع وعبد الله بن كعب بن مالك وروى عنه ابنه عبد السلام وبكر بن مضر وزهير بن محمد عن يحيى بن بكير به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا وهو الأنصاري السلمي مولاهم فخيرنا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا عذاب الدنيا. وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن الحسن عن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئا أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدر خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك فقالا والله لا نشرك بالله شيئا أبدا فذهبت عنهما ثم آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الملائكة أي رب أنجعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني بن جبير عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت ذلك إن صح سنده ورفعته وبيان الكلام عليه قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى مما وقع من إبليس لعنه الله تعالى. وقد حكاه القرطبي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدي والكلبي. ذكر الحديث الوارد في لقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا فيكون تخصيصا لهما فلا تعارض حينئذ كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق وفي قول إنه كان من الملائكة: في ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده رحمه الله كما سنورده إن شاء الله وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة هذه القصة لا أبالي أي ذلك كان إني أمنت به وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء وأنهما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان وقد ورد ما أنزل عليهما ويعلمان الناس ما لم ينزل عليهما فقال القاسم: ما أبالي أيتها كانت ثم روي عن يونس عن أنس بن عياض عن بعض أصحابه أن القاسم قال في بن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل عن قول الله يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فقال الرجلان يعلمان الناس ما نافية أيضا وذهب آخرون إلى الوقف على قوله يعلمون الناس السحر وما نافية: قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا الليث عن يحيى عن ابن عباس وابن أبيزى والحسن البصري أنهم قرءوا وما أنزل على الملكين بكسر اللام قال ابن أبيزى وهما داود وسليمان قال القرطبي فعلى هذا تكون فيه بأس شديد وينزل لكم من السماء رزقا وفي الحديث ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء وكما يقال أنزل الله الخير والشر وحكى القرطبي القول الإنزال بمعنى الخلق لا بمعنى الإحياء في قوله تعالى وما أنزل على الملكين كما قال تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد ابن حزم وروى ابن أبي حزم بإسناده عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرؤها وما أنزل على الملكين ويقول هما علجان من أهل بابل ووجه أصحاب هذا وماروت مطيعان في تعليم ذلك لأنهما امتثلا ما أمرا به وهذا الذي سلكه غريب جدا وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ملكان أنزلهما الله إلى الأرض وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده وامتحانا بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على السنة الرسل وادعى أن هاروت الكفر فهما ينهيان عنه أشد النهي رواه ابن أبي حاتم ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وأن ما بمعنى الذي وأطال القول في ذلك وادعى أن هاروت وماروت أن عبدالرحمن بن أبى كان يقرؤها وما أنزل على الملكين داود وسليمان وقال أبو العالية لم ينزل عليهما السحر يقول علما الإيمان والكفر فالسحر من السحر قال ابن أبي حاتم وأخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا يعلى يعني ابن أسد أخبرنا بكر يعني ابن مصعب أخبرنا الحسن بن أبي جعفر وقد قال ابن أبي حاتم حدثت عن عبيد الله بن موسى أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عطية وما أنزل على الملكين قال: ما أنزل الله على جبريل وميكائيل الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس وردا عليهم. هذا لفظه بحروفه أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر وأخبرهم أن السحر عن عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وأن اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود فأكذبهم الله بذلك وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل وماروت وماروت فيكون معني بالملكين جبريل وميكائيل عليهما السلام لأن سحرة قال: فإن قال لنا قائل كيف وجه تقديم ذلك قيل وجه تقديمه أن يقال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان وما أنزل

تفسير ابن كثير

السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه المقدم. قال: ما أنزل الله عليهما السحر. قال ابن جرير فتأويل الآية على هذا واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله العوفي عن ابن عباس في قوله وما أنزل على الملكين ببابل الآية يقول لم ينزل الله السحر وبإسناده عن الربيع بن أنس في قوله وما أنزل على الملكين عنده: يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. ثم قال وهذا أولى ما حملت عليه الآية وأصح ولا يلتفت إلى ما سواه وروى ابن جرير بإسناده من طريق قال وصح ذلك إما لأن الجمع يطلق على الاثنين كما في قوله تعالى فإن كان له إخوة أو لكونهما لهما أتباع أو ذكرا من بينهم لتمردهما تقدير الكلام السحر وما أنزل على الملكين وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل وميكائيل فأكذبهم الله وجعل قوله هاروت وماروت بدلا من الشياطين أعني التي في قوله وما أنزل على الملكين قال القرطبي ما نافية ومعطوف في قوله وما كفر سليمان ثم قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اختلف الناس في هذا المقام فذهب بعضهم إلى أن ما نافية عليه السلام لنبيهم صالح إنما أنت من المسحورين أي المسحورين على المشهور قوله تعالى وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من بني إسرائيل من بعد موسى الآية ثم ذكر القصة بعدها وفيها وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وقال قوم صالح وهم قبل إبراهيم الخليل السحر قبل زمان سليمان بن داود صحيح لا شك فيه لأن السحرة كانوا في زمان موسى عليه السلام وسليمان بن داود بعده كما قال تعالى ألم تر إلى المار ههنا بمعنى في أن تتلو في ملك سليمان ونقله عن ابن جريج وابن إسحق قلت والتضمن أحسن وأولى والله أعلم. وقول الحسن البصري رحمه الله وكان الله عليه وسلم ما تتلوه الشياطين أي ما ترويه وتخبر به وتحذره الشياطين على ملك سليمان عداه بعلى لأنه تضمن تتلو تكذب وقال ابن جرير على ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أي واتبع اليهود الذين أوتوا الكتاب من بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفهم لرسول الله صلى أئمة السلف في هذا المقام ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب الفهم والله الهادي. وقوله تعالى واتبعوا تتلو الشياطين على ملك سليمان وتبعته اليهود على ملكه وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان فهذه نبذة من أقوال وثالث الكهانة وقال حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن واتبعوا ما أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد حدثنا آدم حدثنا المسعودي عن زياد مولى ابن مصعب عن الحسن واتبعوا ما تتلو الشياطين قال ثلث الشعر وثلث السحر السجع والسحر فقالوا هذا يعمل به سليمان بن داود عليهما السلام فقال الله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وقال ابن بن سليمان قال: سمعت عمران بن جرير عن أبي مجلز قال أخذ سليمان عليه السلام من كل دابة عهدا فإذا أصيب رجل فسأله بذلك العهد خلى عنه فزاد الناس فأنزل الله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان الآية وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني: حدثنا المعتمر صلى الله عليه وسلم وذكر داود وسليمان فقالت اليهود انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء إنما كان ساحرا يركب الريح على المكان الذي دفن فيه فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا نعبدنا وبهذا قهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا. فلما بعث الله النبي محمدا فلما مات سليمان عليه السلام قام إبليس لعنه الله خطيبا فقال يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبيا إنما كان ساحرا فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته ثم دلهم الشمس وليقل كذا وكذا فكتبته وجعلت عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليهما السلام من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنته تحت كرسيه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبته من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا الآية وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا حسين بن حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه اليهود ألا تعجبون من محمد يزعم أن ابن داود كان نبيا والله ما كان إلا ساحرا. وأنزل الله في ذلك من قولهم واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما اليهود لعنهم الله فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من حتى أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه فليس هو في أحد أكثر منه في في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل السحر من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وقال محمد بن إسحق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فكتبوا أصناف وهذا سحر فأنزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان والرياح وغير ذلك؟ قالوا نعم قالوا فإنه في بيت خزائنه وتحت كرسيه فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به فقال أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزائنه فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه فدنت إلى الإنس فقالوا لهم أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين ذلك فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته للناس وهو السحر وقال سعيد بن جبير: كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم تتلو الشياطين على ملك سليمان قال كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها فأرسل سليمان عليه السلام إلى ما كتبوا من عليه فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا من عنده وقد خرجوا وقد أدحض الله حجتهم. وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعوا ما سليمان وكان عليه السلام لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسده الناس ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت كرسى مجلس

تفسير ابن كثير

ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه فأنزل الله عز وجل واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان سألوهم ما صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم فلما رأوا فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فذلك حين يقول الله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وقال الربيع بن أنس إن اليهود إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار وذهب. وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب وأراهم المكان وقام ناحيته فقالوا له: فادن فقال لا ولكنني ههنا في أيديكم فإن لم تجدوه فاقتلوني فحفرها فوجدوا تلك الكتب: فلما أخرجوها قال الشيطان تمثل الشيطان في صورة إنسان ثم أتى نفرا من بني إسرائيل فقال لهم هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي فذهب معهم لا أسمع أحدا يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان وخلف من بعد ذلك خلف سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق وقال كذبوا لهم وأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا ذلك في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيب أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا فلما أمنتهم الكهنة قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان قال كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون ولكن الشياطين كفروا الآية وروى الحاكم في مستدركه عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن إسحق بن إبراهيم عن جرير به وقال السدي في فقال هذا سحر فتناسخا الأمم حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق فأنزل الله عز وجل واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان السلام فدفنها تحت كرسيه فلما توفي سليمان عليه السلام قام شيطان الطريق فقال هل أدلكم على كنزه الممنوع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي. فأخبروه من السماء فيجيء أحدهم بكلمة حق قد سمعها فإذا جرت منه وصدق كذب معها سبعين كذبة قال فتشربها قلوب الناس قال فأطلع الله عليها سليمان عليه أن عليا خارج إليهم ففرع ثم قال ما تقول لا أبا لك؟ لو شعرنا ما نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه أما إني سأحدثكم عن ذلك إنه كانت الشياطين يسترقون السمع بينما نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ جاء رجل فقال له من أين جئت قال من العراق قال من أيه؟ قال من الكوفة قال فما الخبر؟ قال تركتهم يتحدثون عليه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن عن عمران وهو ابن الحرث قال: على الناس وقالوا إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب قال: فبرئ الناس من سليمان وكفروه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزل فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به. قال فانطلقت الشياطين فتكتبت في تلك الأيام كتبها فيها سحر وكفر فدفنها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها وقرؤبوها فقال هاتي خاتمي فأخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس. قال فجاءها سليمان فقال لها هاتي خاتمي فقالت كذبت لست سليمان قال أعطى الجراداة وهي امرأته خاتمه فلما أراد الله أن يبتلي سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجراداة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان سليمان عليه السلام إذا أراد أن يدخل الخلاه أو يأتي شيئا من نسائه وسلم واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وقال ابن جرير: حدثني أبو السائب سلمة بن جنادة السوائي هذا الذي كان سليمان يعمل بها. قال: فأكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونهم حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم يعلم الأسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجه الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا الله. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان أصف كاتب سليمان وكان الله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم الآية واتبعوا الشهوات التي كانت تتلو الشياطين وهي المعازف واللعب وكل شيء يصد عن ذكر عليه السلام حدثان ذلك فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان فأخفاه عنا فأخذوا به فجعلوه دينا فأنزل والإنس واتبعوا الشهوات فلما أرجع الله إلى سليمان ملكه وقام الناس على الدين كما كان وإن سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه وتوفي سليمان قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فنام من الجن ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهما المعوذتان وفي الحديث لم يتعوذ المتعوذ بمثلها وكذلك قراءة الكرسي فإنها مطردة للشيطان. 103 ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ثم يغتسل بياقيه فإنه يذهب ما به وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته قلت أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر وخشيت أن أفتح على الناس شرا وحكى القرطبي عن وهب: أنه قال يؤخذ سبع ورقات من سدر فتدق بين حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي البخاري وقال عامر الشعبي: لا بأس بالنشرة وكره ذلك الحسن البصري وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت يا رسول الله هلا تنشرت فقال أما الله فقد شفاني قتل قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطئ تجب عليه الدية. مسألة وهل يسأل الساحر حلا لسحره فأجاز سعيد بن المسيب فيما نقله عنه حتى يقول إنما نحن فتنة فلا تكفر لكن قال مالك إذا ظهر عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تابا قبلنا فإن قتل سحره فإن أسلم وإلا قتل والثانية أنه يقتل وإن أسلم وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفرا كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى وما يعلمان من أحد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله أنه قال في الذمي يقتل إن قتل سحره وحكى ابن خويز مندد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر: أحدهما أنه يستتاب يونس عن الزهري قال: يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها. وقد الثلاثة: حكمها حكم الرجل والله أعلم وقال أبو بكر الخلال: أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل عمر بن هرون أخبرنا

تفسير ابن كثير

المسلم وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الأعصم واختلفوا في المسئلة الساحرة فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس وقال حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تقبل وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى تقبل وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر في حق شخص معين وإذا قتل فإنه يقتل حدا عندهم إلا الشافعي فإنه قال يقتل والحالة هذه قصاصا قال وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو نعم وقال الشافعي وأبو حنيفة لا فأما إن قتل بسحره إنسانا فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر. قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد فهو كافر وقال الشافعي رحمه الله إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحره فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه ليعتبه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدا جوازه أو أنه ينفعه كفر وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد يكفر بذلك له الحديث. فصل وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله في كتابه الإشراف على مذاهب الأشراف بابا في السحر فقال: قال: وهذا أصح قال: لأنها تصوب الباطل حتى توهم السامع أنه حق كما قال عليه الصلاة والسلام فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي مكون أدوية وأدخنة وغير ذلك قال: وقوله عليه السلام إن من البيان لسحرا يحتمل أن يكون مدحا كما تقوله طائفة ويحتمل أن يكون دما للبلاغة قال ابن فارس: وليست هذه الكلمة من كلام أهل البادية قال القرطبي: ومنه ما يكون كلام يحفظ ورقى من أسماء الله تعالى وقد يكون من عهود الشياطين للمعتزلة وأبي إسحق الإسفراييني من الشافعية حيث قالوا: إنه تمويه وتخيل قال: ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة والشعوذي البريد لخفة سيره تعالى سحرُوا أعين الناس أي أخفوا عنهم عملهم والله أعلم. وقال أبو عبد الله القرطبي: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافا جهل يوم بدر لعنته: انتفخ سحره أي انتفخت رثته من الخوف وقالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وقال لسحرا وسمي السحور لكونه يقع خفيا آخر الليل والسحر الرنة وهي محل الغداء وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه كما قال أبو أدخل كثيرا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطائفة مداركها لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه ولهذا جاء في الحديث إن من البيان وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة وبالله المستعان. ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه قلت وإنما بين كلمة الأحزاب وبين قريظة: جاء إلى هؤلاء فمضى إليهم عن هؤلاء كلاما ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئا آخر ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت خيرا أو يكون على وجه التخذييل والتفريق بين جموع الكفرة فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث الحرب خدعة وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين الناس وإتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث ليس بالكذاب من ينم السعي بالنيمة التقريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس قلت النيمة على قسمين تارة تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه فإذا كان النبيل حاذقا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره. قال النوع الثامن من السحر القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء قلت هذا النمط يقال له التنبلة وإنما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم وفي علم الفراسة إذا اتفق أن يكون ذلك السامع ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والخافة فإذا حصل الخوف ضعفت من المحالات. قال النوع السابع من السحر التعليق للقلب وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ويتخيل على جهلة الناس بهذه الخواص مدعيا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك السادس من السحر الاستعانة بخواص الأدوية يعني في الأطعمة والدهانات قال: وأعلم أن لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن تأثير المغناطيس مشاهد قلت في هذه الصومعة ولا يدرون ما سببه ففتنتهم بذلك وأوهم أن هذا من كرامات صاحب هذا القبر عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة. قال الرازي: النوع فيدخل الريح إلى داخل هذه الصورة فيسمع صوتها كل طائر في شكله أيضا فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئا كثيرا فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون كصوت ذلك الطائر وانقطع في صومعة ابتناها وزعم أنها على قبر بعض صالحهم وعلق الطائر في مكان منها فإذا كان زمان الزيتون فتح بابا من ناحيته فتذهب فتلقي في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به فعمد هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكله وتوصل إلى أن جعله أجوف فإذا دخلته الريح يسمع منه صوت علي فإنه من يكذب علي يلج النار ثم ذكر ههنا حكاية عن بعض الرهبان وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ضعيف الحركة فإذا سمعته الطيور ترق له فيدخلون في عداد من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقوله حدثوا عني ولا تكذبوا أصحابهم على دينهم فيرون ذلك سائغا لهم وفيهم شبهة على الجهلة الأغبياء من متعبدي الكرامية الذين يرون جواز وضع الأحاديث في الترهيب وإدخال النار خفية إلى الكنيسة وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطعام منهم وأما الخواص فهم معترفون بذلك ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل قدر عليها قلت ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم بما يرونها إياه من الأنوار كفضية قمامة الكنيسة التي لهم ببلد المقدس وما يحتالون به من ويندرج في هذا الباب علم جر الأتقال بالآلات الخفيفة قال: وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لأن لها أسبابا معلومة يقينية من اطلاع عليها فحشوها زئبقا فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق فيخيل إلى الراي أنها تسعى باختيارها قال الرازي: ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات الوجوه من لطيف أمور التخاييل قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل قلت يعني ما قاله بعض المفسرين: أنهم عمدوا إلى تلك الحبال والعصي من غير أن يمسه أحد ومنها الصور التي تصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان حتى يصورونها ضاحكة وباكية إلى أن قال: فهذه

تفسير ابن كثير

من السحر الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية كفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وقال تعالى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى قالوا: ولم تكن تسعى في نفس الأمر والله أعلم. النوع الخامس أحوالها والحالة هذه. قلت وقد قال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبة ولهذا قال تعالى فلما ألغوا سحرهم أعين الأحوال تفيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان العمل أحسن مثل أن يجلس المشعبد في موضع مضيء جداً أو مظلم فلا تقف القوة الناطقة على يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمل ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجهم لفظن الناظرين لكل ما يفعله قال وكلما كانت الشغل بذلك الشيء بالتحديث ونحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروهم فيتعجبون منه جداً ولو أنه سكت ولم قد يخطئ ويستغل بالشيء المعين دون غيره ألا ترى ذا الشعبة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استفرغهم والدخن والتجريد وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير. النوع الرابع من السحر التخيلات والأخذ بالعيون والشعبة ومبناه على أن البصر السماوية لما بينهما من المناسبة والقرب ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى الأرضية وهم الجن خلافاً للفلاسفة والمعتزلة وهم على قسمين. مؤمنون وكفار وهم الشياطين. قال واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وبسط هذا يطول جداً وليس هذا موضعه. قال والنوع الثالث من السحر والاستعانة بالأرواح الأحوال على محبته لهم كما أن الدجال له من الخوارق العادات ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة مع أنه مذموم شرعاً لعنه الله وكذلك من شابهه من مخالفي لا يمثل صاحبها ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتصرف بها في ذلك فهذه حال الأشقياء المخالفين للشريعة ولا يدل إعطاء الله إياهم هذه صلى الله عليه وسلم فهذه الأحوال مواهب من الله تعالى وكرامات للصالحين من هذه الأمة ولا يسمى هذا سحراً في الشرع. وتارة تكون الحال فاسدة بالحال: وهو على قسمين تارة تكون حالاً صحيحة شرعية يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. ويتبرك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله لا يكون لها تأثير البتة إلا في هذا البدن ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء والانقطاع عن الناس والرياء قلت وهذا الذي يشير إليه هو التصرف السموات صارت كأنها روح من الأرواح السماوية فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم وإذا كانت ضعيفة شديدة تتعلق بهذه الذات البدنية فحينئذ عن الاستعانة بالآلات والأدوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات وتحقيقه أن النفس إذا كانت متعلقة على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين قال فإذا عرفت هذا فنقول النفس التي تفعل هذه الأفعال قد تكون قوية جداً فتستغني في هذه الأفعال اتفاق العقلاء على أن الإصابة بالعين حق وله أن يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: العين على نهى المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر والمصروع إلى الأشياء القوية للمعان أو الدوران وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت مطيعة للأوهام. قال: وقد له تأثير بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجذع الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه قال: وكما أجمعت الأطباء هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلون وما يلبسون وما يتمسكون به. قال والنوع الثاني سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ثم استدلت على أن الوهم وغيره ويقال إنه تاب منه وقيل بل صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد وهذا هو المظنون به إلا أنه ذكر فيه طريقهم في مخاطبة كل من وسلم مبطلاً مقالتهم وراداً لمذهبهم وقد استقصى في كتاب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب إليه كما ذكرها القاضي ابن خلكان الكواكب السبعة المتحيرة وهي السيارة وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر وهم الذين بعث الله إليهم إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه والله أعلم. ثم قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية الأول سحر الكذابين والكشانيين الذين كانوا يعبدون على علم السحر أصلاً ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ولم يكونوا رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف دلت على مدح العالمين العلم الشرعي ولم قلت إن هذا منه ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلا به ضعيف بل فاسد لأن أعظم معجزات أو أكثرهم وأبين نصوصهم على ذلك؟ ثم إدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فيه نظر لأن هذه الآية إنما اتفق المحققون على ذلك. كيف لا يكون محظوراً مع ما ذكرناه من الآية والحديث واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء لتعلم السحر وفي الصحيح من أتى عرفاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد وفي السنن من عقد عقدة ونفت فيها فقد سحر وقوله ولا محذور قوله: العلم بالسحر ليس بقبيح إن عني به ليس بقبيح عقلاً فمخالفة من المعتزلة يمنعون هذا وإن عني أنه ليس بقبيح شرعاً ففي هذه الآية الكريمة تبشيع أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً وقبيحاً؟ هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة وهذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها يعلمون ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم يكون المعجز معجزاً واجباً وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محذور اتفاق المحققين على ذلك لأن العلم لذاته شريف وأيضاً لعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا الله عنها وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر. قال وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ثم قال بعد هذا. المسألة الخامسة في هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ومن الأخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وأن السحر عمل فيه وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضي فأمّا أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا خلافاً للفلاسفة والمنجمين والصابئة ثم استدلت على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعالى بقوله تعالى وما أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حماراً والحصار إنساناً إلا أنهم قالوا إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة

تفسير ابن كثير

أعلم. فصل حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده قال وأما أهل السنة فقد جوزوا بعض الأمراء الرجل يلعب فجاء جندب مشتملا على سيفه فقتله قال أراه كان ساحرا وحمل الشافعي رحمه الله قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركا والله ثم أطلقه والله أعلم وقال الإمام أبو بكر الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحق عن حارثة قال كان عند سيفه فضرب عنق الساحر وقال: إن كان صادقا فليحي نفسه وتلا قوله تعالى أتأتون السحر وأنتم تبصرون فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه إليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحيي الموتى وراه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل عن جندب مرفوعا والله أعلم وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد مرفوعا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث والصحيح عن الحسن عن جندب موقوفا قلت قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن من حديث إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب الأزدي أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حد الساحر ضربه بالسيف ثم قال لا نعرفه سحرته جارية لها فأمرت بها فقتلت قال الإمام أحمد بن حنبل صح عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الساحر وروى الترمذي الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر وقد أخرجه البخاري في صحيحه أيضا وهكذا صح أن حفصة أم المؤمنين لا يكفر ولكن حده ضرب عنقه لما رواه الشافعي وأحمد بن حنبل قال: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجلة بن عبدة يقول كتب عمر بن إلا الصابرون. وقد استدلل بقوله ولو أنهم آمنوا واتقوا من ذهب إلى تكفير الساحر كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف وقيل بل مثوبة الله على ذلك خيرا لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به كما قال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها عن الإيمان ومتابعة الرسول لو كان لهم علم بما وعظوا به ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير أي ولو أنهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم لكان يقول تعالى ولبيس البديل ما استبدلوا به من السحر عوضا

نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تقولوا للعب الكرم ولكن قولوا الحيلة ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فتاي وما أشبه ذلك. 104 من القول في ذلك عندنا أن الله نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم راعنا لأنها كلمة كرهها الله تعالى أن يقولها لنبيه صلى الله عليه وسلم غير صاغر وهي كالتي في سورة النساء فتقدم الله إلى المؤمنين أن لا يقولوا راعنا وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحو من هذا قال ابن جرير والصواب وسلم فإذا لقيه فكلمه قال: أرعني سمعك واسمع غير مسمع وكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخم بهذا فكان ناس منهم يقولون: اسمع غير مسمع فأعظم الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقال ذلك له وقال السدي: كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعة بن زيد يأتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو صخر لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فيقول أرعنا سمعك الراعن من القول السخري منه نهاهم الله أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم وما يدعوهم إليه من الإسلام. وكذا روي عن ابن جريج أنه قال مثله خلافا وفي رواية لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك. وقال عطاء لا تقولوا راعنا كانت لغة تقولها الأنصار فنهى الله عنها وقال الحسن: لا تقولوا راعنا قال كقولك عاطنا وقال ابن أبي حاتم وروي عن أبي العالية وأبي مالك والربيع بن أنس وعطية العوفي وقتادة نحو ذلك وقال مجاهد لا تقولوا راعنا لا تقولوا أي أرعنا سمعك وقال الضحاك: عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم أرعنا سمعك وإنما راعنا أيها الذين آمنوا فإنه في التوراة يا أيها المساكين. وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جببر أو عكرمة عن ابن عباس راعنا إلي فقال: إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه. وقال الأعمش عن خيثمة قال: ما تقرأ في القرآن يا ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا نعيم بن حماد أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا مسعر عن ابن معن وعون أو أحدهما أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال: أعهد الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها وقال تشبه بقوم فهو منهم وروى أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن أبي النضر هاشم أخبرنا ابن القاسم به من تشبه بقوم فهو منهم ففيه دلالة على النهي عليه وسلم بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن أخبرنا أبو النضر أخبرنا عبد الرحمن أخبرنا ثابت أخبرنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلًا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللکافرين عذاب أليم وقال الإمام أحمد: سلموا إنما يقولون السام عليكم والسام هو الموت ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بوعليكم وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا والغرض أن الله تعالى قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرونا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا بالرعونة كما قال تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم وفعالهم وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه توربة لما يقصدونه من التنقيص عليهم لعائن الله فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولوا راعنا ويورون نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم

من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. 105 عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابهتهم للمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبينهم ونهى الله تعالى ما أنعم به على المؤمنين قوله تعالى ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم يبين بذلك تعالى شدة

تفسير ابن كثير

يقول نأت بخير من الذي نسخناه أو مثل الذي تركناه وقال قتادة نأت بخير منها أو مثلها يقول آية فيها تخفيف فيها رخصة فيها أمر فيها نهى. 106
المنفعة وأرفق بكم وقال أبو العالية ما نسخ من آية فلا نعمل بها أو ننساها أي نرجئها عندنا نأت بها أو نظيرها وقال السدي نأت بخير منها أو مثلها
وقوله نأت بخير منها أو مثلها أي في الحكم بالنسبة إلى مصلحة المكلفين كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نأت بخير منها يقول خير لكم في
أبي وأقضانا علي وإنا لندع من قول أبي وذلك أن أبي يقول: لا أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله ما نسخ من آية أو ننسها
ما نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها قال البخاري: أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال عمر: أقرؤنا
عباس قال قال عمر: علي أقضانا وأبي أقرؤنا وإنا لندع من قول أبي وذلك أن أبي يقول: ما أدع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يقول
عن محمد بن كعب وقتادة وعكرمة نحو قول سعيد وقال الإمام أحمد أخبرنا يحيى أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبيرة عن ابن
الحاكم في مستدركه من حديث أبي حاتم الرازي عن آدم عن شعبة عن يعلى بن عطاء به وقال علي شرط الشيخين ولم يخرجاه قال ابن أبي حاتم: وروي
القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب قال: قال الله جل ثناؤه سنقرئك فلا تنسى وذكر ربك إذا نسيت وكذا رواه عبدالرزاق عن هشيم وأخرجه
القاسم بنو ربيعة قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقرأ ما نسخ من آية أو ننسها قال: قلت له فإن سعيد بن المسيب يقرأ أو ننساها قال فقال سعد إن
شيخ لنا جزري وقال عبيد بن عمير أو ننسها نرفعها من عندكم وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشيم أخبرنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن
بالنهار فأنزل الله عز وجل ما نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها قال ابن أبي حاتم: قال لي أبو جعفر بن نفيل ليس هو الحجاج بن أرطاة هو
أخبرنا محمد بن الزبير الحراني عن الحجاج يعني الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل وينسأه
الحارث أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال في قوله أو ننسها قال: إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قرأ قرآنا ثم نسبه وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي ابن نفيل
من آية أو ننسها قال كان الله عز وجل ينسى نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء وينسخ ما يشاء. وقال ابن جرير: أخبرنا سواد بن عبدالله أخبرنا خالد بن
عمر رضي الله عنه فقال: يقول الله عز وجل ما نسخ من آية أو ننسها أي نؤخرها وأما على قراءة أو ننسها فقال عبدالرازق عن قتادة في قوله ما نسخ
عبيدالله بن إسماعيل البغدادي أخبرنا خلف أخبرنا الخفاف عن إسماعيل يعني ابن أسلم عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: خطبنا
أنس وقال الضحاك ما نسخ من آية أو ننسها يعني الناسخ من المنسوخ وقال أبو العالية ما نسخ من آية أو ننسها نؤخرها عندنا وقال ابن حاتم: أخبرنا
حكمها وقال عبد بن عمير ومجاهد وعطاء أو ننسها نؤخر ونرجئها وقال عطية العوفي: أو ننسها: نؤخرها فلا ننسخها وقال السدي مثله أيضا وكذا الربيع بن
بن أبي طلحة عن ابن عباس ما نسخ من آية يقول ما تبدل من آية أو تتركها لا تبدلها وقال مجاهد: عن أصحاب ابن مسعود أو ننسها نثبت خطها ونبدل
مثله مرفوعا ذكره القرطبي وقوله تعالى أو ننسها فقريء على وجهين ننسها وننساها فاما من قرأها بفتح النون والهزمة بعد السين فمعناه نؤخرها. قال علي
بكر بن الأنباري عن أبيه عن نصر بن داود عن أبي عبيد الله عن عبدالله بن صالح عن الليث عن يونس وعقيل عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف
عليه وسلم إنها مما نسخ وأنسي فالحوا عنها فكان الزهري يقرؤها ما نسخ من آية أو ننسها بضم النون الخفيفة سليمان بن الأرقم ضعيف وقد روى أبو
يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال رسول الله صلى الله
أخبرنا أبي أخبرنا العباس بن الفضل عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانا
لا إلى بدله وأما تفاصيل أحكام النسخ وذكر أنواعه وشروطه فمبسوطة في أصول الفقه وقال الطبراني أخبرنا أبو سنبل عبيدالله بن عبدالرحمن بن وافد
ذلك قريب لأن معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء ولحق بعضهم أنه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر فاندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل وعكسه والنسخ
تحويله ونقل عبارة إلى غيرها وسواء نسخ حكمها أو خطها إذ هي في كلتا حالتها منسوخة وأما علماء الأصول فاختلعت عباراتهم في حد النسخ والأمر في
فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة أخرى إلى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو
ونغيه وذلك أن يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة
زنيا فارجموها البتة وقوله لو كان لابن آدم وادبان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وقال ابن جرير ما نسخ من آية ما ينقل من حكم آية إلى غيره فنبدله
حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد وقال السدي ما نسخ من آية نسخها قبضها وقال ابن أبي حاتم: يعني قبضها رفعها مثل قوله الشيخ والشيخة إذا
عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي نحو ذلك وقال الضحاك ما نسخ من آية ما ننسك وقال عطاء أما ما نسخ فما نترك من القرآن وقال ابن أبي
أبي نجيح عن مجاهد ما نسخ من آية قال ثبت خطها ونبدل حكمها حدث به عن أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنهم وقال ابن أبي حاتم: وروي
أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما نسخ من آية ما تبدل من آية وقال ابن جريج عن مجاهد ما نسخ من آية أي ما نمحو من آية وقال ابن

قال ابن

مصابرة المسلم لعشرة من الكفرة إلى مصابرة الاثنين ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك والله أعلم. 107
قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحول لم يجب على ذلك بكلام مقبول وقضية تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس لم يجب بشيء ومن ذلك نسخ
بوقوعه وقال أبو مسلم الأصهباني المفسر: لم يقع شيء من ذلك في القرآن وقوله ضعيف مردود مرذول وقد تعسف في الأجوبة عما وقع من النسخ فمن ذلك
إسرائيل على نفسه الآية كما سيأتي تفسيره والمسلمون كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من الحكمة البالغة وكلهم قال
الخلق والأمر وقرئ في سورة آل عمران التي نزل صدرها خطاب مع أهل الكتاب وقوع النسخ في وقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم

تفسير ابن كثير

قال تعالى ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض الآية فكما أن الملك بلا منازع فكذلك له الحكم بما يشاء ألا له فوجوب متابعتة متعين لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهدا بالله تبارك وتعالى ففي هذا المقام بين تعالى جواز النسخ ردا على اليهود عليهم لعنة الله حيث إلى بعثته عليه السلام فلا يسمى ذلك نسخ لقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل وقيل إنها مطلقة وإن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم نسختها فعلى كل تقدير صلى الله عليه وسلم والأمر باتباعه فإنه يفيد وجوب متابعتة عليه الصلاة والسلام وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته وسواء قيل إن الشرائع المتقدمة مغيية بذلك ويصدقون عنه وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى إذ هو المقصود وكما في كتبهم مشهورا من البشارة بمحمد ثم نسخه قبل الفعل وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل وأشياء كثيرة يطول ذكرها وهم يعترفون الحيوانات ثم نسخ حل بعضها وكان نكاح الأخنتين مباح لإسرائيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها وأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لأنه يحكم ما يشاء كما أنه يفعل ما يريد لأمره ونهيه وأن له أمرهم بما يشاء ونهيه عما يشاء ونسخ ما يشاء وإقرار ما يشاء وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه قلت الذي يحمل اليهود على من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانها وأن الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة الخبر عن عظمتة فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لمجنيهما بما جاء به وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذا أشاء ثم قال: وهذا الخبر وإن كان خطابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانها دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأنهى عما أشاء وأنسخ استحالة النسخ إما عقلا كما زعمه بعضهم جهلا وكفرا وإما نقلا كما تخرصه آخرون منهم افتراء وإفكا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: فتأويل الآية ألم رسله في تصديق ما أخبروا وامتثال ما أمروا وترك ما عنه زجروا وفي هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبهتهم لعنهم الله في دعوى عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره واتباع بما يشاء فيحل ما يشاء ويحرم ما يشاء. ويبين ما يشاء ويحظر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويختبر فكما خلقهم كما يشاء ويسعد من يشاء ويشقى من يشاء ويصح من يشاء ويمرض من يشاء ويوفق من يشاء ويخذل من يشاء كذلك يحكم في عباده يرشد عباده تعالى بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر وهو المتصرف

كما قال تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبنس القرار وقال أبو العالية يتبدل الشدة بالرخاء. 108 حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنت والكفر الله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان أي من يشتر الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل أي فقد خرج عن الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال. وهكذا أن الله ذم من سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء على وجه التعنت والاقتراح كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام تعنتا وتكذيبا وعنادا. قال صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا قال نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل فأبوا ورجعوا. وعن السدي وقتادة نحو هذا والله أعلم والمراد رسولكم كما سئل موسى من قبل وقال مجاهد أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة؟ قال: سألت قريش محمدا سينة واحدة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله إلا هالك فأنزل الله أم تريدون أن تسألوا يجد الله غفورا رحيمًا وقال الصلوات الخمس من الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن وقال من هم بسئية فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت له خزيا في الدنيا وإن لم يكفرها كانت له خزيا في الآخرة فما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل قال ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله لا نبي فيها ثلاثا ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فإن كفرها كانت أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل قال: قال رجل يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني إسرائيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى أم تريدون ووهب بن زيد يا محمد اثنتا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا تنبعك ونصدقك. فأنزل الله من قولهم أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة فإنه عليه الصلاة والسلام رسول الله إلى الجميع كما قال تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أي بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو إنكاري وهو يعلم المؤمنين والكافرين عشرة مسألة كلها في القرآن يسألونك عن الخمر والميسر ويسألونك عن الشهر الحرام ويسألونك عن اليتامى يعني هذا وأشباهه. وقوله ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن اثنتي كان ليأتي علي السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فأتهم منه وإن كنا لنتمنى الأعراب. قال البزار: أخبرنا محمد بن المثنى أخبرنا ونحن نسمع. وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أخبرنا أبو كريب أخبرنا إسحق بن سليمان عن أبي سنان عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال: إن ما تركتكم الحديث ولهذا قال أنس بن مالك: نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله

تفسير ابن كثير

عام يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا. ثم قال عليه السلام لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم ثم قال ذروني على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجل أكل عليه وسلم: كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال. وفي صحيح مسلم ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ثم أنزل الله حكم الملاعة. ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألته ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد مع امرأته رجلا فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فكره لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة ولهذا جاء في الصحيح إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الأشياء قبل كونها كما

فقتل الله به من قتل من صناديد قريش هذا إسناد صحيح ولم أره في شيء من الكتب الستة ولكن له أصل في الصحيحين عن أسامة بن زيد. 109 واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول من العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم بالقتل بن زيد أخبره قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله فاعفوا إلى ذلك أيضا قوله تعالى حتى يأتي الله بأمره وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبي أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة الآخر إلى قوله وهم صاغرون فنسخ هذا عفوهم عن المشركين وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة والسدي أنها منسوخة بآية السيف ويرشد وقوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره نسخ ذلك قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره والسدي به حسدا وبغيا إذ كان من غيرهم وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وقوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره مثل قوله تعالى ولتسمعن من الذين من قبل أنفسهم وقال أبو العالية من بعد ما تبين لهم الحق من بعد ما تبين أن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فكفروا هم عليه من التصديق والإيمان والإقرار بما أنزل الله عليهم وما أنزل من قبلهم بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم وقال الربيع بن أنس من عند أنفسهم ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئا ولكن الحسد حملهم على الجحود فغيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ما بذلك كله مثل تصديقهم ولكنهم جحدوا ذلك كفرا وحسدا وبغيا وكذلك قال الله تعالى كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق يقول من بعد الكتاب لو يردونكم إلى قوله فاعفوا واصفحوا وقال الضحاك عن ابن عباس أن رسولا أميا يخبرهم بما في أيديهم من الكتب والرسل والآيات ثم يصدق بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله ود كثير من أهل في قوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب قال هو كعب بن الأشرف وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبد الرحمن وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن جبيرة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود للعرب حسدا إذ خضعهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم يأتي أمر الله من النصر والفتح ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه كما قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو أو الاحتمال حتى يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم

بن جبيرة عن ابن عباس وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. 11 أي نريد أن ندري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء كما قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد الأول لكان شره أخف ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح ولهذا قال تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون على المؤمنين فكان الفساد من جهة المنافق حاصل لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ثم قال إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره في الأرض وفساد كبير فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون فيها. وهذا الذي قاله حسن فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا فذلك إفساد المنافقين في الأرض وهم يحسبون أنهم يفعلهم ذلك مصلحون في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ومظاهرتهم يمشي ممن تلك صفته أحد قال ابن جرير فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم جرير يحتمل أن سلمان رضي الله عنه أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا أنه عنى أنه لم بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبي عن الأعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان الفارسي أي هذه الآية قال ما جاء هؤلاء قال ابن عن سلمان الفارسي وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون قال سلمان لم يجيء أهل هذه الآية بعد. وقال ابن جرير حدثني أحمد

تفسير ابن كثير

كذا وكذا قالوا إنما نحن على الهدى مصلحون. وقال وكيع وعيسى بن يونس وعثام بن علي عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي بالطاعة وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة وقال ابن جريج عن مجاهد وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قال إذا ركبوا معصية الله فليل لهم لا تفعلوا قال يعني لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية الله لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء في الأرض قال الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالبة في قوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون قال هم المنافقون أما لا تفسدوا قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الطيب الهمداني عن

حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سميع بصير يقول بكل شي بصير. 110 صرف إلى بصير كما صرف مبدع إلى بديع ومؤلم إلى أليم والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو زرعة أخبرنا ابن بكير حدثني أبي لهيعة عن يزيد بن أبي مذكور لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله وليحذروا معصيته قال وأما قوله بصير فإنه مبصر مثلها وهذا الكلام وإن كان قد خرج مخرج الخبر فإنه وعدا ووعيدا وأمرًا وزجرا وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته إذ كان ذلك للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير أو شر سرا وعلانية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء فيجزئهم بالإحسان خيرا وبالإساءة ولا يضيع لديه سواء كان خيرا أو شرا فإنه سيجازي كل عامل بعمله. وقال أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى إن الله بما تعملون بصير هذا الخبر من الله يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولهذا قال تعالى إن الله بما تعملون بصير يعني أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل الله يحثهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا ويوم وقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند

من أسلم وجهه لله وهو محسن أي من أخلص العمل لله وحده لا شريك له كما قال تعالى فإن حاجوك فقلت أسلمت وجهي لله ومن اتبعن الآية. 111 برهانكم قال أبو العالبة ومجاهد والسدي والربيع بن أنس حجتكم وقال قتادة بينتكم على ذلك إن كنتم صادقين أي فيما تدعونه قال تعالى بلى ولا حجة ولا بينة فقال تلك أمانيتهم وقال أبو العالبة أمانيتهم على الله بغير حق وكذا قال قتادة والربيع بن أنس ثم قال تعالى قل أي يا محمد هاتوا تقدم من دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينتقلون إلى الجنة ورد عليهم تعالى في ذلك وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوا بها دليل عنهم في سور المائدة أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك وكما يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها كما أخبر الله

هم يحزنون على ما مضى مما يتركونه كما قال سعيد بن جبيرة فلا خوف عليهم يعني في الآخرة ولا هم يحزنون يعني لا يحزنون للموت. 112 ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور وأمنهم مما يخافونه من المحذور فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال في هذه الآية الكريمة بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن وقوله فله أجره عند الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ولهذا قال تعالى فمن أيضا مردود على فاعله وهذا حال المرأين والمنافقين كما قال تعالى إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه تأولها في الرهبان كما سيأتي وأما إن كان العمل موافقا للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وقال تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين أنية وروي عن أمير إلهم وإلى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الصلاة والسلام فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فإن للعمل المتقبل شرطين: أحدهما أن يكون خالصا لله وحده والآخر أن يكون صوابا موافقا للشريعة فمتى كان قال أبو العالبة والربيع بلى من أسلم وجهه لله يقول من أخلص لله. وقال سعيد بن جبيرة بلى من أسلم أخلص وجهه لله وهو محسن

إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد وكما قال تعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم. 113 الذي لا يجوز فيه ولا يظلم مثقال ذرة وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الحج إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا أولى والله أعلم وقوله تعالى قاله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي أنه تعالى يجمع بينهم يوم المعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل العرب قالوا ليس محمد على شيء واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامة تصلح للجميع وليس ثم دليل قاطع يعين واحدا من هذه الأقوال والحمل على الجميع ابن جريج: قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون؟ قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والإنجيل وقال السدي كذلك قال الذين لا يعلمون فهم فيما عني بقوله تعالى الذين لا يعلمون فقال الربيع بن أنس وقتادة كذلك قال الذين لا يعلمون قالوا: وقالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم وقال والله أعلم وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوه من القول وهذا من باب الإيماء والإشارة وقد اختلف في وقت ولكنهم تجاهدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في الرواية الأولى عنه في تفسيرها

تفسير ابن كثير

يقتضي ذمهم فيما قالوا من علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى وهم يتلون الكتاب أي وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القول يقتضي أن كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى ولكن ظاهر سياق الآية كقول أبي العالية والربيع بن أنس في تفسير هذه الآية وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء هؤلاء أهل الكتاب ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال بلى قد كانت أوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وعنه رواية أخرى هذه الآية قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء وقال قتادة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء قال: بلى قد كانت أوائل النصارى على شيء بالتصديق بعيسى وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه وقال مجاهد في تفسير على شيء وهم يتلون الكتاب قال إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به أن يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى ما أنتم على شيء ووجد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله في ذلك من قولهما وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى والإنجيل وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: محمد بن أبي محمد عن عكرمة أبو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أجبار يهود شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب بين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندكم كما قال محمد بن إسحاق: حدثني وقوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على

وهذا حديث حسن وليس في شيء من الكتب السنة وليس لصحابيه وهو بشر بن أرطاة حديث سواه وسوى حديث لا تقطع الأيدي في الغزو. 114
أبي يحدث عن بشر بن أرطاة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة كما قال الإمام أحمد أخبرنا الهيثم بن خارجة أخبرنا محمد بن أيوب بن ميسرة بن حلبس سمعت من الدنيا بخروج المهدي عند السدي وعكرمة ووائل بن داود وفسره قتادة بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله أحيان من الدهر أشحن بهم بيت المقدس وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم والله أعلم وفسر هؤلاء الخزي أن يكون داخلا في معنى عموم الآية فإن النصارى ما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تصلي إليها اليهود عوقبوا شرعا وقدر بالذلة فيه إلا في الأرض رومي يدخله اليوم إلا وهو خائف أن يضرب عنقه أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤذيها وقال قتادة لا يدخلون المساجد إلا مسارقة قلت وهذا لا ينفي فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين الآية فليس في الأرض نصراي يدخل بيت المقدس إلا خائفا وقال السدي فليس في كعب الأخبار إن النصارى لما ظهروا على بيت المقدس خربوه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر وامتنهون من نصب الأصنام حوله ودعاء غير الله عنده والطواف به عرابا وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرها الله ورسوله وأما من فسر بيت المقدس فقال العمل فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه وكما أجلوهم من مكة أجلوا عنها ولهم في الآخرة عذاب عظيم على ما انتهكوا من حرمة البيت التي بعث الله فيها رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لأن الجزاء من جنس الله عليه وسلم أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان وأن يجلي اليهود والنصارى منها ولله الحمد والمنة. وما ذاك إلا تشريف أكناف المسجد الحرام وتطهير البقعة خائفا يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل إن لم يسلم. وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها. والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم وقيل إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال بعضهم ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد منى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان له أجل فأجله إلى مدته وهذا إذا كان تصديقا وعملا بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية ولهذا لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادي برحاب الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك. وقوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين هذا خبر معناه الطلب أي لا تمكثوا هؤلاء إلا الله فإذا كان من هو كذلك مطرودا منها مصدودا عنها فأى خراب لها أعظم من ذلك؟ وليس المراد بعمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط إنما عمارتها بذكر من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما فقال تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش المسجد الحرام والهدى معكوف أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله في رحمته الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن لا يعلمون وقال تعالى ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أوليائهم إلا المتقون ولكن أكثرهم وأما اعتماده على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة فأى خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحذوا عليها فإنه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول وأصحابه من مكة ومنعواهم من الصلاة في المسجد الحرام اليهود وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولا إذ ذاك لأنهم لعنوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وأيضا

تفسير ابن كثير

يظهر والله أعلم القول الثاني كما قاله ابن زيد. وروي عن ابن عباس لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كأن دينهم أقوم من دين أن يذكر فيها اسمه ثم اختار ابن جرير القول الأول واحتج بأن قريشا لم تسع في خراب الكعبة وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس قلت والذي سعيد بن جبير عن ابن عباس أن قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأنزل الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله إذا قطعوا من يعمرها بذكره ويأتيها للحج والعمرة. وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سلمة قال: قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن هذا البيت وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصده فقالوا لا يدخل علينا من قتل آبائنا يوم بدر وفيينا باق وفي قوله وسعى في خرابها قال الذين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة حتى نحر هديه بذى طوى وهادنهم وقال لهم ما كان أحد يصد بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها قال هؤلاء المشركون وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وروي نحوه عن الحسن البصري القول الثاني ما رواه ابن جرير: حدثني يونس بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس. وقال السدي: كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خبره وأمر أن تطرح فيه الجيف هو بختنصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى وقال سعيد عن قتادة: قال أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا هم النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وسعى في خرابها قال الله وسعوا في خرابها على قولين: أحدهما ما رواه العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه قال اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد

خلقه كلهم بالكفاية والجود والإفضال: وأما قوله عليم فإنه يعني عليم بأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعها عليم. 115 جريح: قال مجاهد لما نزلت ادعوني أستجب لكم قالوا إلى أين؟ فنزلت فأينما تولوا فإني معكم وجه الله قال ابن جرير ومعنى قوله إن الله واسع عليم يسع قال ابن جرير ويحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءكم كما حدثنا القاسم أخبرنا الحسين حدثني حجاج قال: قال ابن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة وقد رواه الدارقطني والبيهقي: وقال المشهور عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما قوله: حدثنا علي بن أحمد بن عبدالرحمن أخبرنا يعقوب بن يوسف مولى بني هاشم أخبرنا شعيب بن أيوب أخبرنا ابن نمير عن عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين. وقال ابن عمر إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة إذا استقبلت القبلة ثم قال ابن مردويه قال هذا أقوى من حديث أبي معشر وأصح قال الترمذي وقد روي عن غير واحد من الصحابة ما بين المشرق والمغرب قبلة منهم عمر بن الخطاب وعلي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وحكى عن البخاري أنه الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المعلى بن منصور أخبرنا عبدالله بن جعفر المخزومي عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس عن أبي سعيد المقبري عن أبي بين المشرق والمغرب قبلة وقال الترمذي وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة وتكلم بعض أهل العلم في أبي معشر من قبل حفظه ثم قال الترمذي حدثني المدينة وأهل الشام وأهل العراق وله مناسبة ههنا وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي معشر واسمه نجيح بن عبدالرحمن السدي المدني به ما حديث أبي معشر عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة لأهل الثالث أنه عليه الصلاة والسلام إنما صلى عليه ليكون ذلك كالتأليف لبقية الملوك والله أعلم. وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من ويبعد أن يكون ملك مسلم ليس عنده أحد من قومه على دينه وقد أجاب ابن العربي عن هذا لعلم لم يكن عندهم شرعية الصلاة على الميت وهذا جواب جيد. - أحدها - أنه عليه السلام شاهده حين سوى عليه طويت له الأرض. الثاني أنه لما لم يكن عنده من يصلي عليه صلى عليه واختاره ابن العربي قال القرطبي القرطبي أنه لما مات صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بذلك من ذهب إلى الصلاة على الغائب قال: وهذا خاص عند أصحابنا من ثلاثة أوجه تولوا فثم وجه الله وهذا غريب والله أعلم. وقد قيل إنه كان يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يبلغه الناسخ إلى الكعبة كما حكاه القرطبي عن قتادة وذكر أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله ولله المشرق والمغرب فأينما حدثني أبي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أخا لكم قد مات فصلوا عليه قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال فنزلت وإن من وهذه دلائل على عدم القضاء والله أعلم. قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي كما حدثنا محمد بن بشار أخبرنا معاذ بن هشام المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله وهذه الأسانيد فيها ضعف ولعله يشد بعضها بعضا. وأما إعادة الصلاة لمن تبين له خطؤه ففيها قولان للعلماء لغير القبلة ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة فلما جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه فأنزل الله تعالى هذه الآية ولله ابن مردويه أيضا من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة فصلوا بالإعادة وقال قد أجازت صلاتكم ثم قال الدارقطني: كذا قال عن محمد بن سالم وقال غيره عن محمد بن عبدالله العزمي عن عطاء وهما ضعيفان ورواه غيم فتحيرنا فاختلفنا في القبلة فصلى كل رجل منا على حدة وجعل أحدا يخط بين يديه لنعلم أمكنتنا فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا حدثكم داود بن عمر وأخبرنا محمد بن يزيد الواسطي عن محمد بن سالم عن عطاء عن جابر قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأصابنا فأينما تولوا فثم وجه الله ثم رواه من حديث محمد بن عبيد الله العزمي عن عطاء عن جابر به وقال الدارقطني قرئ على عبدالله بن عبد العزيز وأنا أسمع وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألتنا النبي صلى الله عليه وسلم فسكت وأنزل الله تعالى ولله المشرق والمغرب

تفسير ابن كثير

الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي ههنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا فلما أصبحوا بن علي بن شبيب حدثني أحمد بن عبد الله بن الحسن قال: وجدت في كتاب أبي أخبرنا عبد الملك العزمي عن عطاء عن جابر قال: بعث رسول الله صلى متروك والله أعلم. وقد روي من طريق آخر عن جابر فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية أخبرنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل أخبرنا الحسن الأشعث السمان وأشعث يضعف في الحديث قلت وشيخه عاصم أيضا ضعيف. قال البخاري منكر الحديث. وقال ابن معين: ضعيف لا يحتج به وقال ابن حبان: عن أبي الربيع السمان واسمه أشعث بن سعيد البصري وهو ضعيف الحديث وقال الترمذي هذا حديث حسن وليس إسناده بذاك ولا نعرفه إلا من حديث غيلان عن وكيع وابن ماجه عن يحيى بن حكيم عن أبي داود عن أبي الربيع السمان ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن سعيد بن سليمان ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله الآية ثم رواه عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن أبي الربيع السمان بنحوه. ورواه الترمذي عن محمود بن يأخذ الأحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما أن أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فأنزل الله تعالى عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل وليتم وجهكم فهناك وجهي وهو قبلتكم فيعلمكم بذلك أن صلاتكم ماضية. حدثنا محمد بن إسحق الأهوازي أخبرنا أبو أحمد الزبيري أخبرنا أبو الربيع السمان جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا على أنحاء مختلفة فقال الله تعالى: لي المشرق والمغرب فأين وأبو سعيد الإصطخري التطوع على الدابة في مصر وحكاه أبو يوسف عن أنس بن مالك رضي الله عنه واختاره أبو جعفر الطبري حتى للماشي أيضا قال ابن في المشهور عنه بين سفر المسافة وسفر العدوى فالجميع عنه يجوز التطوع فيه على الراحلة وهو قول أبي حنيفة خلافا لمالك وجماعته واختار أبو يوسف على أقدامهم وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها قال نافع: ولا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم مسأله ولم يفرق الشافعي ذكر الآية وفي صحيح البخاري من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها. ثم قال فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجلا قياما والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن عبد الملك بن أبي سليمان به وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر وعامر بن ربيعة من غير أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية فأينما تولوا فثم وجه الله ورواه مسلم في مسيره في سفره وفي حال المسايقة وشدة الخوف حدثنا أبو كريب أخبرنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك هو ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر علوا كبيرا. قال ابن جرير وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذنا من أن أن يصلي المتطوع حيث توجه من شرق أو غرب منه مكان إن أراد علمه تعالى فصحيح فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا قالوا: ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم التوجه إلى المسجد الحرام هكذا قال وفي قوله وأنه تعالى لا يخلو وجوههم وجهها من ذلك وناحية إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية لأن له تعالى المشرق والمغرب وإنه لا يخلو منه مكان كما قال تعالى ولا أدنى إلى الكعبة وإنما أنزلها ليعلم نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب لأنهم لا يوجهون العالية والحسن وعطاء الخراساني وعكرمة وقتادة والسدي وزيد بن أسلم نحو ذلك وقال ابن جرير وقال آخرون: بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض التوجه فثم وجه الله حيثما كنتم فلكم قبة تستقبلونها الكعبة وقال ابن أبي حاتم بعد رواية الأثر المتقدم عن ابن عباس في نسخ القبلة عن عطاء عنه وروي عن أبي فأينما تولوا فثم وجه الله وقال عكرمة عن ابن عباس فأينما تولوا فثم وجه الله قال قبة الله أينما توجهت شرقا أو غربا وقال مجاهد فأينما تولوا إلى قوله فولوا وجوهكم شطره فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب وقال وسلم بضعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبة إبراهيم وكان يدعو وينظر إلى السماء فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء أن رسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه إلى بيته العتيق ونسخها فقال ومن حيث خرجت فول عن عطاء عن ابن عباس قال: أول ما نسخ لنا من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة قال الله تعالى ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ: أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم صرفه الله إلى الكعبة بعد ولهذا يقول تعالى ولله المشرق فيه تسليية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة وهذا والله أعلم

منكر وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه والله أعلم وكثيرا ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فإن السند ضعيف والله أعلم. 116 فهو الطاعة وكذا رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج بإسناده مثله ولكن في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ورفع هذا الحديث بن الحارث أن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت والأصال وقد روي حديث فيه بيان القنوت في القرآن ما هو المراد به كما قال ابن أبي حاتم: أخبرنا يوسف بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو وهو أن القنوت والطاعة والاستكانة إلى الله وهو شرعي وقد روي كما قال تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو

تفسير ابن كثير

ابن أبي نجیح عن مجاهد كل له قانتون مطيعون قال طاعة الكافر في سجود ظله وهو كاره وهذا القول عن مجاهد وهو اختيار ابن جرير يجمع الأقوال كلها القيامة وقال السدي كل له قانتون أي مطيعون يوم القيامة وقال خصيف عن مجاهد كل له قانتون قال مطيعون كن إنسانا فكان وقال كن حمارا فكان. وقال وأبو مالك كل له قانتون مقرون له بالعبودية. وقال سعيد بن جبیر: كل له قانتون يقول الإخلاص وقال الربيع بن أنس: يقول كل له قانتون أي قائم يوم وقوله كل له قانتون قال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أساط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال قانتين مصلين وقال عكرمة كفوا أحد وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيه فقله لن يعيدني كما بدائي وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقله: اتخذ الله ولدا. وأنا الله الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كذبني ابن آدم وما ينبغي له أن يكذبني وشتمني وما ينبغي له أن يشتمني فأما تكذيبه إياي ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل أخبرنا محمد بن إسماعيل الترمذي أخبرنا محمد بن إسحق بن محمد القروي أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي تكذيبه إياي فيزعم أنني لا أقدر أن أعيدته كما كان وأما شتمه إياي فقله إن لي ولدا فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا انفرد به البخاري من هذا الوجه. وقال نافع بن جبیر هو ابن مطعم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما له مربوبة فكيف يكون له منها ولد؟ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من البقرة: أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي الحسين حدثنا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه له وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا وقال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ صاحبة له فكيف يكون له ولد؟ كما قال تعالى بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم وقال تعالى عبید له وملك فكيف يكون له ولد منهم والولد إنما يكون متولدا من شئين متناسبين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا كما افترضوا وإنما له ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهن وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء. والجميع جميعهم في دعواهم وقولهم إن لله ولدا فقال تعالى سبحانه أي تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا بل له ما في السموات والأرض أي ليس الأمر هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله فأكذب الله اشتملت

أيضا على أن خلق عيسى بكلمة كن فكان كما أمره الله قال الله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. 117 إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقال تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وقال الشاعر: ذا ما أراد لله أمرا فإنما يقول له كن قوله فيكون ونبه بذلك يقول له كن أي مرة واحدة فيكون أي فيوجد على وفق ما أراد كما قال تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقال تعالى إنما قولنا لشيء وعبرة صحيحة: وقوله تعالى وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه وأنه إذا قدر أمرا وأراد كونه فإنما لهم أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته وهذا من ابن جرير رحمه الله كلام جيد بارئها وخالقها وموجدتها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه وهذا إعلام من الله لعباده أن ممن يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله بنوته وإخبار منه قال ابن جرير: فمعنى الكلام سبحانه الله أن يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهد له جميعها بدلالته عليه بالوحدانية وتقر له بالطاعة وهو مبتدعا ومن ذلك قول أششى بن ثعلبة في مدح هوزة بن علي الحنفي: دعى إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له الحزم أو ما شاء ابتدعا أي يحدث ما شاء أحد قال ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره وكذلك كل محدث قولا أو فعلا لم يتقدم فيه متقدم فإن العرب تسميه وإنما هو مفعول فصرف إلى فاعل كما صرف المؤلم إلى الأليم والمسمع إلى السميع: ومعنى المبدع المنشئ والمحدث ما لا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: نعمت البدعة هذه وقال ابن جرير بديع السموات والأرض مبدعها صحيح مسلم فإن كل محدثه بدعة والبدعة على قسمين تارة تكون بدعة شرعية كقوله فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وتارة تكون بدعة لغوية وقوله تعالى بديع السموات والأرض أي خالقهما على غير مثال سبق قال مجاهد والسدي وهو مقتضى اللغة ومنه يقال للشيء المحدث بدعة كما جاء في وسمعه وجعل على بصره غشاوة فأولئك قال الله فيهم إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. 118 صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر وزيادة أخرى لمن أيقن وصدق واتبع الرسل وفهم ما جاءوا به عن الله تبارك وتعالى وأما من ختم الله على قلبه ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به الآية وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي قد أوضحنا الدلالات على لك حتى نرى الله جهرة وقوله تعالى تشابهت قلوبهم أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعنوت كما قال تعالى كذلك قال تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة وقال تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن بكفر مشركي العرب وعوتوهم وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به إنما هو الكفر والمعاندة كما قال من قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم كما لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا الآية وقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الآية وقوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى قوله قل سبحانه ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وقوله تعالى وقال الذين

تفسير ابن كثير

قال هم اليهود والنصارى ويؤيد هذا القول أن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ظاهر السياق والله أعلم وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة والسدي في تفسير هذه الآية هذا قول كفار العرب كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم آية قال النصارى تقوله وهو اختيار ابن جرير قال لأن السياق فيهم. وفي ذلك نظر وحكى القرطبي لولا يكلمنا الله أي يخاطبنا بنبوتك يا محمد قلت وهو نسمع كلامه فأنزل الله في ذلك من قوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية وقال مجاهد وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة

عن فليح به وزاد: قال عطاء: ثم لقيت كعب الأحبار فسأته فما اختلفا في حرف إلا أن كعبا قال: بلغته أعينا عمومي وآذانا صمومي وقلوبا غلوفًا. 119 رجاء وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من البقرة عن أحمد بن الحسن بن أيوب عن محمد بن أحمد بن البراء عن المعافي بن سليمان عن عطاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص به فذكر نحوه فعبده الله هذا هو ابن صالح كما صرح به في كتاب الأدب وزعم ابن مسعود الدمشقي أنه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رواه في التفسير عن عبد الله بن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفًا. انفرد بإخراجه البخاري فرواه في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح به وقال تابعه عبيد ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق لا يدفع بالسينة السينة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء الله عليه وسلم في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمة وأنت موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر عنهما أنهما من أهل النار كما ثبت هذا في الصحيح ولهذا أشباه كثيرة ونظائر ولا يلزم ما ذكره ابن جرير والله أعلم وقال الإمام أحمد أخبرنا عليه وسلم في أمر أبيه واختار القراءة الأولى وهذا الذي سلكه ههنا فيه نظر لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبيه قبل أن يعلم أمرهما لما علم ذلك عن أصحاب الجحيم وهذا مرسل كالذي قبله وقد رد ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب وغيره في ذلك لاستحالة الشك في الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن جريج أخبرني داود بن أبي عاصم به أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم أين أبواي؟ فنزلت إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل حياة أبيه عليه السلام ليس في شيء من الكتب الستة ولا غيرها وإسناده ضعيف والله أعلم. ثم قال ابن جرير وحدثني القاسم أخبرنا الحسين حدثني حجاج أي قد بلغ فوق ما تحسب وقد ذكرنا في التذكرة أن الله أحيا له أبيه حتى آمن به وأجبن عن قوله إن أبي وأباك في النار قلت والحديث المروي في عن موسى بن عبيدة وقد تكلموا فيه عن محمد بن كعب بمثله قد حكاه القرطبي عن ابن عباس ومحمد بن كعب قال القرطبي: وهذا كما يقال لا تسأل عن فلان فعل أبواي ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت ولا تسأل عن أصحاب الجحيم فما ذكرهما حتى توفاه الله عز وجل ورواه ابن جرير عن ابن كريب عن وكيع عبد الرزاق: أخبرنا الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعري ما فعل أبواي ليت شعري ما فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأشابه ذلك من الآيات وقرأ آخرون ولا تسأل عن أصحاب الجحيم بفتح التاء على النهي أي لا تسأل عن حالهم كما قال عليك البلاغ وعلينا الحساب وكقوله تعالى فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الآية وكقوله تعالى نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار الخبر وفي قراءة أبي بن كعب وما تسأل وفي قراءة ابن مسعود ولن تسأل عن أصحاب الجحيم نقلهما ابن جرير أي نسألك عن كفر من كفر بك كقوله فإنما علي إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا قال بشيرا بالجنة ونذيرا من النار قوله ولا تسأل عن أصحاب الجحيم قراءة أكثرهم ولا تسأل بضم التاء على بن صالح أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الفزاري عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزلت قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي أخبرنا عبد الرحمن

يقول ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا. 12

الشافعي وأبي حنيفة وأحمد في رواية عنه وقال: في الرواية الأخرى كقول مالك إنه لا يتوارث أهل ملتين شتى كما جاء في الحديث والله أعلم. 120 تعالى لكم دينكم ولي دين فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة وهذا مذهب بالله من ذلك فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأمرته وقد استدلل كثير من الفقهاء بقوله حتى تتبع ملتهم حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة كقوله الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير فيه تهديد وعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة عيادا على الحق ظاهرين لا يضرهم من خلفهم حتى يأتي أمر الله قلت هذا الحديث مخرج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو ولئن اتبعت أهواءهم بعد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة قال قتادة: وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون الذي بعثني به هو الهدى يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل قال قتادة في قوله قل إن هدى الله هو الهدى قال: خصومة علمها الله محمدا يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق وقوله تعالى قل إن هدى الله هو الهدى أي قل يا محمد إن هدى الله ابن جرير يعني بقوله جل ثناؤه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب ما

قال

به من الأحزاب فالنار موعده. وفي الصحيح والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار. 121

تفسير ابن كثير

فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ولهذا قال تعالى ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون كما قال تعالى ومن يكفر قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وقال تعالى وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم شأن محمد صلى الله عليه وسلم لواقعا وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا أى إن كان ما وعدنا به من الخير في الدنيا والآخرة كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل الآية. وقال تعالى قل آمنوا وآمنتم بها حق الإيمان وصدقتم ما فيها من الإخبار بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته قادم ذلك الحق واتباع ومن تحت أرجلهم الآية. وقال قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم أي إذا أقمتموها حق الإقامة على الأنبياء المتقدمين حق إقامته آمن بما أرسلتك به يا محمد كما قال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم رحمة سأل وإذا مر بآية عذاب تعوذ وقوله أولئك يؤمنون به خبر عن الذين آتيناهم الكتاب يتلونهم حق تلاوته أي من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها قال: وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا مر بآية غير واحد من المجهولين فيما ذكره الخطيب إلا أن معناه صحيح وقال أبو موسى الأشعري: من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة وقال عمر بن الخطاب: وروى نصر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يتلونهم حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه ثم قال في إسناده وإبراهيم النخعي نحو ذلك. وقال سفيان الثوري أخبرنا زبيد عن مرة عن عبدالله بن مسعود في قوله يتلونهم حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه. قال القرطبي عن ابن عباس في قوله يتلونهم حق تلاوته قال: يتبعونه حق اتباعه ثم قرأ والقمر إذا تلاها يقول اتبعها قال: وروي عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبي رزين ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه. وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن مسعود نحو ذلك وقال الحسن البصري: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه تأويله وكذا رواه عبدالرزاق عن معمر عن قتادة ومنصور بن المعتمر عن ابن مسعود قال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية. قال: يحلون حلاله قال ابن مسعود والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئا على غير أسامة بن زيد عن أبيه عن عمر بن الخطاب يتلونهم حق تلاوته قال: إذا مر بذكر الجنة سأل الله الجنة وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار وقال أبو العالية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا إبراهيم بن موسى وعبدالله بن عمران الأصهباني قال أخبرنا يحيى بن يمان حدثنا حق تلاوته عبدالرزاق عن معمر عن قتادة: هم اليهود والنصارى وهو قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير. وقال: سعيد عن قتادة: هم أصحاب وقوله الذين آتيناهم الكتاب يتلونهم

من إرسال الرسول الخاتم منهم ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. 122 من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به عليهم وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله نظير هذه الآية في صدر السورة وكررت ههنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه وأمره وأمته فحذرهم وقد تقدم

من إرسال الرسول الخاتم منهم ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. 123 من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به عليهم وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله نظير هذه الآية في صدر السورة وكررت ههنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه وأمره وأمته فحذرهم وقد تقدم

لنفسه كما تقدم عن مجاهد وغيره والله أعلم وقال ابن خويز منداد المالكي: الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكما ولا مفتيا ولا شاهدا ولا راويا. 124 هذه الآية وإن كانت ظاهرة في الخبر أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالما ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل عليه السلام أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا طاعة إلا في المعروف وقال السدي لا ينال عهدي الظالمين يقول عهدي نبوتي فهذه أقوال مفسري السلف في بن عبدالله بن سعيد الدماغي أخبرنا وكيع عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم الضحاك لا ينال طاعتي عدو لي يعصيني ولا أنحلها إلا وليا لي يطيعني: وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه أخبرنا عبدالرحمن بن محمد بن حامد أخبرنا أحمد ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين يقول ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق وكذا روي عن أبي العالية وعطاء ومقاتل بن حيان وقال: جوير عن وعطاء والحسن وعكرمة وقال الربيع بن أنس عهد الله الذي عهد إلى عباده دينه يقول لا ينال دينه الظالمين ألا ترى أنه قال وباركنا عليه وعلى إسحق في قوله لا ينال عهدي الظالمين قال لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش وكذا قال: إبراهيم النخعي وروي عن مجاهد وعطاء ومقاتل بن حيان نحو ذلك: وقال الثوري عن هارون بن عنترة عن أبيه قال ليس لظالم عهد وقال: عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة ابن جرير حدثنا إسحق أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله عن إسرائيل عن مسلم الأعور عن مجاهد عن ابن عباس قال لا ينال عهدي الظالمين عهد وإن عاهدته فيه دعوته وتبلغ له فيه ما أراد من مسألته وقال العوفي عن ابن عباس لا عهد لظالم عليك في ظلمه أن تطيعه فيه وقال

تفسير ابن كثير

ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا ينبغي أن يوليه شيئا من أمره وإن كان من ذرية خليله ومحسن ستنفذ ومن ذريتي فأبى أن يفعل ثم قال لا ينال عهدي الظالمين وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال ومن عمرو بن ثور القيساري فيما كتب إلي أخبرنا الفريابي حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال الله لإبراهيم إني جاعلك للناس إماما قال عن عطاء قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي فأبى أن يجعل من ذريته إماما ظالما قلت لعطاء ما عهده قال أمره. وقال ابن أبي حاتم أخبرنا من كان ظالما فلا ولا نعمة عين وقال سعيد بن جببر لا ينال عهدي الظالمين المراد به المشرك لا يكون إمام ظالم يقول لا يكون إمام مشرك. وقال ابن جريج أخبرنا أبي أخبرنا مالك بن إسماعيل أخبرنا شريك عن منصور عن مجاهد في قوله ومن ذريتي قال أما من كان منهم صالحا فأجعله إماما يقتدى به وأما إماما ظالما يقتدى به. وقال سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون إمام ظالم يقتدى به. وقال ابن أبي حاتم الظالمين قال إنه سيكون في ذريتك ظالمون وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون لي إمام ظالم وفي رواية لا أجعل ذريته صلوات الله وسلامه عليه وأما قوله تعالى قال لا ينال عهدي الظالمين فقد اختلفوا في ذلك فقال خفيف عن مجاهد في قوله قال لا ينال عهدي على أنه أجيب إلى طلبته قوله تعالى في سورة العنكبوت وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته فأجيب إلى ذلك وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم والدليل مجاهد ومن قال مثله لأن السياق يعطي غير ما قالوه والله أعلم. وقوله قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين لما جعل الله إبراهيم إماما سأل ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم قلت والذي قاله أولا من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوزه من قول غيرهم كان مذهبا لأن قوله إني جاعلك للناس إماما وقوله وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفتين الآتية وسائر الآيات التي هي نظير الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم. ثم قال ابن جرير ولو قال قائل إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله وهو كما قال فإنه لا يجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما وضعفهما من وجوه عديدة فإن كلا من السنتين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن آدم في تفسيره عن حماد بن سلمة وعبد بن حميد عن يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير به ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الذي وفى قال أئدرون ما وفى قالوا الله ورسوله أعلم؟ قال وفي عمل يومه أربع ركعات في النهار ورواه تظهرون إلى آخر الآية قال والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا الحسن عن عطية أخبرنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: إبراهيم خليله: الذي وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين ما حدثنا به أبو كريب أخبرنا راشد بن سعد حدثني زبائن بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم لم سمى الله في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له. قال غير أنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران أحدهما يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر وجائز أن يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع قال ولم يصح قلت: هذا الحديث لا يثبت والله أعلم ثم شرع القرطبي يتكلم على ما يتعلق بهذه الأشياء من الأحكام الشرعية. قال أبو جعفر بن جرير ما حاصله أنه وروي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتخذ المنبر فقد اتخذه أبي إبراهيم وأن اتخذ العصا فقد اتخذها أبي إبراهيم على المنابر إبراهيم عليه السلام قال غيره وأول من برد البريد وأول من ضرب بالسيف وأول من استاك وأول من استنجد بالماء وأول من لبس السراويل وأول من شاب فلما رأى الشيب قال: يا رب ما هذا؟ قال وقار قال: يا رب زدني وقارا وذكر ابن أبي شيبه عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال أول من خطب عن يحيى ابن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إبراهيم عليه السلام أول من اختتن وأول من ضاف الضيف وأول من قلم أظفاره وأول من قص الشارب ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال القرطبي: وفي الموطأ وغيره وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل الآية. قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم قال السدي الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم ربه جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال الكلمات إني جاعلك للناس إماما وقوله وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل الآية. قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتهمهن قال ابتلي بالآيات التي بعدها إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وقال أبو عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره وهكذا رواه ابن جرير من غير وجه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نعم: قال وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال: نعم قال: وترزق أهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله؟ قال نعم: قال ابن أبي نجيح سمعته من بامر فما هو؟ قال: تجعلني للناس إماما؟ قال: نعم قال: ومن ذريتي؟ قال لا ينال عهدي الظالمين قال: تجعل البيت مثابة للناس؟ قال: نعم قال: وأمنا؟ قال محمد بن الصباح أخبرنا شابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتهمهن قال الله لإبراهيم إني مبتليك ومنهن الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم والرزق الذي رزق ساكنو البيت ومحمد بعث في دينهما: وقال: ابن أبي حاتم أخبرنا الحسن بن عن ابن عباس وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتهمهن فمنهن قال إني جاعلك للناس إماما ومنهن وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل سلم بن قتيبة أخبرنا أبو هلال عن الحسن وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فوجده صابرا: وقال العوفي في تفسيره يقول في قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه الله بذبح ولده وبالنار والكوكب والقمر والشمس وقال: أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا مهاجرا إلى الله ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك وابتلاه الله بذبح ابنه والختان فصبر على ذلك وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سمع الحسن

تفسير ابن كثير

وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجهه وللذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول: أي والله لقد ابتلاه بأمر فصير عليه ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك فرضي عنه وابتلاه بالشمس فرضي عنه وابتلاه بالهجرة فرضي عنه وابتلاه بالختان فرضي عنه وابتلاه بابنه فرضي عنه. وقال ابن جرير أخبرنا بشر بن معاذ الأشج أخبرنا إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن يعني البصري وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ابتلاه بالكوكب فرضي عنه وابتلاه بالقمر مضى على ذلك كله وأخلصه للبلاء قال الله له أسلم قال أسلمت لرب العالمين على ما كان من خلاف الناس وفراقهم. وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبو سعيد بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله وما ابتلى به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه فلما في الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خالفه وصبره على كذبه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم والهجرة بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: الكلمات التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتمهن فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم ومحاجته نمرود هكذا. رواه الحاكم وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند به وهذا لفظ ابن أبي حاتم وقال محمد ابن إسحق عن محمد و سأل سائل بعداذ واقع وعشر آيات في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات إلى آخر الآية فأتمهن كلهن فكتبت له براءة قال الله وإبراهيم الذي وفى إبراهيم بهن فأتمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهماً منها عشر آيات في براءة التائبون العابدون إلى آخر الآية وعشر آيات في أول سورة قد أفلح المؤمنون ابن عباس أنه قال: ما ابتلى بهذا الدين أحد فقام به كله إلا إبراهيم قال الله تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قلت له وما الكلمات التي ابتلى الله والسواك وغسل يوم الجمعة والأربعة التي في المشاعر الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة. وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن الإنسان وأربع في المشاعر. فأما التي في الإنسان خلق العانة ونتف الإبط والختان وكان ابن هبيرة يقول: هؤلاء الثلاثة واحدة. وتقليم الأظفار وقص الشارب عن ابن هبيرة عن ابن حنشل بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير هذه الآية وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال عشر ست في والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط ولفظه لمسلم. وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرنا ابن لهيعة إلا أن تكون المضمضة. قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفطرة خمس الختان قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب: ونسيت العاشرة الجلد نحو ذلك قلت وقريب من هذا ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبي والنخعي وأبي صالح وأبي قال ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الأظفار أبو إسحق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس وقال عبدالرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام فروي عن ابن عباس في ذلك روايات فقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال ابن عباس: ابتلاه الله بالمناكس وكذا رواه إماماً أي جزاء على ما فعل كما قام بالأوامر وترك الزواجر جعله الله للناس قدوة وإماماً يقتدى به ويحتذى حذوه. وقد اختلف في تعيين الكلمات التي اختبر إماماً خبر صدق وإماماً طلب عدل إن كان أمراً أو نهي ومن ذلك هذه الآية الكريمة وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن أي قام بهن قال إني جاعلك للناس إماماً وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وتطلق يراد بها الشرعية كقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً أي كلماته الشرعية وهي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين وقوله تعالى بكلمات أي بشرائع وأوامر ونواه فإن الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدسية كقوله تعالى عن مريم عليها المشركين وقال تعالى ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين وقال تعالى قل إنني هادي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتنبه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم والنواهي فأتمهن أي قام بهن كلهن كما قال تعالى وإبراهيم الذي وفى أي وفى جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه وقال تعالى: إن إبراهيم ملة إبراهيم وليسوا عليهم وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم أي اختباره له بما كلفه به من الأوامر قام بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي ولهذا قال وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات أي واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون يقول تعالى منبها على شرف إبراهيم خليله عليه السلام وأن الله تعالى جعله إماماً للناس يقتدى به في التوحيد حين

يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولا يعتمد عليها بمجرد ما وأما إذ صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين. 125 زيتا وجبل لبنان والجودي وهذا غريب أيضاً. وروي عن ابن عباس وكعب الأحبار وقتادة وعن وهب بن منبه أن أول من بناه شيت عليه السلام وغالب من غرابة وقيل آدم عليه السلام رواه عبدالرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم أن آدم بناه من خمسة أجبل من حراء وطور سيناء وطور وقد اختلف الناس في أول من بنى الكعبة فقيل الملائكة قبل آدم روي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين ذكره القرطبي وحكى لفظه وفيه صيانتها من الأذى والنجاسات وما أشبه ذلك ولهذا قال عليه السلام إنما بنيت المساجد لما بنيت له وقد جمعت في ذلك جزءاً على حدة ولله الحمد والمنة. تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ومن السنة من أحاديث كثيرة من الأمر بتطهيرها وتطييبها وغير ذلك من السجود أي طهره من الشرك والريب وإبناؤه خالصاً لله معقلاً للطائفين والعاكفين والركع السجود وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية الكريمة ومن قوله

تفسير ابن كثير

إن هو إلا وحي يوحى. وتقدير الكلام إذا وعهدنا إلى إبراهيم أي تقدمنا بوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفتين والعاكفتين والركع وهم لا يفعلون ما شرع الله له؟ وقد حج البيت موسى بن عمران وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أخبر بذلك المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ويعلمون أنه بنى هذا البيت للطواف في الحج والعمرة وغير ذلك وللاعتكاف والصلاة عنده وهم لا يفعلون شيئا من ذلك فكيف يكونون مقتدين بالخليل لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام وفي ذلك أيضا رد على من لا يحجه من أهل الكتابين اليهود والنصارى لأنهم يعتقدون فضيلة إبراهيم الخليل وإسماعيل يذكر العاكفتين لأنه تقدم سواء العاكف فيه والباد وفي هذه الآية الكريمة ذكر الطائفتين والعاكفتين واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام لأنه قد علم أنه أليم ثم ذكر أن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له إما بطواف أو صلاة فذكر في سورة الحج أجزاءها الثلاثة قيامها وركوعها وسجودها ولم كما قال تعالى إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب الأحكام والمراد ذلك الرد على المشركين الذين كانوا يشركون بالله عند بيته المؤسس على عبادته وحده لا شريك له ثم مع ذلك يصدون أهله المؤمنين عنه الصلاة عند البيت أو الطواف به؟ فقال مالك رحمه الله: الطواف به لأهل الأمصار أفضل. وقال الجمهور: الصلاة أفضل مطلقا وتوجيه كل منهما يذكر في كتاب كما قال تعالى وإذ بؤنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفتين والقائمين والركع السجود الآيات. وقد اختلف الفقهاء أيما أفضل أن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفتين به والعاكفتين عنده والمصلين إليه من الركع السجود إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي أي ابنيه على طهر من الشرك بي والريب كما قال السدي أن طهرا بيتي ابني بيتي للطائفتين وملخص هذا الجواب من الشرك والريب كما قال جل ثناؤه أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار قال فكذلك قوله وعهدنا ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني أنه أمرهما أن يخلصا في بنائه لله وحده لا شريك له فبنيانه مطهرا طهرا بيتي قال من الأصنام التي يعبدون التي كان المشركون يعظمونها قلت وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام يعبد عنده زمان قوم نوح من الأصنام والأوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما إذ كان الله تعالى قد جعل إبراهيم إماما يقتدى به كما قال عبدالرحمن بن زيد أن أورد سؤالا فقال: فإن قيل فهل كان قبل بناء إبراهيم عند البيت شيء من ذلك الذي أمر بتطهيره منه وأجاب بوجهين: أحدهما أنه أمرهما بتطهيره مما كان فمعنى الآية وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفتين والتطهير الذي أمرهما به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك ثم فقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس والركع السجود قال: إذا كان مصليا فهو الركع السجود وكذا قال: عطاء وقتادة قال ابن جرير رحمه الله حماد بن سلمة به قلت وقد ثبت في الصحيح أن ابن عمر كان ينام في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عذب. وأما قوله تعالى والركع السجود ينامون في المسجد الحرام فإنهم يجنبون ويحدثون. قال لا تفعل فإن ابن عمر سئل عنهم فقال هم العاكفون. ورواه عبد بن حميد عن سليمان بن حرب عن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت قال: قلنا لعبد الله بن عبيد بن عمير ما أراني إلا مكلم الأمير أن أمنع الذين عنده. وقال لنا ونحن مجاورون أنتم من العاكفتين. وقال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس قال إذا كان جالسا فهو من العاكفتين. وقال: ابن المقيم فيه كما قال سعيد بن جبيرة. وقال يحيى القطان عن عبدالملك هو ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله والعاكفتين قال من انتابه من الأمصار فأقام جبيرة أنه قال في قوله تعالى للطائفتين يعني من أتاه من غربة والعاكفتين المقيمين فيه وهكذا روي عن قتادة والربيع بن أنس أنها فسرا العاكفتين بأهله وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء وقتادة أن طهرا بيتي أي بلا إله إلا الله من الشرك وأما قوله تعالى للطائفتين فالطواف بالبيت معروف. وعن سعيد بن وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة طهرا بيتي للطائفتين أن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس. قال ابن أبي حاتم. وروي عن عبيد بن عمير وأبي العالية أن هذا الحرف إنما عدي بالي لأنه في معنى تقدمنا وأوحينا وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قوله أن طهرا بيتي للطائفتين والعاكفتين قال: من الأوثان ولا يصيبه من ذلك شيء وقال ابن جريج قلت لعطاء ما عهده؟ قال أمره. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وعهدنا إلى إبراهيم أي أمرناه كذا قال والظاهر ابن مردويه مع اعتضاد هذا بما تقدم والله أعلم. قال الحسن البصري قوله وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل قال أمرهما الله أن يطهرا من الأذى والنجس تقدم من رواية عبدالرزاق عن معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد أن أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا أصح من طريق عند البيت فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضعه هذا. قال مجاهد وكان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن هذا مرسل عن مجاهد وهو مخالف لما عن إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فكان المقام بكر بن مردويه أخبرنا ابن عمر وهو أحمد بن محمد بن حكيم أخبرنا محمد بن عبدالوهاب بن أبي تمام أخبرنا آدم هو ابن أبي إياس في تفسيره أخبرنا شريك سفيان لا أدري كم بينه وبين الكعبة قبل تحويله قال سفيان لا أدري أكان لاصقا بها أم لا؟ فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناها والله أعلم وقد قال الحافظ أبو بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد قوله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قال ذهب السيل به بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا فرده عمر إليه وقال قال: قال سفيان يعني ابن عيينة وهو إمام المكيين في زمانه كان المقام من سفع البيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحوله عمر إلى مكانه الله عنه ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهذا إسناد صحيح مع ما تقدم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا ابن أبي عمير العدني أبو ثابت حدثنا الدراوردي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن المقام كان زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضي بن علي بن الحسين البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل السلمي حدثنا عبدالرزاق أيضا عن معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الحافظ أبو بكر أحمد

تفسير ابن كثير

من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قال عبدالرزاق عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من أصحابنا: قال أول من نقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ولهذا لم ينكر ذلك أحد آخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم وهو أحد الرجلين اللذين انتهى عنده البناء فتركه هناك ولهذا والله أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وإنما إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمينة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة أو أنه رأى أثر عقبه وأصابه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلوق وانمحي قلت وقد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ومكانه معروف اليوم عن قتادة واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه. وقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها ولقد ذكر لنا من رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخصم قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم وقال ابن جرير أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد على قدميه حافيا غير ناعل وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا كما قال عبدالله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثهم قال آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروف تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال: أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية: موطيء إبراهيم في الصخر رطبة نقله إلى الناحية التي تليها وهكذا حتى تم جدران الكعبة كما سيأتي بيانه في قصة إبراهيم وإسماعيل في بناء البيت من رواية ابن عباس عند البخاري وكانت به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار ركعتين فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام بن إسماعيل. وروى البخاري بسنده عن عمرو بن دينار: قال سمعت عمر يقول قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين. وهذا قطعة من الحديث الطويل الذي سماه في صحيحه من حديث حاتم بن إسماعيل أخبرنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ثم قرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقال ابن جرير حدثنا يوسف بن سليمان أخبرنا حاتم منطوق قدم عليه والله أعلم وقال ابن جريج أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمل ثلاثة أشواط ومشى أربعا فنزلت ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وهذا إسناد صحيح أيضا ولا تعارض بين هذا ولا هذا بل الكل صحيح ومفهوم العدد إذا عارضه أبي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلي على هذا الكافر المنافق. فقال: أيها عنك يا ابن الخطاب من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو حجت النساء فنزلت آية الحجاب والثالثة لما مات عبدالله بن عبدالله الأنصاري أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب وافقتني ربي في ثلاث أو وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت بن أسماء عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم. وقال أبو حاتم الرازي: أخبرنا محمد بن صحيح الحديث وهو بصري. ورواه الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه بسند آخر ولفظ آخر فقال أخبرنا عقبة بن مكرم أخبرنا سعيد بن عامر عن جويرية زائدة كلاهما عن حميد وهو ابن تيرويه الطويل به. وقال الترمذي حسن صحيح. ورواه الإمام علي بن المديني عن يزيد بن زريع عن حميد به. وقال هذا من بن الصباح كلهم عن هشيم بن بشير به. ورواه الترمذي أيضا عن عبد بن حميد عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة والنسائي عن هناد عن يحيى بن أبي ربي في ثلاث فذكره. وقد رواه البخاري عن عمر وابن عون والترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي وابن ماجه عن محمد أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك ثم رواه أحمد بن محمد عن أبي عدي كلاهما عن حميد عن أنس عن عمر أنه قال وافقت ربي في ثلاث أو وافقتني البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجن فنزلت آية الحجاب. واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن وجل في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن شيء كما قال الإمام أحمد فيه هو سيء الحفظ والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا حميد عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي عز الكتب الستة وروى عنه الباقون بواسطة وغرضه من تعليق هذا الطريق ليبين فيه اتصال إسناد الحديث وإنما لم يسند لأن يحيى بن أبي أيوب الغافقي فيه هكذا ساقه البخاري وهنا وعلق الطريق الثانية عن شيخه سعيد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم المصري وقد تفرد بالرواية عنه البخاري من بين أصحاب ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات الآية وقال ابن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد قال: سمعت أنسا عن عمر رضي الله عنهما فقلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن حتى أتت إحدى نساءه قالت: يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله عسى عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأُنزل الله آية الحجاب. قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن ثلاث أو وافقتني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى مثابة يثوبون يرجعون. حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك. قال: قال عمر بن الخطاب وافقت ربي في قلت لمالك هكذا حدثك واتخذوا قال نعم هكذا وقع في هذه الرواية وهو غريب وقد روى النسائي من حديث الوليد بن مسلم نحوه وقال البخاري: باب قوله وسلم يوم فتح مكة عند مقام إبراهيم قال له عمر يا رسول الله هذا مقام إبراهيم الذي قال الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قال نعم قال الوليد: بن الحسين حدثنا الجنيد أخبرنا هشام بن خالد أخبرنا الوليد عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: لما وقف رسول الله صلى الله عليه

تفسير ابن كثير

أفلا نتخذة مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقال ابن مردويه أخبرنا علي بن أحمد بن محمد القزويني أخبرنا علي بن أبي زائدة عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه مر بمقام إبراهيم فقال: يا رسول الله أليس نقوم بمقام خليل ربنا؟ قال بلى قال فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقال ابن مردويه أخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا غيلان بن عبد الصمد أخبرنا مسروق بن المزيان أخبرنا زكريا أبي شيبه أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحق عن أبي ميسرة قال: قال عمر قلت يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا؟ قال نعم قال أفلا نتخذة مصلى؟ صلى الله عليه وسلم قال له عمر هذا مقام أبينا؟ قال نعم قال أفلا نتخذة مصلى؟ فأنزل الله عز وجل واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقال عثمان بن بن الصباح أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه سمع جابرا يحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما طاف النبي رأسه. حكاه القرطبي وضعفه ورجحه غيره حكاه الرازي في تفسيره عن الحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا الحسن بن محمد ويناولة إسماعيل الحجارة ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلف رجلاه. وقال السدي: المقام الحجر الذي وضعت زوجته إسماعيل تحت قدم إبراهيم حتى غسلت الثوري عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبيرة واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قال الحجر مقام إبراهيم نبي الله قد جعله الله رحمة فكان يقوم عليه والطواف بين الصفا والمروة فقلت أفسره ابن عباس؟ قال: لا ولكن قال مقام إبراهيم الحج كله. قلت أسمعت ذلك لهذا أجمع؟ قال نعم سمعته منه وقال سفيان هذا الذي في المسجد ثم قال ومقام إبراهيم يعد كثير مقام إبراهيم الحج كله. ثم فسره لي عطاء فقال: التعريف وصلاتان بعرفة والمشعر ومنى ورمي الجمار حجاج عن ابن جريج قال: سألت عطاء عن واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فقال سمعت ابن عباس قال: أما مقام إبراهيم الذي ذكر ههنا فمقام إبراهيم واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قال مقام إبراهيم الحرم كله. وروي عن مجاهد وعطاء مثل ذلك. وقال أيضا أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا بالمقام ما هو فقال ابن أبي حاتم: أخبرنا عمرو بن شبة النميري حدثنا أبو خلف يعني عبد الله بن عيسى أخبرنا داود بن أبي هند عن مجاهد عن ابن عباس كان آمنا وفي هذه الآية الكريمة نبه على مقام إبراهيم مع الأمر بالصلاة عنده. فقال واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقد اختلف المفسرون في المراد لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كما قال ابن عباس: لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض وما هذا الشرف إلا شرف بانيه أولا وهو خليل الرحمن كما قال تعالى وإذ بوأنا قاتل أبيه وأخيه فيه فلا يعرض له كما وصف في سورة المائدة بقوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس أي يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوء ربنا وتقبل دعائي ويصفه تعالى بأنه جعله آمنا من دخله أمن ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمنا. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: كان الرجل يلقي ولا تقضي منه وطرا ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم إلى أن قال هؤلاء الأئمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعا وقدرًا من كونه مثابه للناس أي جعله محلا تشناق إليه الأرواح وتحن إليه يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يسبون. وروي عن مجاهد وعطاء والسدي وقتادة والربيع بن أنس قالوا من دخله كان آمنا. ومضمون ما فسر به أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا يقول وأمنا من العدو وأن يحمل فيه السلاح وقد كانوا في الجاهلية وقال سعيد بن جبيرة في الرواية الأخرى وعكرمة وقتادة وعطاء الخراساني مثابة للناس أي مجمعا وأمنا قال الضحاك عن ابن عباس: أي آمنا للناس. وقال قال يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه. وما أحسن ما قال: الشاعر في هذا المعنى أوردته القرطبي: عل البيت مثابا لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر مثابة للناس قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا. وحدثني يونس عن ابن وهب قال: قال ابن زيد وإذ جعلنا البيت مثابة للناس جرير حدثني عبدالكريم بن أبي عمير حدثني الوليد بن مسلم قال: قال أبو عمرو يعني الأوزاعي: حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله تعالى وإذ جعلنا البيت يثوبون إليه ثم يرجعون قال: وروي عن أبي العالية وسعيد بن جبيرة في رواية عطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع بن أنس والضحاك نحو ذلك. وقال ابن ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبدالله بن رجاء أخبرنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى وإذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون إلى أهلهم ثم يعودون إليه: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثابة للناس يقول يثوبون. رواهما ابن جرير: وقال قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى وإذ جعلنا البيت مثابة للناس يقول

قراءة الجمهور والسياق يقتضيه وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في قال عائدا على إبراهيم وهذا خلاف نظم الكلام والله سبحانه هو العلام. 126 الآية جعله من تمام دعاء إبراهيم وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة وتركيب السياق يأبى معناها والله أعلم فإن الضمير في قال راجع إلى الله تعالى في حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ قوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقرأ بعضهم قال ومن كفر فأمته قليلا المصير وفي الصحيحين لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيه وفي الصحيح أيضا إن الله ليملي للظالم النار وبئس المصير ومعناه أن الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله تعالى وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين وقوله ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير أي ثم ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع ومن كفر فلا يحزنك كفره إنا مرجعهم فننهبهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ وقوله ولولا أن يكون وهذا كقوله تعالى قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إنا مرجعهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقوله تعالى المصير ثم قرأ ابن عباس كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا رواه ابن مردويه وروى عن عكرمة ومجاهد نحو ذلك أيضا

تفسير ابن كثير

يحجرها على المؤمنين دون الناس فأنزل الله ومن كفر أيضا أرزقهم كما أرزق المؤمنين أخلق خلقا لا أرزقهم؟ أمتعهم قليلا ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس سعيد بن جببر عن ابن عباس في قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ابن عباس كان إبراهيم لا يناله عهده بخبر الله له بذلك. قال الله تعالى ومن كفر فإني أرزق البر والفاجر وأمتعته قليلا وقال حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط عن عمار الذهبي عن عن إبراهيم الدعوة على من أبى الله أن يجعل له الولاية انقطاعا إلى الله ومحبه وفراقا لمن خالف أمره وإن كانوا من ذريته حين عرف أنه كائن منهم ظالم أبي سليم عن مجاهد ومن كفر فأمّته قليلا يقول ومن كفر فأرزقه رزقا قليلا أيضا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير قال محمد بن إسحق لما إبراهيم كما رواه أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال: كان ابن عباس يقول ذلك قول إبراهيم يسأل ربه أن من كفر فأمّته قليلا وقال أبو جعفر عن ليث بن وهو الذي صوبه ابن جرير رحمه الله. قال وقرأ آخرون قال ومن كفر فأمّته قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير فجعلوا ذلك من تمام دعاء عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ومن كفر فأمّته قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير قال هو قول الله تعالى وهذا قول مجاهد وعكرمة أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمّته قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس من إسماعيل بثلاث عشرة سنة ولهذا قال في آخر الدعاء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء. وقوله تعالى وارزق رب اجعل هذا البلد آمنا وناسب هذا هناك لأنه والله أعلم كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به وبعد مولد إسحق الذي هو أصغر سنا في هذه السورة رب اجعل هذا البلد آمنا أي اجعل هذه البقعة بلدا آمنا وناسب هذا لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم وإذ قال إبراهيم الأحاديث في تحريم القتال فيه: وفي صحيح مسلم عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح وقال ذلك شرعا وقدرًا. كقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقوله أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم إلى غير ذلك من الآيات وقد تقدمت في موضع آخر بأدلتها إن شاء الله وبه الثقة. وقوله تعالى إخبارا عن الخليل أنه قال رب اجعل هذا بلدا آمنا أي من الخوف لا يرعب أهله وقد فعل الله ظهور أمرك كما سيأتي قريبا إن شاء الله. وأما مسألة تفضيل مكة على المدينة كما هو قول الجمهور أو المدينة على مكة كما هو مذهب مالك وأتباعه فتذكر أخبرنا عن بدء أمرك. فقال دعوة أبي إبراهيم عليه السلام وبشرى عيسى ابن مريم ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام أي أخبرنا عن بدء إبراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره. ولهذا جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها كما أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبا عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ومع هذا قال السموات والأرض وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام حرّمها لأن إبراهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها وأنها لم تزل بلدا حراما عند لا يعيد عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه. فإذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب فقيل لأبي شريح ما قال لك عمرو؟ قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح إن الحرم بها شجرة فإن أحدا ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا إن الله أنزلنا عليه وسلم ولم يأذن لكم. وإنما أذن لي فيها ساعة حين تكلم به إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد يبعث البعوث إلى مكة أذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناى منشد فقال العباس: إلا الإذخر فإنه للبيوت والقبور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر وعن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعد وهو عام الفتح فقال يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة لا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يأخذ لقطتها إلا بن بكير عن محمد بن إسحق عن أبان بن صالح عن الحسن بن مسلم بن يناب عن صفية بنت شيبة: قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب صفية بنت شيبة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم مثله وهذا الذي علقه البخاري رواه الإمام أبو عبد الله بن ماجه عن محمد بن عبد الله بن نمير عن يونس لقينهم ولبيوته فقال إلا الإذخر وهذا لفظ مسلم ولهما عن أبي هريرة نحو من ذلك ثم قال البخاري بعد ذلك: وقال أبان بن صالح عن الحسن بن مسلم عن حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو مكة قبل خلق السموات والأرض كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال سول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إن إنما كان على لسان إبراهيم الخليل وقيل إنها محرمة منذ خلقت مع الأرض وهذا أظهر وأقوى والله أعلم. وقد وردت أحاديث أخر تدل على أن الله تعالى حرم المدينة كثيرة وإنما أوردنا منها ما هو متعلق بتحريم إبراهيم عليه السلام لمكة لما في ذلك من مطابقة الآية الكريمة وتمسك بها من ذهب إلى أن تحريم مكة إلا لعلف اللهم بارك لنا في مدينتنا اللهم بارك لنا في صاعنا اللهم بارك لنا في مدنا اللهم اجعل مع البركة بركتين الحديث رواه مسلم والأحاديث في تحريم اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما وإني حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يخطب فيها شجرة كما حرم إبراهيم مكة وإني دعوت في صاعها ومدّها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعا إبراهيم لمكة رواه البخاري وهذا لفظه ولمسلم ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها. وإني حرمت المدينة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مدّها وصاعها مثل ما المدينة ولهما أيضا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة وعن عبد الله بن زيد بن عاصم

تفسير ابن كثير

إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم وفي لفظ لهما بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدهم زاد البخاري يعني أهل نزل وقال في الحديث ثم أقبل حتى إذا بدا له أحد قال هذا جبل يحبنا ونحبه فلما أشرف على المدينة قال اللهم إني أحرم ما بين جبلها مثل ما حرم الله عليه وسلم لأبي طلحة التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما ما بين لابتيتها انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن قتيبة عن بكر بن مضر به ولفظه كلفظه سواء وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى ابن الهاد عن أبي بكر بن محمد عن عبدالله بن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم لفظ بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من ولدان لفظ مسلم ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا بكر بن مضر عن عبدك وخليك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر وفي وسلم فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم إن إبراهيم الستة وأصل الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت المدينة ما بين لابتيتها عضاها وصيدها لا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يقطع منها شجرة إلا لعلف بعير وهذه الطريق غريبة ليست في شيء من الكتب أشعث عن نافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم كان عبدالله وخليه وإني عبدالله ورسوله وإن إبراهيم حرم مكة وإني عن سفيان الثوري وقال ابن جرير أيضا: أخبرنا أبو كريب وأبو السائب قالوا حدثنا ابن إدريس وأخبرنا أبو كريب أخبرنا عبدالرحيم الرازي قال جميعا سمعنا ولا يقطع عضاها وهكذا رواه النسائي عن محمد بن بشار عن بندار به وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد كلاهما عن أبي أحمد الزبيري الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه وإني حرمت المدينة ما بين لابتيتها فلا يصاد صيدها أمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال الإمام أبو جعفر بن جرير أخبرنا ابن بشار أخبرنا عبدالرحمن بن مهدي أخبرنا سفيان عن أبي وقوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا

البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج. 127 أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله الفدع زيغ بين القدم وعظم الساق وهذا والله أعلم إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء في صحيح قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ولكأنني أنظر إليه أصيلع مسنده أخبرنا أحمد بن عبد الملك الحراني أخبرنا محمد بن سلمة عن بن إسحق عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجاه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كأنني به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا رواه البخاري وقال الإمام أحمد بن حنبل في ذو السويقتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة كعبة الله ملعنة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد نقله عياض والنووي ولا تزال والله أعلم هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخربها ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكا عن هدم الكعبة وردا إلى ما فعله بن الزبير فقال له مالكا يا أمير المؤمنين لا تجعل وعروة بن الزبير فدل هذا على صواب ما فعله بن الزبير فلو ترك لكان جيدا ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما عائشة لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن محمد بن أبي بكر تقل هذا يا أمير المؤمنين فإني سمعت أم المؤمنين تحدث هذا. قال لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير فهذا الحديث كالمقطوع به إلى وسلم يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة حتى أزيد فيها من الحجر فإن قومك قصرُوا في البناء فقال الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة لا أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين يقول سمعتها تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاهما عن بن جريج بهذا الإسناد مثل حديث أبي بكر قال: وحدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبدالله بن بكر السهمي حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة فنكت ساعة بعصاه ثم قال وددت أني تركت وما تحمل قال مسلم وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا أبو عاصم ح وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقي حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط قال عبد الملك فقلت للحارث أنت سمعتها تقول هذا؟ قال نعم قال ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيا وغربيا وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها. قالت: قلت لا قال تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا فكان يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع هذا حديث عبدالله بن عبيد بن عمير وزاد عليه الوليد بن عطاء قال النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حادثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فإن بدا لقومك من بعدي أن فقل عبد الملك: ما أظن أبا حبيب يعني بن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها قال الحارث بلى أنا سمعته منها قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة قال: عبدالله بن عبيد: وفد الحارث بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته الله صلى الله عليه وسلم قال: وددنا أن تركناه وما تولى كما قال مسلم: حدثني محمد بن حاتم حدثنا محمد بن بكر أخبرنا بن جريج سمعت عبدالله بن عبيد لحدائهم بالإسلام وقرب عهدهم من الكفر ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان ولهذا لما تحقق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول وقد كانت السنة أقرارا ما فعله عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما لأنه هو الذي وده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خشي أن تنكره قلوب بعض الناس وقد رواه النسائي في سننه عن هناد عن يحيى بن أبي زائدة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن بن الزبير عن عائشة بالمرفوع منه ولم يذكر القصة

تفسير ابن كثير

إننا لسنا من تلطيخ بن الزبير في شيء أما ما زاده في طوله فأقره وأما ما زاد فيه من الحجر فردّه إلى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه وأعادّه إلى بنائه فلما قتل بن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يستجيّزه بذلك ويخبره أن بن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة فكتب إليه عبد الملك فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه أستقصه فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه له بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال فأنا أجد ما أنفق ولست أخاف الناس قال: فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى له أسا نظر الناس إليه صلى الله عليه وسلم: قال لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ولجعت فنقضوه حتى بلغوا به الأرض فجعل ابن الزبير أعمدة يستتر عليها الستور حتى أرتفع بناؤه وقال بن الزبير إنى سمعت عائشة رضي الله عنها تقول إن النبي رأيته على أن ينقضها فتحامها الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء حتى صعد رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فقال ابن الزبير لو كان أحدهم أحترق بيته ما رضي حتى يجددّه فكيف بيت ربكم عز وجل إنى مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمري فلما مضت ثلاث أجمع بن عباس إنه قد خرق لي رأى فيها أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتا أسلم الناس عليه وأحجار أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يحزبهم أو يجيروهم على أهل الشام فلما صدر الناس: قال يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وهى منها؟ قال ابن أبي سليمان عن عطاء قال لما أحترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان تركه بن الزبير حتى قدم الناس الموسم الحجاج فردّها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك كما قال مسلم بن الحجاج في صحيحه أخبرنا هناد بن السري أخبرنا ابن أبي زائدة أخبرنا بابا شرقيا وبابا غربيا ملصقين بالأرض كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصروا ابن الزبير فحينئذ نقضها ابن الزبير إلى الأرض وبنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام وأدخل فيها الحجر وجعل لها بعد البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف. قلت ولم تزل على بناء قريش حتى أحترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفي بذاك عزا وعند الله يلتمس الثواب قال ابن إسحاق وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين عشر ذراعا وكانت تكسى القباطي ثم كسيت نرفع التأسيس منه وليس على مساوينا ثياب أعز به المليك بني لؤي فليس لأصله منهم ذهاب وقد حشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدمها كلاب فبوانا المليك فلما أن خشينا الرجز جاءت عقاب تتلنب لها أنصباب فضمته إليها ثم خلت لنا البنيان ليس له حجاب فقمنا حاشدين إلى بناء لنا منه القواعد والتراب غداة لما تصوبت العقاب إلى الثعبان وهي لها اضطراب وقد كانت يكون لها كشييش وأحيانا يكون لها وثاب إذا قمنا إلى التأسيس شدت تهيبنا البناء وقد تهاب الأيمن فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها: عجبت حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الله عليه وسلم: هلم إلي ثوبا فأتي به فأخذ الركن يعني الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعه جميعا ففعلوا بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قالوا: هذا الأيمن رضينا هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلهم قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي لقعة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن يعني الحجر الأسود فاختموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتخالفوا وأعدوا فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس. قال بن إسحق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة كالأسنة أخذ بعضها بعضا: قال فحدثني بعض من يروي الحديث بأن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقطع بها أيضا أحدهما فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى حجارة خضر ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا وردناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبذؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير إليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ولبني عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم قال ثم إن فريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا طيبا لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس قال ابن إسحق والناس ينتحلون هذا الكلام للوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنيانها قام بن وهب بن عمرو إلّا احزألت وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرا فاخطفها فذهب بها فقالت قريش يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة إلي كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبضي نجار فهبأ لهم في أنفسهم بعض ما الكعبة وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى بني مليح بن عمرو من خزاعة فقطعت قريش يده ويزعم الناس أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان

تفسير ابن كثير

يهمون بذلك ليسقفوها ويهايون هدمها وإنما كانت رضا فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة وإنما كان يكون في بئر في جوف يوم الدين قال: قال محمد بن إسحق بن يسار في السيرة: ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنان الكعبة وكانوا وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقد نفل معهم في الحجارة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة انفرد به أيضا. ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بمدد طويلة الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة لولا قومك حديث عهد بشرك الكعبة فألزقتها بالأرض ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا محمد بن حاتم حدثني محمد بن مهدي أخبرنا سليم بن حبان عن سعيد يعني بن ميناء قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول حدثتني خالتي يعني عائشة رضي بنت البيت استقصرت ولجعلت لها خلفا قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا أخبرنا ابن نمير عن هشام بهذا الإسناد انفرد به مسلم: قال وحدثني عن أبيه عن عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا حادثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم فإن قريشا حين الزبير انفرد بإخراجه البخاري فرواه هكذا في كتاب العلم من صحيحه وقال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة وسلم يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم فقال ابن الزبير بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين بابا يدخل منه الناس وبابا يخرجون منه ففعله ابن عن أبي إسحق عن الأسود قال: قال لي ابن الزبير كانت عائشة تسر إليك حديثا كثيرا فما حدثتك في الكعبة قال: قلت قالت لي قال النبي صلى الله عليه عليه بجاهلية أو قال بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها الحجر وقال البخاري أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل حديث نافع قال سمعت عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة يحدث عبد الله بن عمر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن قومك حديث عهد عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ومن حديث ابن وهب والنسائي من حديث عبد الرحمن بن القاسم كلهم عن مالك به ورواه مسلم أيضا من عليه وسلم ترك استلام الركنتين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام وقد رواه في الحج عن القعني وفي أحاديث الأنبياء إبراهيم؟ قال لولا حدثان قومك بالكفر فقال عبد الله بن عمر: لأن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تري أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد إبراهيم فقلت يا رسول الله ألا تردها على قواعد قاعدة حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. وقال البخاري رحمه الله قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل الآية القواعد أساسه واحدها قاعدة والقواعد من النساء واحدها هذه الكعبة فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى وذكر الأزرق في تاريخ مكة إن ذا القرنين طاف مع إبراهيم عليه السلام بالبيت وهذا يدل على تقدم زمانه والله عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة قالاهات بالبينة على ما تدعيان فقامت خمسة أكبش فقلن نحن فشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء عبد المؤمن بن خالد عن علياء بن أحمر أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل فقال مالكما ولأرضنا؟ فقال نحن وكذا قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد القواعد في الأرض السابعة وقال: ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا عمر بن رافع أخبرنا عبد الوهاب بن معاوية عن وقال عبد الرزاق أخبرنا هشام بن حسان أخبرني حميد عن مجاهد قال: خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا بألفي سنة وأركانه في الأرض السابعة فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشا فقال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم إلى قوله لعلمهم يشكرون يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال إبراهيم لجبريل: أهنا أمرت أن أضعهما؟ قال نعم فعمد بهما إلى موضع الحجر الحرم وخرج معه جبريل فكان لا يمر بقرية إلا قال: أ بهذا أمرت يا جبريل؟ فيقول جبريل أمضه حتى قدم به مكة وهي إذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبها أناس إليه من الشام أو خرج معه بإسماعيل وبأمه هاجر وإسماعيل طفل صغير يرضع وحملوا فيما حدثني على البراق ومعه جبريل يده على موضع البيت ومعالم دحيت الأرض من تحت البيت وقال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم إن الله لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج أخبرنا يعقوب العمي عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال: وضع الله البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام ثم ومد له في خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفازة بعد ذلك فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الأنبياء. وقال ابن جرير: أخبرنا ابن حميد ذلك إلى الله عز وجل فقال الله يا آدم إني قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلني عنده كما يصلي عند عرشي فانطلق إليه آدم فخرج مهبطه بأرض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض فكانت الملائكة تهابه فنقص إلى ستين ذراعا فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم فشكا صحيح إلى عطاء ولكن في بعضه نكارة والله أعلم. وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا معمر عن قتادة قال: وضع الله البيت مع آدم أهبط الله آدم إلى الأرض وكان الناس أنه بناه من خمسة أجبل من حراء وطور زيتا وطور سيناء والجودي وكان ربه من حراء فكان هذا بناء آدم حتى بناه إبراهيم عليه السلام بعد وهذا قال آدم إني لا أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك ولكن أهبط إلى الأرض فابن لي بيتا ثم أحفف به كما رأيت الملائكة تحف بيبيتي الذي في السماء فيزعم الياقوتة حتى بعث الله إبراهيم عليه السلام فيناه. وذلك قول الله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال: وخطوه مفازة حتى انتهى إلى مكة وأنزل الله ياقوته من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك فخفضه الله تعالى إلى الأرض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته فوجه إلى مكة فكان موضع قدميه قريبة من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعائهم يأنس إليهم فهابت الملائكة حتى شكت إلى الله في دعائها وفي صلاتها قال القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا هشام بن حسان عن سوار ختن عطاء عن عطاء ابن أبي رباح قال: لما أهبط آدم

تفسير ابن كثير

وبؤى لها وقد ذهب إلى هذا زاهبون كما قال الإمام عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت إبراهيم ربه فقال ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وفي هذا السياق ما يدل على أن قواعد البيت كانت منبته قبل إبراهيم. وإنما هدي إبراهيم إليها من خطايا الناس فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن فقال يا أبت من جاءك بهذا؟ قال جاء به من هو أنشط منك فبنيا وهما يدعوان الكلمات التي ابتلى لغب. قال علي ذلك فانطلق يطلب له حجرا وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وكان آدم هبط به من الجنة فأسود وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن. قال إبراهيم لإسماعيل: يا بني اطلب لي حجرا حسنا أضعه ههنا. قال يا أبت إني كسلان لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول واتباعها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس فذلك حين يقول تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت حتى أتى مكة فقام هو وإسماعيل وأخذوا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشفت قال كان ذلك بعد وقال السدي: إن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يبني البيت هو وإسماعيل ابني بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. فانطلق إبراهيم العنكبوت بيتا وقال: فكشفت عن أحجار لا يطيق الحجر إلا ثلاثون رجلا فقلت يا أبا محمد فإن الله يقول وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل الأرض بأربعين عاما ومنه دحيت الأرض. قال سعيد: وحدثنا علي بن أبي طالب أن إبراهيم أقبل من أرض أرمينية ومعه السكينة تدله على تبوء البيت كما تتبوء محمد بن عبدالله بن يزيد المقري أخبرنا سفيان عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار قال: كان البيت غثاء على الماء قبل أن يخلق الله في مكانه فقال: يا أبت من أتاك بهذا الحجر؟ فقال: أتاني به من لم يتكل على بنائك جاء به جبريل عليه السلام من السماء فأتماه. قال ابن أبي حاتم: حدثنا وبقي الحجر فذهب الغلام يبغي شيئا فقال إبراهيم لا أبغني حجرا كما أمرك قال فانطلق الغلام يلتمس له حجرا فأثاه به فوجده قد ركب الحجر الأسود ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوت على موضع البيت كطي الجحفة وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى إبراهيم دخله كان آمنا وإن شئت أنبأتك كيف بني إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتا في الأرض فضايق إبراهيم بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهي ريح خجوج أن رجلا قام إلى علي رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فقال لا؛ ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم من أنه بناه إلى أعلاه حتى كبر إسماعيل فبنياه معا كما قال الله تعالى. ثم قال ابن جرير أخبرنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعة فجعلت تحبس الماء فقال: دعيه فإنه روي ففي هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما وقد يحتمل أنه كان محفوظا أن يكون أولا وضع له حوطا وتحجيرا فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم قال: فإلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله قال: وكلكما إلى كاف قال: ففحص الأرض بأصبعه فنبعت زمزم ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئا ففعلت ذلك سبع مرات فقالت: يا إسماعيل مت حيث لا أراك فأنته وهو يفحص برجله من العطش فناداها جبريل قال إلى الله قالت: انطلق فإنه لا يضيئنا قال: فعطش إسماعيل عطشا شديدا قال: فصعدت هاجر إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئا حتى أتت المروة فلم تر شيئا الرأس فكلمه قال: يا إبراهيم ابن علي ظلي أو قال علي قدرني ولا تزد ولا تنقص فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر فقال هاجر يا إبراهيم إلى من تكلنا؟ عن علي بن أبي طالب قال: لما أمر إبراهيم ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر قال: فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل السياق ما يخالف بعض هذا كما قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قال: أخبرنا مؤمل أخبرنا سفيان عن أبي إسحق عن حارثة بن مضرب والحديث والله أعلم إنما فيه مرفوع أماكن صرح بها ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا أن قرني الكعب كانا معلقين بالكعبة وقد جاء أن إبراهيم عليه السلام كان يزور أهله بمكة على البراق سريعا ثم يعود إلى أهله بالبلاد المقدسة والله أعلم الشيخين ولم يخرجاه كذا قال وقد رواه البخاري كما ترى من حديث إبراهيم بن نافع وكان فيه اختصارا فإنه لم يذكر فيه شأن الذبح وقد جاء في الصحيح في كتابه المستدرک عن أبي العباس الأصم عن محمد بن سنان القزاز عن أبي علي عبيد الله بن عبد الحنفي عن إبراهيم بن نافع به وقال صحيح على شرط يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم قال حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل أمرني أن أبني له بيتا فقال أطع ربك عز وجل قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه فقال إذن أفعل أو كما قال قال فقام فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل ثم إنه بدا لإبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لأهله إني مطلع تركتي فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له فقال يا إسماعيل إن ربك عز وجل وما شربكم قالت طعامنا اللحم وشربنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال: فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم بركة بدعوة إبراهيم قال أهلك قال ثم إنه بدا لإبراهيم فقال إن مطلع تركتي قال فجاء فقال أين إسماعيل؟ فقالت امرأته ذهب يصيد فقال: قول لي إذا جاء غير عتبة بابك فلما أخبرته قال: أنت ذاك فاذهبى إلى فاتوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك ونسكن معك؟ فبلغ ابنها ونكح منهم امرأة قال ثم إنه بدا لإبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال لأهله: قال فمر ناس من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطير كأنهم أنكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فإذا هو بالماء فاتاهم فأخبرهم أم إسماعيل فجعلت تحفر قال: فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم لو تركته لكان الماء ظاهرا فال فجعلت تشرب من الماء وبدر لبنها على صبيها ما فعل فإذا هي بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خير فإذا جبريل عليه السلام قال: فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض قال فانبثق الماء فدهشت فلم تقرها نفسها فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتمت سبعا ثم قالت: لو ذهبت فنظرت سعت حتى أتت المروة وفعلت ذلك أشواطا حتى أتمت سبعا ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبي فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت

تفسير ابن كثير

لبنها على صبيها حتى لما فني الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا فذهبت فصعدت الصفا فنظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا فلما بلغت الوادي فاتبعته أم إسماعيل حتى بلغوا كداء نادته من وراءه يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله قالت رضيته بالله. قال: فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدرو أم إسماعيل ومعهم شنة فيها ماء فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدرب لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة ثم رجع إبراهيم إلى أهله عمرو أخبرنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل قبل أن لا تروني فسألوه عن المقام فأنشأ يحدثهم عن ابن عباس فذكر الحديث بطوله. ثم قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا أبو عامر عبد الملك بن قال: كنت أنا وعثمان بن أبي سليمان وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين في ناس مع سعيد بن جبير في أعلى المسجد ليلا فقال سعيد بن جبير: سلوني إسماعيل بن علي بن إسماعيل أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا أحمد بن محمد الأزرق أخبرنا مسلم بن خالد الزنجي عن عبد الملك بن جريج عن كثير بن كثير ابن أبي حاتم عن أبي عبد الله محمد بن حماد الطبراني وابن جرير عن أحمد بن ثابت الرازي كلاهما عن عبد الرزاق به مختصرا. وقال أبو بكر بن مردويه أخبرنا العليم قال: فجعلنا يمينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ورواه عبد بن حميد عن عبد الرزاق به مطولا ورواه وإبراهيم يميني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو بيني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة من زمزم فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالولد ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني. قال: ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبكي نبالا له تحت دوحة قريبا نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه قال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد؟ قالت: فما شربكم؟ قالت: الماء. قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم لدعا لهم فيه قال: فهما عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة وأنت على الله عز وجل قال ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك وطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم فلم يجده فدخل على امرأته فسألها فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم سأله عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت إليه قال: منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أئذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم. ولكن لا حق لكم في الماء عندنا قالوا: نعم. قال من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فأروا طائرا عائدا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من الماء وكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع تغرف من الماء في سقائها وهو يفرور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت: سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس: قال النبي جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب ورفع يديه فقال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب آله أمرك بهذا؟ قال نعم قالت: إذا لا يضيعنا. ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات إبراهيم فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس؟ ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سيارة ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها أخبرنا معمر عن أيوب السخيتاني وكثير بن كثير بن المطلب ابن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ويقولان كما سيأتي بيانه. وقد روى البخاري ههنا حديثا سنوده ثم نتبعه بآثار متعلقة بذلك. قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في موضعه. وقال بعض المفسرين الذي كان يرفع القواعد هو إبراهيم والداعي إسماعيل والصحيح أنهما كانا يرفعان

تفسير ابن كثير

أتوا أي يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقرابات وقلوبهم وجلة أي خائفة أن لا يتقبل منهم كما جاء في الحديث الصحيح عن عائشة عن رسول ويقول يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك. وهذا كما حكى الله عن حال المؤمنين الخالص في قوله والذين يؤتون ما ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي عن وهيب بن الورد أنه قرأ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ثم يبيكي ويدل على هذا قولهما بعده ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك الآية فهما في عمل صالح وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما كما روى وغيره عن أبي وابن مسعود أنهما كانا يقرآن وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم قلت واذكر يا محمد لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت ورفعهما القواعد منه وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وحكى القرطبي ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم فالقواعد جمع قاعدة هي السارية والأساس يقول تعالى: وأما قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

القصوى فعرض الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب فأتى به جمعا فقال: هذا المشعر ثم أتى به عرفة فقال هذه عرفة فقال له جبريل أعرفت؟ 128 تعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به إلى الجمرة الوسطى تعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أتى به إلى الجمرة لما أرى أوامر المناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه إبراهيم ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى فقال: هذا مناخ الناس فلما انتهت إلى جمره العقبة نعم وروى عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي العاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس قال: إن إبراهيم فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام فقال هذا المشعر الحرام فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به عرفات قال: قد عرفت ما أريتك؟ قالها ثلاث مرات قال عند الجمرة الوسطى فلما جاز به جبريل وإبراهيم قال له: كبر وارمه فكبر ورماه فذهب الخبيث إبليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئا فلم يستطع إلى المروة فقال: وهذا من شعائر الله ثم انطلق به نحو منى فلما كان من العقبة إذا إبليس قائم عند الشجرة فقال: كبر وارمه فكبر ورماه ثم انطلق إبليس فقام فاتاه جبرائيل فأتى به البيت فقال أرفع القواعد فرفع القواعد وأتم البنين ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا قال هذا من شعائر الله ثم انطلق به مذابحنا وروى عن عطاء أيضا وقتادة نحو ذلك وقال سعيد بن منصور: أخبرنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مجاهد قال: قال إبراهيم أرنا مناسكتنا جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وأرنا مناسكتنا قال ابن جريج عن عطاء وأرنا مناسكتنا أخرجه لنا وعلمناها وقال مجاهد أرنا مناسكتنا الأصنام وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث صدقة ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وهو قوله واجنبنني وبني أن نعبد قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما وهذا القدر مرغوب فيه شرعا فإن من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما أخبرنا الله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين في قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا الأميين رسولا منهم ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وغير ذلك من الأدلة القاطعة منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم الآية. والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم وقد بعث فيهم كما قال تعالى هو الذي بعث في وهذا الذي قاله بن جرير لا ينفية السدي فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم والسياق إنما هو في العرب ولهذا قال بعده ربنا وابعث فيهم رسولا جرير: والصواب أنه يعم العرب وغيرهم لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل وقد قال الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. قلت واجعلنا مسلمين لك قال الله: قد فعلت ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال الله قد فعلت. وقال السدي ومن ذريتنا أمة مسلمة لك يعنيان العرب قال ابن أخبرنا المقدمي أخبرنا سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع في هذه الآية واجعلنا مسلمين قال كانا مسلمين ولكنهما سألاه الثبات. وقال عكرمة ربنا معقل بن عبيد الله عن عبد الكريم واجعلنا مسلمين لك قال مخلصين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال مخلصا وقال أيضا أخبرنا علي بن الحسين لطاعتك لا نشرك معك في الطاعة أحدا سواك ولا في العبادة غيرك وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبي أخبرنا إسماعيل عن رجاء بن حبان الحصري القرشي أخبرنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم قال ابن جرير يعنيان بذلك وأجعلنا مستسلمين لأمرك خاضعين وقوله تعالى حكاية لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا

أنت العزيز الحكيم أي العزيز الذي لا يعجزه شيء وهو قادر على كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محالها وحكمته وعدله. 129 قال يعلمهم الخير فيفعلوه والشر فيتقوه ويخبرهم برضا الله عنهم إذا أطاعوه ليستكثروا من طاعته ويجتنبوا ما يسخطه من معصيته وقوله إنك الفهم في الدين ولا منافاة ويزكيهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني طاعة الله والإخلاص وقال: محمد بن إسحق ويعلمهم الكتاب والحكمة قال السدي وقتادة وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني السنة قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم وقيل أنس عن أبي العالية في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم فليل له قد أستجيب لك وهو كائن في آخر الزمان وكذا على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وفي صحيح البخاري وهم بالشام قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن معقل للإسلام وأهله وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ولهذا جاء في الصحيحين لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين قومها فشاخ فيهم وأشهر بينهم وكان ذلك توطئة وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ابن مريم. وقوله ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام قيل كان مناما رآته حين حملت به وقصته على

تفسير ابن كثير

في بني إسرائيل خطيبا وقال إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ولهذا قال في هذا الحديث عليه السلام ولم يزل ذكره في الناس مذكورا مشهورا سائرا حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسبا وهو عيسى ابن مريم عليه السلام حيث قام قال دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بي ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام والمراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم بن سويد وقال الإمام أحمد أيضا أخبرنا أبو النضر أخبرنا الفرّج أخبرنا لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت يا رسول الله ما كان أول بدء أمرك؟ أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وكذلك رواه ابن وهب والليث وكتبه عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وتابعه أبو بكر بن أبي مريم عن سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنتكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا قال الإمام أحمد أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية: قال: قال وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الأميين إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن كما يقول تعالى إخبارا عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم أي من ذرية إبراهيم وقد

السفاهة فيهم ولكن لا يعلمون يعني ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى. 13 الله لكم قياما قال عامة علماء التفسير هم النساء والصبيان وقد تولى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال ألا إنهم هم السفهاء فأكد وحصر الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ولهذا سمي الله النساء والصبيان سفهاء في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل يقولون أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟ والسفهاء جمع سفيه لأن الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم والسفيه هو قاله أبو العالية والسدى في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر. قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء يعني لعنهم الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم آمنوا كما آمن الناس أي كإيمان الناس بالله وملأنته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه وأطيعوا الله يقول تعالى: وإذا قيل للمنافقين

ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين. 130 نزلت هذه الآية في اليهود أحدثوا طريقا ليست من عند الله وخالفوا ملة إبراهيم فيما أحدثوه ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا هذا ومسلكه وملته واتبع طرق الضلالة والغى فأى سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا كله قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم قال أبو العالية وقتادة: حيث خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد من حادثة سنه إلى أن اتخذ الله خليلا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء فمن ترك طريقه الآخرة لمن الصالحين ولهذا وأمثاله قال تعالى: ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه أي ظلم نفسه بسفوه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال وقال تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباة وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الذي فطرني فإنه سيهدين وقال تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وقال تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه أنني براء مما تعبدون إلا ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره ولا أشرك به طرفة عين وتبرأ من كل معبود سواه وخالف في ذلك سائر قومه حتى تبرأ من أبيه فقال يا قوم إني بريء يقول تبارك وتعالى ردا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف لملة إبراهيم الخليل إمام الحنفاء فإنه جرد توحيد

أي أمره الله تعالى بالإخلاص والاستسلام والانقياد فأجاب إلى ذلك شرعا وقدا. 131

للناس وقد قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى. 132 الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ويعمل أهل النار فيما يبدو إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الخير وفق له ويسر عليه ومن نوى صالحا ثبت عليه وهذا لا يعارض ما جاء في الحديث الصحيح إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها حال الحياة والزموها هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فإن المرء يموت غالبا على ما كان عليه ويبعث على ما مات عليه وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد لبنية سيأتي ذكرها قريبا وهذا يدل على أنه ههنا من جملة الموصين وقوله يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أي أحسنوا في جده بعد خرابه وزخرفه وبين إبراهيم أربعين سنة وهذا مما أنكر على ابن حبان فإن المدة بينهما تزيد على ألوف سنين والله أعلم وأيضا فإن وصية يعقوب قلت ثم أي؟ قال بيت المقدس قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة الحديث فزع ابن حبان أن بين سليمان الذي أعتقد أنه باني بيت المقدس وإنما كان باني بيت المقدس كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال المسجد الحرام إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب الآية وقال في الآية الأخرى ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وهذا يقتضي أنه وجد في حياته وأيضا فإنه على نزاع الخافض فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة وأيضا فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت ووهبنا له إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة لأن البشارة وقعت بهما في قوله فبشرناهما بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وقد قرئ بنصب يعقوب ههنا وكان حاضرا ذلك وقد ادعى القشيري فيما حكاه القرطبي عنه أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح والظاهر والله أعلم أن

تفسير ابن كثير

كقوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه وقد قرأ بعض السلف ويعقوب بالنصب عطفًا على بنيه كأن إبراهيم وصى بينه وابن ابنه يعقوب بن إسحاق له أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله أسلمت لرب العالمين لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم وقوله ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب أي وصى بهذه الملة وهي الإسلام

إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون والآيات في هذا كثيرة والأحاديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد. 133 وكرها وإليه يرجعون والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي واحداً أي نوحده بالالوهية ولا نشرك به شيئاً غيره ونحن له مسلمون أي مطيعون خاضعون كما قال تعالى وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وابن مسعود وزيد بن ثابت وجماعة من السلف والخلف واختاره صاحب أبي حنيفة القاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن ولتقريرها موضع آخر وقوله إلهها وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من السلف والخلف وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه أنه يقاسم الإخوة وحكي ذلك عن عمر وعثمان وعلي البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير ثم قال البخاري ولم يختلف عليه وإليه ذهب عائشة أم المؤمنين وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء إسماعيل عنه: قال النحاس والعرب تسمي العم أبا نعله القرطبي قد استدل بهذه الآية الكريمة من جعل الجد أبا وحجب به الإخوة كما هو قول الصديق حكاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهذا من باب التغليب لأن على المشركين من العرب أبناء إسماعيل وعلى الكفار من بني إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بأن يعقوب لما حضرته الوفاة يقول تعالى محتجا

والربيع وقتادة تلك أمة قد خلت يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ولهذا جاء في الأثر من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه. 134 لا ينفككم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقال أبو العالية وقوله تعالى تلك أمة قد خلت أي مضت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم أي إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين أولهم إلى آخرهم وقال قتادة: الحنفية شهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرم الله عز وجل والختان. 135 البيت بصلاته ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلا وقال مجاهد والربيع بن أنس: حنيفا أي متبعا وقال أبو قلابة: الحنيف الذي يؤمن بالرسول كلهم من عن مجاهد مخلصا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حجا وكذا روى عن الحسن والضحاك وعطية والسدي وقال أبو العالية: الحنيف الذي يستقبل أي لا نريد ما دعوتونا إليه من اليهودية والنصرانية بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا أي مستقيما قاله محمد بن كعب القرظي وعيسى ابن جارية وقال خفيف ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله عز وجل وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا وقوله قل بل ملة إبراهيم حنيفا حدثني محمد بن أبي محمد حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال عبدالله بن سوريا الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الهدى إلا قال محمد بن إسحاق:

الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل وليسعكم القرآن. 136 بن حبيب: إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والإنجيل ولا نعمل بما فيهما. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري أخبرنا مؤمل أخبرنا عبيد قال القرطبي: والسبط الجماعة والقبيلة والراجعون إلى أصل واحد وقال قتادة: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسوله وقال سليمان عن ابن عباس قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام الواحدة سبطة قال الزجاج: ويبين لك هذا ما حدثنا محمد بن جعفر الأنباري حدثنا أبو نجيح الدقاق حدثنا الأسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن عشرة أسباط قال القرطبي: وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر أي في الكثرة بمنزلة الشجر الوحي على الأنبياء الموجودين منهم كما قال موسى لهم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآية وقال تعالى وقطعناهم اثنتي نقله الرازي عنه وقرره ولم يعارضه وقال البخاري: الأسباط قبائل في بني إسرائيل وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط ههنا شعوب بني إسرائيل وما أنزل الله من بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل وقال الزمخشري في الكشاف: الأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر وقد بالله وأشهد بأننا مسلمون وقال أبو العالية والربيع وقتادة: الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط وقال الخليل يسار عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يصلّي الركعتين اللتين قبل الفجر بأمنا بالله وما أنزل إلينا الآية والأخرى بأمنا عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عثمان بن حكيم عن سعيد بن كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا الآية وقال البخاري: حدثنا محمد بن بشار أخبرنا عثمان بن عمره أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا ونص على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء وأن أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل

تفسير ابن كثير

137 إن مصحفه كان في حجره حين قتل فوقع الدم على فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم فقال نافع: بصرت عيني الدم على هذه الآية وقد تقدم. أخبرنا ابن وهب أخبرنا زياد بن يونس حدثنا نافع بن أبي نعيم قال: أرسل إلى بعض الخلفاء مصحف عثمان ليصلحه قال زياد فقلت له إن الناس ليقولون عليهم فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله أي فسينصرك عليهم ويظفرك بهم وهو السميع العليم. قال ابن أبي حاتم قرئ علي يونس بن عبد الأعلى بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم فقد اهدوا أي فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه وإن تولوا أي عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة يقول تعالى فإن آمنوا يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به يا أيها المؤمنون من الإيمان

الله ومن أحسن من الله صبغة كذا وقع في رواية ابن مردويه مرفوعا وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف وهو أشبه إن صح إسناده والله أعلم. 138 موسى سألوكم هل يصبغ ربك؟ فقل نعم: أنا أصبغ الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها من صبغي وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم صبغة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بني إسرائيل قالوا: يا رسول الله هل يصبغ ربك؟ فقال اتقوا الله. فناداه ربه يا سيبيوه هو مصدر مؤكد انتصب عن قوله آمنا بالله كقوله وعد الله وقد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية أشعث بن إسحاق بن أنس والسدي نحو ذلك وانتصاب صبغة الله إما على الإغراء كقوله فطرة الله أي الزموا ذلك عليكموه وقال بعضهم بدلا من قوله ملة إبراهيم وقال قال الضحاك عن ابن عباس دين الله وكذا روى عن مجاهد وأبي العالية وعكرمة وإبراهيم والحسن وقتادة والضحاك وعبدالله بن كثير وعطية العوفي والربيع قوله صبغة الله

هذه الآية الكريمة ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أي نحن براء منكم كما أنتم براء منا ونحن له مخلصون أي في العبادة والتوجه. 139 وقال تعالى إخبارا عن إبراهيم وحاجه قومه قال أتاجوني في الله إلى آخر الآية وقال تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه الآية وقال في الأخرى فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن أتبعن إلى آخر الآية فينا وفيكم المستحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي نحن براء منكم ومما تعبدون وأنتم براء منا كما قال في الآية مجادلة المشركين قل أتاجوننا في الله أي تناظروننا في توحيد الله والإخلاص له والانقياد وأتباع أوامره وترك زواجه وهو ربنا وربكم المتصرف يقول الله تعالى مرشدا نبيه صلوات الله وسلامه عليه إلى درة

أي إنما نحن نستعزيء بالقوم ونلعب بهم. وقال الضحاك عن ابن عباس قالوا إنما نحن مستهزئون ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. 14 إنما معكم قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أي أنا على مثل ما أنتم عليه إنما نحن مستهزئون ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فقلت يا رسول الله أو للإنس شياطين؟ قال نعم وقوله تعالى قالوا من الإنس والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا وفي المسند عن أبي رءوسهم وقادتهم في الشرك والشر وبنحو ذلك فسره أبو مالك وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس. قال ابن جرير وشياطين كل شيء مردته ويكون الشيطان الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد: وإذا خلوا إلى شياطينهم وإلى أصحابهم من المنافقين والمشركين. وقال قتادة وإذا خلوا إلى شياطينهم قال إلى عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يأمرؤنهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به وسلم وإذا خلوا إلى شياطينهم يعني هم رؤساءهم في الكفر. وقال الضحاك عن ابن عباس وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم: وقال محمد بن إسحاق والمنافقين. قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليه أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير. وقال السدي عن أبي مالك خلوا يعني مضوا وشياطينهم سادتهم وكبرائهم ورؤسائهم من أحبار اليهود ورؤس المشركين وخلصوا إلى شياطينهم فضمن خلوا معنى انصرفوا لتعديته إلى ليدل على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به. ومنهم من قال إلى هنا بمعنى مع الأول والمصافاة غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغرم وإذا خلوا إلى شياطينهم يعني إذا انصرفوا وذهبوا يقول تعالى وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: آمنا وأظهروا لهم الإيمان والموالة

أنفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك وقوله وما الله بغافل عما تعملون تهديد ووعيد شديد أي أن علمه محيط بعملكم وسيجزيكم عليه. 140 إن الدين الإسلام وإن محمدا رسول الله وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية فشهدوا لله بذلك وأقروا على وما كان من المشركين الآية والتي بعدها وقوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الحسن البصري: كانوا يقرءون في كتاب الله الذي أتاهم أنتم أعلم أم الله يعني بل الله أعلم وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال تعالى ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم إما اليهودية وإما النصرانية فقال قل

بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين إلى جميع الأنس والجن من المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين. 141 بمجرد النسبة إليهم حتى تكونوا منقادين مثلهم لأوامر الله واتباع رسله الذين بعثوا مبشرين ومنذرين فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ولا سيما كسبت ولكم ما كسبتم أي لهم أعمالهم ولكم أعمالكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون وليس يغني عنكم انتسابكم إليهم من غير متابعة منكم لهم ولا تغتروا قال تعالى تلك أمة قد خلت أي قد مضت لها ما

تفسير ابن كثير

على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هداها الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هداها الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام أمين. 142

بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الأشعث عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في أهل الكتاب إنهم لا يحسدوننا بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال: قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وقد روى الإمام أحمد عن علي بن عاصم عن حصين عزيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم الخليل الرحمن وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا وتوجهنا وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأتمته عناية قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله أي الشأن كله في امتثال أوامر الله فحيثما وجهنا وتوجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم كذا فأنزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب أي الحكم والتصرف والأمر كله لله فأينما تولوا فثم وجه الله وليس البر أن تولوا وجوهكم والكفرة من اليهود ارتياب وزيف عن الهدى وتخبيط وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها أي قالوا ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون إلا بعد العلم به وإن تقدم نزوله وإبلاغه لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء والله أعلم ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الله وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة فسمي مسجد القبلتين وفي حديث نويلة بنت مسلم أنهم جاءهم الخبر بذلك وهم في صلاة الظهر رواية أبي سعيد بن المعلى أنها الظهر وقال كنت أنا وصاحبي أول من صلى إلى الكعبة وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فأعلمهم بذلك وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ووقع عند النسائي من عشر شهرا وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التي هي قبله إبراهيم عليه السلام فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق فخطب رسول إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة واستمر الأمر على ذلك بعضه والجمهور ثم اختلف هؤلاء هل كان الأمر به بالقرآن أو بغيره على قولين وحكى القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن البصري أن التوجه فكان بمكة يصلي بين الركنين وهو مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس قاله ابن عباس إلى صراط مستقيم وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فولوا وجوهكم شطره أي نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله عز وجل علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقال وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام قال فوجه نحو الكعبة الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا الناس وهم أهل الكتاب ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله سيقول السفهاء من الناس إلى آخر الآية وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا المسلمين ودنا لو علمنا من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم وقال السفهاء من ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فقال رجال من وجه آخر وقال محمد بن إسحاق حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس البيت رجلا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم انفرد به البخاري من هذا الوجه ورواه مسلم من وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي قد مات على القبلة قبل أن تحول قبل شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وإنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد أخبرنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر المراد بالسفهاء ههنا مشركو العرب قاله الزجاج وقيل أحبار يهود قاله مجاهد وقيل المنافقون قاله السدي والآية عامة في هؤلاء كلهم والله أعلم قال البخاري: قيل

ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وعبد الملك بن عمرو وسريج عن نافع عمل به. 143

عليه وسلم بالبنوة يقول يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم قالوا بم يا رسول الله؟ قال بالثناء الحسن والثناء السيء أتم شهداء الله في الأرض أبو قلابه الرقاشي حدثني أبو الوليد حدثنا نافع بن عمر حدثني أمية بن صفوان عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نسأله عن الواحد وكذا رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث داود ابن أبي الفرات به: وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قال فقلنا وثلاثة قال: فقال وثلاثة قال: فقلنا واثنان. قال واثنان

تفسير ابن كثير

جنازة فأثني على صاحبها خيرا فقال: وجبت ثم مر بأخرى فأثني عليها شرا فقال عمر: وجبت فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال الفرات عن عبد الله بن بريدة عن أبي الأسود أنه قال: أثبت المدينة فوافقتها وقد وقع بها مرض فهم يموتون موتا ذريعا فجلست إلى عمر بن الخطاب فمرت به الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن أبي قال مصعب بن ثابت: فقال لنا عند ذلك محمد بن كعب صدق رسول الله صلى لاله عليه وسلم ثم قرأ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم أنت بالذي تقول فقال الرجل الله أعلم بالسرائر فأما الذي بدا لنا منه فذاك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت في بني حارثة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: يا رسول الله بنس المرء كان إن كان لفظا غليظا فأثنوا عليه شرا فقال رسول صلى الله عليه وسلم أنت بما تقول فقال الرجل: الله أعلم بالسرائر فأما الذي بدا لنا منه فذاك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم شهد جنازة وكنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: والله يا رسول الله لنعم المرء كان لقد كان عفيفا مسلما وكان وأثنوا عليه خيرا فقال رسول الله أيضا واللفظ له من حديث مصعب بن ثابت عن محمد بن كعب القرظي عن جابر بن عبد الله قال: شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة في بني مسلمة على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل وروى الحاكم في مستدركه وابن مردويه الأشجعي عن المغيرة بن عتيبة بن نبال حدثني مكاتب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال أحمد أيضا: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم نعم فيقال وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على هذا؟ فيقولون لا فيقال له هل بلغت قومك؟ فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول محمد وأمتي فيدعى محمد وأمتي فيقال لهم هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة ومعه رجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم ثم أشهد عليكم رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح أانا من أحد فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمتي قال: فذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم؟ فيقولون ما أانا من نذير وما من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين وسطا في قومه أي أشرفهم نسبا ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها ولما جعل الله هذه الأمة وسطا لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط ههنا الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا ودارا أي خيرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسول عليكم شهيدا يقول تعالى إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واختارنا لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

ركوع إذ نادى مناد بالباب أن القبلة قد حولت إلى الكعبة قال فأشهد على إمامنا أنه أنحرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة. 144 حدثنا أحمد بن حازم حدثنا مالك بن إسماعيل النهدي حدثنا قيس عن زياد بن علاقة عن عمارة بن أوس قال: بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس ونحن الحرام فحدثني رجل من بني حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أولئك رجال يؤمنون بالغيب وقال ابن مردويه أيضا: حدثنا محمد بن علي بن دحيم الله صلى الله عليه وسلم قد أستقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت عن جدته أم أبيه نويلة بنت مسلم قالت: صلينا الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا ركعتين ثم جاء من يحدثنا أن رسول حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا رجاء بن محمد السقطي حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إبراهيم بن جعفر حدثني أبي وأنها الصلاة الوسطى والمشهور أن أول صلاة صلاها إلى الكعبة صلاة العصر ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء إلى صلاة الفجر وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: الله عليه وسلم وصلى للناس الظهر يومئذ وكذا روى ابن مردويه عن ابن عمر: أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة الظهر فرغ من الآية فقلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون أول من صلى فتوارينا فصليناها ثم نزل النبي صلى قاعد على المنبر فقلت لقد حدث أمر فجلست فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها حتى عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنا نغدو إلى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي فيه فمررنا يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يحول نحو الكعبة فنزلت قد نرى تقلب وجهك في السماء فصرف إلى الكعبة وروى النسائي وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ممن كان يصلي معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت. الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه قبلته قبل البيت وأنه صلى صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: حدثنا زهير عن أبي إسحاق عن البراء أن النبي صلى

تفسير ابن كثير

وقال القرطبي: روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيت قبله لأهل المسجد والمسجد قبله وهذا قول أبي العالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن أنس وغيرهم وكما تقدم في الحديث الآخر ما بين المشرق والمغرب قبله عن عمير بن زياد الكندي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فول وجهك شطر المسجد الحرام قال شطره قبله ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أحد قولي الشافعي رضي الله عنه: أن الغرض إصابة عين الكعبة والقول الآخر وعليه الأكثر أن المراد المواجهة كما رواه الحاكم من حديث محمد بن إسحاق قال نحو ميزاب الكعبة ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن هشام عن يعلى بن عطاء به وهكذا قال غيره وهو شعبة عن يعلى بن عطاء عن يحيى بن قطة قال: رأيت عبدالله بن عمرو جالسا في المسجد الحرام بإزاء الميزاب فتلا هذه الآية فلنولينك قبلة ترضاها الله فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام إلى الكعبة إلى الميزاب يؤم به جبرائيل عليه السلام. وروى الحاكم في مستدركه من حديث بن عمر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء. فأنزل الله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وروى ابن مردويه من حديث القاسم العمري عن عمه عبيدالله وجوهكم شطره فارتابت من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب وقال فأينما تولوا فثم وجه الله وقال عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء إلى قوله فولوا الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول

الحجة عليه أقوم من غيره ولهذا قال مخاطبا للرسول والمراد به الأمة ولئن أتبعته أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين. 145 ولا كونه متوجها إلى بيت المقدس لكونها قبلة اليهود وإنما ذلك عن أمر الله تعالى ثم حذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى فإن العالم لما أمره الله تعالى به وأنه كما هو مستمسكون بأرائهم وأهوائهم فهو أيضا مستمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته وأنه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ولهذا قال ههنا ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وقوله وما أنت بتابع قبلتهم إخبار عن شدة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم يخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لو أقام عليهم كل دليل

تعالى أنهم مع هذا التحقق والإتيان العلمي ليكتفون الحق أي ليكتفون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون. 146 قلت وقد يكون المراد يعرفونه كما يعرفون أبناءهم من بين أبناء الناس كلهم لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم ثم أخبر قال لعبدالله بن سلام: أتعرف محمدا كما تعرف ولدك؟ قال نعم وأكثر نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته وإنى لا أدري ما كان من أمه عليه وسلم قال لرجل معه صغير أبنيك هذا قال نعم يا رسول الله أشهد به قال أما إنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف أحدهم ولده والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر تعالى أن العلماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما

نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فقال الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. 147 ثبت تعالى

وقال ههنا أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير أي هو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم. 148 شبيهة بقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا مجاهد في الرواية الأخرى والحسن: لكن أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة وقرأ ابن عباس وأبو جعفر الباقر وابن عامر ولكل وجهة هو مولاها وهذه الآية وللنصراني وجهة هو موليا وهذا كما أنتم أيتها الأمة إلى القبلة التي هي القبلة. وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس والسدي نحو هذا وقال ولكل وجهة هو موليا يعني بذلك أهل الأديان يقول لكل قبيلة قبلة يرضونها ووجهة الله حيث توجه المؤمنون وقال أبو العالبة: لليهودي وجهة هو موليا قال العوفي عن ابن عباس

ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها. 149 وقيل إنما ذكر ذلك لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق: فقال أولا قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها إلى قوله وإن الذين أوتوا الكتاب هكذا وجهه فخر الدين الرازي وقال القرطبي الأول لمن هو بمكة والثاني لمن هو في بقية الأمصار والثالث لمن خرج في الأسفار ورجح هذا الجواب القرطبي عليه ابن عباس وغيره وقل بل هو منزل على أحوال فالأمر الأول لمن هو مشاهد الكعبة والثاني لمن هو في مكة غائبا عنها والثالث لمن هو في بقية البلدان تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض وقد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات فقليل تأكيد لأنه أول ناسخ وقع في الإسلام على ما نص هذا أمر ثالث من الله

الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وتقول عمه الرجل يعمه عموها فهو عمه وعامه وجمعه عمه وذهبت إليه العمهاء إذا لم يدر أين ذهب. 15

تفسير ابن كثير

لا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلا. وقال بعضهم العمى في العين والعمه في القلب وقد يستعمل العمى في القلب أيضا. قال الله تعالى فإنها لا تعمي دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها وضلالتهم. قال ابن جرير والعمه الضلال. يقال عمه فلان يعمه عمها وعموها إذا ضل قال وقوله في طغيانهم يعمهون في ضلالتهم وكفرهم الذي غمرهم في كفرهم يترددون وكذا فسر السدي بسنده عن الصحابة وبه يقول أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس ومجاهد وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد في كفرهم طغيانهم يعمهون والطغيان هو المجاوزة في الشيء كما قال تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وقال الضحاك عن ابن عباس في طغيانهم يعمهون جرير والصواب نزيدهم على وجه الإملاء والتارك لهم في عتوهم وتمردهم كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. قال ابن لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال بعضهم كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة وهي في الحقيقة نقمة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يمدهم يملي لهم وقال مجاهد يزيدهم وقال تعالى أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات؟ بل منهم وقوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من ابن عباس وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو عثمان حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى الله يستهزئ بهم قال يسخر بهم للنقمة وجه اللعب والعبث منتف عن الله عز وجل بالإجماع وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يتمتع ذلك. قال وبنحو ما قلنا فيه روي الخبر عن دمائهم وأمواهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنكال. ثم شرع ابن جرير يوجه هذا القول وينصره لأن المكر والخداع والسخرية على عليه وآله وسلم وما جاء به وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزؤون فأخبر تعالى أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا يعني من عصمة من نظائر ذلك. قال وقال آخرون إن معنى ذلك أن الله أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فالأول ظلم والثاني عدل فهما وإن اتفق لفظهما فقد اختلف معناهما قال وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ وإن اختلف المعنيان كما قال تعالى جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقوله نسوا الله فنسيهم وما أشبه ذلك إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مخرج بهم وقال آخرون قوله تعالى إنما نحن مستهزؤون الله يستهزئ بهم وقوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله فيسخرهم منهم سخر الله منهم و قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين والله يستهزئ بهم على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزؤ. والمعنى أن المكر والهزء حاق هذا وأمثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به أنا الذي خدعتك. ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه قالوا وكذلك به عند قائل هذا القول ومتأول هذا التأويل قال: وقال آخرون بل استهزؤهم بهم توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به قال: وقال آخرون نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما الآية قال فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الآية وقوله تعالى ولا يحسن الذين كفروا أنما يعمهون وقال ابن جرير أخبر تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وكذلك قال الربيع بن أنس وقتادة. وقوله تعالى جوابا لهم ومقابلة على صنيعهم الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم

الشرعية من جميع وجوها ولعلكم تهتدون أي إلى ما ضلت عنه الأمم هديناكم إليه وخصصناكم به ولهذا كانت هذه الأمة أشرف الأمم وأفضلها. 150 أن يخشى منه: وقوله ولأتم نعمتي عليكم عطف على لئلا يكون للناس عليكم حجة أي لأتم نعمتي عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم لا يخرج عن أمر الله طرفه عين وأتمه تبع له وقوله فلا تخشوه وخشوني أي لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين وأفردوا خشية لي فإنه تعالى هو أهل فأطاع ربه تعالى في ذلك ثم صرفه إلى قبلة إبراهيم وهي الكعبة فامتثل أمر الله في ذلك أيضا فهو صلوات الله وسلامه عليه مطيع لله في جميع أحواله كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم فلم رجع عنه والجواب أن الله تعالى اختار له التوجه إلى البيت المقدس أولا لما له تعالى في ذلك من الحكمة هؤلاء في قوله إلا الذين ظلموا منهم يعني مشركي قريش ووجه بعضهم حجة الظلمة وهي داحضة أن قالوا إن هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم فإن الحرام أن قالوا سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس وقتادة والسدي نحو هذا وقال الكتاب حين قالوا صرف محمد إلى الكعبة: وقالوا اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم انصرافه إلى البيت على المسلمين ولئلا يحتجوا بموافقة المسلمين إياهم في التوجه إلى بيت المقدس وهذا أظهر قال أبو العالية لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني به أهل أعلم: وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة أي أهل الكتاب فإنهم يعلمون من صفة هذه الأمة التوجه إلى الكعبة فإذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها التي هي أشرف وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول إليها وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار وقد بسطها الرازي وغيره والله كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم عليه السلام إلى الكعبة وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة إبراهيم الله يحبه ويرتضيه وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم وقد كانوا يعلمون بما في ربك وما الله بغافل عما تعملون فذكر أنه الحق من الله وارتقاءه المقام الأول حيث كان موافقا لرضا الرسول صلى الله عليه وسلم فبين أنه الحق أيضا من قال في الأمر الثاني ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من

تفسير ابن كثير

دار البوار قال ابن عباس يعني بنعمة الله محمدا صلى الله عليه وسلم ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره. 151
فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم الآية وذلك من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم
سفارتهم إلى حال الأولياء وسجاياء العلماء فصاروا أعمق الناس علما وأبرهم قلوبا وأقلهم تكلفا وأصدقهم لهجة وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث
الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء فانتقلوا ببركة رسالته ويمن
وسلم إليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات يزيكهم أي يطهرهم من زنايل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم
يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه

بعده فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنعم الله عليه نعمة فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه وقال روح مرة: على عبده. 152
شعبة عن الفضيل بن فضالة رجل من قيس حدثنا أبو رجاء العطاردي قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا
الله تعالى بشكره ووعده على شكره بمزيد الخير فقال وإذ تأذن ربكم لنن شكرتم لأزيدنكم ولنن كفرتم إن عذابنا لشديد وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا
وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة صحيح الإسناد أخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة الله أقرب بالرحمة: وقوله واشكروا لي ولا تكفرون أمر
وإن ذكرتني في ما ذكرتك في ما من الملائكة أو قال في ما خير منه وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي
من ذكركم إياه وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرتني في نفسي ومن ذكرني في ما ذكرتني في ما خير منه قال الإمام أحمد
لكم على نفسي وعن سعيد بن جبير أذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وفي رواية برحمتي وعن ابن عباس في قوله أذكروني أذكركم قال ذكر الله إياكم أكبر
تعالى فأذكروني أذكركم قال إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت وقال الحسن البصري في قوله فأذكروني أذكركم قال أذكروني فيما أوجب
يزيد بن هرون أخبرنا عمارة الصيدلاني أخبرنا مكحول الأزدي قال: قلت لابن عمر أرايت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله وقد قال الله
قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قال هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح أخبرنا
نسيتني فقد كفرتني قال الحسن البصري وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس إن الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره ويعذب من كفره وقال بعض السلف في
بن وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك؟ قال له ربه: تذكرني ولا تنساني فإذا ذكرتني فقد شكرتني وإذا
قال مجاهد في قوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يقول كما فعلت فأذكروني قال عبدالله

وقال سعيد بن جبير الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر. 153
معصية الله حتى توفانا الله قالوا أنتم كما قلتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين قلت ويشهد لهذا قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب
فيقولون إلى الجنة فيقولون وقبل الحساب؟ قالوا نعم قالوا ومن أنتم؟ قالوا نحن الصابرون قالوا وما كان صبركم؟ قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن
جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب؟ قال فيقوم عنق من الناس فيتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين يا بني آدم؟
والأبدان والصبر لله عما كره وإن نازعت إليه الأهواء فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم إن شاء الله: وقال علي بن الحسين زين العابدين إذا
المصائب والنوائب فذاك أيضا واجب كالاستغفار من المعاييب كما قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: الصبر في بابين الصبر لله بما أحب وإن ثقل على الأنفس
أمر صلى والصبر صبران فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل الطاعات والقربات والثاني أكثر ثوابا لأنه المقصود وأما الصبر الثالث وهو الصبر على
والصلاة كما تقدم في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه
إلا كان خيرا له: إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وبين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر
والاستعانة بالصبر والصلاة فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في الحديث عجا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء
لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر والإرشاد

يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه فيه دلالة لعموم المؤمنين أيضا وإن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفا لهم وتكريما وتعظيما. 154
الإمام مالك عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى
أخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون. وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن
تعط أحدا من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة
في الجنة حيث شئت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون؟ فقالوا يا ربنا وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم
سبيل الله أموات بل أحياء يخبر تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون كما جاء في صحيح مسلم إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح
وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في

أن المراد من الخوف ههنا خوف الله وبالجوع صيام رمضان وبنقص الأموال الزكاة والأنفس الأمراض والثمرات الأولاد وفي هذا نظر والله أعلم. 155
غير واحدة وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده فمن صبر أثابه ومن قنط أحل به عقابه ولهذا قال تعالى وبشر الصابرين وقد حكى بعض المفسرين
بعضها والأنفس كموت الأصحاب والأقارب والأحباب والثمرات أي لا تغل الحقائق والمزارع كعادتها قال بعض السلف: فكانت بعض النخيل لا تثمر

تفسير ابن كثير

كل منهما يظهر ذلك عليه ولهذا قال لباس الجوع والخوف وقال ههنا بشيء من الجوع أي بقليل من ذلك ونقص من الأموال أي ذهاب منكم والصابرين ونبلو أخباركم فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع كما قال تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فإن الجائع والخائف أخبرنا تعالى أنه يبتلي عباده: أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين

في عبيده بما يشاء وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة. 156 تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أي تسلاوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف بين

إسحاق عن عبدالله بن المبارك فذكره وهكذا رواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال حسن غريب واسم أبي سنان عيسى بن سنان. 157 ولد عبيد قبضت قرة عينه وثمره فؤاده؟ قال نعم قال فما قال؟ قال: حمدك واسترجع قال: ابنو له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ثم رواه عن علي بن ألا أبشرك قلت بلى قال: حدثني الضحاك بن عبدالرحمن بن عازب عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله: يا ملك الموت قبضت أنا يحيى بن إسحاق السيلحيني أنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: دفنت ابنا لي فإني لفي القبر إذ أخذ بيدي أبو طلحة يعني الخولاني فأخرجني وقال لي: عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها وقد رواه إسماعيل بن علية ويزيد بن هرون عن هشام بن زياد عن أبيه كذا عن فاطمة عن أبيها وقال الإمام أحمد لذلك استرجاعا إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب ورواه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن هشام بن زياد الحسين بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها وقال عباد قدم عهدها فيحدث صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد وعباد بن عباد قال حدثنا هشام بن أبي هشام حدثنا عباد بن زياد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها إلا أجره الله في مصيبتيه وأخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أم سلمة بعد: أبدلني الله بآبي سلمة خيرا منه: رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عنها أنها قالت: الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي قالت: فقد سلمت لا يكون بك الرغبة ولكني امرأة في غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبني الله به وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال فقال أما ذكرت من إهابا لي فغسلت يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعدها عليها فخطبني إلى نفسي فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بي أن وأخلف لي خيرا منها ثم رجعت إلى نفسي فقلت من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلما أنقضت عدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها إلا فعل ذلك به قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتى وسلم فقال: لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به قال: لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبتيه ثم يقول: اللهم سعد عن يزيد بن عبدالله حدثنا أسامة بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت: أتاني أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول إنا لله وأنا إليه راجعون عند المصائب أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث يعني ابن هم المهتدون فهذه العلوة وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل فذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا. وقد ورد في ثواب الاسترجاع وأولئك هم المهتدون قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم العلوة أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة فهذان العدلان وأولئك لهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة أي ثناء من الله عليهم قال سعيد بن جبيرة: أي أمانة من العذاب

أي يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدا ثوابه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما. 158 تطوع أو عمرة تطوع وقيل المراد تطوع خيرا في سائر العبادات حكى ذلك الرازي وعزى الثالث إلى الحسن البصري والله أعلم وقوله فإن الله شاكر عليم كما فعل بهاجر عليها السلام. وقوله فمن تطوع خيرا قيل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثمانية وتسعة ونحو ذلك وقيل يطوف بينهما في حجة يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبته عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه وأن يلتجئ إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب وأن فقيرة إلى الله عز وجل حتى كشف الله كربتها وأنس غربتها وفرج شدتها وأنوع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم وشفاء سقم فالساعي بينهما ينبغي الضيعة هنالك ونفذ ما عندهما قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تتردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذلة خائفة وجلة مضطرة بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نفذ ماؤهما وزادها حين تركهما إبراهيم عليه السلام هنالك وليس عندهما أحد من الناس فلما خافت على ولدها الصفا والمروة من شعائر الله أي مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وتردادها لابد من فعله في الحج إلا ما خرج بدليل والله أعلم وقد تقدم قوله عليه السلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي فقد بين الله تعالى أن الطواف بين بقوله تعالى فمن تطوع خيرا والقول الأول أرجح لأنه عليه السلام طاف بينهما وقال لتأخذوا عني مناسككم فكل ما فعله في حجته تلك واجب بل مستحب وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس وحكي عن مالك في العتبية قال القرطبي واحتجوا ومن وافقه ورواية عن أحمد وهو المشهور عن مالك وقيل إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمدا وسهوا جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة وقيل

تفسير ابن كثير

يقول كتب عليكم السعي فاسعوا وقد استدلل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعي أخبرنا معمر عن واصل مولى أبي عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبه أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة وهو وراءهم وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره وهو يقول اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي ثم رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق: عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبه عن حبيبة بنت أبي تجزئة قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه والمروة من شعائر الله ثم قال ابدأ بما بدأ الله به وفي رواية النسائي ابدءوا بما بدأ الله به وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا عبد الله بن المؤمل حديث جابر الطويل وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول إن الصفا بالصفا والمروة يستلمهما ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة: حيث ينبخ الأشعرون ركابهم لمفضى السيول من أساف ونائل وفي صحيح مسلم من داخل الكعبة فمسحوا حجرتين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبداً ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هناك فكان من طاف وكانوا يستلمونهما فخرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما فنزلت هذه الآية قلت ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن إسافاً ونائلة كانا بشرين فزنيا آلهة فلما جاء الإسلام سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطواف بينهما فنزلت هذه الآية وقال الشعبي: كان إساف على الصفا وكانت نائلة على المروة عز وجل إن الصفا والمروة من شعائر الله وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس قال: كانت الشياطين تفرق بين الصفا والمروة الليل كله وكانت بينهما يوسف حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنسا عن الصفا والمروة؟ قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله فلعنهما نزلت في هؤلاء وهؤلاء ورواه البخاري من حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم ثم قال البخاري: حدثنا محمد بن من الأنصار إنما أمرك بالطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله قال أبو بكر بن عبد الرحمن سمعته ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يقولون إن الناس إلا من ذكرت عائشة كانوا يقولون إن طوافنا بين هذين الحجرتين من أمر الجاهلية وقال آخرون بهما أخرجهما في الصحيحين وفي رواية عن الزهري أنه قال فحدثت بهذا الحديث أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال إن هذا العلم ما كنت فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل إن الصفا والمروة من شعائر الله كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول أن لا يتطوف بهما فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت إن الأنصار قال: قلت أرأيت قول الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قلت فوالله ما على أحد جناح قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أخبرنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عروة عن عائشة

يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون واللاعنون أيضاً وهم كل فصيح وأعجمي إما بلسان المقال أو الحال أن لو كان له عقل ويوم القيامة والله أعلم. 159 اللاعنون يعني تلعنهم الملائكة والمؤمنون وقد جاء في الحديث إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر وجاء في هذه الآية أن كاتم العلم والإنس وقال مجاهد إذا أجدبت الأرض قال البهائم هذا من أجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ويلعنهم يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون يعني دواب الأرض ورواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن عامر بن محمد به وقال عطاء بن أربي رباح: كل دابة والجن الله عليه وسلم في جنازة فقال إن الكافر يضرب ضربة بين عيني يسمعها كل دابة غير الثقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى أولئك حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد عن ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان بن عمرو عن البراء بن عازب قال: كنا مع النبي صلى والذي في الصحيح عن أبي هريرة أنه قال لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداً شيئاً إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى الآية وقال ابن أبي المسند من طرائق يشد بعضها بعضاً عن أبي هريرة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ذلك فكما أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء فهؤلاء بخلاف العلماء فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقد ورد في الحديث لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله قال أبو العالية نزلت في أهل الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى

الجماعة إلى الفرقة ومن الأمن إلى الخوف ومن السنة إلى البدعة وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله سواء. 16 وقال ابن جرير حدثنا بشير حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قد والله رأيتهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن أنواع وأقسام ولهذا قال تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين أي راشدين في صنيعهم ذلك. عنه إلى الكفر كما قال تعالى فيهم ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم فإنهم بالضلالة وهو معنى قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أي بذلوا الهدى ثمناً للضلالة وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع في ثمود فأمّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وحاصل قول المفسرين فيما تقدم أن المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضلال واعتاضوا عن الهدى بالضلالة بالهدى أي الكفر بالإيمان وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة: استحبوا الضلالة على الهدى. وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى الضلالة بالهدى قال أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أولئك الذين اشتروا

تفسير ابن كثير

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أولئك الذين اشتروا بل هو متواصل دائم فنعوذ بالله من ذلك قال أبو العالية وقتادة إن الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون. 160

القيامة ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي لا يخفف عنهم العذاب فيها أي لا ينقص عماهم فيه ولا هم ينظرون أي لا يغير عنهم ساعة واحدة ولا يفتر عليه ثم أخبر تعالى عن كفر به وأستمر به الحال إلى مماته بأن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها أي في اللعنة التابعة لهم إلى يوم إلى الله تاب الله عليه وقد ورد أن الأمم السابقة لم تكن التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه كانوا فيه وأصلحوا أعمالهم وبينوا للناس ما كانوا يكتُمونه فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم وفي هذا دلالة على أن الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب إليه فقال إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا أي رجعوا عما

ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن والله أعلم. 161

أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف وأستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيحده فقال رجل لعنه الله بالآية إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقالت طائفة أخرى: بل يجوز لعن الكافر المعين أختاره الفقيه بعده من الأئمة يلعنون الكفرة في القنوت وغيره فأما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن لأنا لا ندري بما يختتم الله له وأستدل بعضهم فصل لا خلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن

ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن والله أعلم. 162

أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف وأستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيحده فقال رجل لعنه الله بالآية إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقالت طائفة أخرى: بل يجوز لعن الكافر المعين أختاره الفقيه بعده من الأئمة يلعنون الكفرة في القنوت وغيره فأما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن لأنا لا ندري بما يختتم الله له وأستدل بعضهم فصل لا خلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن

هو الحي القيوم ثم ذكر الدليل على تفرد بالإلهية بخلق السموات والأرض وما فيها وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته. 163

السكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اسم الله الأعظم في هذين الآيتين وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم والم الله لا إله إلا الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. وقد تقدم تفسير هذين الاسمين في أول الفاتحة وفي الحديث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد يخبر تعالى عن تفرد بالإلهية وإنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد

واختلاف الليل والنهار إلى قوله يعقلون ورواه آدم بن أبي إياس عن أبي جعفر هو الرازي عن سعيد بن مسروق والد سفيان عن أبي الضحى به. 164

عن أبي الضحى قال: لما نزلت وإلهكم إله واحد إلى آخر الآية قال المشركون إن كان هكذا فليأتنا بأية فأنزل الله عز وجل إن في خلق السموات والأرض بما ينفع الناس إلى قوله لآيات لقوم يعقلون فبهذا يعلمون أنه إله واحد وأنه إله كل شيء وخالق كل شيء وقال وكيع بن الجراح: حدثنا سفيان عن أبيه فقال كفار قريش بمكة كيف يسع الناس إله واحد فأنزل الله تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم آخر عن جعفر بن أبي المغيرة به وزاد في آخره: وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم من الصفا وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي فأنزل الله هذه الآية إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الآية ورواه ابن أبي حاتم من وجه الصفا ذهباً على أنهم إن لم يؤمنوا بك عذبهم عذاباً لم يعذب به أحداً من العالمين قال محمد صلى الله عليه وسلم رب لا بل دعني وقومي فلأدعهم يوماً بيوم والسلاح فنؤمن بك ونقاتل معك قال أوتقوا لي لئن دعوت ربي فجعل لكم الصفا ذهباً لتؤمنن بي فأوتقوا له فدعا ربه فاتاه جبريل فقال إن ربك قد أعطاهم سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتت قريش محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد إنا نريد أن تدعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً فنشتري به الخيل أبو بكر بن مردويه: أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو سعيد الدشتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن

الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم يتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار وقال الحافظ تعالى لآيات لقوم يعقلون أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى ذلك يطول ههنا والله أعلم والسحاب المسخر بين السماء والأرض أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه وجه الكعبة وتارة دبورا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة. وقد صنف الناس في الرياح والمطر والأنواء كتباً كثيرة فيما يتعلق بلغاتها وأحكامها وبسط وتارة تسوقه وتارة تجمعها وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية وتارة تأتي من ناحية اليمن وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وتصريف الرياح أي فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله موتها كما قال تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكولون إلى قوله ومما لا يعلمون وبث فيها من كل دابة أي على

تفسير ابن كثير

جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء وما عند أولئك إلى هؤلاء وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد النهار في الليل أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان كما قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثواب ودوران فلكها وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها يقول تعالى إن في خلق السموات والأرض تلك

ولم يجدوا عن النار معدلا ولا مصرفا. قال عطاء عن ابن عباس وتقطعت بهم الأسباب قال المودة: وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح. 165
أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم وقوله ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب أي عاينوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون وقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صدناكم عن في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وقال تعالى ولو نرى إذ الظالمون موقوفون واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الخليل لقومه إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون والجن أيضا تتبرأ منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى ومن أضل اتبعوا من الذين اتبعوا تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا فتقول الملائكة تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ويقولون الأمر الفطيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهاوا عما هم فيه من الضلال ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وترى المتبوعين من التابعين فقال إذ تبرأ الذين وغلبنه وسلطانه وأن الله شديد العذاب كما قال فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يقول لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من القوة لله جميعا قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا أي أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وحده ويتوكلون عليه ويلجئون في جميع أمورهم إليه. ثم تودع تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن تجعل لله ندا وهو خلقك وقوله والذين آمنوا أشد حبا لله ولحبهم لله وتام معرفتهم به وتوحيدهم لا يشركون به شيئا بل يعبدونه ويحبونهم كحبه هو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أي أمثالا ونظراء يعبدونهم معه

ولم يجدوا عن النار معدلا ولا مصرفا. قال عطاء عن ابن عباس وتقطعت بهم الأسباب قال المودة: وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح. 166
بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم وقوله ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب أي عاينوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون وقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صدناكم عن في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وقال تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الخليل لقومه إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون والجن أيضا تتبرأ منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى ومن أضل اتبعوا من الذين اتبعوا تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا فتقول الملائكة تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ويقولون الأمر الفطيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهاوا عما هم فيه من الضلال ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وترى المتبوعين من التابعين فقال إذ تبرأ الذين وغلبنه وسلطانه وأن الله شديد العذاب كما قال فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يقول لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من القوة لله جميعا قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا أي أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وحده ويتوكلون عليه ويلجئون في جميع أمورهم إليه. ثم تودع تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن تجعل لله ندا وهو خلقك وقوله والذين آمنوا أشد حبا لله ولحبهم لله وتام معرفتهم به وتوحيدهم لا يشركون به شيئا بل يعبدونه ويحبونهم كحبه هو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال

تفسير ابن كثير

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أي أمثالا ونظراء يعبدونهم معه

في يوم عاصف الآية. وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ولهذا قال تعالى وما هم بخارجين من النار. 167
أي تذهب وتضمحل كما قال تعالى وقدمننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
وهم كاذبون في هذا بل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك ولهذا قال كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم
لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرزوا منا أي لو أن لنا عودة إلى الدار الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتفت إليهم بل نوحده الله وحده بالعبادة:
الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار وقوله وقال الذين اتبعوا

أبو نعيم عن شريك عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما كان من يمين أو نذر في غضب فهو من خطوات الشيطان وكفارته كفارة يمين. 168
من خطوات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفضه امرأة في المدينة وأتيت عاصما وابن عمر فقالا مثل ذلك وقال عبد بن حميد حدثنا
أبي رافع قال: غضبت يوما على امرأتي فقالت هي يوما يهودية ويوما نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك. فأتيت عبدالله بن عمر فقال إنما هذه
مسعود هذا من خطوات الشيطان فاطعم وكفر عن يمينك رواه ابن أبي حاتم وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبدالله المصري عن سليمان التيمي عن
يأكل فاعتزل رجل من القوم فقال ابن مسعود ناولوا صاحبكم فقال لا أريده فقال: أصائم أنت؟ قال لا قال: فما شأنك؟ قال حرمت أن أكل ضرا أبدأ فقال ابن
نذر رجل أن ينحر ابنه فأفاته مسروق بذبح كبش وقال هذا من خطوات الشيطان وقال أبو الضحى عن مسروق أتى عبدالله بن مسعود بضرع وملح فجعل
لله فهي من خطوات الشيطان وقال عكرمة: هي نزغات الشيطان وقال مجاهد خطؤه أو قال خطاياه: وقال أبو مجلز هي النذور في المعاصي وقال الشعبي
وقال تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقال قتادة والسدي في قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان كل معصية
أولى به. وقوله إنه لكم عدو مبين تنفير عنه وتحذير منه كما قال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير
مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وأياما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار
الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا فقام سعد بن أبي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال يا سعد أطب مطعمك تكن
حدثنا أبو عبدالله الجوزجاني رفيق إبراهيم بن أدهم حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: تليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها
ما أحلت لهم وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عيسى بن شعبة المصري حدثنا المصري بن عبدالرحمن الاحتياطي
قال يقول الله تعالى إن كل مال منحت عبادي فهو لهم حلال وفيه وإنى خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم
والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينة لهم في جاهليتهم كما في حديث عياض بن حماد الذي في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
الله طيبا أي مستطابا في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر
أنه لا إله إلا هو وأنه المستقل بالخلق شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالا من
لما بين تعالى

الشيطان بالأفعال السيئة وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضا. 169
قوله إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أي إنما يأمركم عدوكم

يضرهم وهو الإحراق والدخان وتركهم في الظلمات وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق لا يبصرون لا يهتدون إلى سبيل خير ولا يعرفونها. 17
صم بكم عمي فهم لا يرجعون وهذا أفصح في الكلام وأبلغ في النظام وقوله تعالى ذهب الله بنورهم أي ذهب عنهم بما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما
القوم يا أم خالد قلت وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع في قوله تعالى فلما أضأت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.
استوقدوا نارا وقال بعضهم المستوقد واحد لجماعة معه وقال آخرون الذي هاهنا بمعنى الذين كما قال الشاعر: وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل
إلا كنفس واحدة وقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقال بعضهم تقدير الكلام مثل قصتهم كقصة الذين
بالواحد كما قال رأيته ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي كدوران الذي يغشى عليه من الموت. وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم
لا يفقهون فلماذا وجه هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظهوره من كلمة الإيمان أي في الدنيا ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة. قال: وصح ضرب مثل الجماعة
لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه وطبع على قلوبهم ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية هاهنا وهي قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم
تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم وهذا لا ينفي أنه كان حصل
ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين. وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات واحتج بقوله
أعلم. وقد حكى هذا الذي قلناه الرازي في تفسيره عن السدي ثم قال والتشبيه هاهنا في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بنفاقهم ثانيا أبطلوا
في استبدالهم عوضا عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشd. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله
شديد لا يبصر ولا يهتدي وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعمى لو كان ضياء لما أبصر فلماذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون
البصيرة إلى العمى بمن استوقد نارا فلما أضأت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينما هو كذلك إذ طفت ناره وصار في ظلام
قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد

يقال مثل ومثل ومثيل أيضا والجمع أمثال

الإسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فأنزل الله هذه الآية. ثم ضرب لهم تعالى مثلا كما قال تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء. 170 ابن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنها نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قال الله تعالى منكرا عليهم أولو كان آباؤهم أي الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون أي ليس لهم فهم ولا هداية. وروى ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل قالوا في جواب ذلك بل نتبع ما ألفينا أي ما وجدنا عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام والأنداد. يقول تعالى: وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين اتبعوا

لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه كما قال تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ الله يجعله على صراط مستقيم. 171 تبصره ولا بطش لها ولا حياة فيها. وقوله صم بكم عمي أي صم عن سماع الحق بكم لا يتفوهون به عمي عن رؤية طريقه ومسلكه فهم لا يعقلون أي وقيل إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا اختاره ابن جرير والأول أولى لأن الأصنام لا تسمع شيئا ولا تعقله ولا تفهمه بل إنما تسمع صوته فقط: هكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو هذا. كفروا أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا نطق بها راعيا أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا قال ومثل الذين

ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟ ورواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث فضيل بن مرزوق. 172 صالحا إني بما تعملون عليم وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول طيبات ما رزقهم تعالى وأن يشكروه تعالى على ذلك إن كانوا عبيده والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالأكل من

عزيمة لا رخصة قال أبو الحسن الطبري: المعروف بالكيا الهراسي رفيق الغزالي في الاشتغال وهذا هو الصحيح عندنا كالإفطار للمريض ونحو ذلك. 173 الاضطراب وقال وكيع أخبرنا الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: من اضطر فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار وهذا يقتضي أن أكل الميتة للمضطر عليه إن الله غفور فيما أكل من اضطرار وبلغنا والله أعلم أنه لا يزداد على ثلاث لقم وقال سعيد بن جبيرة: غفور لما أكل من الحرام رحيم إذ أحل له الحرام في الله عليه وسلم عن الثمر المعلق فقال من أصاب منه من ذي حاجة بغيره غير متخذ خبنة فلا شيء عليه الحديث: وقال مقاتل بن حيان في قوله فلا إثم ثوبه وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق إسناده صحيح قوي جيد وله شواهد كثيرة من ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سئل رسول الله صلى الحائط فضربني وأخذ ثوبي فأثيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال للرجل ما أطعمته إذ كان جائعا ولا علمته إذ كان جاهلا فأمره فرد إليه سمعت عباد بن شرحبيل العنزي قال: أصابتنا عاما مخمصة فأثيت المدينة فأثيت حائطا فأخذت سنبلًا ففركته وأكلته وجعلت منه في كسائي فجاء صاحب قال وإذا أكله والحالة هذه هل يضمن أم لا؟ فيه قولان هما روايتان عن مالك ثم أورد من سنن ابن ماجه من حديث شعبة عن أبي إياس جعفر بن أبي وحشية اختياره. مسألة إذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير بحيث لا قطع فيه ولا أذى فإنه لا يحل له أكل الميتة بل يأكل طعام الغير بغير خلاف كذا قال ثم قال غير باغ في الميتة أي في أكله أن يتعدى حلالا إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة. وحكى القرطبي عن مجاهد في قوله فمن اضطر أي أكره على ذلك بغير لا يشبع منها وفسره السدي بالعدوان وعن ابن عباس غير باغ ولا عاد قال غير باغ في الميتة ولا عاد في أكله وقال قتادة فمن اضطر غير باغ ولا عاد من الميتة لبشته ولا يطبخه ولا يأكل إلا العلقة ويحمل معه ما يبلغه الحلال فإذا بلغه ألقاه وهو قوله ولا عاد ويقول لا يعدو به الحلال وعن ابن عباس باغ يعني غير مستحله وقال السدي غير باغ يبتغي فيه شهوته وقال آدم بن أبي إياس حدثنا ضمرة عن عثمان بن عطاء وهو الخراساني عن أبيه قال: لا يشوى ومن خرج باغيا أو عاديا أو في معصية الله فلا رخصة له وإن اضطر إليه وكذا روي عن سعيد بن جبيرة وقال سعيد في رواية عنه ومقاتل بن حيان: غير إثم عليه أي في أكل ذلك إن الله غفور رحيم وقال مجاهد فمن اضطر غير باغ ولا عاد قاطعا للسبيل أو مفارقا للأئمة أو خارجا في معصية الله فله الرخصة تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج إليها عند فقد غيرها من الأطعمة فقال فمن اضطر غير باغ ولا عاد أي في غير باغ ولا عدوان وهو مجاوزة الحد فلا عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عما يذبحه العجم لأعيادهم فيهدون منه للمسلمين فقالت: ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا منه وكلوا من أشجارهم. ثم أباح تعالى عن ابن عطية أنه نقل عن الحسن البصري أنه سئل عن امرأة عملت عرسا للعبا فحرت فيه جزورا فقال لا تؤكل لأنها ذبحت لصنم وأورد القرطبي عن حرم عليهم ما أهل به لغير الله وهو ما ذبح على غير اسمه تعالى من الأضصاب والأنداد والأزلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له. وذكر القرطبي حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكي أو مات حتف أنفه ويدخل شحمه في حكم لحمه إما تغليبا أو أن اللحم يشمل ذلك أو بطريق القياس على رأي. وكذلك صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وكذلك النجاسة إذا خالط الكثير من المائع. قد روى ابن ماجه عن حديث سيف بن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي رضي الله عنه: سئل رسول الله والمشهور عندهم أنها نجسة وقد أوردوا على أنفسهم أكل الصحابة من جبن المجوس فقال القرطبي في التفسير ههنا يخالط اللبن منها يسير ويعفى عن قليل

تفسير ابن كثير

الميتة وبيضها المتصل بها نجس عند الشافعي وغيره لأنه جزء منها. وقال مالك في رواية هو طاهر إلا أنه ينجس بالمجاورة وكذلك أنفحة الميتة فيها الخلاف حديث ابن عمر مرفوعاً أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وسيأتي تقرير ذلك إن شاء الله في سورة المائدة. مسئلة ولبن العنبر في الصحيح وفي المسند والموطأ والسنن قوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وروى الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني أو نطيحة أو عدا عليها السبع وقد خصص الجمهور من ذلك ميتة البحر لقوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه على ما سيأتي إن شاء الله وحديث وأرشدكم إلى الأكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا الميتة وهي التي تموت حتف أنفها من غير تذكية وسواء كانت منخنقة أو موقوذة أو متردية ولما امتن تعالى عليهم برزقه

هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر. 174 فلا ينظر إليهم ولا يزكهم أي يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذاباً أليماً وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه ههنا حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي بطنه نار جهنم وقوله ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم وذلك لأنه تعالى غضبان عليهم لأنهم كتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب نارا وسيصلون سعيراً وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نارا تأجج في بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ذلك هذه الآية الكريمة إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً وهو عرض الحياة الدنيا وأولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار أي والدلائل القاطعات فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عوناً له على قتالهم وباءوا بغضب على غضب وذهمهم الله في كتابه في غير موضع فمن جاء عن الله بذلك النذر اليسير فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات فكتموا ذلك على إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نذر يسير فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم فخشوا لعنهم الله أن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له الرسالة والنبوّة فكتموا يقول تعالى إن

من العذاب والنكال والأغلال عياداً بالله من ذلك وقيل معنى قوله فما أصبرهم على النار أي فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار. 175 المذكورة: وقوله تعالى فما أصبرهم على النار يخبر تعالى أنهم في عذاب شديد عظيم هائل يتعجب من رأيهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته في كتبهم والعذاب بالمغفرة أي اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من أسبابه الضلالة بالهدى أي اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه استبدلوا عن قال تعالى مخبراً عنهم أولئك الذين اشتروا

الله المنزل على رسله فهذا استحقوا العذاب والنكال ولهذا قال ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد. 176 وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلى الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهم يكذبونه ويخالفونه ويجحدونه ويكتمون صفته فاستهزؤا بآيات الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وإبطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فكتابهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره فخالفوه وكذبوه قوله تعالى ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أي إنما استحقوا هذا العذاب الشديد لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد صلى

في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا وأولئك هم المتقون لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات. 177 هذه الأحوال لشدة وصعوبته والله أعلم وهو المستعان وعليه التكلان: وقوله أولئك الذين صدقوا أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم وإنما نصب الصابرين على المدح والحث على الصبر في حال المرض والأسقام وهو الضراء وحين البأس أي في حال القتال والتقاء الأعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد الحديث الآخر إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وقوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أي في حال الفقر وهو البأساء وفي يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وعكس هذه الصفة النفاق كما صح الحديث آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان وفي والبر والصلة ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس أن في المال حقاً سوى الزكاة والله أعلم. وقوله والموفون بعهدهم إذا عاهدوا كقوله الذين ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع زكاها وقد خاب من دساها وقول موسى لفرعون: هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي وقوله أتى الزكاة يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله قد أفلح من أبا حمزة ميمونا الأعور وقد رواه سيار لإسماعيل بن سالم عن الشعبي وقوله وأقام الصلاة أي وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بروكوعها وسجودها وطمأنيتها في المال حق سوى الزكاة ثم قرأ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب إلى قوله وفي الرقاب وأخرج ابن ماجه والترمذي وضعف من حديث آدم بن إياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني فاطمة بنت قيس أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفي المال حق سوى الزكاة؟ قالت فتلا علي وآتى المال على حبه. ورواه ابن مردويه

تفسير ابن كثير

الأصناف في آية الصدقات من براءة إن شاء الله تعالى. وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي يحيى بن عبد الحميد حدثنا شريك عن أبي حمزة عن الشعبي للسائل حق وإن جاء على فرس رواه أبو داود وفي الرقاب وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم وسيأتي الكلام على كثير من هذه عم مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال عبد الرحمن حسين بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقاتل بن حيان والسائلين وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قال: حدثنا سفيان أنه قال: ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهري والربيع بن أنس ما يوصله إلى بلده وكذا الذي يريد سفرا في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه ويدخل في ذلك الضيف كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واللقة واللقتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وابن السبيل وهو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما تسد به حاجتهم وختهم وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمران عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يتم بعد حلم والمساكين وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون لا كاسب لهم وقد مات آبائهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقد قال: عبد الرزاق أنبأنا معمر عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة نوي الرحم ثنتان صدقة وصلة فهم أولى الناس بك برك وإعطائك وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهم في غير موضع من كتابه العزيز واليتامى هم الذين ما هم محبون له وقوله نوي القربى وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت في الحديث الصدقة على المساكين صدقة وعلى مما تحبون وقوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة نمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال تعالى لن تتألفوا البر حتى تنفقوا قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قلت وقد رواه وكيع عن الأعمش وسفيان عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح والله أعلم. عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتى المال على حبه أن تعطيه وأنت صحيح وتخشى الفقر ثم مرفوعا أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر. وقد روى الحكم في مستدركه من حديث شعبة والثوري عن منصور أي أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبيرة وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وقوله وآتى المال على حبه السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ الخير كله وهو الإيمان بالله وأنه لا إله إلا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله والكتاب وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من الثوري: ولكن البر من آمن بالله الآية قال هذه أنواع البر كلها وصدق رحمه الله فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع بن أنس مثله. وقال مجاهد: ولكن البر ما ثبت في القلوب من طاعة الله عز وجل وقال الضحاك: ولكن البر والتقوى أن تؤدوا الفرائض على وجوها وقال تقبل قبل المشرق فقال الله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب يقول هذا كلام الإيمان وحقيقته العمل وروي عن الحسن والربيع ونزلت الفرائض والحدود فأمر الله بالفرائض والعمل بها وروي عن الضحاك ومقاتل نحو ذلك وقال أبو العالية: كانت اليهود تقبل قبل المغرب وكانت النصرانية لحوما ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة الله وشرعه ولهذا قال ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الآية كما قال في الأضاحي والهدايا لن ينال حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتنال أوامره والتوجه وهذا أيضا منقطع والله أعلم. وأما الكلام على تفسير هذه الآية فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة شق ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار بيده المؤمن إذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها وإذا عمل سيئة أجزنته وخاف عقابها رواه ابن مردويه عن البر سألتك فقال أبو ذر. جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتني عنه فقرا عليه هذه الآية فأبي أن يرضى كما أبيت أن ترضى حدثنا القاسم بن عبد الرحمن قال جاء رجل إلى أبي ذر فقال ما الإيمان؟ فقرا عليه هذه الآية ليس البر أن تولوا وجوهكم حتى فرغ منها فقال الرجل ليس عليه ثم سأله فقال: إذا عملت حسنة أحبها قلبك وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك وهذا منقطع فإن مجاهدا لم يدرك أبا ذر فإنه مات قديما وقال المسعودي: عن مجاهد عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ فتلا عليه ليس البر أن تولوا وجوهكم إلى آخر الآية قال: ثم سأله أيضا فتلاها وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد بن هشام الحلبي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عامر بن شفي عن عبد الكريم اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة

عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعافي رجلا قتل بعد أخذ الدية يعني لا أقبل منه الدية بل أقتله. 178 يقتص وإما أن يعفو وإما أن يأخذ الدية فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها رواه أحمد وقال سعيد بن أبي عروبة بن فضيل عن سفيان بن أبي العوجاء عن أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بقتل أو خبل فإنه يختار إحدى ثلاث إما أن ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان أنه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية كما قال محمد بن إسحاق عن الحارث

تفسير ابن كثير

وقوله فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فله عذاب من الله أليم موجع شديد وهكذا روي عن ابن عباس وكان أهل الإنجيل إنما هو عفو أمروا به وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والأرش وهكذا روي عن سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس نحو هذا وقال قتادة ذلك تخفيف من ربكم رحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية ولم تحل لأحد قبلهم فكان أهل التوراة إنما هو القصاص وعفو ليس بينهم أرش وأداء إليه بإحسان وقد رواه غير واحد عن عمرو وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن دينار ورواه جماعة عن مجاهد عن ابن عباس بنحوه: بالعبد والأنتى بالأنتى فمن عفي له من أخيه شيء فالعفو أن يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف مما كتب على بني إسرائيل من كان قبلكم فاتباع بالمعروف عن ابن عباس قال: كتب على بني إسرائيل القصاص في القتل ولم يكن فيهم العفو فقال الله لهذه الأمة كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد من الله عليكم ورحمة بكم مما كان محتوما على الأمم قبلكم من القتل أو العفو كما قال: سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني مجاهد والزهري وابن شبرمة والليث والأوزاعي وخالفهم الباقرين وقوله ذلك تخفيف من ربكم ورحمة يقول تعالى إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفا يعفو على الدية إلا برضا القاتل وقال: الباقرين له أن يعفو عليها وإن لم يرض. مسألة وذهب طائفة من السلف إلى أنه ليس للنساء عفو منهم الحسن وقاتدة بن حيان. مسألة قال مالك رحمه الله في رواية ابن القاسم عنه وهو المشهور وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد في أحد قوليه ليس لولي الدم أن ابن عباس ويؤدي المطلوب بإحسان وكذا قال: سعيد بن جبير وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن وقاتدة وعطاء الخراساني والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بالمعروف إذا قبل الدية وأداء إليه بإحسان يعني من القاتل من غير ضرر ولا معك يعني المدافعة وروى الحاكم من حديث سفيان عن عمرو عن مجاهد عن فم عفي له من أخيه شيء يعني فم ترك له من أخيه شيء يعني أخذ الدية بعد استحقاق الدم وذلك العفو فاتباع بالمعروف يقول فعلى الطالب اتباع يقبل الدية في العمد وكذا روى عن أبي العالية وأبي الشعثاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقاتدة ومقاتل بن حيان وقال الضحاك عن ابن عباس فسبيله النظر وقوله فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان قال مجاهد عن ابن عباس فمن عفي له من أخيه شيء فالعفو أن وابن سيرين وحبيب بن أبي ثابت ثم قال: ابن المنذر وهذا أصح ولا حجة لمن أباح قتل الجماعة وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه وإذا اختلف الصحابة عن الإمام أحمد رواية أن الجماعة لا يقتلون بالواحد ولا يقتل بالنفس إلا نفس واحدة وحكاها ابن المنذر عن معاذ وابن الزبير وعبد الملك بن مروان والزهري بالواحد: قال عمر في غلام قتله سبعة فقتلهم وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم ولا يعرف له في زمانه مخالف من الصحابة وذلك كالإجماع وحكى عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وقال الليث إذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة. مسألة ومذهب الأئمة الأربعة والجمهور أن الجماعة يقتلون وأما أبو حنيفة فذهب إلى أنه يقتل به لعموم آية المائدة. مسألة قال الحسن وعطاء لا يقتل الرجل بالمرأة لهذه الآية وخالفهم الجمهور لآية المائدة ولقوله المسلم لا يقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب فيه دية وإنما تجب فيه قيمته ولأنه لا يقاد بطرفه ففي النفس بطريق الأولى وذهب الجمهور إلى أن رواية عنه ويقتل السيد بعبد لعموم حديث الحسن عن سمرة من قتل عبده قتلناه ومن جدد عبده جددناه ومن خصاه خصيناه وخالفهم الجمهور فقالوا وداود وهو مروي عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وقاتدة والحكم قال البخاري وعلي بن المديني وإبراهيم النخعي والثوري في روي عن أبي مالك أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس مسألة ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثوري وابن أبي ليلى من العمد رجالهم ونسأؤهم في النفس وفيما دون النفس وجعل العبيد مستويين فيما بينهم من العمد في النفس وفيما دون النفس رجالهم ونسأؤهم وكذلك لا يقتلون الرجل بالمرأة ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة فأنزل الله النفس بالنفس والعين بالعين فجعل الأحرار في القصاص سواء فيما بينهم والعبد بالعبد والأنتى بالأنتى منها منسوخة نسختها النفس بالنفس: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله والأنتى بالأنتى وذلك أنهم كانوا فكان أحد الحيين يتناول على الآخر في العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم والمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم الحر بالحر أن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل يعني إذا كان عمدا الحر بالحر وذلك والعبد بالعبد والأنتى بالأنتى وذكر في سبب نزولها ما رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله الله بالعدل في القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرا وبغيا فقال تعالى كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر قتل النضري القرظي لا يقتل به بل يفادي بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظي النضري قتل وإن فادوه فدوه بمائتي وسق من التمر ضعف دية القرظي فأمر تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة في الجاهلية وقهروهم فكان إذا يقول تعالى كتب عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا

لعلكم تتقون يقول يا أولي العقول والأفهام والنهي لعلكم تنزجرون وتتركون محارم الله ومآثمه والتقوى أسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات. 179 يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يقتل وكذا روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي مالك والحسن وقاتدة والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان يا أولى الألباب القتل أنفى للقتل فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح وأبلغ وأوجز ولكم في القصاص حياة قال أبو العالية جعل الله القصاص حياة فكم من رجل لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفس وفي الكتب المتقدمة: وقوله ولكم في القصاص حياة يقول تعالى وفي شرع القصاص

تفسير ابن كثير

وكذا قال الربيع بن أنس: قال السدي بسنده صم بكم عمى فهم لا يرجعون إلى الإسلام. وقال قتادة فهم لا يرجعون أي لا يتوبون ولا هم يذكرون. 18 ابن عباس صم بكم عمى يقول لا يسمعون الهدى ولا يعقلونه وكذا قال أبو العالية وقاتدة بن دعامة فهم لا يرجعون قال ابن عباس أي لا يرجعون إلى هدى فلا يجد له عملا من خير عمل به يصدق به قول لا إله إلا الله صم بكم عمى قال السدي بسنده صم بكم عمى فهم خرس عمى وقال علي بن أبي طلحة عن تركهم في ظلمات فكانت الظلمة نفاقهم وقال الحسن البصري وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله عمل السوء إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق وقال السدي في تفسيره بسنده ماتوا وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وتركهم في ظلمات أي يبصرون الحق ويقولون به حتى في قلبه ولا حقيقة في عمله وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وتركهم في ظلمات لا يبصرون يقول في عذاب إذا بلا إله إلا الله فأضاءت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وغازاهم بها ووارثهم بها وحقق بها دمه وماله فلما كان عند الموت سلبها المنافق لأنه لم يكن لها أصل وأنكحوا النساء وحققوا دماءهم حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية إن المعنى أن المنافق تكلم وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله فهي لا إله إلا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص بلا إله إلا الله أضاء له فإذا شك وقع في الظلمة وقال الضحاك ذهب الله بنورهم أما نورهم فهو إيمانهم الذي تكلموا به ضوؤه وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فأنما ضوء النار ما أوقدتها فإذا خمدت ذهب نورها وكذلك مثل ضربته الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون وأما قول ابن جرير فيشبه ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا قال هذا كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا نارا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزع كما ذهب بضوء هذه النار أحيانا ثم يدركه عمى القلب. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا إلى آخر الآية. قال هذه صفة المنافقين أنس نحو قول عطاء الخرساني وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف الذي استوقد نارا قال هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة والحسن والسدي والربيع بن فعتوا بعد ذلك. وقال مجاهد: فلما أضاءت ما حوله أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى. وقال عطاء الخرساني في قوله تعالى مثلهم كمثل هذه الآية قال أما النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر. فبينما هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر. وقال العوفي عن ابن عباس في ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقي منه فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى فذلك المنافق كان في ظلمة الشرك زعم أن ناسا دخلوا في الإسلام مع مقدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم إنهم نافقوا وكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد نارا فلما أضاءت في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى فلما أضاءت ما حوله القلوب التي في الصدور فلماذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة. ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه قال السدي وهم مع ذلك صم لا يسمعون خيرا بكم لا يتكلمون بما ينفعهم عمى في ضلالة وعماية البصيرة كما قال تعالى فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي وإلا فعشر وإلا فخمسة عشرة وإلا فعشرون وإلا فخمسة وعشرون وإلا فثلاثون وإلا فخمسة وثلاثون فإن كثرت فأربعون وذكر الحديث بطوله. 180 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حنيفة إنى أوصيت لبيتيم لي بمائة من الإبل كنا نسميها المطية فقال: النبي صلى الله عليه وسلم لا لا الصدقة خمس هاشم عن زياد بن عتبة بن حنظلة سمعت حنظلة بن جذيم بن حنيفة أن جده حنيفة أوصى لبيتيم في حجره بمائة من الإبل فشق ذلك على بنيه فارتفعوا إلى قال: لو أن الناس غصوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الثلث والثلث كثير وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد مولى بني قال لا قال فالثلث؟ قال الثلث والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وفي صحيح البخاري أن ابن عباس من غير إسراف ولا تقتير كما ثبت في الصحيحين أن سعدا قال: يا رسول الله إن لي مالا ولا يرثني إلا ابنة لي أفأوصي بثلثي مالي؟ قال لا قال فبالشطر؟ الموت فقال نعم الوصية حق على كل مسلم أن يوصي إذا حضره الموت بالمعروف غير المنكر والمراد بالمعروف أن يوصي لأقربيه وصية لا تجحف بورثته حاتم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قوله كتب عليكم إذا حضر أحدكم الحاكم قال طائوس لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينارا. وقال قتادة كان يقال ألفا فما فوقها وقوله بالمعروف أي بالرفق والإحسان كما قال ابن أبي شيئا يسيرا فاتركه لولدك وقال الحاكم: إن أبان حدثني عن عكرمة عن ابن عباس إن ترك خيرا قال ابن عباس: من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا قال: ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن عليا دخل على رجل من قومه يعوده فقال له أوص فقال له علي إنما قال الله إن ترك خيرا الوصية إنما تركت مات وترك ثلثمائة دينار أو أربعمائة ولم يوص قال ليس بشيء إنما قال الله إن ترك خيرا وقال أيضا وحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني حدثنا عبدة يعني مقداره فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال لعلي رضي الله عنه إن رجلا من قريش قد بن حيان وقاتدة وغيرهم ثم منهم من قال الوصية مشروعة سواء قل المال أو كثر كالورثة ومنهم من قال إنما يوصي إذا ترك مالا جليلا ثم أختلوا في أجلك وقوله إن ترك خيرا أي مالا قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة وأبو العالية وعطية العوفي والضحاك والسدي والربيع بن أنس ومقاتل

تفسير ابن كثير

يقول الله تعالى يا ابن آدم ثنتان لم يكن لك واحدة منهما: جعلت لك نصيبا في مالك حين أخذت بكظمك لأطهرك به وأزكك وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء الإحسان إليهم كثيرة جدا وقال عبد بن حميد في سنده أخبرنا عبد الله عن مبارك بن حسان عن نافع قال: قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبة عنده قال ابن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندي وصيتي والآيات والأحاديث بالأمر ببر الأقارب وشمولها ولما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته من عند الله لأهل الفروض والعصبات يرفع بها حكم هذه بالكلية بقي الأقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصي لهم من الثلث استئناسا بآية الوصية والأقربين الوارثين منسوخ بالإجماع بل منهى عنه للحديث المتقدم إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فأية الميراث حكم مستقل ووجوب كانت واجبة وهو الظاهر من سياق الآية فيتعين أن تكون منسوخة بآية الميراث كما قاله أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء فإن وجوب الوصية للوالدين له وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الأولى وهذا إنما يأتي على قول بعضهم أن الوصاية في ابتداء الإسلام إنما كانت ندبا حتى نسخت فأما من يقول إنها المتأخر لأن آية الموارث إنما رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه عموم آية الوصاية لأن الأقربين أعم ممن يرث ومن لا يرث فرفع حكم من يرث بما عين يسار والعلاء بن زياد قلت وبه قال أيضا سعيد بن جبيرة والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان ولكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخا في اصطلاحنا من الفقهاء قال: ومنهم من قال: إنها منسوخة فيمن يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن الموارث ومعناه كتب عليكم ما أوصى الله به من توريث الوالدين والأقربين من قوله يوصيكم الله في أولادكم قال وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي رحمه الله كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الأصفهاني أن هذه الآية غير منسوخة وإنما هي مفسرة بآية والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وطاروس وإبراهيم النخعي وشريح والضحاك والزهرى أن هذه الآية منسوخة بنسختها آية الميراث والعجب ثم قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عمر وأبي موسى وسعيد بن المسيب والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة ومحمد بن سيرين وعكرمة وزيد بن أسلم والأقربين نسختها هذه الآية للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريح وعثمان بن عطاء عن ابن عباس في قوله الوصية للوالدين قال: كان لا يرث مع الوالدين غيرهما إلا وصية للأقربين فأنزل الله آية الميراث فبين ميراث الوالدين وأقر وصية الأقربين في ثلث مال الميت وقال: ابن هشيم عن يونس بن وهرواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرطهما وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله الوصية للوالدين والأقربين جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين فقال نسخت هذه الآية وكذا رواه سعيد بن منصور عن إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علي بن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال: ولا تحمل منه الموصى ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول على أصح القولين قبل نزول آية الموارث فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه وصارت الموارث المقدره فريضة من الله يأخذها أهلها حتما من غير وصية اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين وقد كان ذلك واجبا

الميت على الله وتعلق الإثم بالذين بدلو ذلك إن الله سمع عليم أي قد اطلع على ما أوصى به الميت وهو عليم بذلك وبما بدله الموصى إليهم. 181 وحرفها فغير حكمها وزاد فيها أو نقص ويدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الأولى فإنما إثمهم على الذين يبدلونه قال ابن عباس وغير واحد وقد وقع أجر يقول تعالى فمن بدل الوصية

أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم تلك حدود الله فلا تعتدوها الآية. 182 الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل يعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل يعمل بعمل في رفعه أيضا نظر وأحسن ما ورد في هذا الباب ما قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول بن عمار حدثنا عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنف في الوصية من الكبائر وهذا وقد رواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي فلم يجاوز به عروة وقال ابن مردويه أيضا حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا يوسف حدثنا هشام عند موته وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه من حديث العباس بن الوليد به قال ابن أبي حاتم وقد أخطأ فيه الوليد بن يزيد وهذا الكلام إنما هو عن عروة فقط أبي عن الأوزاعي قال: الزهري حدثني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يرد من صدقة الجائف في حياته ما يرد من وصية المجنف ولهذا عطف هذا فبينه على النهي عن ذلك ليعلم أن هذا ليس من ذلك بسبيل والله أعلم. وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة أخبرني به الميت إلى ما هو أقرب الأشياء إليه وأشبه الأمور به جمعا بين مقصود الموصي والطريق الشرعي وهذا الإصلاح والتوفيق ليس من التبديل في شيء وقوة شفقته من غير تبصر أو معتمدا أثما في ذلك فللوصي والحالة هذه أن يصلح القضية ويعدل في الوصية على الوجه الشرعي ويعدل عن الذي أوصى بأن زادوا وارثا بواسطة أو وسيلة كما إذا أوصى ببيعة الشيء الفلاني محاباة أو أوصى لابن ابنته ليزيد أو نحو ذلك من الوسائل إما مخطئا غير عامد بل بطبعه تعالى فمن خاف من موص جنفا أو إنما قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي الجنف الخطأ وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها قوله

وقيل يجب القضاء بلا فدية وقيل يفطران ولا فدية ولا قضاء وقد بسطنا هذه المسألة مستقصاة في كتاب الصيام الذي أفردناه ولله الحمد والمنة. 183

تفسير ابن كثير

الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ففيهما خلاف كثير بين العلماء فمنهم من قال يفطران ويفديان ويقضيان وقيل يفديان فقط ولا قضاء بن حميد عن روح بن عباد عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب به ورواه عبد أيضا من حديث ستة من أصحاب أنس عن أنس بمعناه. ومما يلتحق بهذا المعنى عبدالله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عمران عن أيوب بن أبي تميمة قال ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم ورواه عبد أنس بعد ما كبر عاما أو عامين عن كل يوم مسكينا خبزا ولحما وأفطر وهذا الذي علقه البخاري قد أسنده الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده فقال حدثنا من قرأ وعلى الذين يطيقونه أي يتجشمونه كما قاله ابن مسعود وغيره وهو اختيار البخاري فإنه قال وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم إلا وسعها وهو أحد قولي الشافعي والثاني وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسرته ابن عباس وغيره من السلف على قراءة عن كل يوم مسكينا إذا كان ذا جدة؟ فيه قولان للعلماء أحدهما لا يجب عليه إطعام لأنه ضعيف عنه لسنه فلم يجب عليه فدية كالصبي لأن الله لا يكلف نفسا الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وأما الشيخ بن عبدالله عن ابن أبي ليلى قال دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال: قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الأولى إلا الكبير الفاني إن شاء أطعم مكان كل يوم مسكينا وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد بن بهرام المخزومي حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف فرخص له أن يطعم كل يوم مسكينا وهكذا روى غير واحد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحوه وقال أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث بن سوار عن يقرأ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال البخاري أيضا أخبرنا إسحاق حدثنا روح حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا فمن تطوع يقول أطعم مسكينا آخر فخر خير له وأن تصوموا خير لكم فكانوا كذلك حتى نسختها عن مرة عن عبدالله قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال يقول وعلى الذين يطيقونه أي يتجشمونه: قال عبدالله كان من أراد أن يفطر فيفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها وروى أيضا من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال هي منسوخة: وقال السدي شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا وهكذا روى البخاري عن سلمة بن الأكوع أنه قال لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين وروى البخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله. وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كما قال معاذ رضي الله عنه كان في ابتداء الأمر من به وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كان عاشوراء يصام فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم إلى قوله ثم أتموا الصيام إلى الليل وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي فنمت فأصبحت حين أصبحت صائما قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله عز وجل أحل الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهدا شديدا فقال مالي أراك قد جهدت جهدا شديدا؟ قال يا رسول الله إني عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي رجلا من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما فرآه رسول للمريض والمسافر وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حالان قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم ينأوا فإذا ناموا امتنعوا ثم إن وجل أنزل الآية الأخرى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن إلى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه كتب على الذين من قبلكم إلى قوله وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه ثم إن الله عز قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا فهذه ثلاثة أحوال وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت عليها ثم قضيت ما سبقني قال فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها قال فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقضى فكان الرجل يشير إلى الرجل إذن كم صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصليهما ثم يدخل مع القوم في صلاتهم قال فجاء معاذ فقال لا أجده على حال أبدا إلا عنه فقال يا رسول الله قد طاف بي مثل الذي طاف به غير أنه سبقني فهذان حالان قال وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها قد قامت الصلاة مرتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمها بلالا فليؤذن بها فكان بلال أول من أذن بها: قال وجاء عمر بن الخطاب رضي الله فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مثنى حتى فرغ من الأذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل الذي قال غير أنه يزيد في ذلك: وسلم: فقال يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت إني لم أكن نائما لصدقت إني بينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضا حتى نقسوا أو كادوا ينقصون ثم إن رجلا من الأنصار يقال له عبدالله بن زيد بن عبد ربه أتى رسول الله صلى الله عليه المقدس ثم إن الله عز وجل أنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها الآية فوجهه الله إلى مكة هذا حول قال وكانوا يجتمعون أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهرا إلى بيت إن كنتم تعلمون. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال وطاوس ومقاتل بن حيان وغيرهم من السلف ولهذا قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم

تفسیر ابن کثیر

شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وإن صام فهو أفضل من الإطعام قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر وأما الصحيح المقيم الذي يطبق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الإطعام إن شاء صام وإن في ابتداء الإسلام فقال فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من كما كتب على الذين من قبلكم يعني بذلك أهل الكتاب وروى عن الشعبي والسدي وعطاء الخراساني مثله ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر العالية وعبدالرحمن بن أبي ليلى ومجاهد وسعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وعطاء الخراساني نحو ذلك: وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس على الذين من قبلكم كتب عليهم إذا صلى أحدهم العتمة ونام حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى مثلها قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وأبي الأُمم قبلكم في حديث طويل اختصر منه ذلك وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن حدثه عن ابن عمر قال أنزلت كتب عليكم الصيام كما كتب حدثني عبدالله بن الوليد عن أبي الربيع رجل من أهل المدينة عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام رمضان كتبه الله على كتبه علينا شهرا كاملا وأياما معدودات عددا معلوما وروى عن السدي نحوه وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي عبدالرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فقال نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت كما وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان وقال عباد بن منصور عن الحسن البصري يا ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه وقد روى أن الصيام كان أولا كما كان عليه الأُمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء في كل يوم لثلا يشق على النفوس فتضعف عن حملها وأدائه بل في أيام معدودات وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ولهذا ثبت في الصحيحين يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ثم بين مقدار الصوم وأنه ليس ولهذا قال ههنا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمساك الشيطان أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الآية من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة وذكر أنه كما أوجب عليهم فقد أوجب على من كان قبلهم فلمهم فيه أسوة حسنة وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض للمؤمنين من هذه الأمة وأمرهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها يقول تعالى مخاطبا

وقيل يجب القضاء بلا فدية وقيل يفطران ولا فدية ولا قضاء وقد بسطنا هذه المسألة مستقصاة في كتاب الصيام الذي أفردناه ولله الحمد والمنة. 184

الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ففيهما خلاف كثير بين العلماء فمنهم من قال يفطران ويفديان ويقضيان وقيل يفديان فقط ولا قضاء بن حميد عن روح بن عباد عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب به ورواه عبد أيضا من حديث ستة من أصحاب أنس عن أنس بمعناه. ومما يلتحق بهذا المعنى عبدالله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عمران عن أيوب بن أبي تميمة قال ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم ورواه عبد أنس بعد ما كبر عاما أو عامين عن كل يوم مسكينا خبزا ولحما وأفطر وهذا الذي علقه البخاري قد أسنده الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده فقال حدثنا من قرأ وعلى الذين يطيقونه أي يتجشمونه كما قاله ابن مسعود وغيره وهو اختيار البخاري فإنه قال وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم إلا وسعها وهو أحد قولي الشافعي والثاني وهو الصحيح وعليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم كما فسره ابن عباس وغيره من السلف على قراءة عن كل يوم مسكينا إذا كان ذا جدة؟ فيه قولان للعلماء أحدهما لا يجب عليه إطعام لأنه ضعيف عنه لسنة فلم يجب عليه فدية كالصبي لأن الله لا يكلف نفسا الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكينا وأفطر فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وأما الشيخ بن عبدالله عن ابن أبي ليلى قال دخلت على عطاء في رمضان وهو يأكل فقال: قال ابن عباس نزلت هذه الآية فنسخت الأولى إلا الكبير الفاني إن شاء أطعم مكان كل يوم مسكينا وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا الحسين بن محمد بن بهرام المخزومي حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين في الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ثم ضعف فرخص له أن يطعم كل يوم مسكينا وهكذا روى غير واحد عن سعيد بن جببر عن ابن عباس نحوه وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن أشعث بن سوار عن يقرأ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست منسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال البخاري أيضا أخبرنا أسحق حدثنا روح حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا فمن تطوع يقول أطعم مسكينا آخر فهر خير له وأن تصوموا خير لكم فكانوا كذلك حتى نسختها عن مرة عن عبدالله قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال يقول وعلى الذين يطيقونه أي يتجشمونه: قال عبدالله كان من أراد أن يفطر يفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها وروى أيضا من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال هي منسوخة: وقال السدي شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا وهكذا روى البخاري عن سلمة بن الأكوع أنه قال لما نزلت وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين وروى البخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله. وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كما قال معاذ رضي الله عنه كان في ابتداء الأمر من به وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت كان عاشوراء يصام فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر

تفسير ابن كثير

لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم إلى قوله ثم أنموا الصيام إلى الليل وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي فتمت فأصبحت حين أصبحت صائما قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأُنزل الله عز وجل أحل الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهدا شديدا فقال مالي أراك قد جهدت جهدا شديدا؟ قال يا رسول الله إني عملت أمس فجئت حين جئت فألقيت نفسي رجلا من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما فرآه رسول للمريض والمسافر وثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حالان قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا أمتنعوا ثم إن وجل أنزل الآية الأخرى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن إلى قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه كتب على الذين من قبلكم إلى قوله وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه ثم إن الله عز قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا فهذه ثلاثة أحوال وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت عليها ثم قضيت ما سبقني قال فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها قال فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقضى فكان الرجل يشير إلى الرجل إذن كم صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصلهما ثم يدخل مع القوم في صلاتهم قال فجاء معاذ فقال لا أجده على حال أبدا إلا عنه فقال يا رسول الله قد طاف بي مثل الذي طاف به غير أنه سبقني فهذان حالان قال وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها قد قامت الصلاة مرتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمها بلالا فليؤذن بها فكان بلال أول من أذن بها: قال وجاء عمر بن الخطاب رضي الله فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله ثمنى حتى فرغ من الأذان ثم أمهل ساعة ثم قال مثل الذي قال غير أنه يزيد في ذلك: وسلم: فقال يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت إني لم أكن نائما لصدقت إني بينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضا حتى نقسوا أو كادوا ينقسون ثم إن رجلا من الأنصار يقال له عبدالله بن زيد بن عبد ربه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقدس ثم إن الله عز وجل أنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها الآية فوجهه الله إلى مكة هذا حول قال وكانوا يجتمعون أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهرا إلى بيت إن كنتم تعلمون. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال وطأوس ومقاتل بن حيان وغيرهم من السلف ولهذا قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وإن صام فهو أفضل من الأَطعام قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الاطعام إن شاء صام وإن في ابتداء الإسلام فقال فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من كما كتب على الذين من قبلكم يعني بذلك أهل الكتاب وروى عن الشعبي والسدي وعطاء الخراساني مثله ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأُمم العالية وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد وسعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس وعطاء الخراساني نحو ذلك: وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس على الذين من قبلكم كتب عليهم إذا صلى أحدهم العتمة ونام حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى مثلها قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وأبي الأُمم قبلكم في حديث طويل أختصر منه ذلك وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن عمن حدثه عن ابن عمر قال أنزلت كتب عليكم الصيام كما كتب حدثني عبدالله بن الوليد عن أبي الربيع رجل من أهل المدينة عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام رمضان كتبه الله على كتبه علينا شهرا كاملا وأياما معدودات عددا معلوما وروى عن السدي نحوه وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فقال نعم والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت كما وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان وقال عباد بن منصور عن الحسن البصري يا ذلك بصوم شهر رمضان كما سيأتي بيانه وقد روى أن الصيام كان أولا كما كان عليه الأُمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ولهذا ثبت في الصحيحين يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ثم بين مقدار الصوم وأنه ليس ولهذا قال ههنا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الآية من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه أسوة حسنة وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض للمؤمنين من هذه الأمة وأمرهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها يقول تعالى مخاطبا

وقوله ولعلكم تشكرون أي إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده فلهكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك. 185 ما هداكم وفي مقابلته مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يشرع التكبير في عيد الفطر والباقون على استحبابه على اختلاف في تفاصيل بعض الفروع بينهم

تفسير ابن كثير

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم حتى ذهب داود بن علي الأصهباني الظاهري إلى وجوبه في عيد الفطر لظاهر الأمر في قوله ولتكبروا الله على ابن عباس: ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات وقال آباءكم أو أشد ذكرا وقال فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال فسبح بحمد ربك لتكملوا عدة شهركم وقوله ولتكبروا الله على ما هداكم أي ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم كما قال فإذا قضيت مناسكتكم فاذكروا الله كذكركم الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة أي إنما أرخص لكم في الإفطار للمريض والسفر ونحوهما من الأعذار لإرادته بكم اليسر وإنما أمركم بالبقاء المدينة صلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسمعه فتهلكه وقال إن الله إنما أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بهم العسر ومعنى قوله يريد محجن إن الأدرع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي فترأاه ببصره ساعة فقال أنراه يصلي صادقا؟ قال قلت يا رسول الله: هذا أكثر أهل في تفسيره حدثنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو مسعود الحريري عن عبد الله بن شقيق عم ولا تعسرا وتطاولا ولا تختلفا وفي السنن والمسائيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثت بالحنيفية السمحة وقال الحافظ أبو بكر بن مردييه أخرجه في الصحيحين وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثتهما إلى اليمن بشرا ولا تنفرا ويسرا بن جعفر حدثنا شعبة قال: حدثنا أبو التياح سمعت أنس بن مالك يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا يسر ثلاثا يقولها ورواه الإمام أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث مسلم بن أبي تميم عن عاصم بن هلال به وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد يقطر رأسه من وضوء أو غسل فصلى فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه: علينا حرج في كذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن دين الله في أحمد أيضا: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم بن هلال حدثنا عامر بن عروة الفقيمي حدثني أبي عروة قال: كنا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم فخرج هلال عن حميد بن هلال العدوي عن أبي قتادة عن الأعرابي الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره وقال ما أفطر ولهذا قال تعالى فعدة من أيام أخر ثم قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا أبو وهذا قول جمهور السلف والخلف وعليه ثبتت الدلائل لأن التتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر فأما بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام أيام عدة القضاء هل يجب متتابعاً أو يجوز فيه التفريق فيه قولان: أحدهما أنه يجب التتابع لأن القضاء يحكي الأداء والثاني لا يجب التتابع بل إن شاء تابع الصيام والحالة هذه لما جاء في مسند الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر وجابر وغيرهما: من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة الرابعة هذا قالوا صائم فقال ليس من البر الصيام في السفر أخرجه فأما إن رغب عن السنة ورأى أن الفطر مكروه إليه فهذا يتعين عليه الإفطار ويحرم عليه شئت فأفطر وهو في الصحيحين وقيل إن شق الصيام بالإفطار أفضل لحديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قد ظلل عليه فقال: ما لكم وقالت طائفة هما سواء لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال يا رسول الله إني كثير الصيام أفأصوم في السفر؟ فقال إن شئت فصم وإن صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الصوم في السفر فقال: من أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه وقال في حديث آخر عليكم برخصة الله التي رخص الصيام في السفر أفضل من الإفطار لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقالت طائفة بل الإفطار أفضل أخذاً بالرخصة ولما ثبت عن رسول الله إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة الثالثة قالت طائفة منهم الشافعي: كان في مثل هذه الحالة صائماً لما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حر شديد حتى فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم فلو كان الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام بل الذي ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه في ذلك على التخيير صلى الله عليه وسلم ليس بحتم لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان قال: فمن الصائم ومن المفطر صاحباً الصحيح الثانية ذهب آخرون من الصحابة والتابعين إلى وجوب الإفطار في السفر لقوله فعدة من أيام أخر والصحيح قول الجمهور أن الأمر أعلم فإنه قد ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح فسار حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأمر الناس بالفطر أخرجه لمسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب نقله أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيما حكاه عنهم نظر والله إلى أن من كان مقيماً في أول الشهر ثم سافر في أثنائه فليس له الإفطار بعذر السفر والحالة هذه لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وإنما يباح الإفطار حال المرض وفي السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيراً عليكم ورحمة بكم. وههنا مسائل تتعلق بهذه الآية إحداها أنه قد ذهب طائفة من السلف السفر فله أن يفطر فإذا أفطر فعليه عدة ما أفطره في السفر من الأيام ولهذا قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أي إنما رخص لكم في الفطر في فقال ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر معناه ومن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه أو يؤذيه أو كان على سفر أي في حال صحيحاً مقيماً أن يفطر ويفدي وبإطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم بيانه ولما ختم الصيام أعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر في الإفطار بشرط القضاء من شهد استهلال الشهر أي كان مقيماً في البلد حين دخل شهر رمضان وهو صحيح في بدنه أن يصوم لا محالة ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة لمن كان أحاديث في ذلك منها من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ونحو ذلك وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه هذا إيجاب حتم على الحافظ بن عدي وهو جدير بالإنكار فإنه متروك وقد وهم في رفع هذا الحديث وقد انتصر البخاري رحمه الله في كتابه لهذا فقال: باب يقال رمضان وساق أبو معشر هو نجيح بن عبدالرحمن المدني إمام المغازي والسير ولكن فيه ضعف وقد رواه ابنه محمد عنه فجعله مرفوعاً عن أبي هريرة وقد أنكره عليه

تفسير ابن كثير

أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان قال ابن أبي حاتم وقد روي عن مجاهد ومحمد بن كعب نحو ذلك ورخص فيه ابن عباس وزيد بن ثابت قلت أبي حدثنا محمد بن بكار بن الريان حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وسعيد هو المقبري عن أبي هريرة قال: لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من المخالف للغة ومفارقا بين الحق والباطل والحلال والحرام وقد روي عن بعض السلف أنه كره أن يقال إلا شهر رمضان ولا يقال رمضان قال ابن أبي حاتم حدثنا ممن آمن به وصدقه واتبعه وبيّنات أي ودلائل وحجج بيّنة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال والرشد ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً وقوله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه وذلك قوله وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه الناس وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة وكان الله يحدث لنبهه ما يشاء ولا قال: أنزل القرآن في النصف من شهر رمضان إلى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة لجواب كلام مباركة جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلا في الشهور والأيام رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وهذا لفظه وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ليلة القدر وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر وفي ليلة عطية بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشك قول الله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقوله إنا أنزلناه في ليلة الله صلى الله عليه وسلم هكذا روى من غير وجه عن ابن عباس كما قال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر وقال إنا أنزلناه في ليلة مباركة ثم نزل بعده مفارقا بحسب الوقائع على رسول والتوراة والزبور والإنجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك من حديث جابر بن عبد الله وفيه: أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثمان عشرة والباقي كما تقدم رواه ابن مردويه وأما الصحف ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان وقد روي بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي فليح عن وائلة يعني ابن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال أنزلت صحف إبراهيم في أول وكما أختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء قال: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا أبو سعيد مولى يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم

الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين. 186 شيء أن تغفر لي. وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم وسلم إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد قال عبيد الله بن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل حدثنا هشام بن عمار أخبرنا الوليد بن مسلم عن إسحاق بن عبد الله المدني عن عبيد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه: حدثنا أبو محمد المليكي عن عمرو وهو ابن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة بل وعند كل فطر كما رواه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده فتعبدني لا تشرك بي شيئا وأما التي لك فما عملت من شيء أو من عمل وفيتكه وأما الذي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الإجابة وفي ذكره تعالى هذه الآية المزي عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا ابن آدم واحدة لك وواحدة لي وواحدة فيما بيني وبينك فأما التي لي وأنت تبعث من في القبور وقال الحافظ أبو بكر البزار: وحدثنا الحسن بن يحيى الأزدي ومحمد بن يحيى القطعي قالا: حدثنا الحجاج بن منهال حدثنا صالح والنعمة لك والملك لا شريك لك أشهد أنك فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها دعوة الداع إذا دعان الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أمرت بالدعاء وتوكلت بالإجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد مردويه من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حدثني جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب فقال الله يقرؤك السلام هذا عبيد الصالح بالنية الصادقة وقلبه نقي يقول يا رب فأقول لبيك فأقضي حاجته وهذا حديث غريب من هذا الوجه وروى ابن بن معد يكرب قال: كنت أنا وعائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آية أجيب دعوة الداع إذا دعان قال يا رب مسألة عائشة فهبط جبريل دعاه عن ظهر قلب غافل وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إسحاق عن أيوب حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي نافع بن معد يكرب ببغداد حدثنا ابن أبي نافع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألت الله أيها الناس فاسأله وأنتم موقنون بالإجابة فإنه لا يستجيب لعبد بن المسيب يقول كقول عائشة سواء: وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن عمرو عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو أن له في الآخرة إذا لم يعجل أو يقنط قال عروة قلت يا أمه كيف عجلته وقنوطه؟ قالت يقول سألت فلم أعط ودعوت فلم أجب قال ابن قسيط وسمعت سعيد عبد الله بن قسيط حدثه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما من عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تعجل له في الدنيا أو تؤخر يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي وقال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره: حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن يزيد بن حدثنا عبد الصمد حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل قالوا وكيف يستعجل قال

تفسير ابن كثير

رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله وما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء وقال الإمام أحمد بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة في الصحيحين من حديث مالك به وهذا لفظ البخاري رحمه الله وأثابه الجنة وقال مسلم في صحيحه: حدثني أبو الطاهر حدثنا ابن وهب أخبرني معاوية عن أبي عبيد مولى ابن أزهر عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي أخرجاه عن محمد بن يوسف الفريابي عن ابن ثوبان وهو عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان به وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقال الإمام مالك عن ابن شهاب يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إياها أو كف عنه من سوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ورواه الترمذي عن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير أن عبادة بن الصامت حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما على ظهر الأرض من رجل مسلم وإما أن يصرف عنه من سوء مثلها قالوا إذا نكث قال الله أكثر وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن منصور الكوسج أنبأنا محمد بن يوسف من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدرها له في الأخرى عن أبي عثمان النهدي به: وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو عامر حدثنا علي بن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه قال الشيخ الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله في أطرافه: وتابعه أبو همام ومحمد بن أبي الزبرقان عن سليمان التيمي سموا لي هذا الرجل فقالوا: جعفر بن ميمون وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جعفر بن ميمون صاحب الأنباط به: وقال الترمذي حسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى ليستحيي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبين قال يزيد: الدعاء ففيه ترغيب في الدعاء وأنه لا يضيع لديه كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا رجل أنه سمع أبا عثمان هو النهدي يحدث عن سلمان يعني الفارسي هم محسنون وقوله لموسى وهارون عليهما السلام إنني معكما أسمع وأرى والمراد من هذا أنه تعالى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء بل هو سميع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه قلت وهذا كقوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين بن إسحاق أنبأنا عبدالله أنبأنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن كريمة بنت ابن خشخاش المزنية قالت: حدثنا أبو هريرة أنه سمع عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا علي وبقية الجماعة من حديث أبي عثمان النهدي واسمه عبدالرحمن بن علي عنه بنحوه وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة حدثنا قتادة بصيرا إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته يا عبدالله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله أخرجاه في الصحيحين ولا نعلو شرفا ولا نهبط واديا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال فدنا منا فقال يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غابا إنما تدعون سميعة المجيد الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفا قال الناس لو نعلم أي ساعة ندعوه؟ فنزلت وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب بن عبد وجل وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان الآية وقال ابن جريج عن عطاء أنه بلغه لما نزلت وقال ريكم ادعوني أستجب لكم حميد عن جرير به وقال عبد الرزاق: أخبرنا جعفر بن سليمان عن عوف عن الحسن قال سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربنا؟ فأنزل الله عز أن يدعوني فاستجب ورواه ابن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن جرير به ورواه ابن مردويه وأبو الشيخ الأصبهاني من حديث محمد بن أبي فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي إذا أمرتهم عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أن أعرابيا قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبدة بن أبي برزة السختياني

كيف يهتدون وكيف يطيعون كما قال تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم. 187
الصيام وأحكامه وشرائعه وتفصيله كذلك يبين سائر الأحكام على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم للناس لعلهم يتقون أي يعرفون إلى نسانكم حتى بلغ ثم أتموا الصيام إلى الليل قال وكان أبي وغيره من مشيختنا يقولون هذا ويتلونه علينا كذلك يبين الله آياته للناس أي كما بين يقولان في قوله تلك حدود الله أي المباشرة في الاعتكاف وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يعني هذه الحدود الأربعة ويقرأ أحل لكم ليلة الصيام الرفث وما أبحننا فيه وما حرمانا وذكرنا غاياته ورخصه وعزائمه حدود الله أي شرعها الله وبينها بنفسه فلا تقربوها أي لا تجاوزوها وتتعدوها وكان الضحاك ومقاتل قالت عائشة ولقد كان المريض يكون في البيت فما أسأل عنه إلا وأنا مارة وقوله تلك حدود الله أي هذا الذي بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني إلي رأسه فأرجله وأنا حائض وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان شيئا والله أعلم ثم المراد بالمباشرة إنما هو الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به فقد ثبت في الصحيحين رحمه الله أراد عليه السلام أن يعلم أمته التبري من التهمة في محلها لئلا يقعا في محذور وهما كانا أتقى لله من أن يظنا بالنبي صلى الله عليه وسلم الله فقال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا أو قال شرا قال الشافعي معه فقال لهما صلى الله عليه وسلم على رسلكما إنها صفة بنت حبي أي لا تسرعا واعلما أنها صفة بنت حبي أي زوجتي فقالا سبحان الله يا رسول الطريق لقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعوا وفي رواية تواريا أي حياء من النبي صلى الله عليه وسلم لكون أهله

تفسير ابن كثير

منزلها وكان ذلك ليلا فقام النبي صلى الله عليه وسلم ليمشي معها حتى تبلغ دارها وكان منزلها في دار أسامة بن زيد في جانب المدينة فلما كان ببعض الله عنها وفي الصحيحين أن صفية بنت حبي كانت تزور النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في المسجد فتحدثت عنده ساعة ثم قامت لترجع إلى عليه وسلم أنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده أخرجه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي ذكر الصوم. وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام أو في آخر شهر الصيام كما ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. آخر كتاب الصيام ولله الحمد والمنة ولهذا كان الفقهاء المصنفون يتبعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف اقتداء بالقرآن العظيم فإنه نبه على ذكر الاعتكاف بعد عنه وهو ما في طريقه وللاعتكاف أحكام مفصلة في بابها منها ما هو مجمع عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه. وقد ذكرنا قطعة صالحة من ذلك في ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل وليس له أن يقبل امرأته ولا أن يضمها إليه ولا يشتغل بشيء سوى اعتكافه ولا يعود المريض لكن يسأل المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفاً في مسجده ولو ذهب إلى منزله لحاجة لا بد له منها فلا يحل له أن يثبت فيه إلا بمقدار ومحمد بن كعب ومجاهد وعطاء والحسن وقتادة والضحاك والسدي والربيع بن أنس ومقاتل: قالوا لا يقربها وهو معتكف وهذا الذي حكاه عن هؤلاء هو الأمر عاكفين في المسجد ولا في غيره. وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد إنهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت هذه الآية. قال ابن أبي حاتم روي عن ابن مسعود وقال الضحاك كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء فقال الله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد أي لا تقربوهن ما دمت أبي طلحة عن ابن عباس هذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان أو في غير رمضان فحرم الله عليه أن ينكح النساء ليلاً أو نهاراً حتى يقضي اعتكافه أبو العالية إنما فرض الله الصيام بالنهار فإذا جاء بالليل فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل وقوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد قال علي بن يفظرون على السمن والصبر لئلا تتخرق الأمعاء بالطعام أولاً وقد روي عن ابن الزبير أنه كان يواصل سبعة أيام ويصبح في اليوم السابع أقواهم وأجلدهم وقال حديث عائشة رحمة له فكان ابن الزبير وابنه عامر ومن سلك سبيلهم يتجشمون ذلك ويفعلونه لأنهم كانوا يجدون قوة عليه وقد ذكر عنهم أنهم كانوا أول ما على أنهم كانوا يفعلون ذلك رياضة لأنفسهم لا أنهم كانوا يفعلونه عبادة والله أعلم ويحتمل أنهم كانوا يفهمون من النهي أنه إرشاد من باب الشفقة كما جاء في الله عليه وسلم كان يواصل من السحر إلى السحر وقد روى ابن جرير عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف أنهم كانوا يواصلون الأيام المتعددة وحمله منهم أنت من وصال آل محمد من السحر إلى السحر وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن محمد بن علي عن علي أن النبي صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فدعاها إلى الطعام فقالت إني صائمة قال وكيف تصومين فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أين الصحيحين أيضاً وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو إسرائيل العنسي عن أبي سكر بن حفص عن أم ولد حاطب بن أبي بلتعة أنها مرت أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله قال إني لست كهيتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني أخرجه في بعد غروب الشمس إلى وقت السحر فله ذلك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فأيكم كان معنوا لا حسياً وإلا فلا يكون مواصلاً مع الحسي ولكن كما قال الشاعر: لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد وأما من أحب أن يمسك ثبت النهي عنه من غير وجه وثبت أنه من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يقوى على ذلك ويعان والأظهر أن ذلك الطعام والشراب في حقه إنما الله عنها قالت: نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا إنك تواصل قال إني لست كهيتكم إني يطعمني ربي ويسقيني فقد تأخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري به وكذلك أخرجا النهي عن الوصال من حديث أنس وابن عمر وعن عائشة رضي لست مثلكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني قال فلم ينتهوا عن الوصال فواصل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يومين وليلتين ثم رأوا الهلال فقال لو حدثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا قالوا: يا رسول الله إنك تواصل قال فإني الليل فأفطروا ولهذا ورد في الأحاديث الصحيحة النهي عن الوصال وهو أن يصل يوماً بيوم آخر ولا يأكل بينهما شيئاً قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق فمعني بشير وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما أمركم الله ثم أتموا الصيام إلى الليل فإذا كان غريب وقال أحمد أيضاً: حدثنا عفان حدثنا عبد الله بن إيباد سمعت إيباد بن لقيط سمعت ليلي امرأة بشير بن الخصاصة قالت: أردت أن أصوم يومين مواصلة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا ورواه الترمذي من غير وجه عن الأوزاعي به وقال هذا حديث حسن بخير ما عجلوا الفطر أخرجه وقال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثنا قررة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس غروب الشمس حكماً شرعياً كما جاء في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل صوم له لحديث عائشة وأم سلمة الدالين على الجواز وهذا المسلك أقرب الأقوال وأجمعها والله أعلم وقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل يقتضي الإفطار عند معه وادعى ابن حزم أنه منسوخ بهذه الآية وهو بعيد أيضاً إذ لا تاريخ بل الظاهر من التاريخ خلافه ومنهم من حمل حديث أبي هريرة على نفي الكمال فلا الثوري عن منصور عن إبراهيم النخعي وهو رواية عن الحسن البصري أيضاً ومنهم من ادعى نسخ حديث أبي هريرة بحديثي عائشة وأم سلمة ولكن لا تاريخ سلمة أو مختاراً فلا صوم له لحديث أبي هريرة يحكى هذا عن عروة وطاوس والحسن ومنهم من فرق بين الفرض فيتم فيقضييه وأما النفل فلا يضره رواه ويحكى هذا عن أبي هريرة وسالم وعطاء وهشام بن عروة والحسن البصري ومنهم من ذهب إلى التفرقة بين أن يصبح جنباً نائماً فلا عليه لحديث عائشة وأم النبي صلى الله عليه وسلم وفي سنن النسائي عنه عن أسامة بن زيد والفضل بن عباس ولم يرفعه فمن العلماء من علل هذا الحديث بهذا ومنهم من ذهب إليه

تفسير ابن كثير

الصباح وأحدكم جنب فلا يصم يومئذ فإنه حديث جيد الإسناد على شرط الشيخين كما ترى وهو في الصحيحين عن أبي هريرة عن الفضل بن عباس عن فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا نودي للصلاة صلاة وأنا جنب فأصوم فقال لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي وفي صحيح مسلم عن عائشة أن رجلا قال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا تدركني الصلاة عنهما أنهما قالتا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يغتسل ويصوم وفي حديث أم سلمة عندهما ثم لا يفطر ولا يقضي فليغتسل وليتم صومه ولا حرج عليه وهذا مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عن غير واحد من السلف رحمهم الله مسألة ومن جعله تعالى الفجر غاية لإباحة الجماع والطعام والشراب لمن أراد الصيام يستدل على أنه من أصبح جنباً للصائم ولا صلاة ولا يفوت به الحج ولكن إذا انتشر على رؤوس الجبال حرم الشراب للصيام وفات الحج وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وعطاء وهكذا روي يستنير على رؤوس الجبال هو الذي يحرم الشراب وقال عطاء: فأما إذا سطع سطوعاً في السماء وسطوعه أن يذهب في السماء طولا فإنه لا يحرم به شراب وقال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يقول: هما فجران فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئاً ولكن الفجر الذي عليه وسلم الفجر فجران فالذي كأنه ذنب السرحان لا يحرم شيئاً وإنما هو المستطير الذي يأخذ الأفق فإنه يحل الصلاة ويحرم الطعام وهذا مرسل جيد بن الزبير قال النخعي حدثنا أبو أسامة عن محمد بن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بليلاً أو قال ينادي لينبه نائمكم وليرجع قائمكم وليس الفجر أن يقول هكذا وهكذا حتى يقول هكذا ورواه من وجه آخر عن التيمي به وحدثني الحسن عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع أحدكم أذان بلال عن سحوره أو قال نداء بلال فإن بلالاً يؤذن مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب عن إسماعيل بن إبراهيم هو ابن عليّة مثله سواء وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا ابن المبارك عن سليمان التيمي القشيري عن أبيه عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم أذان بلال ولا هذا البياض لعمود الصباح حتى يستطير رواه لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكنه الفجر المستطير في الأفق قال وحدثني يعقوب بن إبراهيم بن إبراهيم بن عليّة عن عبد الله بن سودة وهذا البياض حتى ينفجر الفجر أو يطلع الفجر ثم رواه من حديث شعبة وغيره عن سواد بن حنظلة عن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بن المثنى حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن بني قشير سمعت سمرة بن جندب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم نداء بلال الأحمر ورواه الترمذي ولفظهما كلوا واشربوا ولا يهيئدكم الساطع المصعد فكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر وقال ابن جرير: حدثنا محمد موسى بن داود حدثنا محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس الفجر المستطيل في الأفق ولكنه المعترض أذان بلال عن سحوركم فإنه ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر لفظ البخاري وقال الإمام أحمد حدثنا الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل وقد ورد في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمنعكم قلت وهذا القول ما أظن أحداً من أهل العلم يستقر له قدم عليه لمخالفته نص القرآن في قوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط ذلك في كتاب الصيام المفرد وله الحمد وحكى أبو جعفر بن جرير في تفسيره عن بعضهم أنه إنما يجب الإمساك من طلوع الشمس كما يجوز الإفطار بغروبها ابن مسعود وعطاء والحسن والحاكم بن عبيدة ومجاهد وعروة بن الزبير وأبو الشعثاء جابر بن زيد وإليه ذهب الأعمش وجابر بن راشد وقد حررنا أسانيد عباس وزيد بن ثابت وعن طائفة كثيرة من التابعين منهم محمد بن علي بن الحسين وابن مجلز وإبراهيم النخعي وأبو الضحى وأبو وائل وغيره من أصحاب طائفة كثيرة من السلف أنهم تسامحوا في السحور عند مقاربة الفجر روي مثل هذا عن أبي بكر وعمر وعلي بن ابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وابن عمر وابن وهذا الذي قاله هو المتعين حمل الحديث عليه أنهم تسحروا ولم يتيقنوا طلوع الفجر حتى أن بعضهم ظن طلوعه وبعضهم لم يتحقق ذلك وقد روي عن أن المراد قرب النهار كما قال تعالى فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف أي قاربن انقضاء العدة فإما إمساك بمعروف أو ترك للفراق حذيفة قال: تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النهار إلا أن الشمس لم تطلع وهو حديث تفرد به عاصم بن أبي النجود قاله النسائي وحمله على عليه وسلم سماه الغداء المبارك وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود قاله النسائي وحمله على عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور وقد ورد أحاديث كثيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قدر خمسين آية وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن سالم بن غيلان عن سليمان بن أبي عثمان عن عدي بن حاتم الحمصي عن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قال أنس قلت لزيد كم كان بين الأذان والسحور؟ وقد ورد في الترغيب في السحور أحاديث كثيرة حتى ولو بجرعة من ماء تشبهاً بالأكليين ويستحب تأخيرها إلى وقت انفجار الفجر كما جاء في الصحيحين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السحور أكلة بركة فلا تدعوه ولو أن أحدكم تجرع جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين أهل الكتاب أكلة السحور وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى هو ابن الطباع حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد فإن في السحور بركة وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فصل ما بين صيامنا وصيام وردت السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحث على السحور ففي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسحروا بل هو سواد الليل وبياض النهار. وفي إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب ولهذا

تفسير ابن كثير

الشعبي عن عدي بن حاتم قال: قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان؟ قال إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ثم قال لا وهو ضعيف بل يرجع إلى هذا لأنه إذا كان وساده عريضا فقفاه أيضا عريض والله أعلم ويفسره رواية البخاري أيضا حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن مطرف عن وسادتي قال إن وسادك إذا لعريض إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك وجاء في بعض الألفاظ إنك لعريض القفا ففسره بعضهم بالبلادة عن حصين عن الشعبي عن عدي قال: أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبين فلما أصبح قال يا رسول الله جعلت تحت بياض النهار وسواد الليل فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب وهكذا وقع في رواية البخاري مفسرا بهذا حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة الصحيحين من غير وجه عن عدي. ومعنى قوله إن وسادك إذا لعريض أي إن كان ليسع الخيطين الأسود والأبيض المرادين من هذه الآية تحتها فإنهما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالذي صنعت فقال إن وسادك إذا لعريض إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل أخرجه في الأسود عمدت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض قال فجعلتهما تحت وسادتي قال فجعلت أنظر إليهما فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت فلما الإمام أحمد حدثنا هشام أخبرنا حصين عن الشعبي أخبرني عدي بن حاتم قال: لما نزلت هذه الآية وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد من الفجر فعملوا إنما يعني الليل والنهار وقال حازم عن سهل بن سعد قال أنزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولم ينزل من الفجر وكان رجال إذا أرادوا الصوم ورفع اللبس بقوله من الفجر كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبد الله البخاري حدثني ابن أبي مريم حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف حدثنا أبو والشرب مع ما تقدم من إباحة الجماع في أي الليل شاء الصائم إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود أن الآية أعم من هذا كله. وقوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل أباح تعالى الأكل بن دينار عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عباس كيف تقرأ هذه الآية وابتغوا ما كتب الله لكم قال أيتها شئت عليك بالقراءة الأولى واختار ابن جرير جرير وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر قال: قال قتادة ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم يقول ما أحل الله لكم وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو ما كتب الله لكم يعني الجماع وقال عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس وابتغوا ما كتب الله لكم قال ليلة القدر رواه ابن أبي حاتم وابن السدي وزيد بن أسلم والحكم بن عتبة ومقاتل بن حيان والحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم يعني الولد وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: وابتغوا ورخصة ورفقا. وقوله وابتغوا ما كتب الله لكم قال أبو هريرة وابن عباس وأنس وشريح القاضي ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والربيع بن أنس وقتادة وغيرهم في سبب نزول هذه الآية في عمر بن الخطاب ومن صنع كما صنع وفي صرمة بن قيس فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة عليه وسلم فأخبره فأنزل الله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن بأشروهن الآية وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وعكرمة سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت إني قد نمت فقال ما نمت ثم وقع بها وصنع كعب بن مالك مثل ذلك فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سويد أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة حدثني موسى بن جبير مولى بني سلمة أنه سمع عبدالله بن كعب بن مالك يحدث عن أبيه قال: كان الناس في رمضان في عمر أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم وهكذا رواه شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى به وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني المثنى حدثنا قال: قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إني أردت أهلي البارحة على ما يريد الرجل أهله فقالت إنها قد نامت فظننتها تعتل فواقعتها فنزل من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل فكان ذلك عفا من الله ورحمة وقال هشام عن حصين بن عبدالرحمن عن أبي ليلى العشاء فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن بأشروهن يعني جامعوهن وابتغوا ما كتب الله لكم يعني الولد وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض نسائكم يعني بالرفث مجامعة النساء هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم يعني تجامعون النساء وتأكلون وتشربون بعد صلى الله عليه وسلم العشاء فقام فأكل وشرب فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأنزل الله عند ذلك أحل لكم الصيام الرفث إلى أصاب أهله بعد صلاة العشاء وأن صرمة بن قيس الأنصاري غلبته عيناه بعد صلاة المغرب فنام ولم يشبع من الطعام ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله الصيام إلى الليل قال كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلوا العشاء الآخرة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء حتى يفطروا وأن عمر بن الخطاب بن أبي عروبة عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة في قول الله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم إلى قوله ثم أتموا وأنا أريد الصوم فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما كنت خليفا أن تفعل فنزل الكتاب أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم وقال سعيد ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشكوا إلى الله وإليك الذي صنعت قال وما صنعت؟ قال إني سولت لي نفسي فوقع على أهلي بعدما نمت شأن النساء فإذا نام أحدهم لم يطعم ولم يشرب ولا يأتي أهله حتى يفطر من القابلة فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعدما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله العوفي عن ابن عباس وقال موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: إن الناس كانوا قبل أن ينزل في الصوم ما نزل فيهم يأكلون ويشربون ويحل لهم ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن بأشروهن الآية وكذا روى حرم عليهم النساء والطعام إلى مثله من القابلة ثم إن أناسا من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء ولفظ البخاري ههنا من طريق أبي إسحاق سمعت البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله

تفسیر ابن کثیر

لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم إلى قوله وكلوا واشربوا حتى يبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وفرحوا بها فرحا شديدا
عينه فنام وجاءت امرأته فلما رآته نائما قالت: خيبة لك أنمت؟ فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أحل
بن صرمة الأنصاري كان صائما وكان يومه ذلك يعمل في أرضه فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته
الطويل وقال أبو إسحاق عن البراء بن عازب قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلى مثلها وأن قيس
لئلا يشق ذلك عليهم ويحرجوا قال الشاعر: إذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت فكانت عليه لباسا وكان السبب في نزول هذه الآية كما تقدم في حديث معاذ
أنس: هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان
لكم وأنتم لباس لهن قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان: يعني هن سكن لكم وأنتم سكن لهن وقال الربيع بن
وسالم وعبدالله وعمرو بن دينار والحسن وقتادة والزهري والضحاك وإبراهيم النخعي والسدي وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان: وقوله هن لباس
عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة والرفث هنا هو الجماع قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وطاوس
عليه الأمر في ابتداء الإسلام فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك فمتى نام أو صلى العشاء حرم
هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين ورفع لما كان

له بباطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضى به للبطل على المحق في الدنيا. 188

أن قضاء القاضي لا يحل لك حراما ولا يحق لك باطلا وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى وتشهد به الشهود والقاضي بشر يخطئ ويصيب واعلموا أن من قضى وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون أي تعلمون بطلان ما تدعونه وتروجونه في كلامكم قال قتادة: اعلم يا ابن آدم هو حلال وإنما هو ملزم في الظاهر فإن طابق في نفس الأمر فذاك وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره ولهذا قال تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أو ليذرها فدلّت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الأمر فلا يحل في نفس الأمر حراما هو حرام ولا يحرم حلالا قال: ألا إنما أنا بشر وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها حيان وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: لا تخاصم وأنّ تعلم أنك ظالم وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه وهو يعلم أنه آثم أكل الحرام وكذا روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن قال على بن أبي طلحة وعن ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بيعة فيجحد المال ويخاصم

الله لعلكم تغفون أي اتقوا الله فافعلوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه لعلكم تغفون غدا إذا وقفت بين يديه فيجازيكم على التمام والكمال. 189

دخلوا منازلهم ويرون أن ذلك أدنى إلى البر فقال الله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولا يرون أن ذلك أدنى إلى البر وقوله واتقوا وقال محمد بن كعب: كان الرجل إذا اعتكف لم يدخل منزله من باب البيت فأنزل الله هذه الآية. وقال عطاء بن أبي رباح: كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم بدا له بعد خروجه أن يقيم ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ولكن يتسوره من قبل ظهره فقال الله تعالى: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها الآية. وإبراهيم النخعي والسدي والربيع بن أنس وقال الحسن البصري: كان أقوام من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرا وخرج من بيته يريد سفره الذي خرج له ثم البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها رواه ابن أبي حاتم ورواه العوفي عن ابن عباس بنحوه وكذا روي عن مجاهد والزهري وقتادة من الباب فقال له ما حملك على ما صنعت قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت فقال: إني أحسن قال له: فإن ديني دينك. فأنزل الله وليس البر بأن تأتوا صلى الله عليه وسلم في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر من الأنصار فقالوا يا رسول الله: إن قطبة بن عامر رجل تاجر وإنه خرج معك عن جابر كانت قريش تدعى الحمس وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام فبينما رسول الله عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قبل بابه فنزلت هذه الآية قال الأعمش: عن أبي سفيان الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وكذا رواه أبو داود الطيالسي ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها قال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في فإن أغمي عليكم فأكملوا العدة ثلاثين وكذا روي من حديث أبي هريرة ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقوله وليس البر بأن تأتوا البيوت من وقال محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جعل الله الأهلة فإذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا عليكم فعدوا ثلاثين يوما ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابن أبي رواد به وقال كان ثقة عابدا مجتهدا شريف النسب فهو صحيح الإسناد ولم يخرجاه بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله الأهلة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسايتهم ومحل دينهم وكذا روي عن عطاء والضحاك وقتادة والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك وقال عبدالرزاق عن عبدالعزيز عن الربيع عن أبي العالية بلغنا أنهم قالوا يا رسول الله لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس يقول جعلها الله مواقيت الله عليه وسلم عن الأهلة فنزلت هذه الآية يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس يعلمون بها حل دينهم وعدة نسايتهم ووقت حجهم وقال أبو جعفر قال العوفي عن ابن عباس سأل الناس رسول الله صلى

محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته كما قال هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بهم. 19

تفسير ابن كثير

الأحيان من نور الإيمان ولهذا قال يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين أي ولا يجدى عنهم حذرهم شيئا لأن الله ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون والبرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض القلوب من الخوف فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع كما قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم والسدي والربيع بن أنس. وقال الضحاك: هو السحاب والأشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات وهي الشكوك والكفر والنفاق ورعد وهو ما يزعج المطر قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جببر وعطاء والحسن البصري وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخرساني ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم كصيب والصيب هذا مثل آخر

على أن ما هم مشتعلون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل ولهذا قال: والفتنة أشد من القتل. 190 فيما لا يليق بهم أسخطوا الله عليهم بسبب هذا الاعتداء والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا. ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالى وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم القيامة هذا حديث حسن الإسناد ومعناه أن هؤلاء الضعفاء لما قدروا على الأقوياء فاعتدوا عليهم فاستعملوهم منها مثلاً وترك سائرهم قال إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداوة فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم يقول ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر ف ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قتل النساء والصبيان. وقال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلح عن قيس بن أبي مسلم عن ربعي بن حراش قال: سمعت حذيفة عن أنس مرفوعا نحوه وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: وجدت امرأة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اخرجوا بسم الله قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تعتدوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع رواه الإمام أحمد ولأبي داود ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع رواه الإمام أحمد وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه وغيرهم ولهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا رأي لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي كما قاله الحسن البصري من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا منبعثة على قتالهم كما همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصا. وقوله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين أي قال وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ولهذا قال في هذه الآية واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي لتكون همتكم وجدتموهم وفي هذا نظر لأن قوله الذين يقاتلونكم إنما هو تهيج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم كما يقاتل من قتاله ويكف عن كفه عنه حتى نزلت سورة براءة وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال هذه منسوخة بقوله: فاقتلوا المشركين حيث العالية في قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم قال هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي

ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما. 191 عامنذ ثم كف الله القتال بينهم فقال وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وقال ولولا رجال مؤمنون كما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء ثقيف والأحابييش فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين يقول تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدءوكم بالقتال فيه فلكم حينئذ قتالهم وقتلهم دفعا للوائل منهم عند الخدمة وقيل صلحا لقوله من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وقوله حتى يقاتلوكم فيه صلى الله عليه وسلم فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم يعني بذلك صلوات الله وسلامه عليه قتاله أهله يوم فتح مكة فإنه فتحها عنوة وقتلت رجال يوم القيامة ولم يحل إلا ساعة من نهار وإنها ساعتى هذه حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعرض شجره ولا يختلئ خلاه فإن أحد ترخص بقتال رسول الله من القتل وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام كما جاء في الصحيحين إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى من القتل. وقال: أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جببر وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس في قوله والفتنة أشد من القتل. يقول الشرك أشد كما همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصا. والفتنة أشد من القتل قال أبو مالك أي ما أنتم مقيمون عليه أكبر كافة كما يقاتلونكم كافة ولهذا قال في هذه الآية واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي لتكون همتكم منبعثة على قتالهم نظر لأن قوله الذين يقاتلونكم إنما هو تهيج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم كما قال وقاتلوا المشركين عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم حتى قال هذه منسوخة بقوله: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وفي هذا في سبيل الله الذين يقاتلونكم قال هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قتاله ويكف قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى وقاتلوا

وأنابوا إلى الإسلام والتوبة فإن الله يغفر ذنوبهم ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله فإنه تعالى لا يتعاضمه ذنب أن يغفره لمن تاب منه إليه. 192

الله عفا عنه وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه فأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون. 193

وكان الإسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه أو عذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة قال فما قولك في علي وعثمان؟ قال أما عثمان فكان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وقاتلوه حتى لا تكون فتنة قال فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت. قالوا يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن عاما وتقيم عاما وترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمت ما رغب الله فيه؟ فقال يا ابن أخي بني الإسلام على خمس: الإيمان بالله ورسوله والصلاة أخبرني فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمر المعافري أن بكير بن عبد الله حدثه عن نافع أن رجلا أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقتلوا حتى تكون فتنة وحتى يكون الدين لغير الله وزاد عثمان بن صالح عن ابن وهب ابن عمر وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي قال: ألم يقل الله وقاتلوه حتى لا تكون فتنة؟ فتنة الآية. حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضيعوا وأنت مثلهما وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولهذا قال عكرمة وقاتلة الظالم الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله. وقال البخاري قوله: وقاتلوه حتى لا تكون فلا عدوان عليهم بعد ذلك والمراد بالعدوان ههنا المعاقبة والمقاتلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله وجزاء سيئة سيئة بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين وهذا معنى قول مجاهد أن لا يقاتل إلا من قاتل أو يكون تقديره فإن انتهوا فقد تخلصوا من الظلم وهو الشرك على الله. وقوله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين يقول تعالى فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم فإن من قاتلهم هي العليا فهو في سبيل الله وفي الصحيحين أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله بن حيان والسدي وزيد بن أسلم ويكون الدين لله أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ثم أمر الله تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل

الله وقوله واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين أمر لهم بطاعة الله وتقواه وإخبار بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة. 194

بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد ثم نسخ بأية القتال بالمدينة وقد رد هذا القول ابن جرير وقال: بل الآية مدنية بعد عمرة القضية وعزا ذلك إلى مجاهد رحمه به وقال وجزاء سيئة سيئة مثلها. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم. نزلت وسلامه عليه: وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أمر بالعدل حتى في المشركين كما قال وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم أصحابه انصرف عنها ولم تفتح ثم كر راجعا إلى مكة واعتمر من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين. وكانت عمرته هذه في ذي القعدة أيضا عام ثمان صلوات الله عدل إليها فحاصرها ودخل ذو القعدة وهو محاصر لها بالمنجنيق واستمر عليها إلى كمال أربعين يوما كما ثبت في الصحيحين عن أنس فلما كثر القتل في فلما بلغه أن عثمان لم يقتل كف عن ذلك وجنح إلى المسالمة والمصالحة فكان ما كان. وكذلك لما فرغ من قتال هوازن يوم حنين وتحصن فلهم بالطائف وسلم وهو مخيم بالحديبية أن عثمان قتل وكان قد بعثه في رسالة إلى المشركين بايع أصحابه وكانوا ألفا وأربعمئة تحت الشجرة على قتال المشركين الله صلى الله عليه وآله وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى وتغزوا فإذا حضره أقام حتى ينسلخ. هذا إسناد صحيح. ولهذا لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الشهر الحرام والحرمات قصاص وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: لم يكن رسول شهر حرام حتى قاضاهم على الدخول من قابل فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان من المسلمين وأقصه الله منهم فنزلت في ذلك هذه الآية الشهر الحرام صلى الله عليه وسلم معتمرا في سنة ست من الهجرة وحجسه المشركون عن الدخول والوصول إلى البيت وصدوه بمن معه من المسلمين في ذي القعدة وهو قال عكرمة عن ابن عباس والضحاك والسدي وقتادة ومقسم والربيع بن أنس وعطاء وغيرهم لما سار رسول الله

عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة فقال وأحسنوا إن الله يحب المحسنين. 195

بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والإخبار بأيديهم إلى التهلكة والتهلكة أن يهلك رجال من الجوع والعطش أو من المشي. وقال لمن بيده فضل وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ومضمون الآية الأمر يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير نفقة فإما أن يقطع بهم وإما كانوا عيالا فأمرهم الله أن يستنفقوا مما رزقهم الله ولا يلقوا وبه قال ابن وهب أيضا: أخبرني عبد الله بن عياش عن زيد بن أسلم في قول الله وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وذلك أن رجلا كانوا زادا من الآخر أنفق البائس من زاده حتى لا يبقى من زاده شيء أحب أن يواسي صاحبه فأنزل الله وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة صخر عن القرظي محمد بن كعب أنه كان يقول في هذه الآية ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال: كان القوم في سبيل الله فيتزود الرجل فكان أفضل الذنوب فيهلك. ولهذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس التهلكة عذاب الله. وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرني أبو وابن سيرين وأبي قلابة نحو ذلك يعني نحو قول النعمان بن بشير إنها في الرجل يذنب الذنب فيعتقد أنه لا يغفر له فيلقي بيده إلى التهلكة أي يستكثر من لي فأنزل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين رواه ابن مردويه. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عبيدة السلماني والحسن

تفسير ابن كثير

بأيديكم إلى التهلكة قال هو البخل وقال سماك بن حرب عن النعمان بن بشير في قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أن يذنب الرجل الذنب فيقول لا يغفر يتصدقون وينفقون من أموالهم فأصابته سنة فأمسكوا عن النفقة في سبيل الله فنزلت ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال الحسن البصري ولا تلقوا النفقة أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل الله ولا تلق بيدك إلى التهلكة. قال حماد بن سلمة عن داود عن الشعبي عن الضحاك بن أبي جبير قال: كانت الأنصار بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال: ليس ذلك في القتال إنما هو في فعاب ذلك عليه المسلمون ورفعوا حديثه إلى عمرو بن العاص فأرسل إليه عمرو فردده وقال عمرو قال الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال عطاء عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أن عبدالرحمن الأسود بن عبد يغوث أخبره أنهم حاصروا دمشق فانطلق رجل من أزد شنوءة فأسرع إلى العدو وحده ليستقبل يتوب. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنا عبدالرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي بكر بن نمير بن الترمذي وقيس بن الربيع عن أبي إسحق عن البراء فذكره وقال بعد قوله لا تكلف إلا نفسك ولكن التهلكة أن يذنب الرجل الذنب فيلقي بيده إلى التهلكة ولا إنما هذه في النفقة رواه ابن مردويه وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث إسرائيل عن أبي إسحق وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ورواه رجل للبراء بن عازب إن حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقى بيدك إلى التهلكة؟ قال: لا. قال الله لرسوله فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا فيما بيننا: لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها فأنزل الله هذه الآية وقال أبو بكر بن عياش عن أبي إسحق السبيعي قال: قال الناس إليه فقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب: يا أيها الناس إنكم لتأولون هذه الآية على غير التأويل وإنما نزلت فينا معشر الأنصار رجل يزيد بن فضالة بن عبيد فخرج من المدينة صف عظيم من الروم فصففنا لهم فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل فيهم ثم خرج إلينا فصاح غريب وقال الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولفظ أبي داود عن أسلم أبي عمران كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى أهل الشام مردويه والحافظ أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه كلهم من حديث يزيد بن أبي حبيب به وقال الترمذي حسن صحيح فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره وابن أبي حاتم وابن جرير وابن الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فخرج إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة الإسلام وظهر اجتماعنا معشر الأنصار تحببا فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا: صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقة ومعنا أبو أيوب الأنصاري فقال ناس: ألقى قال: وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال الليث بن سعد عن في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال نزلت في النفقة ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن أبي معاوية عن الأعمش به مثله قال البخاري حدثنا إسحق أخبرنا النضر أخبرنا شعبة عن سليمان سمعت أبا وائل عن حذيفة وأنفقوا

حاضرا لا مسافرا والله أعلم. وقوله واتقوا الله أي فيما أمركم ونهاكم واعلموا أن الله شديد العقاب أي لمن خالف أمره وارتكب ما عنه زجره. 196 رواية عنه اليوم واليومين. واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم ومن كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة لأن من كان كذلك يعد حاضري المسجد الحرام. قال: عرفة ومزدلفة وعرة والرجيع. وقال عبدالرزاق: حدثنا معمر سمعت الزهري يقول: من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع. وفي عن جابر عن مكحول في قوله ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قال: من كان دون الميقات. وقال ابن جريج عن عطاء: ذلك لمن لم يكن أهله المواقيت كما قال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن عطاء قال: من كان أهله دون المواقيت فهو كأهل مكة لا يتمتع وقال عبدالله بن المبارك عن عبدالرحمن بن يزيد قول الله عز وجل ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قال: وبلغني عن ابن عباس مثل قول طاوس. وقال آخرون: هم أهل الحرم ومن بينه وبين بينه وبين الحرم واديا ثم يهل بعمرة. وقال عبدالرزاق: حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: المتعة للناس لا لأهل مكة من لم يكن أهله من الحرم. وكذا الجماعة عليه وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: يا أهل مكة لا متعة لكم أحلت لأهل الآفاق وحرمت عليكم إنما يقطع أحلكم واديا أو قال يجعل خاصة دون غيرهم. حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان هو الثوري قال: قال ابن عباس: هم أهل الحرم وكذا روى ابن المبارك عن الثوري وزاد عني بقوله لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به وأنه لا متعة لهم فقال بعضهم عني بذلك أهل الحرم البصري في قوله تلك عشرة كاملة قال: من الهدي. وقوله ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قال ابن جرير: واختلف أهل التأويل فيمن ربه أربعين ليلة وقيل معنى كاملة الأمر بإكمالها وإتمامها. اختاره ابن جرير وقيل معنى كاملة أي مجزئة عن الهدي قال هشام عن عباد بن راشد عن الحسن بأذني وكتبت بيدي وقال الله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وقال ولا تخطه بيمينك وقال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ما أخبرني سالم عن أبيه والحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري به وقوله تلك عشرة كاملة قيل: تأكيد كما تقول العرب رأيت بعيني وسمعت ثم ليهل بالحج فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله. وذكر تمام الحديث قال الزهري: وأخبرني عروة عن عائشة بمثل مكة قال للناس: من كان منكم أهدى فإنه لا يحل شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة إلى الحج فأهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة فأهل بعمرة ثم أهل بالحج فتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدأ

تفسير ابن كثير

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر قال: تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في وكذا روي عن سعيد بن جبيرة وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والزهري والربيع بن أنس وحكى على ذلك أبو جعفر بن جرير الإجماع وقد أخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن سالم سمعت ابن عمر قال: فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت قال: إذا رجع إلى أهله. إلى رحالكم. ولهذا قال مجاهد هي رخصة إذا شاء صامها في الطريق وكذا قال عطاء بن أبي رباح والقول الثاني إذا رجعت إلى أوطانكم. قال عبدالرزاق: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل وقوله وسبعة إذا رجعت فيه قولان: أحدهما إذا رجعت قالوا ذلك لعموم قوله فصيام ثلاثة أيام في الحج والجديد من القولين أنه لا يجوز صيامها أيام التشريق لما رواه مسلم عن نبیشة الهذلي رضي الله عنه أنه كان يقول: من فاته صيام ثلاثة أيام في الحج صامهن أيام التشريق وبهذا يقول عبيد بن عمير الليثي عن عكرمة والحسن البصري وعروة بن الزبير وإنما هكذا رواه مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة وعن سالم عن ابن عمر وقد روي من غير وجه عنهما. ورواه سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي للإمام الشافعي أيضا القديم منهما أنه يجوز له صيامها لقول عائشة وابن عمر في صحيح البخاري لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لا يجد الهدى عرفة وكذا روى جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أيضا فلو لم يصمها أو بعضها قبل العيد فهل يجوز أن يصومها في أيام التشريق؟ فيه قولان للعلماء وهما كان يوم عرفة الثالث فقد تم صومه وسبعة إذا رجع إلى أهله وكذا روى ابن إسحق عن وبرة عن ابن عمر قال: يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم وحماد وإبراهيم أبو جعفر الباقر والربيع ومقاتل بن حيان. وقال العوفي عن ابن عباس: إذا لم يجد هديا فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم عرفة فإذا قاله طاوس ومجاهد وغير واحد وجوز الشعبي صيام يوم عرفة وقبلة يومين وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والسدي وعطاء وطاوس والحكم والحسن والأولى أن يصومها قبل يوم عرفة في العشر قاله عطاء أو من حين يحرم قاله ابن عباس وغيره لقوله في الحج ومنهم من يجوز صيامها من أول شوال فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت تلك عشرة كاملة يقول تعالى: فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج أي في أيام المناسك. قال العلماء: رضي الله عنه ينهي عنها محرما لها إنما كان ينهي عنها ليكثر قصد الناس للبيت حاجين ومعتمرين كما قد صرح به رضي الله عنه. وقوله فمن لم يجد به أن عمر كان ينهي الناس عن التمتع ويقول إن نأخذ بكتاب الله فإن الله يأمر بالتمام يعني قوله وأتموا الحج والعمرة لله وفي نفس الأمر لم يكن عمر الله عليه وسلم ثم لم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء. قال البخاري: يقال إنه عمر وهذا الذي قاله البخاري قد جاء مصرحا وفي هذا دليل على مشروعية التمتع كما جاء في الصحيحين عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله وفعلناها مع رسول الله صلى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح البقر عن نسائه وكن تمتعات رواه أبو بكر بن مردويه فما استيسر من الهدى أي فليذبح ما قدر عليه من الهدى وأقله شاة وله أن يذبح البقر لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر وقال الصحاح فإن من الرواة من يقول: تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر يقول: قرن ولا خلاف أنه ساق هديا وقال تعالى فمن تمتع بالعمرة إلى الحج أو أحرم بالعمرة أولا فلما فرغ منها أحرم بالحج وهذا هو التمتع الخاص وهو المعروف في كلام الفقهاء والتمتع العام يشمل القسمين كما دلت عليه الأحاديث أنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى أي فإذا تمكنت من أداء المناسك فمن كان منكم متمتعا بالعمرة إلى الحج وهو يشمل من أحرم بهما قال: فأمر به علي فحلق رأسه ثم دعا ببدنة فنحرها فإن كانت هذه الناقة عن الحلق ففيه أنه نحرها دون مكة. وإن كانت عن التحلل فواضح. وقوله فإذا به السقيا قال: فأرسل إلى علي ومعه أسماء بنت عميس قال: فمريضاه نحوا من عشرين ليلة قال: قال علي للحسين ما الذي تجد؟ قال: فأومأ بيده إلى رأسه أبو أسماء: وكنت مع ابن جعفر فإذا نحن برجل نائم وناقته عند رأسه قال: فقلت أيها النائم! فاستيقظ فإذا الحسين بن علي قال فحملته ابن جعفر حتى أتينا هشيم: أخبرنا يحيى بن سعيد عن يعقوب بن خالد أخبرنا أبو أسماء مولى ابن جعفر قال: حج عثمان بن عفان ومعه علي والحسين بن علي فارتحل عثمان. قال وعطاء والحسن وقال هشام: أخبرنا حجاج وعبد الملك وغيرهما عن عطاء أنه كان يقول: ما كان من دم فبمكة وما كان من طعام وصيام فحيث شاء. وقال هناك بخلاف هذا والله أعلم. وقال هشام: أخبرنا ليث عن طاوس أنه كان يقول: ما كان من دم أو طعام فبمكة وما كان من صيام فحيث شاء وكذا قال مجاهد أو نسك شاة وإن ذلك على التخيير كما دل عليه سياق القرآن وأما هذا الترتيب فإنما هو معروف في قتل الصيد كما هو نص القرآن وعليه أجمع الفقهاء بن جبيرة وعلقمة والحسن وعكرمة قولان غريبان فيهما نظر لأنه قد ثبتت السنة في حديث كعب بن عجرة الصيام ثلاثة أيام لا ستة أو إتمام ستة مساكين من بر والنسك شاة. وقال قتادة عن الحسن وعكرمة في قوله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك قال: إتمام عشرة مساكين. وهذا القولان من سعيد إذا كان بالمحرم أدى من رأسه حلق وافتدى بأي هذه الثلاثة شاء والصيام عشرة أيام والصدقة على عشرة مساكين كل مسكين مكوكين مكوكا من تمر ومكوكا منها. وقال ابن جرير أيضا: حدثنا ابن أبي عمران حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن أشعث عن الحسن في قوله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك قال: لما قال لي سعيد بن جبيرة من هذا ما أظرفه؟ قال: قلت هذا إبراهيم فقال ما أظرفه كان يجالسنا قال: فذكرت ذلك لإبراهيم قال: فلما قلت يجالسنا انتفض كان عنده اشترى شاة وإن لم يكن قومت الشاة دراهم وجعل مكانها طعام فتصدق وإلا صام لكل نصف صاع يوما. قال إبراهيم كذلك سمعت علقمة يذكر قال: أبو بكر بن عياش قال: ذكر الأعمش قال: سألت إبراهيم سعيد بن جبيرة عن هذه الآية ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فأجابته بقول يحكم عليه طعام فإن الأفضل فالأفضل فقال: انسك شاة أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام فكل حسن في مقامه ولله الحمد والمنة. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا لفظ القرآن في بيان الرخصة بالأسهل فالأسهل ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى إن شاء صام وإن شاء تصدق بفرق وهو ثلاثة أصع لكل مسكين نصف صاع وهو مدان وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على الفقراء أي ذلك فعل أجزأه ولما كان

تفسير ابن كثير

وعطاء وطاوس والحسن وحמיד الأعرج وإبراهيم النخعي والضحاك نحو ذلك قلت وهو مذهب الأئمة الأربعة وعامة العلماء أنه يخير في هذا المقام عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك قال إذا كان أو فأيه أخذت أجزأ عنك. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد وعكرمة وسلم أن يحلق رأسه وقال صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين مدين مدين لكل إنسان أو انسك شاة أي ذلك فعلت أجزأ عنك وهكذا روى ابن أبي سليم عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذاه القمل في رأسه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزبيير بن أنس. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس بن عبدالأعلى أخبرنا عبدالله بن وهب أن مالك بن أنس حدثه عن عبدالكريم بن مالك الجزري عن مجاهد الله عليه وسلم النسك شاة والصيام ثلاثة أيام والطعام فرق بين ستة وكذا روي عن علي ومحمد بن كعب وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعطاء والسدي كعب بن عجرة يقول: فذبحت شاة ورواه ابن مردويه وروي أيضا من حديث عمر بن قيس وهو ضعيف عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مجاهد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة فذكر نحوه. وقال سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة عن أبان بن صالح عن الحسن البصري أنه سمع إياس به وعن شعبة عن الحكم عن عبدالرحمن بن أبي ليلى به وعن شعبة عن داود عن الشعبي عن كعب بن عجرة نحوه ورواه الإمام مالك عن حميد بن قيس قال ونزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك. وكذا رواه عثمان عن شعبة عن أبي بشر وهو جعفر بن حصرة المشركون وكانت لي وفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهي فمر علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أيؤذيك هوام رأسك فأمره أن يحلق حدثنا أبو بشر عن مجاهد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون وقد هوام رأسك؟ قلت نعم. قال: فاحلقه وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسكة قال أيوب: لا أدري بأيتهن بدأ. وقال أحمد أيضا: حدثنا هشام بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: أتى علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر والقمل يتناثر على وجهي أو قال حاجبي فقال يؤذيك لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن مجاهد عن عبدالرحمن الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أما تجد شاة قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين سمعت عبدالله بن معقل قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة فسألته عن فدية من صيام فقال: حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك. قال البخاري: حدثنا آدم حدثنا شعبة عن عبدالرحمن بن الأصهباني عن حفصة أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك؟ فقال: إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر. الحلق حتى يبلغ الهدى محله ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارنا أو من فعل أحدهما إن كان مفردا أو متمتعا كما ثبت في الصحيحين وأصحابه عام الحديبية لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حللوا وذبحوا هديهم خارج الحرم فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم فلا يجوز الحج والعمرة لله وليس معطوفا على قوله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى كما زعمه ابن جرير رحمه الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها قالت: أهدى النبي صلى الله عليه وسلم مرة غنما. وقوله ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله معطوف على قوله وأتموا وهي الإبل والبقر والغنم. كما قاله الحبر البحر ترجمان القرآن وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الصحيح عن عائشة أم المؤمنين الجمهور فيما ذهبوا إليه من إجزاء ذبح الشاة في الإحصار أن الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدى أي مهما تيسر مما يسمى هديا والهدى من بهيمة الأنعام فمن الإبل وإلا فمن البقر وإلا فمن الغنم وقال هشام بن عروة عن أبيه فما استيسر من الهدى قال إنما ذلك فيما بين الرخص والغلاء والدليل على صحة قول أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله فما استيسر من الهدى قال بقدر يسارته وقال العوفي عن ابن عباس: إن كان موسرا الإبل والبقر ففي الصحيحين عن جابر قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بقرة وقال عبدالرزاق: وسعيد بن جبير نحو ذلك قلت والظاهر أن مستند هؤلاء فيما ذهبوا إليه قصة الحديبية فإنه لم ينقل عن أحد منهم أنه ذبح في تحله ذلك شاة وإنما ذبحوا عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة وابن عمر أنهما كانا لا يريان ما استيسر من الهدى إلا من الإبل والبقر قال وروي عن سالم والقاسم وعروة بن الزبير والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم مثل ذلك وهو مذهب الأئمة الأربعة: وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر قوله فما استيسر من الهدى قال شاة. وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وأبو العالية ومحمد بن علي بن الحسين وعبدالرحمن بن القاسم والشعبي والنخعي من الهدى شاة. وقال ابن عباس الهدى من الأزواج الثمانية من الإبل والبقر والمعز والضأن. وقال الثوري عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحفاظ وقد صح والله الحمد. وقوله فما استيسر من الهدى قال الإمام مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول فما استيسر صحة الاشتراط في الحج لهذا الحديث وقد علق الإمام محمد بن إدريس الشافعي القول بصحة هذا المذهب على صحة هذا الحديث قال البيهقي وغيره من يا رسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية فقال حجني واشترطي أن محلي حيث حبستني ورواه مسلم عن ابن عباس بمثله فذهب من ذهب من العلماء إلى الإحصار من كل شيء آذاه. وثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبدالملط بن قيس قالت: وابن الزبير وعلقمة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومجاهد والنخعي وعطاء ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: الإحصار من عدو أو مرض أو كسر وقال الثوري: أو مرض فذكر معناه. ورواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن علية عن الحجاج بن أبي عثمان الصواف به ثم قال: وروي عن ابن مسعود ذلك لابن عباس وأبي هريرة فقالا: صدق. وأخرجه أصحاب الكتب الأربعة من حديث يحيى بن أبي كثير به وفي رواية لأبي داود وابن ماجه من عرج أو كسر عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كسر أو وجع أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال: فذكرت

تفسير ابن كثير

أو مرض أو ضلال وهو التوهان عن الطريق أو نحو ذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حجاج بن الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة الله تعالى فإذا أمتتم فليس الأمن حصرا قال: وروي عن ابن عمر وطاوس والزهري وزيد بن أسلم نحو ذلك. والقول الثاني: أن الحصر أعم من أن يكون بعدو طاوس عن أبيه عن ابن عباس وابن أبي نجيح عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو فأما من أصابه مرض أو وجع أو ضلال فليس عليه شيء إنما قال من حصره عدو لا مرض ولا غيره على قولين. فقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن ألفا وأربعمائة وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم وقيل بل كانوا على طرف الحرم فإله أعلم. ولهذا اختلف العلماء هل يختص الحصر بالعدو فلا يتحلل إلا وسلم رحم الله المحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ فقال: في الثالثة والمقصرين وقد كانوا اشتروا في هديهم ذلك كل سبعة في بدنة وكانوا يحلقوا رءوسهم وأن يتحللوا فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج فحلق رأسه ففعل الناس وكان منهم من قصر رأسه ولم يحلقه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم بكمالها وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدي وكان سبعين بدنة وأن يحلقوا رءوسهم وأن يتحللوا من إحرامهم فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن نزلت في سنة ست أي عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين الوصول إلى البيت وأنزل الله في ذلك سورة الفتح والاستنشاق ولا ذكر نزول هذه الآية وهو عن يعلى بن أمية لا صفوان بن أمية فإله أعلم. وقوله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ذكروا. أن هذه الآية أين السائل؟ فقال: ها أنا ذا فقال أما الجبة فانزعها وأما الطيب الذي بك فاغسله ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك ولم يذكر فيه الغسل وهو بالجعرانة فقال كيف ترى في رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة وخلوق فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءه الوحي ثم رفع رأسه فقال: فاصنعه في عمرتك هذا حديث غريب وسياق عجيب والذي ورد في الصحيحين عن يعلى بن أمية في قصة الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم الله صلى الله عليه وسلم أين السائل عن العمرة فقال ها أنا ذا. فقال له ألق عنك ثيابك ثم اغتسل استنشقا ما استطعت ثم ما كنت صانعا في حجك صلى الله عليه وسلم متضمن بالخزعفران عليه جبة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ قال فأنزل الله وأتموا الحج والعمرة لله فقال رسول حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عبد الله الهروي حدثنا غسان الهروي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن صفوان بن أمية أنه قال: جاء رجل إلى النبي وقال في الصحيح أيضا دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة. وقد روى الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية حديثا غريبا فقال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في إحرامه بحج وعمرة. وثبت عنه في الصحيح أنه قال لأصحابه: من كان معه هدي فليهل بحج وعمرة. الحج والعمرة لله برفع العمرة وقال ليست بواجبة. وروي عنه خلاف ذلك. وقد وردت أحاديث كثيرة من طرق متعددة عن أنس وجماعة من الصحابة وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت. وكذا روى الثوري أيضا عن إبراهيم عن منصور عن إبراهيم أنه قرأ: وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت. وقرأ الشعبي وأتموا البيت لا يجاوز بالعمرة البيت. قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبيرة فقال: كذلك قال ابن عباس. وقال سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه قال: الحج عرفة والعمرة الطواف. وكذا روى الأعمش عن إبراهيم عن علقمة في قوله وأتموا الحج والعمرة لله قال هي قراءة عبد الله وأتموا الحج والعمرة إلى له أن يحل حتى يتمهما تمام الحج يوم النحر إذا رمى جمره العقبة وطاف بالبيت وبالصفاء والمروة فقد حل. وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس أنه قال: الحج والعمرة لله أي أقيموا الحج والعمرة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وأتموا الحج والعمرة لله يقول من أحرم بحج أو بعمرة فليس عن ذلك بسبب الطهر كما هو مبسوط في الحديث عند البخاري ونص سعيد بن جبيرة على أنه من خصائصها والله أعلم. وقال السدي في قوله وأتموا وما اعتمر في غير ذلك بعد هجرته ولكن قال لأم هاني عمرة في رمضان تعدل حجة معي وما ذاك إلا لأنها قد عذمت على الحج معه عليه السلام فاعتاقت سنة ست وعمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع وعمرة الجعرانة في ذي القعدة سنة ثمان وعمرته التي مع حجته أحرم بهما معا في ذي القعدة سنة عشر دعامة رحمهما الله وهذا القول فيه نظر لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة عمرة الحديبية في ذي القعدة ابن عون: سمعت القاسم بن محمد يقول إن العمرة في أشهر الحج ليست بتمامه فليل له فالعمرة في المحرم؟ قال: كانوا يرونها تامة. وكذا روي عن قتادة بن الحج والعمرة لله من تمامهما أن تفرد كل واحد منهما من الآخر وأن تعتمر في غير أشهر الحج إن الله تعالى يقول الحج أشهر معلومات. وقال هشام عن له ولا تخرج لغيره. وقال مكحول: إتمامهما إنشاؤهما جميعا من الميقات. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري قال بلغنا أن عمر قال في قول الله وأتموا الحج والعمرة وتهل من الميقات ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى إذا كنت قريبا من مكة قلت لو حججت أو اعتمرت وذلك يجزئ ولكن التمام أن تخرج قال: أن تحرم من دويرة أهلك. وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وطاوس وعن سفيان الثوري أنه قال في هذه الآية: إتمامهما أن تحرم من أهلك لا تريد إلا في كتابنا الأحكام مستقصى ولله الحمد والمنة. وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي أنه قال في هذه الآية وأتموا الحج والعمرة لله من إتمامهما ولهذا اتفق العلماء على أن الشروع في الحج والعمرة ملزم سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء وقد ذكرناهما بدلائلهما المناسك فأمر بإتمام الحج والعمرة وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما. ولهذا قال بعده فإن أحصرتم أي صدتكم عن الوصول إلى البيت ومنعتم لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان

رواه ابن أبي حاتم وقوله واتقوا عقابي ونكالي وعذابي لمن خالفني ولم يأت بأمر يا ذوي العقول والأفهام. 197
المسلمين فقال: يا رسول الله ما نجد ما نتزوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزود ما تكف به وجهك عن الناس وخير ما تزودتم التقوى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة وقال مقاتل بن حيان: لما نزلت هذه الآية وتزودوا قام رجل من فقراء يعني زاد الآخرة. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبدان حدثنا هشام بن عمار حدثنا مروان بن معاوية عن إسماعيل عن قيس عن جرير عن عبد الله

تفسير ابن كثير

الحسي نبه مرشدا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر أنه خير من هذا وأنفع. قال عطاء الخراساني في قوله فإن خير الزاد التقوى الزاد التقوى لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما قال وريشا ولباس التقوى ذلك خير لما ذكر اللباس ابن عمر قال إن من كرم الرجل طيب زاده في السفر وزاد فيه حماد بن سلمة عن أبي ریحانة أن ابن عمر كان يشترط على من صحبه الجودة. وقوله فإن خير سفیان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبیر وتزودوا قال الخشكانج والسويق. وقال وكيع أيضا: حدثنا إبراهيم المكي عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن عطاء الخراساني وقتادة والربيع بن أنس ومقاتل بن حیان: وقال سعيد بن جبیر: فتزودوا الدقيق والسويق والكعك. وقال وكيع بن الجراح في تفسيره: حدثنا التقوى فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتزودوا الدقيق والسويق والكعك وكذا قال ابن الزبير وأبو العالية ومجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي وسالم بن عبد الله حديث عمرو بن عبد الغفار عن نافع عن ابن عمر قال: كانوا إذا أحرموا ومعهم أزوادهم رموا بها واستأنفوا زادا آخر فأُنزل الله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن شابة. ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث شابة وروى ابن جرير وابن مردويه من المخزومي عن شابة عن ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فأُنزل الله الزاد التقوى وأما حديث ورقاء فأخرجه البخاري عن يحيى بن بشر عن شابة وأخرجه أبو داود عن أبي مسعود أحمد بن الفرات الرازي ومحمد بن عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس كان ناس يحجون بغير زاد فأُنزل الله وتزودوا فإن خير قال ابن أبي حاتم: وقد روى هذا الحديث ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال وما يرويه عن ابن عيينة أصح قلت قد رواه النسائي عن ابن دينار عن عكرمة أن ناسا كانوا يحجون بغير زاد فأُنزل الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وكذا رواه ابن جرير عن عمرو وهو الفلاس عن ابن عيينة نحج بيت الله ولا يطعمنا؟ فقال الله تزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس. وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفیان عن عمرو عليه أوفر الجزاء يوم القيامة. وقوله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى قال العوفي عن ابن عباس: كان أناس يخرجون من أهليهم ليست معهم أزودة يقولون له ما تقدم من ذنبه. وقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله لما نهاهم عن إتيان القبيح قولوا وفعلوا حثهم على فعل الجميل وأخبرهم أنه عالم به وسيجزيهم عن أخيه عبد الله بن عبيد الله عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر ما يصنع كهينة الإنكار اللطيف أن الأولى ترك ذلك والله أعلم. وقد قال الإمام عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبيد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة السلف أنه قال: من تمام الحج ضرب الجمال ولكن يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه انظروا إلى هذا المحرم الله يتبسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع وهكذا أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن إسحق ومن هذا الحديث حكى بعضهم عن بعض أبو بكر ينتظره إلى أن يطلع عليه فاطلع وليس معه بغيره فقال: أين بغيرك؟ فقال أضلته البارحة. فقال أبو بكر بغير واحد تضله؟ فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست إلى جنب أبي وكانت زمالة أبي بكر وزمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة مع غلام أبي بكر فجلس قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى إذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلست عائشة إلى جنب رسول والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر والجدال الغضب أن تغضب عليك مسلما إلا أن تستعبت مملوكا فتغضبه من غير أن تضربه فلا بأس عليك إن شاء الله قلت ولو ضربه لكان جائزا سائغا. عن ابن الزبير والحسن وإبراهيم وطاوس ومحمد بن كعب قالوا: الجدال المراء. وقال عبد الله بن المبارك عن يحيى بن بشير عن عكرمة ولا جدال في الحج السباب والمنازعة. وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن ابن عمر كان يقول: الجدال في الحج السباب والمراء والخصومات. وقال ابن أبي حاتم: وروى فنهى الله عن ذلك وقال إبراهيم النخعي ولا جدال في الحج قال كانوا يكرهون الجدال وقال محمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر قال: الجدال في الحج النخعي وعطاء بن يسار والحسن وقتادة والزهري. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ولا جدال في الحج المراء والملاحاة حتى تغضب أخاك وصاحبك ومجاهد وسعيد بن جبیر وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء الخراساني ومكحول والسدي ومقاتل بن حيان وعمرو بن دينار والضحاك والربيع بن أنس وإبراهيم عن التميمي سألت ابن عباس عن الجدال قال: المراء تماري صاحبك حتى تغضبه. وكذلك روى مقسم والضحاك عن ابن عباس. وكذا قال أبو العالية وعطاء عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود في قوله ولا جدال في الحج قال: أن تماري صاحبك حتى تغضبه. وبهذا الإسناد إلى أبي إسحق التنازع في مناسك الحج والله أعلم. والقول الثاني أن المراد بالجدال ههنا المخاصمة. قال ابن جرير: حدثنا عبد الحميد بن حسان حدثنا إسحق عن شريك عن القاسم بن محمد أنه قال: الجدال في الحج أن يقول بعضهم الحج غدا ويقول بعضهم الحج اليوم. وقد اختار ابن جرير مضمون هذه الأقوال وهو قطع بن كعب قال: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم وقال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم. وقال حماد بن سلمة عن جبیر بن حبيب كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي أن موقفه موقف إبراهيم فقطعه الله حين أعلم نبيه بالمناسك. وقال ابن وهب عن أبي صخر عن محمد يقفون بعرفة وكانوا يتجادلون يقول هؤلاء: نحن أصوب ويقول هؤلاء: نحن أصوب. فهذا فيما نرى والله أعلم. وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال مالك: قال الله تعالى ولا جدال في الحج قال فالجدال في الحج والله أعلم أن قريشا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة وكانت العرب وغيرهم الحج فلا جدال فيه وكذا قال السدي وقال هشام: أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس ولا جدال في الحج قال المراء في الحج. وقال عبد الله بن وهب ما كان المشركون يصنعون في النسيء الذي ذمهم الله به. وقال الثوري عن عبدالعزيز بن رفيع عن مجاهد في قوله ولا جدال في الحج قال قد استقام أشهر الحج فليس فيه جدال بين الناس. وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد ولا جدال في الحج قال لا شهر ينسأ ولا جدال في الحج قد تبين ثم ذكر كيفية

تفسير ابن كثير

الحج في مناسكه وقد بينه الله أتم بيان ووضحه أكمل إيضاح كما قال وكيع عن العلاء بن عبد الكريم سمعت مجاهدا يقول ولا جدال في الحج قد بين الله وسلم: من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وقوله ولا جدال في الحج فيه قولان: أحدهما ولا مجادلة في وقت ونحو ذلك كما تقدم عن ابن عمر وما ذكرناه أولى والله أعلم؛ وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم واختار ابن جرير أن الفسوق ههنا هو ارتكاب ما نهى عنه في الإحرام من قتل الصيد وحلق الشعر وقلم الأظفار كان في جميع السنة منهيا عنه إلا أنه في الأشهر الحرم أكد ولهذا قال: منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقال في الحرم: ومن الله به وقال الضحاك: الفسوق التنازع بالألقاب. والذين قالوا الفسوق ههنا هو جميع المعاصي الصواب منهم. كما نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم وإن عن أبيه ومن حديث أبي إسحق عن محمد بن سعد عن أبيه. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الفسوق ههنا الذبح للأصنام. قال الله تعالى أو فسقا أهل لغير عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وروي من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وقد يتمسك هؤلاء بما ثبت في الصحيح سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ولهذا رواه ههنا الجبر أبو محمد بن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري عن زبيد الفسوق إتيان معاصي الله في الحرم. وقال آخرون: الفسوق ههنا السباب. قاله ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومجاهد والسدي وإبراهيم النخعي والحسن بن إسحق عن نافع عن ابن عمر قال: الفسوق ما أصيب من معاصي الله صيدا أو غيره. وكذا روى ابن وهب عن يونس عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول: وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة وإبراهيم النخعي والزهري والربيع بن أنس وعطاء بن يسار وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وقال محمد مالك والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. وقوله ولا فسوق قال مقسم وغير واحد عن ابن عباس هي المعاصي. وكذا قال عطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة عن عطاء ومكحول وعطاء الخراساني وعطاء بن يسار وعطية وإبراهيم النخعي والربيع والزهري والسدي ومالك بن أنس ومقاتل بن حيان وعبد الكريم بن لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك. وقال ابن عباس أيضا وابن عمر: الرفث غشيان النساء. وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم وأبو العالية طاوس: وهو أن يقول للمرأة إذا حللت أصبتك. وكذا قال أبو العالية. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والقيلة والغمز وإن تعرض وقال عطاء بن أبي رباح: الرفث الجماع وما دونه من قول الفحش. وكذا قال عمرو بن دينار وقال عطاء: كانوا يكرهون العراة وهو التعريض وهو محرم. وقال عن أبيه سألت ابن عباس عن قول الله عز وجل فلا رفث ولا فسوق قال: الرفث التعريض بذكر الجماع وهي العراة في كلام العرب وهو أدنى الرفث. ويقول: وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير نك لميسا قال: فقلت أترفت وأنت محرم؟ فقال إنما الرفث ما قيل عند النساء. وقال عبد الله بن طاوس حدثني أبي حصين بن قيس قال: صعدت مع ابن عباس في الحج وكنت خليلا له فلما كان بعد إحرامنا قال ابن عباس: فأخذ بذنب بعيره فجعل يلويه ويرتجز عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس فذكره. وقال ابن جرير أيضا: حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف حدثني زياد بن حصين يقول: وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير نك لميسا قال أبو العالية: فقلت تكلم بالرفث وأنت محرم؟ قال: إنما الرفث ما قيل عند النساء. ورواه الأعمش ابن جرير وحدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن رجل عن أبي العالية الرياحي عن ابن عباس أنه كان يحدو وهو محرم وهو بن عمر كان يقول: الرفث إتيان النساء والتكلم بذلك للرجال والنساء إذا ذكروا ذلك بأفواههم. قال ابن وهب: وأخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب مثله قال من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك وكذلك التكلم به بحضرة النساء. قال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس أن نافعا أخبره أن عبد الله رفث أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفث وهو الجماع كما قال تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم وكذلك يحرم تعاطي دواعيه وإبراهيم النخعي وعكرمة والضحاك وقتادة وسفيان والثوري والزهري ومقاتل بن حيان نحو ذلك. وقال طاوس والقاسم بن محمد: هو التلبية وقوله فلا أنه قال: فمن فرض فيهن الحج فلا ينبغي أن يلبي بالحج ثم يقيم بأرض. قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء من أحرم بحج أو عمرة. وقال عطاء: الفرض الإحرام وكذا قال إبراهيم والضحاك وغيرهم. وقال ابن جريج: أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس والمضي فيه. قال ابن جرير: أجمعوا على أن المراد من الفرض ههنا الإيجاب والإلزام. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فمن فرض فيهن الحج يقول غير أشهر الحج وينهيان عن ذلك في أشهر الحج والله أعلم. وقوله فمن فرض فيهن الحج أي أوجب بإحرامه حجا فيه دلالة على لزوم الإحرام بالحج سألت القاسم بن محمد عن العمرة في أشهر الحج فقال كانوا لا يرونها تامة قلت وقد ثبت عن عمر وعثمان رضي الله عنهما أنهما كانا يحبان الاعتماد في بانقضاء أيام منى. كما قال محمد بن سيرين: ما أحد من أهل العلم يشك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج. وقال ابن عون: ابن جرير: وإنما أراد من ذهب إلى أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة إنما هي للحج وإن كان عمل الحج قد انقضى بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله: الحج أشهر معلومات ليس فيها عمرة وهذا إسناد صحيح. قال مالك أنه إلى آخر ذي الحجة بمعنى أنه مختص بالحج فيكره الاعتماد في بقية ذي الحجة لأنه يصح الحج بعد ليلة النحر. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة وذو الحجة وهذا كما رأيت لا يصح رفعه والله أعلم. وفائدة مذهب حديث مرفوع لكنه موضوع رواه الحافظ ابن مردويه من طريق حصين بن مخارق وهو متهم بالوضع عن يونس بن عبيد عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة صلى الله عليه وسلم وهذا إسناد صحيح إلى ابن جريج وقد حكى هذا أيضا عن طاوس ومجاهد وعروة بن الزبير والربيع بن أنس وقتادة وجاء فيه عمر يسمى شهور الحج؟ قال نعم كان عبد الله يسمى شوالا وذو القعدة وذو الحجة. قال ابن جريج: وقال ذلك ابن شهاب وعطاء وجابر بن عبد الله صاحب النبي وذو القعدة وذو الحجة وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني ابن جريج قال: قلت لنافع سمعت عبد الله بن

تفسير ابن كثير

وهو رواية عن ابن عمر أيضا قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال: شوال تعجل في يومين فلا إثم عليه وإنما تعجل في يوم ونصف يوم وقال الإمام مالك بن أنس والشافعي في القديم هي شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله ابن جرير قال: وصح إطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتغليب كما تقول العرب رأيتاه العام ورأيتاه اليوم وإنما وقع ذلك في بعض العام واليوم فمن والضاحك بن مزاحم والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأبي يوسف وأبي ثور رحمهم الله واختار هذا القول مروى عن عمر وعلي وابن مسعود وعبدالله بن الزبير وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد وإبراهيم النخعي والشعبي والحسن وابن سيرين ومكحول وقتادة مستدركه عن الأصم عن الحسن بن علي بن عفان عن عبدالله بن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر فذكره وقال هو على شرط الشيخين قلت وهو حدثنا ورفاء عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر الحج أشهر معلومات قال شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة إسناد صحيح. وقد رواه الحاكم أيضا في هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وهذا الذي علقه البخاري بصيغة الجزم رواه ابن جرير موصولا: حدثنا أحمد بن حازم بن أبي زغرة حدثنا أبو نعيم ويبقى حينئذ مذهب صحابي يتقوى بقول ابن عباس عن السنة أن لا يحرم بالحج إلا في أشهره والله أعلم. وقوله أشهر معلومات قال البخاري قال ابن عمر والبيهقي من طريق عن ابن جريج عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يسأل أيهل بالحج قبل أشهر الحج؟ فقال لا. وهذا الموقوف أصح وأثبت من المرفوع عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج وإسناده لا بأس به لكن رواه الشافعي تفسيراً للقرآن وهو ترجمانه. وقد ورد فيه حديث مرفوع قال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي حدثنا نافع حدثنا الحسن بن المثنى حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان فإن من سنة الحج أن يحرم بالحج في أشهر الحج وهذا إسناد صحيح. وقول الصحابي من السنة كذا في حكم المرفوع عند الأكثرين ولا سيما قول ابن عباس وقال ابن خزيمة في صحيحه: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو خالد الأحمر عن شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج ابن مردويه في تفسيره من طريقين عن حجاج بن أرطاة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس أنه قال من السنة أنه لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج قول الله تعالى الحج أشهر معلومات وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن يحيى بن مالك السوسي عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج به ورواه الله: أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في شهور الحج من أجل ذهب إليه النحاة وهو أن وقت الحج أشهر معلومات فخصه بها من بين سائر شهور السنة فدل على أنه لا يصح قبلها كميقات الصلاة. وقال الشافعي رحمه في أشهره مروى عن ابن عباس وجابر وبه يقول عطاء وطاوس ومجاهد رحمهم الله والدليل عليه قوله الحج أشهر معلومات وظاهره التقدير الآخر الذي الله إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره فلو أحرم به قبلها لم ينعقد إحرامه به وهل ينعقد عمرة فيه قولان عنه. والقول بأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا لهم بقوله تعالى يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وبأنه أحد النسكين فصح الإحرام به في جميع السنة كالعمرة. وذهب الشافعي رحمه الإحرام بالحج في جميع السنة مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وبه يقول إبراهيم النخعي والثوري والليث بن سعد. واحتج فقال بعضهم تقديره الحج حج أشهر معلومات فعلى هذا التقدير يكون الإحرام بالحج فيها أكمل من الإحرام فيما عداها وإن كان ذلك صحيحا والقول بصحة اختلف أهل العربية في قوله الحج أشهر معلومات

عليه السلام ولهذا قال وإن كنتم من قبله لمن الضالين قيل من قبل هذا الهدى وقيل القرآن وقيل الرسول والكل متقارب ومتلازم وصحيح. 198 وقوله واذكروه كما هداكم تنبيه لهم على ما أنعم الله به عليهم من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج على ما كان عليه من الهداية إبراهيم الخليل بن عبدالعزيز عن سليمان فقال الوليد عن جبيرة بن مطعم عن أبيه وقال سويد عن نافع بن جبيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره والله أعلم. التشريق ذبح وهذا أيضا منقطع فإن سليمان بن موسى هذا وهو الأشدق لم يدرك جبيرة بن مطعم ولكن رواه الوليد بن مسلم وسويد بن عبدالعزيز عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل عرفات موقف وارفعوا عن عرفات وكل مزدلفة موقف وارفعوا عن محسر وكل فجاج مكة منحر وكل أيام كلها موقف إلا محسرا هذا حديث مرسل وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا سعيد بن عبدالعزيز حدثني سليمان بن موسى عن جبيرة بن مطعم أعلم. وقال عبدالله بن المبارك عن سفيان الثوري عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عرفة كلها موقف وارفعوا عن عرفة وجمع كما هو أحد قولي الشافعي يجبر بدم؟ أو مستحب لا يجب بتركه شيء كما هو القول الآخر؟ في ذلك ثلاثة أقوال للعلماء لبسطها موضع آخر غير هذا والله بها ركن في الحج لا يصح إلا به كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض أصحاب الشافعي منهم القفال وابن خزيمة لحديث عروة بن مضر؟ أو واجب أن تقف دون قزح هلم إلينا من أجل طريق الناس قلت والمشاعر هي المعالم الظاهرة وإنما سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم وهل الوقوف قال: إذا أفضت من مأزمي عرفة فذلك إلى محسر قال وليس المأزمان مأزمي عرفة من المزدلفة ولكن مفضاهما قال: فقف بينهما إن شئت قال وأحب عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والسدي والربيع بن أنس والحسن وقتادة أنهم قالوا: هو ما بين الجبلين. وقال ابن جريج: قلت لعطاء أين المزدلفة؟ وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن المغيرة عن إبراهيم قال: رأهم ابن عمر يزدحمون على قزح فقال: علام يزدحم هؤلاء؟ كل ما ههنا مشعر. وروى عن ابن الحرام المزدلفة كلها. وقال هشام عن حجاج عن نافع عن ابن عمر أنه سئل عن قوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام قال فقال: هذا الجبل وما حوله. أيدي رواهنا بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هذا المشعر الحرام. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم قال: قال ابن عمر: المشعر عند المشعر الحرام وهي الصلاتين جميعا وقال أبو إسحق السبيعي عن عمرو بن ميمون سألت عبدالله بن عمرو عن المشعر الحرام فسكت حتى إذا هبطت فوجه وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو محمد بن بنت الشافعي فيما كتب إلي عن أبيه أو عمه عن سفيان بن عيينة قوله فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله

تفسير ابن كثير

بن زيد أنه سئل كيف كان يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دفع؟ قال: كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص. والعنق هو انبساط السير والنص حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهله فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس وفي الصحيحين عن أسامة بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلّى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى أيها الناس: السكينة السكينة كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلّى حتى غربت الشمس وبدت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شق للقصواء الزمام حتى إن بعير له يوضع وهو يقول: إنا وجدنا الإفاضة هي الإيضاع. وفي حديث جابر بن عبد الله الطويل الذي في صحيح مسلم قال فيه: فلم يزل واقفا يعني بعرفة وكيع عن شعبة عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن المعمر بن سويد قال: رأيت عمر رضي الله عنه حين دفع من عرفة كأني أنظر إليه رجل أصلع على ولم يخرجاه وقد صح وثبت بما ذكرناه سماع المسور من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كما يتوهمه بعض أصحابنا أنه ممن له رؤية بلا سماع وقال والحاكم في مستدركه كلاهما من حديث عبد الرحمن بن المبارك العيشي عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن جريج. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين الشمس في رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوهها وإنا ندفع قبل أن تطلع الشمس مخالفا هدينا هدي أهل الشرك هكذا رواه ابن مردويه وهذا لفظه بعد وكان إذا خطب خطبة قال أما بعد فإن هذا اليوم الحج الأكبر ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس إذا كانت وقال ابن جريج عن محمد بن قيس عن المسور بن مخرمة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما ابن مردويه من حديث زمعة بن صالح وزاد: ثم وقف بالمزدلفة وصلى الفجر بغلس حتى إذا أسفر كل شيء وكان في الوقت الآخر دفع وهذا أحسن الإسناد الشمس على رءوس الجبال كأنها العمائم على رءوس الرجال دفعوا فأخّر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدفعة عن عرفة حتى غربت الشمس ورواه بن الحسن بن عيينة حدثنا أبو عامر عن زمعة هو ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يقفون بعرفة حتى إذا كانت في وسطها جبل الرحمة قال أبو طالب في قصيدته المشهورة: وبالمشعر الأقصى إذا قصدوا له إلال إلى تلك الشراج القوابل وقال ابن أبي حاتم: حدثنا حماد عرفات. وروي نحوه عن ابن عباس وابن عمر وأبي مجلز فإله أعلم وتسمى عرفات المشعر الحرام والمشعر الأقصى وإلال على وزن هلال ويقال للجبل عرفة. وقال ابن المبارك عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال: إنما سميت عرفة لأن جبريل كان يري إبراهيم المناسك فيقول: عرفت عرفت فسميت طالب بعث الله جبريل عليه السلام إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فحج به حتى إذا أتى عرفة قال عرفت وكان قد أتاه مرة قبل ذلك فلذلك سميت رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي. ثم قيل: إنما سميت عرفات لما رواه عبدالرزاق أخبرني ابن جريج قال: قال ابن المسيب قال علي بن أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه حين خرج إلى الصلاة فقلت يا رسول الله إني جئت من جبلي طيء أكلت راحلتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج؟ وقت الوقوف من أول يوم عرفة واحتجوا بحديث الشعبي عن عروة بن مضر بن حارثة بن لام الطائي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة وقال في هذا الحديث فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله وذهب الإمام أحمد إلى أن الثاني من يوم النحر لأن النبي صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بعد أن صلى الظهر إلى أن غربت الشمس وقال: لتأخذوا عني مناسككم أن يطلع الفجر فقد أدرك. وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ووقت الوقوف من الزوال يوم عرفة إلى طلوع الفجر عن بكير عن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحج عرفات ثلاثا فمن أدرك عرفة قبل فيه الأصل فصرف اختاره ابن جرير وعرفة موضع الوقوف في الحج وهي عمدة أفعال الحج ولهذا روى الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح عن الثوري من عرفات فذكروا الله عند المشعر الحرام إنما صرف عرفات وإن كان علما على مؤنث لأنه في الأصل جمع كمسلمات ومؤمنات سمي به بقعة معينة فروع بن المهاجر عن أبي صالح مولى عمر قال: قلت يا أمير المؤمنين كنتم تتجرون في الحج؟ قال: وهل كانت معاشهم إلا في الحج؟ وقوله تعالى فإذا أفضتم إلى آخر الآية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنتم حجاج وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا غندر عن عبد الرحمن الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم عمر إنا قوم نكري فهل لنا من حج؟ فقال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المعرف وترمون الجمار وتحلقون رءوسكم؟ قلنا بلى قال: جاء رجل إلى النبي صلى وقال ابن جرير: حدثني طليق بن محمد الواسطي حدثنا أسباط هو ابن محمد أخبرنا الحسن بن عمر وهو الفقيمي عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن من ربكم فدعا الرجل فتلاها عليه وقال أنتم حجاج وكذا رواه مسعود بن سعد وعبد الواحد بن زياد وشريك القاضي عن العلاء بن المسيب به مرفوعا. إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألت فلم يدر ما يعود عليه أو قال: فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا أناسا يزعمون أنه لا حج لنا فهل ترى لنا حجا؟ قال أستم تحرمون وتطوفون بالبيت وتقضون المناسك؟ قال: قلت بلى قال فأنتم حجاج ثم قال: جاء رجل حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عباد بن العوام عن العلاء بن المسيب عن أبي أمامة التيمي قال قلت لابن عمر: إنا أناس نكري في هذا الوجه إلى مكة وإن عبد بن حميد في تفسيره عن عبدالرزاق به وهكذا روى هذا الحديث أبو حذيفة عن الثوري مرفوعا. وهكذا روي من غير هذا الوجه مرفوعا فقال ابن أبي ثم قال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألت عنه فنزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ورواه أبا عبد الرحمن إنا قوم نكري ويزعمون أنه ليس لنا حج قال: أستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون؟ قال: بلى قال: فأنت حاج

تفسير ابن كثير

عليه وسلم فقال أنتم حجاج وقال عبدالرزاق: أخبرنا الثوري عن العلاء بن المسيب عن رجل من بني تميم قال: جاء رجل إلى عبدالله بن عمر فقال: يا الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فدعا النبي صلى الله إنا نكري فهل لنا من حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون المعرف وترمون الجمار وتحلقون رءوسكم قال قلنا بلى فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي صلى من ربكم وهذا موقوف وهو قوي جيد وقد روي مرفوعا. قال أحمد: حدثنا أسباط حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر حدثنا شابة بن سوار حدثنا شعبة عن أبي أميمة قال: سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحج ومعه تجارة فقرأ ابن عمر ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا وهكذا فسرها مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومنصور بن المعتمر وقتادة وإبراهيم النخعي والربيع بن أنس وغيرهم. وقال ابن جرير: حدثنا الحسن بن عرفة مواسم الحج. وقال عبدالرحمن عن ابن عيينة عن عبدالله بن أبي يزيد: سمعت ابن الزبير يقرأ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج العوفي عن ابن عباس وقال وكيع: حدثنا طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في فضلا من ربكم في مواسم الحج. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية: لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده وهكذا روى تبتغوا فضلا من ربكم وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشام أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال ليس عليكم جناح أن تبتغوا حديث يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج يقولون أيام ذكر فأنزل الله ليس عليكم جناح أن عن ابن عباس قال: كان متجر الناس في الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية وروى أبو داود وغيره من ولبعضهم فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتجروا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية وكذا رواه ابن جرير عن عمرو بن دينار الموسم فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج. وهكذا رواه عبدالرزاق وسعيد بن منصور وغير واحد عن سفيان بن عيينة به قال البخاري: حدثنا محمد أخبرني ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم والأحاديث في الاستغفار كثيرة. 199 ومن قالها في نومه فمات دخل الجنة وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمر أن أبا بكر قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: قل اللهم ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها في ليلة فمات في ليلته دخل الجنة بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك صلى الله عليه وسلم لأتمه عشية عرفة وقد أوردناه في جزء جمعناه في فضل يوم عرفة. وأورد ابن مردويه ههنا الحديث الذي رواه البخاري عن شداد الله ثلاثا. وفي الصحيحين أنه ندب إلى التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين. وقد روى ابن جرير ههنا حديث ابن عباس بن مرداس السلمي في استغفاره رحيم كثيرا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر بالناس إبراهيم عليه السلام وفي رواية عنه: الإمام. وقال ابن جرير: ولولا إجماع الحجة على خلافه لكان هو الأرجح. وقوله واستغفروا الله إن الله غفور ما يقتضي أن المراد بالإفاضة ههنا هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى لرمي الجمار فالله أعلم. وحكاه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم فقط. قال: والمراد الله عليه وسلم واقف قلت إن هذا من الحمس ما شأنه ههنا؟ أخرجاه في الصحيحين ثم رواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمرو عن مجاهد عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أضللت بعيرا لي بعرفة فذهبت أطلبه فإذا النبي صلى ثم يفيض منها فذلك قوله من حيث أفاض الناس وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم واختاره ابن جرير وحكى عليه الإجماع. دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وسائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها نحن أهل الله في بلدته وقطان بيته قال البخاري: حدثنا علي بن عبدالله حدثنا محمد بن حازم حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: كانت قريش ومن دان الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون يقفون بها إلا قريشا فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون ثم ههنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور استفاد المرء بعد تقوى الله خيرا من زوجة سالحة إن نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله. 2 أراد يقول المرء فاندتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما واصنع كماش فوق أر الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى وأنشد أبو الدرداء يوما: يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما ذا شوك؟ قال بلى قال فما عملت قال شمريت واجتهدت قال فذلك التقوى. وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال: خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقوى قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له أما سلكت طريقا والله أعلم وأصل التقوى التوقي مما يكره لأن أصلها وقوى من الوقاية قال النابغة: سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد وقال الآخر: فألقت هاد وقال تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال وهديناه النجدين على تفسير من قال المراد بهما الخير والشر وهو الأرجح الآيات ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه. قال الله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقال إنما أنت منذر ولكل قوم وقال ليس عليك هداهم وقال من يضل الله فلا هادي له وقال من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا إلى غير ذلك من الجنة. ويطلق الهدى ومراد به ما يقر في القلب من الإيمان وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله عز وجل قال الله تعالى إنك لا تهدي من أحببت

تفسير ابن كثير

فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر. قلت من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة فيمروا إلى فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد فينادي مناد أين المتقون؟ بن سليمان يعني الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون أبي حمزة قال: كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس ثم قال الترمذي حسن غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عمران عن إسحاق عقييل عبد الله بن عقييل عن عبد الله بن يزيد عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد أن الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة الآية والتي بعدها واختيار ابن جرير أن الآية تعم ذلك كله وهو كما قال. وقد روى الترمذي وابن ماجه من رواية أبي عنها الكلبى فسألته فقال الذين يجتنون كباثر الإثم قال فرجعت إلى الأعمش فقال يرى أنه كذلك ولم ينكره. وقال قتادة للمتقين هم الذين نعتهم الله بقوله البصري قوله تعالى للمتقين قال: اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم وقال أبو بكر بن عياش سألت الأعمش عن المتقين قال فأجبتة فقال لي سل قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن يتقون الشرك بي ويعملون بطاعتي وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس للمتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى للمتقين يعني نورا للمتقين وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال هدى للمتقين قال هم المؤمنون الذين في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وقد قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن لأنه هو في نفسه هدى ولكن لا يناله إلا الأبرار كما قال تعالى يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما وهو عليهم عمو أولئك ينادون من مكان بعيد ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا إلى غير ذلك من الآيات الدالة العربية أن يكون مرفوعا على النعت ومنصوبا على الحال وخصت الهداية للمتقين كما قال قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر على قوله تعالى لا ريب فيه أولى للآية التي ذكرناها ولأنه يصير قوله تعالى هدى صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه هدى. وهدى يحتمل من حيث وقال بعضهم هذا خبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه. ومن القراء من يقف على قوله تعالى لا ريب ويبتدئ بقوله تعالى هدى للمتقين والوقف ومعنى الكلام هنا أن هذا الكتاب هو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند الله كما قال تعالى في السجدة الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين جميل: بثينة قالت يا جميل أربنتي فقلت كلانا يا بثين مريب واستعمل أيضا في الحاجة كما قال بعضهم: قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم أجمعنا السيوف والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان والسدي وقتادة وإسماعيل بن أبي خالد وقال ابن أبي حاتم لا أعلم في هذا خلافا وقد يستعمل الريب في التهمة قال الله صلى الله عليه وسلم لا ريب فيه لا شك فيه وقال أبو الدرداء وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء وأبو العالية وتكلف ما لا علم له به والريب الشك قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول كثيرين والله أعلم. والكتاب القرآن ومن قال: إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل كما حكاه ابن جرير وغيره فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع أن ذلك إشارة إلى القرآن الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بإنزاله عليه أو التوراة أو الإنجيل أو نحو ذلك في أقوال عشرة. وقد ضعف هذا المذهب حكم الله يحكم بينكم وقال ذلكم الله وأمثال ذلك مما أسير به إلى ما تقدم ذكره والله أعلم. وقد ذهب بعض المفسرين فيما حكاه القرطبي وغيره حكاه البخاري عن معمر بن المثنى عن أبي عبيدة وقال الزمخشري ذلك إشارة إلى الم كما قال تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال تعالى ذلكم بن حيان وزيد بن أسلم وابن جريج أن ذلك بمعنى هذا والعرب تعارض بين اسمي الإشارة فيستعملون كلا منهما مكان الآخر وهذا معروف في كلامهم وقد قال ابن جريج قال ابن عباس ذلك الكتاب أي هذا الكتاب وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والسدي ومقاتل

قال أو كظلمات في بحر لجي الآية فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين والله أعلم بالصواب. 20 لأحوالهم وصفاتهم والله أعلم كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة إلى أن في سورة براءة ومنهم ومنهم ومنهم يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال فجعل المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة سواء ضربت لهم مثلا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم قلت وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى قال القرطبي: أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري أن كلا منهما مساو للآخر في إباحة الجلوس إليه ويكون معناه على قوله أو في قوله تعالى أو كصيب من السماء بمعنى الواو كقوله تعالى ولا تطع منهم أثما أو كفورا أو تكون للتخيير أي اضرب لهم مثلا بهذا وإن شئت بهذا ومعنى قدير قادر كما معنى عليم عالم وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وتكون الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط وعلى إذهاب أسماهم وأبصارهم قدير. تركوا من الحق بعد معرفته إن الله على كل شيء قدير قال ابن عباس أي إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير. وقال ابن جرير: إنما وصف محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم قال: لما فأبي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه وهذا إسناد جيد حسن. وقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير قال عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدح الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدح القبح والدنم وقلب منكوس وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجة فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص

تفسير ابن كثير

أبي البخاري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه من السلف وبعض العلماء كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية يعني شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن خان استدلوأ به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق إما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية كما ذهب إليه طائفة وسلم ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن ومقلدون وأن المنافقين أيضا صنفان منافق خالص ومنافق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله سابقون وهم المقربون وأصحاب يمين وهم الأبرار. فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان مقربون وأبرار وأن الكافرين صنفان دعاة وقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها وفي سورة الإنسان إلى قسمين له من نور فقسم الكفار هاهنا إلى قسمين داعية ومقلد كما ذكرهما في أول سورة الحج ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظلمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا الآية ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم في موضعه إن شاء الله ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى والذين التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخطيط كما سيأتي تقريره الذين قبلهم. وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة وهم قسمان خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالا من نورنا. فإذا تقرر هذا صار الناس أقساما مؤمنون خلص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ومنافقون يعطى كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نورا فإذا انتهى إلى الصراط طفى نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون شفقوا فقالوا ربنا أتمم لنا إلام يعطى نورا يوم القيامة فأما المنافق فيطفأ نوره فالؤمن مشفق مما يرى من إطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا وقال الضحاك ابن مزاحم أبي حاتم أيضا حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا عقبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال ليس أحد من أهل التوحيد على قدر أعمالهم يمررون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يتقدم مرة ويطفأ أخرى وقال ابن علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن إدريس سمعت أبي يذكر عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبدالله بن مسعود نورهم يسعى بين أيديهم قال نورا على إبهامه يطفأ مرة ويتقدم مرة وهكذا رواه ابن جرير عن ابن مثنى عن ابن إدريس عن أبيه عن المنهال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عن قيس بن السكن عن عبدالله بن مسعود قال يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن داود القطان عن قتادة بنحوه وهذا كما قال المنهال بن عمرو الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين بصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ذكر الحديث الوارد في ذلك قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار الآية وقال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نقبتس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقال في حق المؤمنين يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم تارة ويقف أخرى ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخالص من المنافقين الذين قال تعالى فيهم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء أخرى ومنهم من يمشي على الصراط البصري وفتادة والربيع بن أنس والسدي بسنده عن الصحابة وهو أصح وأظهر والله أعلم وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم عليهم قاموا أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي متحيرين وهكذا قال أبو العالية والحسن فإن أصابه خير اطمأن به وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم يقول كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه وتارة تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه أو سعيد بن جبير عن ابن عباس يكاد البرق يخطف أبصارهم أي لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا أي كلما ظهر لهم من عن ابن عباس يكاد البرق يخطف أبصارهم يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين وقال ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة ثم قال يكاد البرق يخطف أبصارهم أي لشدته وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان وقال علي بن أبي طلحة

وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فأنزل الله أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ولهذا مدح من يسأله الدنيا والآخرة فقال. 200
الله فيهم فمن الناس من يقول ربنا آتأنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وكان يجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون ربنا آتأنا في الدنيا حسنة عن ابن عباس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن لا يذكرون من أمر الآخرة شيئا فأنزل الناس من يقول ربنا آتأنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق أي من نصيب ولا حظ وتضمن هذا الذم والتنفير عن التشبه بمن هو كذلك قال سعيد بن جبير

تفسير ابن كثير

عنه كذلك أو أزيد منه. ثم إنه تعالى أرشد إلى دعائه بعد كثرة ذكره فإنه مظنة الإجابة وذم من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراة فقال فمن الناس كخشية الله أو أشد خشية فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فكان قاب قوسين أو أدنى فليست ههنا للشك قطعا وإنما هي لتحقيق المخبر قوله أو أشد ذكرا على التمييز تقديره كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وأو ههنا لتحقيق المماثلة في الخبر كقوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة وقوله يخشون ومحمد بن كعب ومقاتل بن حيان نحو ذلك وهكذا حكاه ابن جرير عن جماعة والله أعلم. والمقصود منه الحث على كثرة الذكر لله عز وجل ولهذا كان انتصاب وأبي وائل وعطاء بن أبي رباح في أحد قوليه وسعيد بن جبيرة وعكرمة في أحد رواياته ومجاهد والسدي وعطاء الخراساني والربيع بن أنس والحسن وقتادة فعال آباءهم. فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا قال ابن أبي حاتم: وروى السدي عن أنس بن مالك سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات ويحمل الديات. ليس لهم ذكر غير أبيه وأمه فكذلك أنتم فالهجو بذكر الله بعد قضاء النسك. وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس وروى ابن جرير عن طريق العوفي عن ابن عباس نحوه. وقال منه بعد قضاء المناسك وفراغها وقوله كذكركم آباءكم اختلفوا في معناه فقال ابن جرير عن عطاء هو كقول الصبي أبه أمه يعني كما يلهج الصبي يذكر يأمر تعالى بذكره والإكثار

وسلم: ما مررت على الركن إلا رأيت عليه ملكا يقول آمين فإذا مررت عليه فقولوا ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. 201 حدثنا عبد الباقي أخبرنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا سعيد بن سليمان عن عبد الله بن هرم عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الثوري عن ابن جرير كذلك. وروى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وفي سنده ضعف والله أعلم. وقال ابن مردويه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ورواه من حديث ابن أبي عدي به. وقال الإمام الشافعي: أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جرير عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب الله لا تطيقه أو لا تستطيعه فهلا قلت ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله فشفاه انفراد بإخراجه مسلم فرواه الله بشيء أو تسأله إياه قال نعم: كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدعو لكم الأمور إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله. وقال أحمد أيضا: حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وتحديثا ساعة حتى إذا أرادوا القيام قال أبا حمزة: إن إخوانك يريدون القيام فادع الله لهم فقال: أتريدون أن أشقق حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن شداد يعني أبا طلوت قال: كنت عند أنس بن مالك فقال له ثابت إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم فقال: اللهم آتانا في الدنيا الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه ورواه مسلم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن صهيب قال: سألت قتادة أنسا أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وقال أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم في الآخرة حسنة ووقى عذاب النار. ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء. فقال البخاري: حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس بن مالك اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام. وقال القاسم أبو عبد الرحمن: من أعطى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وجسدا صابرا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي من الأمن من الفرع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه فإن كل الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحمة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل إلى غير ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر

ذلك؟ فقال أنت من الذين قال الله أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. 202 سعيد بن جبيرة قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنني أجرت نفسي من قوم على أن يحملوني ووضعتم لهم من أجرتي على أن يدعوني أحج معهم أفيجزي وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو زكريا العنبري حدثنا محمد بن عبد السلام حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن الأعمش عن مسلم البطين عن

والأفاق بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف قال واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون كما قال وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون. 203 والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل. ولما ذكر الله تعالى النفر الأول والثاني وهو تفرق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم ويتعلق بذلك أيضا التكبير وذكر الله عند رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره إنما جعل الطواف بالبيت ولكن لا يصح مرفوعا والله أعلم. وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكبر في قبته فيكبر أهل السوق بتكبيره حتى ترتج منى تكبيرا أشهرها الذي عليه العمل أنه من صلاة الصبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق وهو آخر النفر الآخر وقد جاء فيه حديث رواه الدارقطني وهو أن وقت الأضحية من يوم النحر إلى آخر أيام التشريق ويتعلق به أيضا الذكر المؤقت خلف الصلوات والمطلق في سائر الأحوال وفي وقته أقوال للعلماء فدل على ثلاثة بعد النحر ويتعلق بقوله واذكروا الله في أيام معدودات ذكر الله على الأضاحي وقد تقدم أن الراجح في ذلك مذهب الشافعي رحمه الله في أيهن شئت وأفضلها أولها. والقول الأول هو المشهور وعليه دل ظاهر الآية الكريمة حيث قال فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه

تفسير ابن كثير

بن أنس والضحاك ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني ومالك بن أنس وغيرهم مثل ذلك وقال علي بن أبي طالب هي ثلاثة: يوم النحر ويومان بعده اذبح وابن الزبير وأبي موسى وعطاء ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي مالك وإبراهيم النخعي ويحيى بن أبي كثير والحسن وقتادة والسدي والزهري والربيع بأيام صيام إنما هي أيام أكل وشرب وذكر الله. وقال مقسم عن ابن عباس: الأيام المعدودات أيام التشريق أربعة أيام يوم النحر وثلاثة بعده وروي عن ابن عمر عن أمه قالت: لكانني أنظر إلى علي على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء حتى وقف على شعب الأنصار وهو يقول: يا أيها الناس إنها ليست عليه وعلى آله وسلم عن صوم أيام التشريق قال وهي أيام أكل وشرب وذكر الله وقال محمد بن إسحق عن حكيم بن حكيم عن مسعود بن الحكم الزرقعي سحيم فنأدى في أيام التشريق فقال إن هذه أيام أكل وشرب وذكر الله وقال هشيم عن ابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدي زيادة حسنة ولكن مرسله وبه قال هشام عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عمرو بن دينار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث بشر بن قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة فنأدى في أيام التشريق فقال إن هذه أيام أكل وشرب وذكر الله إلا من كان عليه صوم بن حذافة يطوف في منى لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل وحدثنا يعقوب حدثنا هشام عن سفيان بن حسين عن الزهري وحدثنا خالد بن أسلم حدثنا روح حدثنا صالح حدثني ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن أسلم قال: حدثنا هشام عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيام التشريق أيام طعم وذكر الله عبد الرحمن بن يعمر الديلي وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم وخلاّد أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ورواه مسلم أيضا وتقدم حديث جبيرة بن مطعم عرفة كلها موقف وأيام التشريق كلها ذبح وتقدم أيضا حديث الإسلام وهي أيام أكل وشرب وقال أحمد أيضا: حدثنا هشام أخبرنا خالد عن أبي المليح عن نبیشة الهذلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا موسى بن علي عن أبيه قال: سمعت عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل وقال عكرمة واذكروا الله في أيام معدودات يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات: الله أكبر الله أكبر. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع قال ابن عباس: الأيام المعدودات أيام التشريق والأيام المعلومات أيام العشر.

وهو ألد الخصام عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم. 204 عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم وهكذا رواه عبد الرزاق عن معمر في قوله عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة ترفعه. قال: إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم قال: وقال عبد الله بن يزيد: حدثنا سفيان حدثنا ابن جريج رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وقال البخاري: حدثنا قبيصة حدثنا سفيان الأعمش وتندر به قوما لدا أي عوجا وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه بل يفترى ويفجر كما ثبت في الصحيح عن صحيح. وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وعزاه إلى ابن عباس وحكاها عن مجاهد والله أعلم. وقوله وهو ألد الخصام الألد في اللغة محمد عن عكرمة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقيل معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق للسان وهذا المعنى ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق كقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآية هذا معنى ما رواه ابن إسحق عن محمد بن أبي يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وقراءة الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة ويشهد الله على ما في قلبه ومعناه أنه يظهر للناس الإسلام على ما في قلبه ومعناها أن هذا وإن أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه القبيح كقوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله تكون عامة بعد وهذا الذي قاله القرطبي حسن صحيح. وأما قوله ويشهد الله على ما في قلبه فقرأه ابن محيصن ويشهد الله بفتح الياء وضم الجلالة قول الله ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الآية فقال سعيد: قد عرفت فيمن أنزلت هذه الآية فقال محمد بن كعب إن الآية تنزل في الرجل ثم تجترئون وبني تغترون؟ وعزتي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران. فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله فقال سعيد: وأين هو من كتاب الله قال إن في بعض الكتب: إن عبادا أسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لبسوا للناس مسوك الضأن من اللين يشترون الدنيا بالدين قال الله تعالى: علي الله على ما في قلبه الآية وحدثني محمد بن أبي معشر أخبرني أبو معشر نجيح قال: سمعت سعيدا المقبري يذكر محمد بن كعب القرطبي فقال سعيد: لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران قال القرطبي تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون فوجدتها ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر يلبسون للناس مسوك الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى: فعلي يجترئون وبني يغترون حلفت بنفسي عن القرطبي عن نوف وهو البكالي وكان ممن يقرأ الكتب قال إنى لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل قوم يحتالون على الدنيا بالدين أسنتهم والربيع بن أنس وغير واحد وهو الصحيح. وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال وممدح خبيب وأصحابه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقيل بل ذلك عام في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم وهذا قول قتادة ومجاهد وفي باطنه خلاف ذلك وعن ابن عباس أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم فأنزل الله في ذم المنافقين قال السدي: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام

مجاهد إذا سعى في الأرض إفسادا منع الله القطر فهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد أي لا يحب من هذه صفته ولا من يصدر منه ذلك. 205 فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما. وقال

تفسير ابن كثير

ناوين بذلك صلاة الجمعة فإن السعي الحسي إلى الصلاة منهي عنه بالسنة النبوية إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة والوقار الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة فاسعوا إلى ذكر الله أي أقصدوا واعمدوا كذب واعتقاده فاسد وأفعاله قبيحة والسعي ههنا هو القصد كما قال إخبارا عن فرعون ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال وقوله وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد أي هو أعوج المقال سيئ الفعل فذلك قوله وهذا فعله كلامه بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ولهذا قال في هذه الآية فحسبه جهنم ولبيس المهاد أي هي كافيته عقوبة في ذلك. 206

الآثام وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يستطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم هذا الفاجر في مقاله وفعاله وقيل له اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم أي بسبب ما اشتمل عليه من وقوله وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم أي إذا وعظ

بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلوا هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد. 207

والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ولما حمل هشام بن عامر بين الصفيين أنكر عليه في سبيل الله كما قال تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة قال ربح البيع قال ونزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم للثمن على مالي وقنيتم بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وائل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش قد علمتم أني من أركامكم رجلا وأنتم والله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته نعم فدفعت إليهم مالي فخلوا عني فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب ربح صهيب مرتين وقال وسلم قالت لي قريش يا صهيب قدمت إلينا ولا مال لك وتخرج أنت ومالك والله لا يكون ذلك أبدا فقلت لهم رأيتم إن دفعت إليكم مالي تخلون عني؟ قالوا حدثنا سليمان بن داود حدثنا جعفر بن سليمان الضبي حدثنا عوف عن أبي عثمان النهدي عن صهيب قال: لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم الآية. ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ربح البيع صهيب قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن رسته الله فيه هذه الآية فقتله عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له ربح البيع فقال وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك فأخبروه أن الله أنزل هذه بن سنان الرومي وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل فتخلص منهم وأعطاهم ماله فأنزل فقال ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة نزلت في صهيب وقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله لما أخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ذكر صفات المؤمنين الحميدة

ما لا تعلمون وإنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ولهذا قال إنه لكم عدو مبين قال مطرف: أغش عباد الله لعبيد الله الشيطان؟. 208

وما فيها. وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي اعملوا بالطاعات واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان ف إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله أنزلت فيهم فقال الله ادخلوا في السلم كافة يقول ادخلوا في شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم ولا تدعوا منها شيئا وحسبكم الإيمان بالتوراة يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة كذا قرأها بالنصب يعني مؤمني أهل الكتاب فإنهم كانوا مع الإيمان مستمسكين ببعض أمور التوراة والشرائع التي أبي حاتم: أخبرنا علي بن الحسين أخبرنا أحمد بن الصباح أخبرني الهيثم بن يمان حدثنا إسماعيل بن زكريا حدثني محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس ادخلوا في الإسلام كلكم والصحيح الأول وهو أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام وهي كثيرة جدا ما استطاعوا منها كما قال ابن إقامة السبب وهو مع تمام إيمانه يتحقق نسخته ورفعته وبطلانه والتعويض عنه بأعياد الإسلام. ومن المفسرين من يجعل قوله كافة حالا من الداخلين أي يسببتوا وأن يقوموا بالتوراة ليلا فأمرهم الله بإقامة شعائر الإسلام والاشتغال بها عما عداها وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر إذ يبعد أن يستأنذ في عكرمة أنها نزلت في نفر ممن أسلم من اليهود وغيرهم كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة وطائفة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والربيع بن أنس السدي ومقاتل بن حيان وقتادة والضحاك جميعا وقال مجاهد أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر. وزعم وقال الضحاك عن ابن عباس وأبو العالية والربيع بن أنس ادخلوا في السلم يعني الطاعة. وقال قتادة أيضا الموادة وقوله كافة قال ابن عباس ما استطاعوا من ذلك. قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وطاوس والضحاك وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد في قوله ادخلوا في السلم يعني الإسلام. يقول الله تعالى أمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره والربيع بن أنس: عزيز في نعمته حكيم في أمره وقال محمد بن إسحق: العزيز في نصره ممن كفر به إذا شاء الحكيم في عذره وحجته إلى عباده. 209

بعدها قامت عليكم الحجج فاعلموا أن الله عزيز أي في انتقامه لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب حكيم في أحكامه ونقضه وإبرامه ولهذا قال أبو العالية وقتادة وقوله فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات أي عدلتم عن الحق

شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغهم النعم الظاهرة والباطنة. 21

تفسير ابن كثير

في بعض القراءات هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام وهي كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا. 210
عن أبي العالية: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة يقول: والملائكة يجيئون في ظلل من الغمام والله تعالى يجيء فيما يشاء وهي
أبي نجیح عن مجاهد في ظلل من الغمام قال: هو غير السحاب ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تيههم حين تاهوا. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس
زهير بن محمد عن قول الله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام قال: ظلل من الغمام منظوم من الياقوت مكلل بالجواهر والزبرجد. وقال ابن
منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب. قال: وحدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد قال: سألت
القيسي يحدث عن عبد الله بن عمرو هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية. قال يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب
في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم حدثنا معتمر بن سليمان سمعت عبد الجليل
النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله
بن مردويه ههنا أحاديث فيها غرابة والله أعلم. فمنها ما رواه من حديث المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله بن ميسرة عن مسروق عن ابن مسعود عن
يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبوح قدوس سبحان ربنا الأعلى سبحان ذي السلطان والعظمة سبحانه سبحانه أبدا أبدا. وقد أورد الحافظ أبو بكر
ولهم زجل في تسبيحهم يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميئ الخلاق ولا
الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة وينزل حملة العرش والكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة
لها أنا لها فيذهب فيسجد لله تحت العرش فيشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء
تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدا واحدا من آدم فمن بعده فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإذا جاءوا إليه قال أنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم وفيه أن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات
إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك الآية. وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير ههنا حديث الصور بطوله من أوله عن أبي هريرة عن
كما قال تعالى كلا إذا دكت الأرض دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى وقال هل ينظرون
يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين فيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولهذا قال تعالى وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور
يقول تعالى مهديا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة يعني

شديد العقاب كما قال تعالى إخبارا عن كفار قريش ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار. 211
يديه ومع هذا أعرض كثير منهم عنها وبدلوا نعمة الله كفرا أي استبدلوا بالإيمان بها الكفر بها والإعراض عنها ومن يبذل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله
من تظليل الغمام عليهم في شدة الحر ومن إنزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات الدالات على وجود الفاعل المختار وصدق من جرت هذه الخوارق على
تعالى مخبرا عن بني إسرائيل كم شاهدوا مع موسى من آية بينة أي حجة قاطعة بصدقه فيما جاءهم به كيده وعصاه وفلقه البحر وضربه الحجر وما كان
يقول

للناس وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له. 212
تلغا وفي الصحيح يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت وما لبست فأبليت وما تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه
من شيء فهو يخلفه وفي الصحيح أن ملكين ينزلان من السماء صبيحة كل يوم فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا
كما جاء في الحديث ابن آدم أنفق أنفق عليك وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا وقال تعالى وما أنفقتم
سافلين؟ ولهذا قال تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب أي يرزق من يشاء من خلقه ويعطيه عطاء كثيرا جزيلا بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة
الأوفر يوم معادهم فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين وخلد أولئك في الدرجات في أسفل
الله عنهم وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم وبذلوه ابتغاء وجه الله فلهذا فازوا بالمقام الأسعد والحظ
ثم أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين الذين رضوا بها واطمأنوا إليها وجمعوا الأموال ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها مما يرضي

وفي الدعاء المأثور اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله متلبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماما. 213
والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم
البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات
بإذنه أي بعلمه بهم وبما هدهم له قاله ابن جرير والله يهدي من يشاء أي من خلقه إلى صراط مستقيم أي وله الحكمة والحجة البالغة. وفي صحيح
شهداء على الناس يوم القيامة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وكان أبو العالية يقول في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن. وقوله
القيامة شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون أن رسلهم قد بلغوهم وأنهم قد كذبوا رسلهم وفي قراءة أبي بن كعب وليكونوا
وجل وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم
قوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف أقاموا على الإخلاص لله عز
لأمة بهتاننا عظيما وجعلته النصارى إلها وولدا وجعله الله روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم للحق من ذلك وقال الربيع بن أنس في

تفسير ابن كثير

يهوديا. وقالت النصارى: كان نصرانيا وجعله الله حنيفا مسلما فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. واختلقوا في عيسى عليه السلام: فكذبت به اليهود وقالوا فمنهم من يصوم بعض النهار ومنهم من يصوم عن بعض الطعام فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في إبراهيم عليه السلام فقالت اليهود: كان يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك. واختلفوا في الصيام عليه وسلم ليوم الجمعة واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق واليهود بيت المقدس فهدى الله أمة محمد للقبلة واختلقوا في الصلاة فمنهم من الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد فهدى الله أمة محمد صلى الله غدا للنصارى ثم رواه عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة. وقال ابن وهب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله فهدى الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد اختلفوا فيه من الحق بإذنه الآية قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقال عبدالرزاق: حدثنا معمر عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله فهدى الله الذين آمنوا لما بينهم أي من بعد ما قامت الحجج عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله أهل الأرض. ولهذا قال تعالى وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولا. وقال العوفي عن ابن عباس كان الناس أمة واحدة يقول: كانوا كفارا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين والقول عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله كان الناس أمة واحدة قال: كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا فبعث الله النبيين فكان أول من بعث نوحا. وكذا روى أبو جعفر الرازي عن أبي العالقة عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وقال هي في قراءة عبدالله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا ورواه الحاكم في مستدركه من حديث بنار عن محمد بن بشار ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال: وكذلك قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام

الله قريب وفي حديث أبي رزين عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيظه فينظر إليهم قانطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب الحديث. 214 قال الله تعالى ألا إن نصر الله قريب كما قال فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها ولهذا قال ألا إن نصر وقوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله أي يستفتحون على أعدائهم ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة. قال: كذلك الرسل تبثلى ثم تكون لها العاقبة. وقوله مثل الذين خلوا من قبلكم أي سنتهم كما قال تعالى فأهلكنا أممهم بطشا ومضى مثل الأولين ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا الآيات. ولما سأل هرقل أبا سفيان هل قاتلتموه قال: نعم. قال: فكيف كانت الحرب بينكم؟ قال: سجلا يidal علينا ونдал عليه. منكم وإذا زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض صدقوا وليعلمن الكاذبين وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب كما قال الله تعالى إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون وقال الله تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط السقم وزلزلوا خوفوا من الأعداء زلزالا شديدا وامتنحوا امتحانا عظيما كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال: قلنا يا رسول الله ألا وابن عباس وأبو العالقة ومجاهد وسعيد بن جبير ومرة الهذاني والحسن وقاتدة والضحاك والربيع والسدي ومقاتل بن حيان البأساء الفقر والضراء من الأمم ولهذا قال ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وهي الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب. قال ابن مسعود يقول تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتنحوا كما فعل بالذين من قبلكم

من خير فإن الله به عليم أي مهما صدر منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء فإنه لا يظلم أحدا مثقال ذرة. 215 وتلا ميمون بن مهران هذه الآية ثم قال: هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلا ولا مزمارا ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان. ثم قال تعالى وما تفعلوا من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل أي اصرفوها في هذه الوجوه. كما جاء الحديث أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك نفقة التطوع. وقال السدي: نسختها الزكاة وفيه نظر ومعنى الآية: يسألونك كيف ينفقون؟ قاله ابن عباس ومجاهد فبين لهم تعالى ذلك فقال قل ما أنفقتم قال مقاتل بن حيان: هذه الآية في

يعلم وأنتم لا تعلمون أي هو أعلم بعواقب الأمور منكم وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم فاستجيبوا له وانقادوا لأمره لعلمكم ترشدون. 216 الأمور كلها قد يحب المرء شيئا وليس له فيه خيرة ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم. ثم قال تعالى والله أي لأن القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذرائعهم وأولادهم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وهذا عام في لكم أي شديد عليكم ومشقة وهو كذلك فإنه إما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالد الأعداء. ثم قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

تفسير ابن كثير

يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية وقال عليه السلام يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقوله وهو كره أو قعد فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين وإذا استغيث أن يغيث وإذا استنفر أن ينفر وإن لم يحتج إليه قعد قلت: ولهذا ثبت في الصحيح من مات ولم هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الإسلام وقال الزهري: الجهاد واجب على كل أحد غزا

وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فلق بمكة فمات بها كافرا. قاله ابن إسحق. 217 عليهما فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان فإننا نخشاكم الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشدة قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير والأسيرين وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم يردوكم عن دينكم إن استطاعوا أي ثم هم مقيمون على أخت ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين. قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرج منهم والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان وقالت اليهود تفاءلوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمي محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال الخمس وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغنم فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرهما بين أصحابه قال ابن إسحاق: الله عليه وسلم المدينة قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا عبد الله والحكم بن كيسان وأقلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنفسم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن فقال القوم والله لن نترككم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم ولنن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رآه آمنوا وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا وبقية أصحابه حتى نزل نخلة فمرت به عير لقريش تحمل زيتا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أحد إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعييرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد فسلك على الحجاز حتى وآله وسلم أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتبه منهم بخبر وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعا وطاعة ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سهيل ابن بيضاء فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فإذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف وائل وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرس بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم وخالد بن الكبير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ومن بني الحارث بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ومن بني زهرة بن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بني كعب عدي بن عامر بن ربيعة حليف لهم من غير ابن بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن أحد بني أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بني نوفل فيه فيمضي كما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير بيومين ثم ينظر رجب مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير بيومين ثم ينظر عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني رحمه الله في كتاب السيرة له إنه قال: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رباب الأسدي في كان من مصاب عمرو بن الحضرمي يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه إلى آخر الآية. وقال عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي في سرية عبد الله بن جحش وقتل عمرو بن الحضرمي. وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزل فيما الحرام أكبر من الذي أصاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والشرك أشد منه وهكذا روى أبو سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت فقال الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه إخراج أهل المسجد عليه وسلم كانوا يظنون أن تلك الليلة من جمادى وكانت أول رجب ولم يشعروا فقتله رجل منهم وأخذوا ما كان معه وإن المشركين أرسلوا يعبرونه بذلك الله عليه وسلم بعث سرية فلقوا عمرو بن الحضرمي وهو مقبل من الطائف في آخر ليلة من جمادى وأول ليلة من رجب وإن أصحاب محمد صلى الله

تفسير ابن كثير

وسلم القتال في شهر حرام فقال الله وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال فيه وأن محمدا صلى الله عليه وسلم وردوه عن المسجد في شهر حرام قال ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام المقبل فغاب المشركون على رسول الله صلى الله عليه أكبر من القتل عند الله. وقال العوفي عن ابن عباس يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وذلك أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدتكم عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه أهل مكة يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير لا يحل وما صنعتكم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام حين كفرتم رجب فقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى وقتل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى وأغمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب وأنزل الله يعير وما أصابوا من المال أراد أهل مكة أن يفادوا الأسيرين عليه وقالوا إن محمدا يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في بن المغيرة وانفلت وقتل عمرو قتله واقد بن عبد الله فكانت أول غنيمة غنمها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا إلى المدينة بأسيرين فسار فتخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة أضلا راحلة لهما فتخلفا يطلبانها وسار ابن جحش إلى بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله الكتاب فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه من كان يريد الموت فليمض وليوص فإنني موص وماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر ابن الخطاب وكتب لابن جحش كتابا وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن نخلة فلما نزل بطن نخلة فتح بن جحش الأسدي وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان السلمي حليف لبني نوفل وسهيل ابن بيضاء يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله فأنزل الله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية. وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود فرجع رجلان وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام كذا وكذا وقال لا تكرهن أحدا على السير معك من أصحابك فلما قرأ الكتاب استرجع وقال: سمعا وطاعة لله ولرسوله فخيرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب بكى صباة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسه فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما ذهب ينطق قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه

وأرجف بالإسلام باغ وحاسد سقينا من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد دما وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القيد عائد 218 لو يرى الرشد راشد صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد وإخراجكم من مسجد الله أهله لنلا يرى لله في البيت ساجد فإننا وإن عيرتمونا بقتله الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش: تعدون قتلا في الحرام عظيمة وأعظم منه إسحق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبد الله بن جحش ويقال بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش قد أحل محمد وأصحابه هشام: وهي أول غنيمة غنمها المسلمون وعمرو بن الحضرمي أول من قتل المسلمون وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون. قال ابن أن عبد الله قسم الفء بين أهله فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه وخمسا إلى الله ورسوله فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير قال ابن الشهر الحرام الآية. وقد استقصى ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة ثم قال ابن هشام عن زياد عن ابن إسحق وقد ذكر عن بعض آل عبد الله فركب وفد من كفار قريش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا: أيحل القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله يسألونك عن نحو ذلك وروى شعيب بن أبي حمزة عن الزهري عن عروة بن الزبير نحو ما هذا أيضا وفيه فكان ابن الحضرمي أول قتل بين المسلمين والمشركين عن عروة وقد روى يونس بن بكر عن محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قريبا من هذا السياق وروى موسى بن عقبة عن الزهري نفسه سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فوضع الله من ذلك على أعظم الرجاء قال ابن إسحق: والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عز وجل إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كان حين نزل القرآن

بآية الزكاة كما رواه علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس وقاله عطاء الخراساني والسدي وقيل مبينة بآية الزكاة قاله مجاهد وغيره وهو أوجه. 219 خير من السفلى وابدأ بمن تعول وفي الحديث أيضا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف ثم قد قيل إنها منسوخة شيء فهكذا وهكذا. وعنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا صلى الله عليه وسلم قال لرجل ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك أهلك. قال: عندي آخر قال أنفقه على ولدك قال: عندي آخر قال أنفقه على نفسك قال: عندي آخر. قال أنفقه على أبو عاصم عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله عندي دينار قال أنفقه على نفسك قال: عندي آخر. قال أنفقه على في الآية يسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال ذلك أن لا يجهد مالك ثم تقعد تسأل الناس ويدل على ذلك ما رواه ابن جرير حدثنا علي بن مسلم حدثنا من كل شيء وعن الربيع أيضا أفضل مالك وأطيبه والكل يرجع إلى الفضل. وقال عبد بن حميد في تفسيره: حدثنا هوزة بن خليفة عن عوف عن الحسن بن كعب والحسن وقتادة والقاسم وسالم وعطاء الخراساني والربيع بن أنس وغير واحد أنهم قالوا في قوله قل العفو يعني الفضل وعن طاوس: اليسير

تفسير ابن كثير

مقسم عن ابن عباس ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال: ما يفضل عن أهلك وكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد جبل وثعلبة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين من أموالنا فأنزل الله ويسألونك ماذا ينفقون وقال الحكم عن العفو قرئ بالنصب وبالرفع وكلاهما حسن متجه قريب قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبان حدثنا يحيى أنه بلغه أن معاذ بن عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ثم نزلت الآية التي في المائدة فحرمت الخمر. وقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل إن شاء الله تعالى وبه الثقة. قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم: إن هذه أول آية نزلت في الخمر يسألونك الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وسيأتي الكلام على ذلك في سورة المائدة التصريح بتحريمها في سورة المائدة يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد ممهدة لتحريم الخمر على البتات ولم تكن مصرحة بل معرضة ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما قرئت عليه: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا حتى نزل أو عياله ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين ولهذا قال الله تعالى وإثمهما أكبر من نفعهما ولهذا كانت هذه الآية قال حسان بن ثابت في جاهليته: ونشربها فتركنا ملوكا وأسدا لا يهينها اللقاء وكذا بيعها والانتفاع بثمنها وكان يقمشه بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه فهو في الدين وأما المنافع فدينية من حيث إن فيها نفع البدن وتهضم الطعام وإخراج الفضلات وتشحيز بعض الأذهان ولذة الشدة المطربة التي فيها كما رضي الله عنه إنه كل ما خامر العقل كما سيأتي بيانه في سورة المائدة وكذا الميسر وهو القمار. وقوله قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس أما إثمهما والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الآيات فقلوه يسألونك عن الخمر والميسر أما الخمر فكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تذهب المال وتذهب العقل وسيأتي هذا الحديث أيضا مع ما رواه أحمد من طريق أبي هريرة أيضا عند قوله في سورة المائدة إنما الخمر والميسر والأنصاب سواه لكن قد قال أبو زرعة لم يسمع منه والله أعلم. وقال علي بن المديني: هذا إسناد صالح صحيح وصححه الترمذي وزاد ابن أبي حاتم بعد قوله انتهينا إنها وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق الثوري عن أبي إسحق عن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي عن عمرو وليس له عنه فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ فهل أنتم منتهون قال عمر: انتهينا انتهينا. وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحق وسلم إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير فدعي عمر فقرئت عليه فقال: قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي ميسرة عن عمر أنه قال: لما نزل تحريم الخمر

بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه عليه توكلت وإليه أنيب والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدا. 22 المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأراييج والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع وما ذرا في الأرض من الحيوانات في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب والجبال الموضوعة له آية تدل على أنه واحد وقال آخرون من تأمل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت الذهب السبيك على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك وقال ابن المعتز: فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء البيضة إذا خرج منها الدجاجة وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد: تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع الملك عيون من لجين شاخصات بأحداق هي منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح يعني بذلك بعرا وروثا وتأكله الطباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: ها هنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا عن وجود الصانع فقال: هذا ورق الثوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم وتأكله النحل فيخرج منه العسل وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقه فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع. فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه وعن الشافعي أنه سئل الأمواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل. فقال: ويحكم هذه الموجودات بما عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق له باختلاف اللغات والأصوات والنعومات وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سأله عن وجود البارئ تعالى فقال لهم: دعوني فإنني مفكر في أمر قد أخبرت ذات أبراج وأرض ذات فجاج. وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟ وحكى الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل كما قال بعض الأعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير وإن أثر الأقدام لتدل على المسير فسماء السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه وحده لا شريك له وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الأولى فإن من تأمل هذه الموجودات الله هذا حديث حسن والشاهد منه في هذه الآية قوله وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وهذه الآية دالة على توحيدة تعالى بالعبادة

تفسير ابن كثير

قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلى. فقال وإن صام وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين بأسمائهم على ما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جثي جهنم أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: الجماعة والسمع والطاعة منهم بالليل والكثير حتى فك نفسه وأمركم بذكر الله كثيرا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه وإن العبد بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشددوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه. وقال لهم: هل لكم أن أفندي نفسي منكم فجعل يفندي نفسه وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصا به كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وأمركم أن تكون عبده كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفوا أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكسره أن في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن أو لهن إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وأنه كاد أن يبطى بها فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني عن زيد بن سلام عن جده مطور عن الحارث الأشعري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك وإسماعيل بن أبي خالد وقال مجاهد فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل. الحديث الآخر نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون تقولون ما شاء الله وشاء فلان. قال أبو العالية: فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء شركاء. وهكذا قال الربيع الله وفلان لا تجعل فيه فلان هذا كله به شرك. وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت قال أ جعلتني لله ندا وفي يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص البارحة ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا عباس في قول الله عز وجل فلا تجعلوا لله أندادا وقال الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سواء في ظلمة الليل وهوان يقول والله وحياتك وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم إن الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه. وهكذا قال قتادة وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وبه عن ابن عباس فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين أي وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح به وهذا كله صيانة وحماية لجناح التوحيد والله أعلم. وقال محمد بن إسحاق حدثني الأصم عن ابن عباس قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله وما شئت فقال أ جعلتني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده. رواه ابن مردويه حماد بن سلمة به وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به بنحوه وقال سفيان بن سعيد الثوري عن الأجلح بن عبد الله الكندي عن يزيد بن كان يميني كذا وكذا أن أنهاركم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده هكذا رواه ابن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث فأخبرته فقال هل أخبرت بها أحدا؟ قلت: نعم. فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن طفيل رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة المسيح ابن الله قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد قال: ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: من أنتم قالوا: نحن النصارى. قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون رأيت فيما يرى النائم كأي أتيت على نفر من اليهود فقلت من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزيز ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم ليقبل ما شاء الله ثم شاء فلان وقال حماد بن سلمة حدثنا عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن الطفيل بن سخرية أخي عائشة أم المؤمنين لأمها قال: وكذا حديث معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا الحديث وفي الحديث الآخر لا يقول أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن لله أندادا وأنتم تعلمون وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك الحديث فتبارك الله رب العالمين ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال فلا تجعلوا من القرآن ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم والمراد به السحاب هاهنا في وقته عند احتياجهم إليه فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقا لهم ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع بالرواسي الشامخات والسماء بناء وهو السقف كما قال في الآية الأخرى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وأنزل من السماء ماء وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشا أي مهدا كالفرش مفررة موطأة مثبتة

هي أحسن بل جوز الأكل منه للفقير بالمعروف إما بشرط ضمان البدل لمن أيسر أو مجانا كما سيأتي بيانه في سورة النساء إن شاء الله وبه الثقة. 220 أي ولو شاء الله لضيق عليكم وأخرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطتهم بالتى هي أحسن. قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى في الدين ولهذا قال والله يعلم المفسد من المصلح أي يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح وقوله ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم

تفسير ابن كثير

فقله قل إصلاح لهم خير أي على حدة وإن تخالطوهم فإخوانكم أي وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم لأنهم إخوانكم الدستواني عن حماد عن إبراهيم قال: قالت عائشة رضي الله عنها إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي على حدة حتى أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي غير واحد في سبب نزول هذه الآية كمجاهد وعطاء والشعبي وابن أبي ليلى وقتادة وغير واحد من السلف والخلف قال وكيع بن الجراح: حدثنا هشام صاحب به. وكذا رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذا رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود بمثله وهكذا ذكر فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم. وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن عطاء بن السائب فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم وسيصلون سعيرا انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم الآية. قال ابن جرير: حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن معمر عن قتادة: لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا. وفي رواية عن قتادة فأتروا الآخرة على الأولى. وقوله يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن قال هي والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وهكذا قال قتادة وابن جرير وغيرهما. وقال عبدالرزاق أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو أسامة عن الصعق التميمي قال: شهدت الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الله لكم الآيات لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي كما فصل لكم هذه الأحكام وبينها وأوضحها كذلك يبين لكم سائر الآيات في أحكامه ووعدته ووعيده وقوله كذلك يبين

الآخرة وعاقبة ذلك وخيمة والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه أي بشرعه وما أمر به وما نهى عنه ويبين الله آياته للناس لعلهم يتذكرون. 221 كان عبدا حبشيا خير من مشرك وإن كان رئيسا سريرا أولئك يدعون إلى النار أي معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدنيا واقتنائها وإيثارها على الدار المشركين النساء المؤمنات كما قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم قال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أي ولرجل مؤمن ولو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا أي لا تزوجوا الرجال الله عليه وآله وسلم قال تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ولمسلم عن جابر مثله وله عن ابن عمر أن أموالهن أن تطغيهن وانكوهن على الدين فلاممة سوداء جرداء ذات دين أفضل والإفريقي ضعيف وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى بن يزيد عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تنكحوهن على أموالهن فعسى من مشركة ولو أعجبتكم ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم وقال عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا عبدالرحمن بن زياد الإفريقي عن عبدالله ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا نكح أمته وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم فأنزل الله ولأمة مؤمنة خير قال تصوم وتصل وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال يا أبا عبدالله هذه مؤمنة فقال والذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأزوجنها نزلت في عبدالله بن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها فلطمها ثم فزع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهما فقال له ما هي؟ قول الله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن قال: مشركات العرب الذين يعبدون الأصنام. وقوله ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم قال السدي: بكر الخلال الحنبلي: حدثنا محمد بن هارون حدثنا إسحق بن إبراهيم وأخبرني محمد بن علي حدثنا صالح بن أحمد أنهما سألا أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن عمر أنه كره نكاح أهل الكتاب وتأول ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقال البخاري: وقال ابن عمر لا أعلم شركا أعظم من أن تقول: ربها عيسى وقال أبو عليه كذا قال ابن جرير رحمه الله وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن ابن صلى الله عليه وسلم نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا ثم قال وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه فالقول به لإجماع الجميع من الأمة من الأول ثم قال: وقد حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا إسحق الأزرق عن شريك عن أشعث بن سوار عن الحسن عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله بن سعيد عن يزيد بن أبي زياد عن زيد بن وهب قال: قال عمر بن الخطاب: المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصراني المسلمة. قال: وهذا أصح إسنادا وروى الخلال عن محمد بن إسماعيل عن وكيع عن الصلت نحوه. وقال ابن جرير: حدثني موسى بن عبدالرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا سفيان فكتب إليه عمر: خل سبيلها فكتب إليه أنزعم أنها حرام فأخلي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام ولكني أخاف أن تعاطوا المؤمنات منهن. وهذا إسناد صحيح ذلك لئلا يزهّد الناس في المسلمات أو لغير ذلك من المعاني كما حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس حدثنا الصلت بن بهرام عن شقيق قال: تزوج حذيفة يهودية قمأة - فهو حديث غريب جدا وهذا الأثر غريب عن عمر أيضا قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله بعد حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات وإنما كره عمر غضبا شديدا حتى هم أن يسطو عليهما فقالا: نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب فقال: لنن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكني أتنزعهن منكم صغرة الإسلام. قال الله عز وجل ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وقد نكح طلحة بن عبدالله يهودية ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فغضب عمر بن الخطاب قال: سمعت عبدالله بن عباس يقول نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات وحرّم كل ذات دين غير من الأول والله أعلم فأما ما رواه ابن جرير: حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني حدثنا أبي حدثني عبدالحميد بن بهرام الفزاري حدثنا شهر بن حوشب

تفسير ابن كثير

والحسن والضحاك وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وغيرهم. وقيل: بل المراد بذلك المشركون من عبدة الأوثان ولم يرد أهل الكتاب بالكلية والمعنى قريب عن ابن عباس في قوله ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب وهكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومكحول خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين قال علي بن أبي طلحة هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان ثم إن كان عمومها مراداً وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية فقد أي من الذنب وإن تكرر غشيانه ويحب المتطهرين أي المتنزهين عن الأقذار والأذى وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض أو في غير المأثى. 222

شاء الله تعالى وقال أبو رزين وعكرمة والضحاك وغير واحد فأتوهن من حيث أمركم الله يعني طاهرات غير حيض ولهذا قال إن الله يحب التوابين اعتدى وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة من حيث أمركم الله أي أن تعتزلوهن وفيه دلالة حينئذ على تحريم الوطء في الدبر كما سيأتي تقريره قريباً إن وغير واحد يعني الفرج قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فأتوهن من حيث أمركم الله يقول في الفرج ولا تعدوه إلى غيره فمن فعل شيئاً من ذلك فقد فإذا تطهرن أي بالماء وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن ومقاتل بن حيان والليث بن سعد وغيرهم. وقوله من حيث أمركم الله قال ابن عباس ومجاهد فيما إذا انقطع دمها لأكثر الحيض وهو عشرة أيام عنده إنها تحل بمجرد الانقطاع ولا تفتقر إلى غسل والله أعلم. وقال ابن عباس حتى يطهرن أي من الدم وهو الصحيح وقد اتفق العلماء على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا تحل حتى تغتسل بالماء أو تتيمم إن تعذر ذلك عليها بشرطه إلا أن أبا حنيفة رحمه الله يقول وإذا حللتهم فاصطادوا فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وعلى هذا القول تجتمع الأدلة وقد حكاه الغزالي وغيره فاختره بعض أئمة المتأخرين الدليل أنه يرد عليه الحكم إلى ما كان عليه الأمر قبل النهي فإن كان واجبا فواجب كقوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين أو مباحا فمباح كقوله وهؤلاء يحتاجون إلى جواب ابن حزم ومنهم من يقول إنه للإباحة ويجعلون تقدم النهي عليه قرينة صارفة له عن الوجوب وفيه نظر والذي ينهض عليه تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله وليس له في ذلك مستند لأن هذا أمر بعد الحظر وفيه أقوال لعلماء الأصول منهم من يقول إنه على الوجوب كالمطلق فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله فيه ندب وإرشاد إلى غشيانهن بعد الاغتسال وذهب ابن حزم إلى وجوب الجماع بعد كل حيضة لقوله فإذا فلما قالت ميمونة وعائشة كانت إحداها إذا حاضت أتزرت ودخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعاره دل ذلك على أنه إنما أراد الجماع. وقوله ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث الآية. الطهر يدل على أن يقربها ونهي عن قربانهن بالجماع ما دام الحيض موجوداً ومفهومه حله إذا انقطع قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فيما أملاه في الطاعة وقوله مرفوعاً كما تقدم وموقوفاً وهو الصحيح عند كثير من أئمة الحديث فقوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن تفسير لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض وهو الصحيح الجديد من مذهب الشافعي وقول الجمهور أنه لا شيء في ذلك بل يستغفر الله عز وجل لأنه لم يصح عندهم رفع هذا الحديث فإنه قد روي أيضاً عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل في الحائض نصاب دينار فإن أصابها وقد أدبر الدم عنها ولم تغتسل فنصف دينار والقول الثاني في الذي يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو نصف دينار وفي لفظ الترمذي إذا كان دماً أحمر فدينار وإن كان دماً أصفر فنصف دينار وللإمام أحمد ويتوب إليه وهل يلزمه مع ذلك كفارة أم لا؟ فيه قولان أحدهما نعم لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الفرج فهو حرام لئلا يتوصل إلى تعاطي ما حرم الله عز وجل الذي أجمع العلماء على تحريمه وهو المباشرة في الفرج ثم من فعل ذلك فقد أثم فيستغفر الله حجة من ذهب إلى أنه يحل ما فوق الإزار منها وهو أحد القولين في مذهب الشافعي رحمه الله الذي رجحه كثير من العراقيين وغيرهم ومأخذهم أنه حريم وهي حائض قال: ما فوق الإزار والتعفف عن ذلك أفضل وهو رواية عن عائشة كما تقدم وابن عباس وسعيد بن المسيب وشريح فهذه الأحاديث وما شابهها من امرأتي وهي حائض؟ قال: ما فوق الإزار ولأبي داود أيضاً عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لي من امرأتي داود والترمذي وابن ماجه من حديث العلاء عن حزام بن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد الأنصاري أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يحل لي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض وهذا لفظ البخاري ولهما عن عائشة نحوه. وروى الإمام أحمد وأبو على التنزه والاحتياط - وقال آخرون: إنما تحل له مباشرتها فيما عدا ما تحت الإزار كما ثبت في الصحيحين عن ميمونة بنت الحارث الهلالية قالت: كان النبي ذرة عن عائشة أنها قالت: كنت إذا حضت نزلت عن المثال على الحصار فلم تقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تدن منه حتى تطهر فهو محمول - يعني ثوبه - شيء غسل مكانه لم بعده صلى فيه فأما ما رواه أبو داود حدثنا سعيد بن عبد الجبار حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن أبي اليمان عن أم عائشة تقول كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت في الشعار الواحد وأنا حائض طامث فإن أصابه مني شيء غسل مكانه لم بعده وإن أصابه الشراب فأنا وله فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه وقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن جابر بن صبح سمعت خلاسا الهجري قال: سمعت القرآن وفي الصحيح عنها قالت: كنت أتعرق العرق وأنا حائض فأعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فمه في الموضع الذي وضعت فمي فيه وأشرب ومواكلتها بلا خلاف قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني فأغسل رأسه وأنا حائض وكان يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ وعكرمة وروى ابن جرير أيضاً عن أبي كريب عن ابن أبي زائدة عن حجاج عن ميمون بن مهران عن عائشة قالت له: ما فوق الإزار. قلت ويحل مضاجعتها عن مروان الأصغر عن مسروق. قال قلت لعائشة ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً؟ قالت: كل شيء إلا الجماع. وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن فقال: ما للرجل من امرأته وهي حائض فقالت له: كل شيء إلا فرجها. ورواه أيضاً عن حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع عن عبيدة بن عبد الرحمن بن جوشن فقال: السلام على النبي وعلى أهله فقالت عائشة: مرحباً مرحباً فأذنوا له فدخل فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي فقالت إنما أنا أمك وأنت ابني

تفسير ابن كثير

ونام صلى الله عليه وآله وسلم وقال: أبو جعفر بن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن كتاب أبي قلابة أن مسروقاً ركب إلى عائشة فأوجعه البرد فقال: ادني مني فقلت: إني حائض فقال: اكشفي عن فخذي فكشفت فخذي فوضع خده وصدره على فخذي وحنيت عليه حتى دفى واحد قالت: أخبرك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل فمضى إلى مسجده قال أبو داود: تعني مسجد بيتها فما انصرف حتى غلبتني عيني ابن عمر بن غانم عن عبد الرحمن يعني ابن زياد عن عمارة بن غراب أن عمه له حدثته أنها سألت عائشة قالت: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها فراش إلا فراش عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد من الحائض شيئاً ألقى على فرجها ثوباً. وقال أبو داود أيضاً حدثنا الشعبي حدثنا عبد الله يعني ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج. قال أبو داود أيضاً: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة أن لم يجد عليهما رواه مسلم من حديث حماد بن زيد بن سلمة فقلوه فاعتزلوا النساء في المحيض يعني الفرج لقلوه اصنعوا كل شيء إلا النكاح ولهذا الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاها فعرفا من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر. فقالا يا رسول الله: إن اليهود قالت كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى يظهرن حتى فرغ من الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت قال

أحدم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً. 223 لأنفسكم قال: تقول بسم الله التسمية عند الجماع وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن التاركين ما عنه زجرهم. وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن عطاء قال أراه عن ابن عباس وقدموا عنه من ترك المحرمات ولهذا قال واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه أي فيحاسبكم على أعمالكم جميعها وبشر المؤمنين أي المطيعين لله فيما أمرهم - على الشافعي في ذلك لأن الشافعي نص على تحريمه في ستة كتب من كتبه والله أعلم. وقوله وقدموا لأنفسكم أي من فعل الطاعات مع امتثال ما أنهاكم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول فذكره قال أبو نصر الصباغ: كان الربيع يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد كذب - يعني ابن عبد الحكم صلى الله عليه وسلم في تحليله ولا تحريمه شيء والقياس أنه حلال وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب عن أبي سعيد الصيرفي عن أبي العباس الأصم سمعت أبو عبد الله الذهبي في جزء جمعه في ذلك والله أعلم. وقال الطحاوي: حكى لنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنه سمع الشافعي يقول: ما صح عن النبي روى الحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي عن الإمام مالك من طرق ما يقتضي إباحة ذلك ولكن في الأسانيد ضعف شديد وقد استقصاها شيخنا الحافظ أحداً أقندي به في ديني يشك أنه حلال يعني وطء المرأة في دبرها ثم قرأ نساؤكم حرث لكم ثم قال: فأى شيء أبين من هذا؟ هذه حكاية الطحاوي وقد هذا شيء عن بعض فقهاء المدينة حتى حكوه عن الإمام مالك وفي صحته نظر. قال الطحاوي: روى أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال: ما أدركت بن الزبير ومجاهد بن جبر والحسن وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء وقد حكى في وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد بن جببر وعروة قوم عرب هل يكون الحرث إلا موضع الزرع؟ لا تعدوا الفرج قلت يا أبا عبد الله إنهم يقولون إنك تقول ذلك. قال يكذبون علي يكذبون علي فهذا هو الثابت عنه أبو بكر بن زياد النيسابوري حدثني إسماعيل بن حسين حدثني إسرائيل بن روح سألت مالك بن أنس ما تقول في إتيان النساء في أدبارهن قال: ما أنتم إلا يزيد بن رومان عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عمر كان لا يرى بأساً أن يأتي الرجل المرأة في دبرها. وروى معمر بن عيسى عن مالك أن ذلك حرام. وقال فقال: أف أف أيعمل هذا مسلم؟ فقال لي مالك فأشهد على ربيعة لحدثني عن سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال: لا بأس به وروى النسائي أيضاً من طريق بن سعد يحدث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال قلت لابن عمر إنا نشتري الجواري أفنحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ قلت: نأتيهن في أدبارهن ابن عمر مثل ما قال نافع. وروى النسائي عن الربيع بن سليمان عن أصبغ بن الفرج الفقيه حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال: قلت لمالك إن عندنا بمصر الليث لهن فقال وما التحميض؟ فذكر له الدبر فقال ابن عمر: أف أف وهل يفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم؟ فقال مالك أشهد على ربيعة لأخبرني عن أبي الحباب عن مثل ما قال نافع فقليل له فإن الحارث بن يعقوب يروي عن أبي الحباب سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال له يا أبا عبد الرحمن إنا نشتري الجواري أفنحمض يروون عن سالم بن عبد الله أنه قال: كذب العبد أو العليج على أبي عبد الله قال مالك: أشهد على يزيد بن رومان أنه أخبرني عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر بن عبد الحكم حدثنا أبو زيد أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي العمر حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس أنه قيل له يا أبا عبد الله إن الناس ونص صريح منه بتحريم ذلك فكل ما ورد عنه مما يحتمل ويحتمل فهو مردود إلى هذا الحكم قال ابن جرير: حدثني عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله الجواري أيحمض لهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكر الدبر فقال: وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟ وكذا رواه ابن وهب وقتيبة عن الليث به وهذا إسناد صحيح بن عبد الله الدارمي في مسنده حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال: قلت لابن عمر ما تقول في هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو في تحريم ذلك وهو الثابت بلا شك عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه يحرمه. قال أبو محمد عبد الرحمن فقالت: سفلت سفل الله بك ألم تسمع قول الله عز وجل أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين وقد تقدم قول ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي

تفسير ابن كثير

كل منها مقال لا يصح معه الحديث والله أعلم. وقال الثوري عن الصلت بن بهرام عن أبي المعتمر عن أبي جويرة قال: سأل رجل عليا عن إتيان امرأة في دبرها في أعجازهن محمد بن حمزة وهو الجزري وشيخه فيهما مقال. وقد روي من حديث أبي بن كعب والبراء بن عازب وعقبة بن عامر وأبي ذر وغيرهم وفي سعيد بن يحيى الثوري حدثنا محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأتوا النساء عبدالله الشقري واسمه سلمة بن تمام ثقة عن أبي القعقاع عن ابن مسعود موقوفا وهو أصح طريق أخرى قال ابن عدي حدثنا أبو عبدالله المحاملي حدثنا القعقاع عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: محاش النساء حرام. وقد رواه إسماعيل بن علي وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم عن أبي حديث آخر قال أبو بكر الأثرم في سننه: حدثنا أبو مسلم الجرمي حدثنا أخو أنيس بن إبراهيم أن أباه إبراهيم بن عبدالرحمن بن القعقاع أخبره عن أبيه أبي عن شعبة ورواه عبدالرزاق عن معمر عن عاصم الأحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طلق بن علي والأشبه أنه علي بن طلق كما تقدم والله أعلم عن طلق بن يزيد أو يزيد بن طلق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أستاذهن وكذا رواه غير واحد والموقوف أصح حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا غندر ومعاذ بن معاذ قالوا: حدثنا شعبة عن عاصم الأحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام بن دينار عن طاوس عن عبدالله بن الهاد الليثي قال: قال عمر رضي الله عنه استحيوا من الله فإن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن الهاد عن عمر قال: لا تأتوا النساء في أدبارهن. وحدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا زيد بن أبي حكيم عن زمعة بن صالح عن عمرو وسلم إن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن وقد رواه النسائي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني عن عثمان بن اليمان عن زمعة بن صالح وكيع حدثني زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه وعن عمرو بن دينار عن عبدالله بن زيد بن الهاد قالوا: قال عمر بن الخطاب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء في الأدبار فقد كفر والموقوف أصح وبكر بن خنيس ضعفه غير واحد من الأئمة وتركه آخرون حديث آخر قال: قال محمد بن أبان البلخي حدثنا عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفا ورواه بكر بن خنيس عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى شيئا من الرجال به قال: من أتى امرأة في دبرها وتلك كفر هكذا رواه النسائي من طريق الثوري عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفا. وكذا رواه من طريق علي بن نديمة بن مهدي عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة قال: إتيان الرجال النساء في أدبارهن كفر. ثم رواه عن بNDAR عن عبدالرحمن عن سعيد بن عبدالعزيز. وروي من طريقين آخرين عن أبي سلمة ولا يصح منها شيء طريق أخرى قال النسائي: حدثنا إسحق بن منصور حدثنا عبدالرحمن ذلك أحد غير حمزة عن الكتاني وهو ثقة ولكن تكلم فيه دحيم وأبو حاتم وابن حبان وقال: لا يجوز الاحتجاج به والله أعلم. وقد تابعه زيد بن يحيى بن عبيد أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا انتهى كلامه وقد أجاد وأحسن الانتقاد إلا أن عبدالملك بن محمد الصنعاني لا يعرف أنه اختلط ولم يذكر أبي سلمة ومن حديث سعيد فإن كان عبدالملك سمعه من سعيد فإنما سمعه بعد الاختلاط وقد رواه الترمذي عن أبي سلمة أنه كان ينهى عن ذلك فأما عن الحياء لا تأتوا النساء في أدبارهن تفرد به النسائي من هذا الوجه. قال حمزة بن محمد الكتاني الحافظ هذا حديث منكر باطل من حديث الزهري ومن حديث الصنعاني عن سعيد بن عبدالعزيز عن الزهري عن أبي سلمة رضي الله عنه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق عن أبي تيممة لا يتابع على حديثه طريق أخرى قال النسائي: حدثنا عثمان بن عبدالله حدثنا سليمان بن عبدالرحمن من كتابه عن عبدالملك بن محمد حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد وقال الترمذي: ضعف البخاري هذا الحديث والذي قاله البخاري في حديث الترمذي أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تيممة الهجيمي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ملعون من أتى النساء في أدبارهن ومسلم بن خالد فيه كلام والله أعلم طريق أخرى رواها الإمام أحمد بن القاسم بن الريان هذا الحديث بهذا السند وهم منه وقد ضعفوه طريق أخرى رواها مسلم بن خالد الزنجي عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن في دبرها ليس هذا الحديث هكذا في سنن النسائي وإنما الذي فيه عن سهيل عن الحارث بن مخلد كما تقدم: قال شيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي: ورواية له قالوا: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملعون من أتى امرأة به طريق أخرى. قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني أخبرنا أحمد بن القاسم بن الريان حدثنا أبو عبدالرحمن النسائي حدثنا هناد ومحمد بن إسماعيل واللفظ بن مخلد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأته في دبرها وهكذا رواه أبو داود والنسائي من طريق وكيع قال لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها وكذا رواه ابن ماجه من طريق سهيل وقال أحمد أيضا: حدثنا وكيع عن سهيل بن أبي صالح عن الحارث قال إن الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله إليه وقال أحمد أيضا: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن الحارث بن مخلد عن أبي هريرة يرفعه حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن سهيل بن أبي صالح عن الحارث بن مخلد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: هو حديث حسن ومن الناس من يورد هذا الحديث في مسند علي بن أبي طالب كما وقع في مسند الإمام أحمد بن حنبل والصحيح أنه علي بن طلق أدبارهن فإن الله لا يستحيي من الحق وأخرجه أحمد أيضا عن أبي معاوية وأبو عيسى الترمذي من طريق أبي معاوية أيضا عن عاصم الأحول به وفيه زيادة أخبرنا سفيان عن عاصم عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن علي بن طلق قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تؤتى النساء في دبرها وجامع بين المرأة وابنتها والزاني بحليلة جاره ومؤذي جاره حتى يلعنه ابن لهيعة وشيخه ضعيفان حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق وسلم سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يذكهم ويقول ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به والتاكيد يده وناكح البهيمة وناكح المرأة في الفريابي حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه

تفسير ابن كثير

وكذلك رواه عبد بن حميد عن يزيد بن هرون عن حميد الأعرج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفا من قوله طريق أخرى قال جعفر وقد روى هذا الحديث يحيى بن سعيد القطان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله وهذا أصح والله أعلم جده أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هي اللوطية الصغرى قال قتادة وحديثي عقبه بن وساج عن أبي الدرداء قال: وهل يفعل ذلك إلا كافر؟ الصغرى وقال عبد الله بن أحمد: حديثي هبة حدثنا همام قال: سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها فقال قتادة: أخبرنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الصمد حدثنا همام حدثنا قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية فقال: يا لكع إنما قوله فأتوا حرثكم أنى شئتم قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة في أقبالهن لا تعدوا ذلك إلى غيره حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عكرمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وقال: كنت أتى أهلي في دبرها وسمعت قول الله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم فظننت أن ذلك لي حلال تسألني عن الكفر إسناداه صحيح وكذا رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن معمر به نحوه وقال عبد أيضا في تفسيره: حدثنا إبراهيم بن الحاكم عن أبيه عن هناد عن وكيع عن الضحاك به موقوفا. وقال عبد أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أن رجلا سأل ابن عباس عن إتيان المرأة في دبرها قال: رجلا أو امرأة في الدبر ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وهكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه ابن حزم أيضا ولكن رواه النسائي أيضا عن خالد الأحمر عن الضحاك بن عثمان عن مخزومة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى رجل أتى النسائي وابن ماجه من طرق عن خزيمة بن ثابت وفي إسناداه اختلاف كثير حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي والنسائي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أن خزيمة بن ثابت الخطمي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: استحيوا إن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن. رواه أخرى قال أحمد: حدثنا يعقوب سمعت أبي يحدث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد أن عبيد الله بن الحسين الوالبي حدثه أن عبد الله الواقفي حدثه عبدالرحمن حدثنا سفيان عن عبد الله بن شداد عن خزيمة بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يأتي الرجل امرأته في دبرها طريق جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا إن الله لا يستحيي من الحق لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن وقال الإمام أحمد: حدثنا المروية من طرق متعددة بالزجر عن فعله وتعاطيه. فقال الحسن بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن المنكدر عن من فقهاء المدينة وغيرهم وعزاه بعضهم إلى الإمام مالك في كتاب السر وأكثر الناس ينكر أن يصح ذلك عن الإمام مالك رحمه الله. وقد وردت الأحاديث عبد الله بن عياش عن كعب بن علقمة فذكره وقد رويانا عن ابن عمر خلاف ذلك صريحا وأنه لا يباح ولا يحل كما سيأتي وإن كان قد نسب هذا القول إلى طائفة حرثكم أنى شئتم وهذا إسناد صحيح. وقد رواه ابن مردويه عن الطبراني عن الحسين بن إسحق عن زكريا بن يحيى الكاتب العمري عن مفضل بن فضالة عن منهن مثل ما كنا نريد فأذهن فكرهن ذلك وأعظمه وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود إنما يؤتين على جنوبهن فأُنزل الله نساؤكم حرث لكم فأتوا فأتوا حرثكم أنى شئتم فقال يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية؟ قلت: لا قال: إنا كنا معشر قريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا إنه أفتى أن تؤتى النساء في أدبارهن قال: كذبوا علي ولكن سأحدثك كيف كان الأمر إن ابن عمر عرض المصحف يوما وأنا عنده حتى بلغ نساؤكم حرث لكم فضالة عن عبد الله بن سليمان الطويل عن كعب بن علقمة عن أبي النضر أنه أخبره أنه قال لنافع مولى ابن عمر إنه قد أكثر عليك القول إنك تقول عن ابن عمر فذكره وهذا الحديث محمول على ما تقدم وهو أنه يأتيها في قبلها من دبرها لما رواه النسائي عن علي بن عثمان النفيلى عن سعيد بن عيسى عن الفضل بن عن ابن عمر لما أُلِع الناس بنافع وهذا تعليل منه لهذا الحديث وقد رواه عبد الله بن نافع عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عمر في دبرها فوجد في نفسه من ذلك وجدا شديدا فأُنزل الله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قال أبو حاتم الرازي: لو كان هذا عند زيد بن أسلم ولا يصح وروى النسائي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي بكر بن أبي أوبس عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رجلا أتى امرأته عبدالصمد بن عبدالوارث حدثني أبي عن أيوب عن نافع عن ابن عمر فأتوا حرثكم أنى شئتم قال: في الدبر. وروي من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر يوم نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم فقال ابن عمر أتدري فيم نزلت؟ قلت لا قال نزلت في إتيان النساء في أدبارهن. وحديثي أبو قلابة حدثنا قال: أن يأتيها في؟ هكذا رواه البخاري وقد تفرد به من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا ابن عون عن نفاع قال: قرأت ذات أتدري فيم أنزلت؟ قلت لا قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى. وعن عبدالصمد قال: حدثني أبي حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر فأتوا حرثكم أنى شئتم بن شميل أخبرنا ابن عون عن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عنه يوما فقرا سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال: بمكة ويتلذذون بهن فذكر القصة بتمام سياقها وقول ابن عباس إن ابن عمر الله - يغفر له - أوهم وكأنه يشير إلى ما رواه البخاري حدثنا إسحق حدثنا النضر آية منه وأسأله عنها حتى انتهت إلى هذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم فقال ابن عباس: إن هذا الحي من قريش كانوا يشرحون النساء أبو القاسم الطبراني من طريق محمد بن إسحق عن أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل موضع الولد تفرد به أبو داود ويشهد له بالصحة ما تقدم له من الأحاديث ولا سيما رواية أم سلمة فإنها مشابهة لهذا السياق وقد روى هذا الحديث الحافظ فسرى أمرهما فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنزل الله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أي مقبلات ومدبرات ومستقلقات يعني بذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأفكرته عليه وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستقلقات كتاب وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون كثيرا من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة

تفسير ابن كثير

بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن ابن عمر قال - والله يغفر له - أوهم وإنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قال أبو داود: حدثنا عبد العزيز بن يحيى أبو الأصغ قال حدثني محمد يعني ابن سلمة عن محمد بن إسحق عن أبان عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: أنكر رجل امرأته على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: أنكر فلان امرأته فأنزل الله عز وجل نساؤكم حسن بن موسى الأشيب به وقال حسن غريب وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحارث بن شريح حدثنا عبد الله بن نافع حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم صلى الله عليه وسلم هذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحیضة ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما الذي أهلكك قال: حولت رحلي البارحة قال فلم يرد عليه شيئا قال فأوحى الله إلى رسوله حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا يعقوب يعني القمي عن جعفر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله أن امرأة أتتها فقالت: إن زوجي يأتيني مجيبة ومستقبلة فكرهته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا بأس إذا كان في صمام واحد عن سفيان عن أبي خثيم به وقال حسن. قلت وقد روي من طريق حماد بن أبي حنيفة عن أبيه عن ابن خثيم عن يوسف بن ماهك عن حفصة أم المؤمنين فقال ادعي الأنصارية فدعتها فتلا عليها هذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم صماما واحدا ورواه الترمذي عن بندار عن ابن مهدي عليه وسلم فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استنحت الأنصارية أن تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت فسألته أم سلمة وقالت: لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت على أم سلمة فذكرت لها ذلك فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم والنساء وكانت اليهود تقول: إنه من أجبي امرأته كان ولده أحول فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار فأجبهن فأبت امرأة أن تطيع زوجها إني لسألك عن أمر وأنا أستحيي أن أسألك قالت: فلا تستحي يا ابن أخي قال عن إتيان النساء في أدبارهن قالت: حدثتني أم سلمة أن الأنصار كانوا يجوبون قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا عبيد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن سابط قال: دخلت على حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فقلت حرث لكم الآية. ورواه ابن جرير عن يونس عن يعقوب ورواه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن الحارث بن شريح عن عبد الله بن نافع به حديث آخر نافع عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلا أصاب امرأة في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزل الله نساؤكم إذا كان في الفرج حديث آخر قال أبو جعفر الطحاوي في كتابه مشكل الحديث حدثنا أحمد بن داود بن موسى حدثنا يعقوب بن كاسب حدثنا عبد الله بن هذه الآية نساؤكم حرث لكم في أناس من الأنصار أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائتتها على كل حال أنى شئتم ورواه الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثني الحسن بن ثوبان عن عامر بن يحيى المعافري عن حنش عن ابن عباس قال: أنزلت حمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن أشياء فقال له رجل إني أجب النساء فكيف ترى في؟ فأنزل الله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عامر بن يحيى عن عبد الله بن حنش عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس من قال: حرثك انت حرثك أنى شئت غير أن لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت الحديث رواه أحمد وأهل السنن حديث آخر قال ابن أبي حاتم: ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج وفي حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أنه قال: يا رسول الله: نساؤنا ما تأتي منها وما نذر؟ جاء الولد أحول فأنزل الله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قال ابن جريج في الحديث. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلة مالك بن أنس وابن جريج وسفيان بن سعيد الثوري أن محمد بن المنكدر حدثهم أن جابر بن عبد الله أخبره أن اليهود قالوا للمسلمين من أتى امرأة وهي مدبرة لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان الثوري به. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابرا قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث حرث لكم قال ابن عباس: الحرث موضع الولد فأتوا حرثكم أنى شئتم أي كيف شئتم مقبلة ومدبرة في صمام واحد كما ثبتت بذلك الأحاديث قال وقوله نساؤكم

الحديث ضعيف عند الجميع ثم روى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ومسروق والشعبي أنهم قالوا: لا يمين في معصية ولا كفارة عليها. 224 على يمين قطيعة رحم ومعصية فبره أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه وهذا حديث ضعيف لأن حارثة هذا هو ابن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن متروك جرير: حدثنا علي بن سعيد الكندي حدثنا علي بن مسهر عن حارثة بن محمد عن عمرة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف وليأت الذي هو خير فإن تركها كفارتها ثم قال أبو داود والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها فليكفر عن يمينه وهي الصحاح. وقال ابن صلى الله عليه وسلم لا نذر ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم ولا في معصية الله ولا في قطيعة رحم ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليدعها يمين فرأى غيرها خيرا منها فتركها كفارتها ورواه أبو داود من طريق أبي عبيد الله بن الأحنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا خليفة بن خياط حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير. وقال الإمام أحمد: حدثنا أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك. وروى مسلم عن أبي هريرة وثبت فيهما أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لعبد الرحمن بن سمرة يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللته

تفسير ابن كثير

حيان والربيع بن أنس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي رحمهم الله ويؤيد ما قاله هؤلاء الجمهور ما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي واصنع الخير. وكذا قال: مسروق والشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبيرة وعطاء وعكرمة ومكحول والزهري والحسن وقتادة ومقاتل بن الكفارة وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم قال: لا تجعلن عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير ولكن كفر عن يمينك عن يحيى وهو ابن أبي كثير عن عكرمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إثما ليس تغني مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به. ورواه أحمد عنه به ثم قال البخاري: حدثنا إسحق بن منصور حدثنا يحيى بن صالح حدثنا معاوية هو ابن سلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله أثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه وهكذا رواه أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة الله وليعفووا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم فالاستمرار على اليمين أتم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير كما قال البخاري: حدثنا إسحق بن إبراهيم مائة لكم من البر وصلة الرحم إذا حلفت على تركها كقوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل يقول تعالى لا تجعلوا أيمانكم بالله تعالى

يعلم أنه كاذب قال مجاهد وغيره: وهي كقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان الآية والله غفور حلیم أي غفور لعباده حلیم عليهم. 225 وجل ولا في قطيعة الرحم ولا فيما لا تملك وقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال: ابن عباس ومجاهد وغير واحد: هو أن يحلف على الشيء وهو له عمر: إن الكعبة غنية عن مالك كفر عن يمينك وكلم أخاك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يمين عليك ولا نذر في معصية الرب عز سعيد بن المسيب أن أخوين من الأنصار كان بينهما ميراث فسأل أحدهما صاحبه القسمة فقال: إن عدت تسألني عن القسمة فكل مالي في رتاج الكعبة فقال روي عن سعيد بن جبيرة. وقال أبو داود باب اليمين في الغضب حدثنا محمد بن المنهال أنبأنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن الجماهر حدثنا سعيد بن بشير حدثني أبو بشر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لغو اليمين أن تحرم ما أحل الله لك فذلك ما ليس عليك فيه كفارة وكذا علي بن الحسين حدثنا مسدد بن خالد حدثنا خالد حدثنا عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال: لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان وأخبرني أبي حدثنا أبو ثم ينسأه وقال زيد بن أسلم هو قول الرجل أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا وكذا أخرجنى الله من مالي إن لم آتك غدا فهو هذا قال ابن أبي حاتم: وحدثنا هو قوله لا والله وبلى والله وهو يرى أنه صادق ولا يكون كذلك أقوال أخر قال عبدالرزاق عن هشيم عن مغيرة عن إبراهيم هو الرجل يحلف على الشيء عن الحسن وقال ابن أبي حاتم وروي عن عائشة القولان جميعا حدثنا عصام بن رواد أنبأنا آدم حدثنا شيبان عن جابر عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة قالت: صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله قال كلا أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة هذا مرسل حسن ينتضلون يعني يرمون ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه فقام رجل من القوم فقال أصبت والله وأخطأت والله فقال الذي مع النبي محمد بن موسى الجرشي حدثنا عبدالله بن ميمون المرادي حدثنا عوف الأعرابي عن الحسن بن أبي الحسن قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم أحد قولي عكرمة وحبيب بن أبي ثابت والسدي ومكحول ومقاتل وطاوس وقتادة والربيع بن أنس ويحيى بن سعيد وربيعه نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا بن يسار وسعيد بن جبيرة ومجاهد في أحد قوليه وإبراهيم النخعي في أحد قوليه والحسن وزرارة بن أوفي وأبي مالك وعطاء الخراساني وبكر بن عبدالله وتقول هو الشيء يحلف عليه أحدكم لا يريد منه إلا الصدق فيكون على غير ما حلف عليه ثم قال: وروي عن أبي هريرة وابن عباس في أحد قوليه وسليمان بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني الثقة عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها كانت تتأول هذه الآية يعني قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قوليه والشعبي وعكرمة في أحد قوليه وعروة بن الزبير وأبي صالح والضحاك في أحد قوليه وأبي قلابة والزهري نحو ذلك الوجه الثاني قرئ على يونس الرجل لا والله وبلى والله فذاك لا كفارة فيه إنما الكفارة فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله ثم قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عمر وابن عباس في أحد وبلى والله. وحدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: كانت عائشة تقول إنما اللغو في المزاح والهزل وهو قول حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قول الله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قالت: هو قول الرجل لا والله يتدارعون في الأمر فيقول هذا لا والله وبلى والله وكلا والله يتدارعون في الأمر لا تعتد عليه قلوبهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن إسحق الهمداني عن ابن أبي نجيح عن عطاء عنها وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قالت هم القوم وبلى والله ثم رواه عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحق عن هشام عن أبيه عنها وبه عن ابن إسحق عن الزهري عن القاسم عنها وبه عن ابن إسحق موقوفا. ورواه ابن جرير عن هناد عن وكيع وعبدة وأبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم لا والله موقوفا. ورواه الزهري وعبد الملك ومالك بن مغول كلهم عن عطاء عن عائشة موقوفا أيضا. قلت وكذا رواه ابن جريج وابن أبي ليلى عن عطاء عن عائشة وسلم قال اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته كلاً والله وبلى والله ثم قال أبو داود رواه داود ابن الفرات عن إبراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة بن مسعدة الشامي حدثنا حيان يعني ابن إبراهيم حدثنا إبراهيم الصائغ عن عطاء: اللغو في اليمين قال قالت عائشة إن رسول الله صلى الله عليه بهذه ولهذا قال تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم الآية وفي الآية الأخرى بما عقدتم الأيمان قال أبو داود: باب لغو اليمين حدثنا حميد قد أسلموا وألستهم قد ألقت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد فأمروا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله فهذا قاله لقوم حديثي عهد بجاهلية

تفسير ابن كثير

وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي وقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم أي لا يعاقبكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية

الجمهور وهو الجديد من مذهب الشافعي أن عليه التكفير لعموم وجوب التكفير على كل حالف كما تقدم أيضا في الأحاديث الصحاح والله أعلم. 226
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فتركها كفارتها كما رواه أحمد وأبو داود والترمذي والذي عليه عن الشافعي أن المولي إذا فاء بعد الأربعة الأشهر أنه لا كفارة عليه ويعتضد بما تقدم في الحديث عند الآية التي قبلها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده الله فإن الله غفور رحيم لما سلف من التقصير في حقهن بسبب اليمين وقوله فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم فيه دلالة لأحد قوليه العلماء وهو القديم قال فإن فاءوا أي رجعوا إلى ما كانوا عليه وهو كناية عن الجماع قاله ابن عباس ومسروق والشعبي وسعيد بن جببر وغير واحد ومنهم ابن جرير رحمه بالزوجات دون الإماء كما هو مذهب الجمهور تربض أربعة أشهر أي ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطلب بالفينة أو الطلاق ولهذا الحاكم على هذا وهذا لنلا يضر بها ولهذا قال تعالى: للذين يؤلون من نسائهم أي يحلفون على ترك الجماع من نسائهم فيه دلالة على أن الإيلاء يختص عن عمر بن الخطاب نحوه فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفيء أي يجمع وإما أن يطلق فيجبره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهرا فنزل لتسع وعشرين وقال الشهر تسع وعشرون ولهما أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجمع امرأته وعليها أن تصبر وليس لها مطالبة بالفينة في هذه المدة وهذا الإيلاء الحلف فإذا حلف الرجل أن لا يجمع زوجته مدة فلا يخلو إما أن يكون

الدهر كاتبه مخافة ربي والحياء يصدني وإكرام بعلي أن تنال مراكيه ثم ذكر بقية ذلك كما تقدم أو نحوه وقد روي هذا من طرق وهو من المشهورات. 227
به من كان يلهو بقربه لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه فوالله لولا الله لا شيء غيره لنقض من هذا السرير جوانبه ولكنني أخشى رقبيا موكلا بأنفسنا لا يفتر من نساء العرب مغلقة بابها تقول: تناول هذا الليل وازور جانبه وأرقني أن لا ضجيع لأعبه أطورا وطورا كأنما بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه يسر وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما زلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا إذ مر بامرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر فقال عمر: لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك وقال محمد بن إسحق عن السائب بن جببر مولى ابن عباس واسود جانبه وأرقني أن لا ضجيع لأعبه فوالله لولا الله أني أراقبه لحرك من هذا السرير جوانبه فسأل عمر ابنته حفصة رضي الله عنها كم أكثر ما تصبر المرأة أشهر الأثر الذي رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال: خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول: تناول هذا الليل رجعتها في العدة وانفرد مالك بأن قال: لا يجوز له رجعتها حتى يجماعها في العدة وهذا غريب جدا. وقد ذكر الفقهاء وغيرهم في مناسبة تأجيل المولي بأربعة قول الليث وإسحق بن راهويه وأبي عبيد وأبي ثور وداد وكل هؤلاء قالوا: إن لم يفيء ألزم بالطلاق فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم والطلقة تكون رجعية له بن عبد العزيز ومجاهد وطاوس ومحمد بن كعب والقاسم وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم رحمهم الله وهو اختيار ابن جرير أيضا وهو من طريق سهيل. قلت وهو يروى عن عمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعائشة أم المؤمنين وابن عمر وابن عباس وبه يقول سعيد بن المسيب وعمر اثني عشر رجلا من الصحابة عن الرجل يولي من امرأته فكلهم يقول ليس عليه شيء حتى تمضي الأربعة الأشهر فيوقف فإن فاء وإلا طلق ورواه الدارقطني هكذا قال الشافعي رحمه الله قال ابن جرير: حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه قال: سألت المولي ثم قال وهكذا تقول وهو موافق لما رويناه عن عمر وابن عمر وعائشة وعثمان وزيد بن ثابت وبضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يوقف المولي. قال الشافعي: وأقل ذلك ثلاثة عشر ورواه الشافعي عن علي رضي الله عنه أنه يوقف أن يطلق وإما أن يفيء. وأخرجه البخاري وقال الشافعي رحمه الله: أخبرنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار قال: أدركت بضعة عشر بمجرد طلاق وروى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال: إذا آلى الرجل من امرأته لم يقع عليه طلاق وإن مضت أربعة أشهر حتى يوقف فأما أنها إن كانت حاضت ثلاث حيض فلا عدة عليها وهو قول الشافعي والذي عليه الجمهور من المتأخرين أن يوقف فيطالب إما بهذا وإما بهذا ولا يقع عليها بن ذؤيب وأبو حنيفة والثوري والحسن بن صالح فكل من قال إنما تطلق بمضي الأربعة أشهر أوجب عليها العدة إلا ما روي عن ابن عباس وأبي الشعثاء وعثمان وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول عطاء وجابر بن زيد ومسروق وعكرمة والحسن وابن سيرين ومحمد بن الحنفية وإبراهيم وقبيصة بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ومكحول وربيعة والزهري ومروان بن الحكم وقيل إنها تطلق طلقة بائنة روي عن علي وابن مسعود وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن طرخان التيمي وإبراهيم النخعي والربيع بن أنس والسدي ثم قيل إنها تطلق بمضي الأربعة أشهر طلقة رجعية قاله سعيد وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه يقول ابن سيرين ومسروق والقاسم وسالم والحسن وأبو سلمة وقتادة وشريح القاضي وقبيصة بن ذؤيب وعطاء أشهر كقول الجمهور من المتأخرين وذهب آخرون إلى أنه يقع بمضي أربعة أشهر تطليقة وهو مروي بأسانيد صحيحة عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وقوله وإن عزموا الطلاق فيه دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرد مضي الأربعة

بعضهم على بعض بما أنفقوا من أموالهم. وقوله والله عزيز حكيم أي عزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره حكيم في أمره وشرعه وقدره. 228
في الخلق والخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله أحب أن تتزين لي المرأة لأن الله يقول: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله وللرجال عليهن درجة أي في الفضيلة

تفسير ابن كثير

إذا اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت وقال وكيع عن بشير بن سليمان عن عكرمة عن ابن عباس قال: إنى لأحب أن أتزين للمرأة كما وفي حديث بهز بن حكيم عن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أنه قال يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا قال أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها واستحلتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله وقوله ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف كما من استشهدهم على مسألة عود الضمير هل يكون مخصصا لما تقدمه من لفظ العموم أم لا بهذه الآية الكريمة فإن التمثيل بها غير مطلق لما ذكره والله أعلم. مائة مرة فلما قصروا في الآية التي بعدها على ثلاث تطليقات صار للناس مطلقة بائن وغير بائن وإذا تأملت هذا تبين لك ضعف ما سلكه بعض الأصوليين فلم يكن حال نزول هذه الآية مطلقة بائن وإنما كان ذلك لما حصروا في الطلاق الثلاث فأما حال نزول هذه الآية. فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها ذلك إن أرادوا إصلاحا أي وزوجها الذي طلقها أحق بردها ما دامت في عدتها إذا كان مراده بردها الإصلاح والخير وهذا في الرجعات فأما المطلقات البوائن العدة أو رغبة منها في تطويلها لما لها في ذلك من المقاصد فأمرت أن تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان. وقوله وبعلوتهن أحق بردهن في في هذا إليهن لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن ويتعذر إقامة البيئة غالبا على ذلك فرد الأمر إليهن وتوعدن فيه لئلا يخبرن بغير الحق إما استعجالا منها لانقضاء والحكم بن عينية والربيع بن أنس والضحاك وغير واحد. وقوله إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تهديد لهن على خلاف الحق ودل هذا على أن المرجع من الآية ما هو على قولين. وقوله ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن أي من حبل أو حيض. قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي جميعا قرءا. وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر: لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء أن القرء يراد به الحيض ويراد به الطهر وإنما اختلفوا في المراد الأصوليين والله أعلم. وهذا قول الأصمعي أن القرء هو الوقت. وقال أبو عمرو بن العلاء: العرب تسمي الحيض قرءا وتسمي الطهر قرءا وتسمي الطهر والحيض الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم وهذه العبارة تقتضي أن يكون مشتركا بين هذا وهذا وقد ذهب إليه بعض هو الحيض ولكن المنذر هذا قال فيه أبو حاتم مجهول ليس بمشهور وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ابن جرير أصل القرء في كلام العرب الوقت لمجيء عروة بن الزبير عن فاطمة بنت أبي حبيش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها دعي الصلاة أيام أقرائك فهذا لو صح لكان صريحا في أن القرء شبرمة والحسن بن صالح بن حي وأبي عبيد وإسحق بن راهويه ويؤيد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي من طريق المنذر بن المغيرة عن حنبل وحكى عنه الأثرم أنه قال الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون الأقراء الحيض وهو مذهب الثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وابن بن حيان والسدي ومكحول والضحاك وعطاء الخراساني أنهم قالوا: الأقراء: الحيض وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن وسعيد بن المسيب وعلقمة والأسود وإبراهيم ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن جببر وعكرمة ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة والشعبي والربيع ومقاتل عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعباد بن الصامت وأنس بن مالك وابن مسعود ومعاذ وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وابن عباس بواحدة أو اثنتين فجاءني وقد نزع ثيابي وأغلقت بابي فقال عمر لعبد الله بن مسعود: أراها امرأته ما دون أن تحل لها الصلاة قال: وأنا أرى ذلك. وهكذا روي وثلاثون يوما ولحظة قال الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءته امرأة فقالت: إن زوجي فارقني إن المراد بالأقراء الحيض فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة زاد آخرون وتغتسل منها وأقل وقت تصدق فيه المرأة في انقضاء عدتها ثلاثة رفة لما ضاع فيها من قروء نساكنا يمدح أميرا من أمراء العرب أثر الغزو على المقام حتى ضاعت أيام الطهر من نسائه لم يواقعهن فيها. القول الثاني يوما ولحظتان واستشهد أبو عبيد وغيره على ذلك بقول الشاعر وهو الأعشى: ففي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عظيم عزانكا مورثة مالا وفي الأصل بها ولهذا قال هؤلاء: إن المعتدة تنقضي عدتها وتبين من زوجها بالطنن في الحيضة الثالثة وأقل مدة تصدق فيها المرأة في انقضاء عدتها اثنان وثلاثون رواية عن أحمد واستدلوا عليه بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي في الأطهار ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محتسبا دل على أنه أحد الأقراء الثلاثة المأمور بكر بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان وعطاء ابن أبي رباح وقتادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة وهو مذهب مالك والشافعي وغير واحد وداود وأبي ثور وهو الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها وقال مالك وهو الأمر عندنا وروي مثاله عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبي أدركت أحدا من فقهاءنا إلا وهو يقول ذلك يريد قول عائشة وقال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: إذا طلق الرجل امرأته فدخلت في الدم من يقول في كتابه ثلاثة قروء فقالت عائشة: صدقتم وتدرسون ما الأقراء؟ إنما الأقراء الأطهار وقال مالك عن ابن شهاب سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول: ما بن أبي بكر حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة فذكرت ذلك لعمر بنت عبد الرحمن فقالت صدق عروة وقد جادلها في ذلك ناس فقالوا: إن الله تعالى بالأقراء ما هو على قولين: أحدهما أن المراد بها الأطهار وقال مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن من نزلت فيها العدة للطلاق يعني والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد الأنصارية قالت: طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فأنزل الله عز وجل حين طلقت أسماء العدة للطلاق فكانت أول الظاهر وضعفه وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل يعني ابن عياش عن عمرو بن مهاجر عن أبيه أن أسماء بنت يزيد بن السكن عدة الحرة لعموم الآية ولأن هذا أمر جبلي فكان الحرائر والإماء في هذا سواء حكى هذا القول الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن محمد بن سيرين وبعض أهل الدارقطني والصحيح ما رواه سالم ونافع عن ابن عمر قوله وهكذا روي عن عمر بن الخطاب قالوا: ولم يعرف بين الصحابة خلاف وقال: بعض السلف: بل عدتها

تفسير ابن كثير

بالكلية وقال الحافظ الدارقطني وغيره الصحيح أنه من قول القاسم بن محمد نفسه ورواه ابن ماجه من طريق عطية العوفي عن ابن عمر مرفوعا قال: عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ولكن مظاهر هذا ضعيف تعتد عندهم بقرأين لأنها على النصف من الحرة والقرء لا يتبعض فكمثل لها قرءان ولما رواه ابن جرير عن مظاهر بن أسلم المخزومي المدني عن القاسم عن بأنفسهن ثلاثة قروء أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج إن شاءت وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت فإنها هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقراء بان يتربصن

امراته ثلاث تطليقات جميعا فقام غضبان ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل فقال يا رسول الله ألا أقتله؟ - فيه انقطاع . 229 حدثنا سليمان بن داود أخبرنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير عن أبيه عن محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رجل طلق ثم قال تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ويقولون ذلك بحديث محمود بن لبيد الذي رواه النسائي في سننه حيث قال: الآية من ذهب إلى أن مع الطلقات الثلاث بكلمة واحدة حرام كما هو مذهب المالكية ومن وافقهم وإنما السنة عندهم أن يطلق واحدة لقوله الطلاق مرتان حد حدودا فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تضيعوها وحرم محارم فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها وقد يستدل بهذه فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون أي هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدوده فلا تتجاوزوها كما ثبت في الحديث الصحيح إن الله والزهرى والحاكم والحكم وحماة بن أبي سليمان وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي الدرداء قال ابن عبد البر: وليس ذلك بثابت عنهما. وقوله تلك حدود الله أنه يقع عليها الطلاق بكل حال ما دامت في العدة وهو قول أبي حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح وطاوس وإبراهيم وأبو ثور والثاني قال مالك: أن أتبع الخلع طلاقا من غير سكوت بينهما لم يقع قال ابن عبد البر: وهذا يشبه ما روي عن عثمان رضي الله عنه والثالث ذلك لأنها قد ملكت نفسها وبانت منه وبه يقول ابن عباس وابن الزبير وعكرمة وجابر بن زيد والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أنه لا يجوز له ذلك كما لا يجوز لغيره وهو قول شاذ مردود. مسألة وهل له أن يوقع عليها طلاقا آخر في العدة؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء: أحدها ليس له لرجعتها ما دامت في العدة وبه يقول داود بن علي الظاهري واتفق الجميع على أن للمختلعة أن يتزوجها في العدة وحكى الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن فرقة بغير رضاها وهو اختيار أبي ثور رحمه الله. وقال سفيان الثوري: إن كان الخلع بغير لفظ الطلاق فهو فرقة ولا سبيل له عليها وإن كان يسمى طلاقا فهو أملك بذلت له من العطاء. وروي عن عبدالله بن أبي أوفى وماهان الحنفي وسعيد بن المسيب والزهرى أنهم قالوا: إن رد إليها الذي أعطاهما جاز له رجعتها في العدة اختلعت منه أن تعتد بحيضة. مسألة وليس للمخالع أن يراجع المختلعة في العدة بغير رضاها عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء لأنها قد ملكت نفسها بما عن أبي سلمة ومحمد بن عبدالرحمن بن ثوبان عن الربيع بنت معوذ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر امرأة ثابت بن قيس حين وإنما تبع في ذلك قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مريم المغالبة وكانت تحت ثابت بن قيس فاختلعت منه وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود من زوجي ثم جئت عثمان فسألت عثمان ماذا علي من العدة؟ قال: لا عدة عليك إلا أن يكون حديث عهد بك فتمكثين عنده حتى تحيض حيضة قالت: بن سعد حدثنا أبي عن ابن إسحق أخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء قال: قلت لها حدثيني حديثك قالت: اختلعت أن تعتد بحيضة قال الترمذي: الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحيضة طريق أخرى. قال ابن ماجه: حدثنا علي بن سلمة النيسابوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن يسار عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء أنها اختلعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أو أمرت مرسل حديث آخر. قال الترمذي: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان حدثنا محمد بن عبدالرحمن وهو مولى آل طلحة عن سليمان وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد بحيضة ثم قال الترمذي حسن غريب وقد رواه عبدالرزاق عن معمر بن عمرو بن مسلم عن عكرمة أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر بن عمرو بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الخلع فسخ يلزمه القول بهذا واحتجوا لذلك بما رواه أبو داود والترمذي حيث قال كل منهما حدثنا محمد بن عبدالرحيم البغدادي حدثنا علي بن يحيى وحدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال: عدتها حيضة وبه يقول عكرمة وأبان بن عثمان وكل من تقدم ذكره ممن يقول حيض حتى قال هذا عثمان فكان ابن عمر يفتي به ويقول عثمان خيرنا وأعلمنا. وحدثنا عبدة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: عدة المختلعة حيضة. بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن الربيع اختلعت من زوجها فأتى عمها عثمان رضي الله عنه فقال تعتد بحيضة قال: وكان ابن عمر يقول تعتد ثلاث وغيرهم ومأخذهم في هذا أن الخلع طلاق فتعتد كسائر المطلقات والقول الثاني أنها تعتد بحيضة واحدة تستبرئ بها رحمها قال ابن أبي شيبه حدثنا يحيى النخعي وأبو عياض وخلاس بن عمر وقتادة وسفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأبو العبيد قال الترمذي: وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة عن عمر وعلي وابن عمر وبه يقول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة وسالم وأبو سلمة وعمر بن عبد العزيز وابن شهاب والحسن والشعبي وإبراهيم والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه في رواية عنهما وهي المشهورة إلى أن المختلعة عدتها عدة المطلقة بثلاثة قروء إن كانت ممن تحيض. وروي ذلك نوى ثلاثا فثلاث وللشافعي قول آخر في الخلع وهو أنه متى لم يكن بلفظ الطلاق وعري عن البينة فليس هو بشيء بالكلية. مسألة وذهب مالك وأبو حنيفة والثوري والأوزاعي وأبو عثمان البتي والشافعي في الجديد غير أن الحنفية عندهم أنه متى نوى المخالعة بخلعه تطليقة أو اثنتين أو طلق فهو واحدة بائنة وإن وعلي وابن مسعود وابن عمر وبه يقول سعيد بن المسيب والحسن وعطاء وشريح والشعبي وإبراهيم وجابر بن زيد وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأصحابه فقال تطليقة إلا أن تكون سميت شيئا فهو ما سميت قال الشافعي: ولا أعرف جهما وكذا ضعف أحمد بن حنبل هذا الأثر والله أعلم. وقد روي نحوه عن عمر

تفسير ابن كثير

عن هشام بن عروة عن أبيه عن جهمان مولى الأسلميين عن أم بكر الأسلمية أنها اختلعت من زوجها عبدالله بن خالد بن أسيد فأتيا عثمان بن عفان في ذلك وداود بن علي الظاهري وهو مذهب الشافعي في القديم وهو ظاهر الآية الكريمة والقول الثاني في الخلع إنه طلاق بائن إلا أن ينوي أكثر من ذلك قال مالك بطلاق وإنما هو فسخ هو رواية عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان وابن عمر وهو قول طاوس وعكرمة وبه يقول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو ثور بمعروف أو تسريح بإحسان وقرأ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وهذا الذي ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما من أن الخلع ليس منه أيتزوجها؟ قال: نعم ليس الخلع بطلاق ذكر الله الطلاق في أول الآية وآخرها والخلع فيما بين ذلك فليس الخلع بشيء ثم قرأ الطلاق مرتان فإمساك عن سفیان بن عیینة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص سأله فقال: رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت يقول الطلاق مرتان قرأ إلى أن يتراجعا قال الشافعي: وأخبرنا سفیان عن عمرو عن عكرمة قال: كل شيء أجازة المال فليس بطلاق وروى غير الشافعي في الخلع فأخبرنا سفیان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس في رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه بعد يتزوجها إن شاء لأن الله تعالى به منه رواه ابن جرير ولهذا قال بعده تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فصل قال الشافعي: اختلف أصحابنا حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به أي من ذلك وهكذا كان يقرؤها الربيع بن أنس فلا جناح عليهما فيما افتدت وحملوا معنى الآية على معنى فلا جناح عليهما فيما افتدت به أي من الذي أعطاهما لتقدم قوله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما بن حميد حيث قال: أخبرنا قبيصة عن سفیان عن ابن جرير عن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاهما يعني المختلعة من رواية قتادة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة ثابت بن قيس فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها الحديقة ولا يزداد وبما روى عبد كان علي يقول لا يأخذ من المختلعة فوق ما أعطاهما وقال: الأوزاعي القضاة لا يجيزون أن يأخذ منها أكثر مما ساق إليها. قلت ويستدل لهذا القول بما تقدم أعطاهما وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء وعمرو بن شعيب والزهرري وطاوس والحسن والشعبي وحماد بن أبي سليمان والربيع بن أنس. وقال معمر والحكم وإن كان الإضرار من جهته لم يجز أن يأخذ منها شيئا فإن أخذ جاز في القضاء. وقال الإمام أحمد وأبو عبيد وإسحاق بن راهويه لا يجوز أن يأخذ أكثر مما وأبي ثور واختاره ابن جرير وقال أصحاب أبي حنيفة إن كان الإضرار من قبلها جاز أن يأخذ منها ما أعطاهما ولا يجوز الزيادة عليه فإن ازداد جاز في القضاء وبه يقول ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وقبيصة بن ذؤيب والحسن بن صالح وعثمان البتي وهذا مذهب مالك والليث والشافعي أن يأخذ عقاص رأسي فما دونه أو قالت ما دون عقاص الرأس ومعنى هذا أنه يجوز أن يأخذ منها كل ما بيدها من قليل وكثير ولا يترك لها سوى عقاص شعرها قالت فكانت مني زلة يوما فقلت: أختلعت منك بكل شيء أملكه قال: نعم قالت ففعلت قالت فخاصم عمي معاذ ابن عفراء إلى عثمان بن عفان فأجاز الخلع وأمره أخبرنا معمر عن عبدالله بن محمد بن عقيل أن الربيع بنت معوذ ابن عفراء حدثته قالت: كان لي زوج يقل علي الخير إذا حضرني ويحرمني إذا غاب عني وجدت مكانك؟ قالت ما كنت عنده ليلة أقر لعيني من هذه الليلة. فقال خذ ولو عقاصها وقال البخاري: وأجاز عثمان الخلع دون عقاص رأسها وقال: عبدالرزاق أيام قال: سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن حميد بن عبدالرحمن أن امرأة أتت عمر بن الخطاب فشكت زوجها فأباتها في بيت الزبل فلما أصبحت قال كيف الليلة التي كنت حبستني فقال: لزوجها اخلعها ولو من قرطها ورواه عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن كثير مولى ابن سمرة فذكر مثله وزاد فحبسها فيه ثلاثة أيوب عن كثير مولى ابن سمرة أن عمر أتى بامرأة ناشز فأمر بها إلى بيت كثير الزبل ثم دعا بها فقال كيف وجدت فقال ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلا هذه أعطاهما فذهب الجمهور إلى جواز ذلك لعموم قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا قالت نعم فردت عليه حقيقته قال ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في أنه هل يجوز للرجل أن يفاديهما بأكثر مما رجلا دميما فقلت: يا رسول الله والله لولا مخافة الله إذا دخل علي بصقت في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدن عليه حقيقته؟ حدثنا أبو كريب حدثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت بن قيس بن شماس وكان إني قد أعطيتها أفضل مالي حديقة لي فإن ردت علي حديقتي قال ما تقولين؟ قالت: نعم وإن شاء زدت. قال ففرق بينهما حديث آخر قال ابن ماجه: رأسي ورأسه شيء أبدا إني رفعت جانب الخباء فرأيت أنه قد أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فقال زوجها يا رسول الله قال: كان ابن عباس يقول إن أول خلع كان في الإسلام في أخت عبدالله بن أبي أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا يجمع بينهما. وقال ابن جرير أيضا حدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال قرأت على فضيل عن أبي جرير أنه سأل عكرمة هل كان للخلع أصل؟ جميلة ما كرهت من ثابت؟ قالت: والله ما كرهت منه ديننا ولا خلقا إلا أنني كرهت دمايته فقال لها: أتريدن عليه الحديقة قالت نعم فردت الحديقة وفرق عبدالله بن رباح عن جميلة بنت عبدالله بن أبي ابن سلول أنها كانت تحت ثابت بن قيس فنشزت عليه فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عن أزهر بن مروان بإسناده مثله سواء وهو إسناده جيد مستقيم وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن ثابت عن وسلم أن يأخذ ما ساق ولا يزداد وقد رواه ابن مردويه في تفسيره عن موسى بن هرون حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبدالأعلى مثله وهكذا رواه ابن ماجه ولا خلق ولكنني أكره الكفر في الإسلام لا أطيقه بغضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ترددين عليه حقيقته؟ قالت: نعم. فأمره النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن جميلة بنت سلول أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: والله ما أعتب على ثابت بن قيس في دين حدثني أبو يوسف يعقوب بن يوسف الطباخ حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثني عبدالأعلى بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة أن جميلة رضي الله عنها - كذا قال والمشهور أن اسمها حبيبة كما تقدم - لكن قال الإمام أبو عبدالله بن بطة:

تفسير ابن كثير

من طرق عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس وفي بعضها أنها قالت: لا أطيقه يعني بغضا وهذا الحديث من أفراد البخاري من هذا الوجه. ثم قال حدثنا سليمان أيضا به عن إسحق الواسطي عن خالد هو ابن عبد الله الطحاوي عن خالد هو ابن مهران الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس به نحوه. وهكذا رواه البخاري أيضا قالت: نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة وكذا رواه النسائي عن أزهر بن جميل بإسناده مثله ورواه البخاري عليه وسلم فقالت يا رسول الله: ما أعيب عليه في خلق ولا دين ولكن أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدان عليه حديثه قال البخاري: حدثنا أزهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي صلى الله عليه وسلم خذهما وفارقها ففعل وهذا لفظ ابن جرير وأبو عمرو السدوسي هو سعيد بن سلمة بن أبي الحسام حديث آخر فيه عن ابن عباس رضي الله عنه ثابتا فقال خذ بعض مالها وفارقها قال: ويصلح ذلك يا رسول الله؟ قال نعم قال: إني أصدقها حديثين فهما بيدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بن قيس بن شماس فضربها فانكسر بعضها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصبح فاشتكت إليه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن جرير: حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو عامر حدثنا أبو عمرو السدوسي عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت عن مالك بإسناده مثله ورواه أبو داود عن القعني عن مالك والنسائي عن محمد بن مسلمة عن ابن القاسم عن مالك حديث آخر عن عائشة. قال أبو داود كل ما أعطاني عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ منها فأخذ منها وجلست في أهلها. وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي فلما جاء زوجها ثابت بن قيس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله أن تذكر فقالت حبيبة: يا رسول الله في الغلس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه؟ قلت: أنا حبيبة بنت سهل فقال ما شأنك فقالت: لا أنا ولا ثابت بن قيس لزوجها بنت سهل الأنصاري أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابها ولنذكر طرق حديثها واختلاف ألفاظه: قال الإمام مالك في موطنه عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة أنها أخبرته عن حبيبة ومأخذ مردود على قائله وقد ذكر ابن جرير رحمه الله أن هذه الآية نزلت في شأن ثابت بن قيس بن شماس وامراته حبيبة بنت عبد الله بن أبي سلول له عن بكر بن عبد الله المزني أنه ذهب إلى أن الخلع منسوخ بقوله وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا. ورواه ابن جرير عنه وهذا قول ضعيف أنه يجوز الخلع في حال الشقاق وعند الاتفاق بطريق الأولى والأخرى وهذا قول جميع أصحابه قاطبة وحكى الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستذكار والأوزاعي: لو أخذ منها شيئا وهو مضار لها وجب رده إليها وكان الطلاق رجعيًا قال مالك: وهو الأمر الذي أدركت الناس عليه وذهب الشافعي رحمه الله إلى إلا في هذه الحالة فلا يجوز في غيرها إلا بدليل والأصل عدمه وممن ذهب إلى هذا ابن عباس وطاوس وإبراهيم وعطاء والحسن والجمهور حتى قال مالك فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله قالوا: فلم يشرع الخلع وإن ربحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما. ثم قد قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلف إنه لا يجوز الخلع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة عن عمه عمارة بن ثوبان عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسأل امرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ريح الجنة وسلم المتخلعات والمنتزعات هن المنافقات حديث آخر قال ابن ماجه: حدثنا بكر بن خلف أبو بشر حدثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى بن ثوبان غريب من هذا الوجه ضعيف حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا أيوب عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أشعث بن سوار عن الحسن عن ثابت بن يزيد عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المتخلعات المنتزعات هن المنافقات المنافقات ثم قال الترمذي: غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي حديث آخر قال ابن جرير: حدثنا أيوب حدثنا حفص بن بشر حدثنا قيس بن الربيع عن أبيه عن ليث هو ابن أبي سليم عن أبي الخطاب عن أبي زرعة عن أبي إدريس عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخلعات هن غير ما بأس حرم الله عليها رائحة الجنة وقال المتخلعات هن المنافقات. ثم رواه ابن جرير والترمذي جميعا عن أبي كريب عن مزاحم بن داود بن عليّة ليث بن أبي إدريس عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه وابن جرير من حديث حماد بن زيد به طريق أخرى قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن قال: وذكر أبا أسماء وذكر ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة. عن أبي أسماء عن ثوبان ورواه بعضهم عن أيوب بهذا الإسناد ولم يرفعه: وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وهكذا رواه الترمذي عن بندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي به وقال حسن قال ويروى عن أيوب عن أبي قلابة حدثنا ابن عليّة قالا جميعا: حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أيما امرأة سألت زوجها طلاقها في غير فيما افتدت به الآية. فأما إذا لم يكن لها عذر وسألت الافتداء منه فقد قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي به وقال حسن قال ويروى عن أيوب عن أبي قلابة قبول ذلك منها ولهذا قال تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما إذا تشاقت الزوجان ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبغضته ولم تقدر على معاشرته فلها أن تفتدي منه بما أعطاه ولا حرج عليها في بذلها له ولا حرج عليه في إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فأما إن وهبته المرأة شيئا عن طيب نفس منها فقد قال تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وأما أي لا يحل لكم أن تضاجروهن وتضيّقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الأصدقة أو ببعضه كما قال تعالى ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما آتيتموهن فقال: يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فآين الثالثة؟ قال إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. وقوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا

تفسير ابن كثير

يحيى حدثنا عبيد الله بن جرير بن حيلة حدثنا ابن عائشة حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بن زياد عن إسماعيل بن سميع عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم. فذكره ثم قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحيم حدثنا أحمد بن رزين به وكذا رواه ابن مردويه أيضا من طريق قيس بن الربيع عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين به مرسلًا ورواه ابن مردويه أيضا من طريق عبد الواحد الثالثة. ورواه الإمام أحمد أيضا. وهكذا رواه سعيد بن منصور عن خالد بن عبد الله عن إسماعيل بن زكريا وأبي معاوية عن إسماعيل بن سميع عن أبي عن سفيان عن إسماعيل بن سميع أن أبا رزين الأسدي يقول: قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان فأين الثالثة؟ قال التسريح بإحسان الله عز وجل فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان أين الثالثة قال: التسريح بإحسان ورواه عبد بن حميد في تفسيره ولفظه أخبرنا يزيد بن أبي حكيم أخبرني سفيان الثوري حدثني إسماعيل بن سميع قال: سمعت أبا رزين يقول: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت قول أن يمسكها بمعروف فيحسن صحبتها أو يسرحها بإحسان فلا يظلمها من حقها شيئا. وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرنا ابن وهب إليها لا تظلمها من حقها شيئا ولا تضار بها. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال إذا طلق الرجل امرأته تطليقتين فليتق الله في ذلك أي في الثالثة فإما مخير فيها ما دامت عدتها باقية بين أن تردها إليك ناويا الإصلاح بها والإحسان إليها وبين أن تتركها حتى تنقضي عدتها فتبين منك وتطلق سراحها محسنا ذكره السدي وابن زيد وابن جرير كذلك واختار أن هذا تفسير هذه الآية قوله فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان أي إذا طلقته واحدة أو اثنتين فأنت فيه الطلاق مرتان فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان فوق الطلاق ثلاثا لا رجعة فيه بعد الثالثة حتى تتكح زوجا غيره وهكذا روي عن قتادة مرسلًا بعض ما يكون بين الناس فقال: والله لأتركك لا أئما ولا ذات زوج فجعل يطلقها حتى إذا كادت العدة أن تنقضي راجعها ففعل ذلك مرارا فأنزل الله عز وجل عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لم يكن للطلاق وقت يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها ما لم تنقض العدة وكان بين رجل من الأنصار وبين أهله الإسناد ثم قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق ابن إدريس عن هشام عن أبيه مرسلًا قال هذا أصح. ورواه الحاكم في مستدركه من طريق يعقوب بن حميد بن كاسب عن يعلى بن شبيب به وقال: صحيح عن يعلى بن شبيب مولى الزبير عن هشام عن أبيه عن عائشة فذكره بنحو ما تقدم. ورواه الترمذي عن قتيبة عن يعلى بن شبيب به. ثم رواه عن أبي كريب عن فأنزل الله عز وجل الطلاق مرتان قال: فاستقبل الناس الطلاق من كان طلق ومن لم يكن طلق وقد رواه أبو بكر بن مردويه من طريق محمد بن سليمان لا أويك ولا أفارقك قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك ثم أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بن عون كلهم عن هشام عن أبيه قال: كان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها ما شاء ما دامت في العدة وإن رجلا من الأنصار غضب على امرأته فقال: والله الله عز وجل الطلاق مرتان وهكذا رواه ابن جرير في تفسيره من طريق جرير بن عبد الحميد وابن إدريس. ورواه عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر لامرأته: لا أطلقك أبدا ولا أويك أبدا قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلق حتى إذا دنا أجلك راجعتك فأنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فأنزل إسحق بن إبراهيم عن علي بن الحسين به. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا هرون بن إسحق حدثنا عبدة يعني ابن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا قال الآية وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثا فنسخ ذلك فقال الطلاق مرتان الآية. ورواه النسائي عن زكريا بن يحيى عن بن واعد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن أو تسريح بإحسان. قال أبو داود رحمه الله في سننه باب نسخ المراجعة بعد الطلقات الثلاث حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلقات وأباح الرجعة في المرة والثنتين وأبأنها بالكلية في الثالثة. فقال الطلاق مرتان فإمسك بمعروف هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة فلما كان عام لهم كلهم مع أنهم أفصح الأمم وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه ومع هذا أعجزوا عن ذلك. 23 تعالى فأتوا بعشر سور مثله وقوله لا يأتون بمثله. وقال بعضهم من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يعني من رجل أمى مثله. والصحيح الأول لأن التحدي ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم وذلك أكمل في التحدي وأشمل من أن يتحدى أحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئا من العلوم وبديل قوله والزمخشري والرازي ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين ورجح ذلك بوجوه من أحسنها أنه تحداهم كلهم متفرقين شك مما نزلنا على عبدنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثله يعني من مثل القرآن قاله مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير والطبري وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وكل هذه الآيات مكية ثم تحداهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية وإن كنتم في ريب أي كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وقال في سورة هود أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وقال في سورة يونس وما أتبعه إن كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا يشهدون به يعني حكام الفصحاء وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال في سورة القصص قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما عن أبي مالك شركاءكم أي قوما آخرين يساعدونكم على ذلك أي استعينوا بالهتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم وقال مجاهد وادعوا شهداءكم قال ناس من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك قال ابن عباس شهداءكم أعوانكم وقال السدي إلا هو فقال مخاطبا للكافرين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه

ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله

كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحجتهم أن الزوج الثاني إذا هدم الثلاث فلا ينهدم ما دونها بطريق الأولى والأخرى والله أعلم. 230 وأحمد بن حنبل وهو قول طائفة من الصحابة رضي الله عنهم أن يكون الزوج الثاني قد هدم ما قبله من الطلاق فإذا عادت إلى الأول تعود بمجموع الثلاث حتى انقضت عدتها ثم تزوجت بآخر فدخل بها ثم طلقها فانقضت عدتها ثم تزوجها الأول هل تعود إليه بما بقي من الثلاث كما هو مذهب مالك والشافعي حدود الله أي شرائعه وأحكامه يبينها أي يوضحها لقوم يعلمون . وقد اختلف الأئمة رحمهم الله فيما إذا طلق الرجل امرأته طلبة أو طلقته وتركها جناح عليهما أن يتراجعا أي المرأة والزوج الأول إن ظنا أن يقيما حدود الله أي يتعاشرا بالمعروف. قال مجاهد: إن ظنا أن نكاحهما على غير دلالة وتلك لزوجها ففرق بينهما وكذا روي عن علي وابن عباس وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم. وقوله فإن طلقها أي الزوج الثاني بعد الدخول بها فلا ولا محل له إلا رجعتهما. وروى البيهقي من حديث ابن لهيعة عن بكير بن الأشج عن سليمان بن يسار أن عثمان بن عفان رفع إليه رجل تزوج امرأة ليحلها بكر بن أبي شيبه والجوزجاني وحرب الكرمانى وأبو بكر الأثرم من حديث الأعمش عن المسيب بن رافع عن قبيصة بن جابر عن عمر أنه قال: لا أوتى بمحل ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه الثوري عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر به وهذه الصيغة مشعرة بالرفع وهكذا روى أبو ثلثة فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه هل تحل للأول فقال: لا إلا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو يمان محمد بن مطرف المدني عن عمر بن نافع عن أبيه أنه قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته المقبري وهو متفق عليه. الحديث السابع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا محمد بن إسحق الصنعاني وقد وثقه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وغيرهم. وأخرج له مسلم في صحيحه عن عثمان بن محمد الأخنسي وثقه ابن معين عن سعيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المحلل والمحلل له. وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبه والجوزجاني والبيهقي من طريق عبد الله بن جعفر القرشي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله هو ابن جعفر عن عثمان بن محمد المقبري عن أبي هريرة قال: لعن الفرات عن عمرو بن دينار عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا فيتقوى كل من هذا المرسل والذي قبله بالآخر والله أعلم. الحديث السادس لا نكاح دلالة ولا استهزاء بكتاب الله ثم يذوق عسيلتها ويتقوى هذان الإسنادان بما رواه أبو بكر بن أبي شيبه عن حميد بن عبد الرحمن عن موسى بن أبي بن إسماعيل بن أبي حنيفة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المحلل قال لا إلا نكاح رغبة المحلل والمحلل له طريق أخرى قال الإمام الحافظ خطيب دمشق أبو إسحق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا إبراهيم ابن ماجه: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس المعروف بابن فريق عن أبي صالح عبد الله بن صالح عن الليث به فبرئ من عهده والله أعلم. الحديث الخامس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ينكرون على عثمان في هذا الحديث إنكارا شديدا. قلت عثمان هذا أحد الثقات روى عنه البخاري في صحيحه ثم قد تابعه غيره فرواه جعفر الفريابي عن الله قال هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له تفرد به ابن ماجه وكذا رواه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن عثمان بن صالح عن الليث به ثم قال: كانوا يقول قال أبو المصعب مشرح هو ابن عاهان قال عقبة ابن عامر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا: بلى يا رسول عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري أخبرنا أبي سمعت الليث بن سعد أحمد بن حنبل قال: ورواه ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله عن علي قال: وهذا وهم من ابن نمير والحديث الأول أصح. الحديث الرابع الحارث عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له ثم قال: وليس إسناده بالقائم ومجالد ضعفه غير واحد من أهل العلم منهم رضي الله عنه قال الترمذي: أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أشعث بن عبد الرحمن بن يزيد الإيامي حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله وعن أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن الحارث عن علي: قال لعن رسول الله صاحب الربا وأكله وكتبه وشاهده والمحلل والمحلل له. الحديث الثالث عن جابر الرحمن ومجالد بن سعيد وابن عون عن عامر الشعبي به وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الشعبي به. ثم قال أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله وكذا رواه عن غندر عن شعبة عن جابر وهو ابن يزيد الجعفي عن الشعبي عن الحارث عن علي به وكذا رواه من حديث إسماعيل بن أبي خالد وحصين بن عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله وشاهديه وكتبه والواشمة والمستوشمة للحسن ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له وكان ينهى عن النوح القيامة. الحديث الثاني عن علي رضي الله عنه قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن الحارث عن علي قال: لعن ولأوي الصدقة والمتعدي فيها والمرتد عن عقبه أعرابيا بعد هجرته والمحلل والمحلل له ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم عن حديث الأعمش عن عبد الله بن مرة عن الحارث الأعور عن عبد الله بن مسعود قال: أكل الربا وموكله وشاهده وكتبه إذا علموا به والواصلة والمستوشمة عن أبي الواصل عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله المحلل والمحلل له طريق أخرى. روى الإمام أحمد والنسائي التابعين ويروى ذلك عن علي وابن مسعود وابن عباس طريق أخرى عن ابن مسعود قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله عن عبد الكريم عليه وسلم به ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح قال: والعمل على هذا عند أهل العلم من الصحابة منهم عمر وعثمان وابن عمر وهو قول الفقهاء من غير وجه عن سفيان وهو الثوري عن أبي قيس واسمه عبد الرحمن بن ثروان الأودي عن هذيل بن شرحبيل الأودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوشمة والمحلل والمحلل له وأكل الربا وموكله. ثم رواه أحمد والترمذي والنسائي من

تفسير ابن كثير

في ذلك الحديث الأول عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي قيس عن الهزيل عن عبد الله قال: لعن قصده أن يحلها للأول فهذا هو المحلل الذي وردت الأحاديث بدمه ولعنه ومتى صرح بمقصوده في العقد بطل النكاح عند جمهور الأئمة. ذكر الأحاديث الواردة المنى لما رواه الإمام أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا إن العسيلة الجماع فأما إذا كان الثاني إنما وكأنه تمسك بما فهمه من قوله عليه الصلاة والسلام حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك ويلزم على هذا أن تنزل المرأة أيضا وليس المراد بالعسيلة الزوج الثاني ذميا لم تحل للمسلم بنكاحه لأن أنكحة الكفار باطلة عنده واشترط الحسن البصري فيما حكاه عنه الشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ينزل الزوج الثاني وطنا مباحا فلو وطأها وهي محرمة أو صائمة أو معتكفة أو حائض أو نفساء أو الزوج صائم أو محرم أو معتكف لم تحل للأول بهذا الوطاء وكذا لو كان فصل والمقصود من الزوج الثاني أن يكون راغبا في المرأة قاصدا لدوام عشرتها كما هو المشروع من التزويج واشترط الإمام مالك مع ذلك أن يطأها أصحاب الموطأ عن مالك وفيه انقطاع وقد رواه إبراهيم بن طهمان وعبد الله بن وهب عن مالك عن رفاعه عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير عن أبيه فوصله. وهو زوجها الأول الذي كان طلقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن تزويجها وقال لا تحل لك حتى يذوق العسيلة. هكذا رواه عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فنكحت عبد الرحمن بن الزبير فاعترض عنها فلم يستطع أن يمسه ففارقتها فأراد رفاعه بن سمؤال أن ينكحها عن عروة عن عائشة به. وقال مالك عن المسور بن رفاعه القرظي عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير أن رفاعه بن سمؤال طلق امرأته تميمة بنت وهب في طريق عقيل ومسلم من طريق يونس بن يزيد وعنده آخر ثلاث تطليقات والنسائي من طريق أيوب بن موسى ورواه صالح بن أبي الأخضر كلهم عن الزهري عن معمر به وفي حديث عبد الرزاق عند مسلم أن رفاعه طلقها آخر ثلاث تطليقات. وقد رواه الجماعة إلا أبا داود من طريق سفيان بن عيينة والبخاري من تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك. وهكذا رواه البخاري من حديث عبد الله بن المبارك ومسلم من حديث عبد الرزاق والنسائي من حديث يزيد بن زريع ثلاثتهم وسلم فما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التيسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنك تريد أن ترجعي إلى رفاعه لا حتى الهدبة وأخذت هدبة من جلبابها وخالد بن سعيد بن العاص بالباب لم يؤذن له فقال أبو بكر: ألا تنهي هذه عما تجهر به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت امرأة رفاعه القرظي وأنا وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن رفاعه طلقني البتة وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإنما عنده مثل تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك تفرد به من هذا الوجه طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: عائشة أن رفاعه القرظي تزوج امرأة ثم طلقها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أنه لا يأتيها وأنه ليس معه إلا مثل هدبة الثوب فقال: لا حتى عن هشام بن عروة حدثني أبي عن عائشة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم محمد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم بمثله وهذا إسناد جيد - وكذا رواه ابن جرير أيضا من طريق علي بن زيد بن جدعان عن امرأة أبيه أمينة رواه البخاري من طريق أبي معاوية محمد بن حازم عن هشام به وتفرد به مسلم من الوجهين الآخرين. وهكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن المبارك عن قال: لا حتى يذوق عسيلتها قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو فضيل وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية جميعا عن هشام بهذا الإسناد وقد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتتزوج رجلا آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول؟ عن أبي معاوية وهو محمد بن حازم الضرير به طريق أخرى قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن العلاء الهمداني حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا تحل لزوجها الأول حتى يذوق الآخر عسيلتها وتذوق عسيلته. وكذا رواه أبو داود عن مسدد والنسائي عن أبي كريب كلاهما قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته فتزوجت رجلا غيره فدخل بها ثم طلقها قبل أن يواقعها أتحل لزوجها الأول؟ فقال رسول ابن جرير: حدثنا عبيد الله بن إسماعيل الهباري وسفيان بن وكيع وأبو هشام الرفاعي قالوا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة كما ذاق الأول أخرجه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن عبيد الله بن عمر العمري عن القاسم بن أبي بكر عن عمته عائشة به طريق أخرى قال أن رجلا طلق امرأته ثلاثا فتزوجت زوجا فطلقها قبل أن يمسه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحل للأول؟ فقال لا حتى يذوق من عسيلتها من وجه آخر عن شيبان وهو ابن عبد الرحمن به - وأبو الحارث غير معروف. حديث آخر قال ابن جرير: حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنا القاسم عن عائشة عليه وسلم في المرأة يطلقها زوجها ثلاثا فتتزوج غيره فيطلقها قبل أن يدخل بها فيريده الأول أن يراجعها قال: لا حتى يذوق الآخر عسيلتها. ثم رواه بن آدم بن أبي إياس العسقلاني حدثنا أبي حدثنا شيبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي الحارث الغفاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرات اختلوا فيه فممنهم من ضعفه وممنهم من قواه وقبله. وحسن له وذكر أبو داود أنه تغير قبل موته فآله أعلم. حديث آخر قال ابن جرير: حدثنا عبيد إبراهيم الأنماطي عن هشام بن عبد الملك حدثنا محمد بن دينار فذكره. قلت ومحمد بن دينار بن صندل أبو بكر الأزدي ثم الطائي البصري ويقال له ابن أبي لزوجها الأول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذائق من عسيلته. وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل أن يدخل بها أتحل العسيلة وهذا لفظ أحمد وفي رواية لأحمد سليمان بن رزين حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا محمد بن دينار حدثنا يحيى بن يزيد الهنائي الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر فيغلق الباب ويرخي الستة ثم يطلقها قبل أن يدخل بها هل تحل للأول؟ قال: لا حتى تذوق أحمد أيضا والنسائي وابن جرير هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان الأحمد عن ابن عمر قال: سئل النبي صلى

تفسير ابن كثير

عن شعبة به كذلك فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعا على خلاف ما يحكى عنه فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند والله أعلم. وقد روى عليه وآله وسلم حتى تذوق العسيلة وهكذا رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس وابن ماجه عن محمد بن بشار بندار كلاهما عن محمد بن جعفر غندر صلى الله عليه وآله وسلم في الرجل تكون له المرأة فيطلقها ثم يتزوجها رجل فيطلقها قبل أن يدخل بها فترجع إلى زوجها الأول فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال: سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله بن عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي فيطلقها قبل أن يدخل بها أترجع إلى الأول؟ قال لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها هكذا وقع في رواية ابن جرير وقد رواه الإمام أحمد فقال: حدثنا بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة فيتزوجها زوج آخر الاستذكار والله أعلم. وقد قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن سالم بن رزين عن سالم رحمه الله أنه يقول: يحصل المقصود من تحليلها للأول بمجرد العقد على الثاني وفي صحته عنه نظر على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في ولو في ملك اليمين لم تحل للأول لأنه ليس بزواج وهكذا لو تزوجت ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للأول واشتهر بين كثير من الفقهاء أن سعيد بن المسيب ثلاثة بعد ما أرسل عليها الطلاق مرتين فإنها تحرم عليه حتى تنكح زوجا غيره أي حتى يطأها زوج آخر في نكاح صحيح فلو وطئها واطى في غير نكاح وقوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره أي أنه إذا طلق الرجل امرأته طلاقا

الله أي فيما تأتون وفيما تذكرون واعلموا أن الله بكل شيء عليم أي فلا يخفى عليه شيء من أموركم السرية والجهرية وسيجازيكم على ذلك. 231 الرسول بالهدى والبيئات إليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة أي السنة يعظكم به أي يأمركم وينهاكم ويتوعدكم على ارتكاب المحارم واتقوا الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة وقال الترمذي: حسن غريب. وقوله واذكروا نعمة الله عليكم أي في إرساله الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك عن عطاء عن ابن ماله عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة والعتاق والنكاح والمشهور في هذا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول للرجل زوجتك ابنتي ثم يقول: كنت لاعبا ويقول: قد أعتقت ويقول: كنت لاعبا فأنزل الله ولا تتخذوا آيات بن عبد الحميد حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن سلمة عن الحسن بن عباد بن الصامت في قول الله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا. قال: كان الرجل من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الدرداء موقوفا عليه. وقال أيضا حدثنا أحمد بن الحسن بن أيوب حدثنا يعقوب بن أبي يعقوب حدثنا يحيى أو نكح أو أنكح جادا أو لاعبا فقد جاز عليه. وكذا رواه ابن جرير من طريق الزهري عن سليمان بن أرقم عن الحسن بن ماله وهذا مرسل وقد رواه ابن مردويه ويعتق ويقول: كنت لاعبا وينكح ويقول: كنت لاعبا فأنزل الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طلق أو أعتق وسلم الطلاق. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد حدثنا آدم حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن بن البصري قال كان الرجل يطلق ويقول: كنت لاعبا ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال: طلق رجل امرأته وهو يلعب لا يريد الطلاق فأنزل الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا فأنزل الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله بذلك. وقال ابن مردويه: حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا أبو أحمد الصيرفي حدثني جعفر بن محمد السمسار عن إسماعيل بن يحيى عن سفيان عن عطاء الخراساني والربيع ومقاتل بن حيان: هو الرجل يطلق ويقول: كنت لاعبا أو يعتق أو ينكح ويقول كنت لاعبا فأنزل الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا وهو يزيد بن عبد الرحمن وفيه كلام. وقال مسروق: هو الذي يطلق في غير كنهه ويضار امرأته بطلاقها وارتجاعها لتطول عليها العدة. وقال الحسن وقتادة على الأشعريين؟ فقال يقول أحدكم قد طلقت قد راجعت ليس هذا طلاق المسلمين طلقوا المرأة في قبل عدتها ثم رواه من وجه آخر عن أبي خالد الدلال الأزدي عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضب على الأشعريين فأتاه أبو موسى فقال يا رسول الله أغضبت آيات الله هزوا قال ابن جرير: عند هذه الآية أخبرنا أبو كريب أخبرنا إسحق بن منصور عن عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن أبي العلاء طلق لتطول عليها العدة فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه أي بمخالفته أمر الله تعالى. وقوله تعالى ولا تتخذوا بن حيان وغير واحد: كان الرجل يطلق المرأة فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضارا لئلا تذهب إلى غيره ثم يطلقها فتعتد فإذا شارفت على انقضاء العدة غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح قال الله تعالى ولا تمسكوهن ضارا لتعتدوا قال ابن عباس ومجاهد ومسروق والحسن وقتادة والضحاك والربيع ومقاتل عصمة نكاحه بمعروف وهو أن يشهد على رجعتها وينوي عشرتها بالمعروف أو يسرحها أي يتركها حتى تنقضي عدتها ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن من أحدهم المرأة طلاقا له عليها فيه رجعة أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها فإما أن يمسكها أي يرجعها إلى هذا أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلق

في ذلك أركى لكم وأظهر لقلوبكم والله يعلم أي المصالح فيما يأمر به وينهى عنه وأنتم لا تعلمون في أي الخيرة فيما تأتون ولا فيما تذكرون. 232 الله ويخاف وعيد الله وعذابه في الدار الآخرة وما فيها من الجزاء ذلكم أركى لكم وأظهر أي اتباعكم شرع الله في رد الموليآت إلى أزواجهن وترك الحمية من منع الولايا أن يتزوجن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف يأتمر به ويتعظ به وينفعل له من كان منكم أيها الناس يؤمن بالله واليوم الآخر أي يؤمن بشرع نزلت في جابر بن عبد الله وابنة عم له والصحيح الأول والله أعلم. وقوله ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر أي هذا الذي نهيناكم عنه سفيان الثوري: عن أبي إسحاق السبيعي قال هي فاطمة بنت يسار وهكذا ذكر غير واحد من السلف أن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار وأخته. وقال السدي: ثم دعاه فقال أزوجك وأكرمك زاد ابن مردويه: وكفرت عن يميني. وروى ابن جرير عن ابن جريج قال: هي جميلة بنت يسار كانت تحت أبي البداح. وقال

تفسير ابن كثير

فعلّم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعلمها فأنزل الله وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن إلى قوله وأنتم لا تعلمون فلما سمعها معقل قال: سمعا لربي وطاعة حتى انقضت عدتها فهو بها وهو بيته ثم خطبها مع الخطاب فقال له يا لكع بن لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبداً آخر ما عليك قال أيضاً ولفظه عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة لم يراجعها وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه من طرق متعددة عن الحسن بن معقل بن يسار به وصححه الترمذي حدثنا يونس عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت فلا تعضلوها أن ينكحن أزواجهن. معقل بن يسار قال: كانت لي أخت تخطب إلي قال البخاري وقال إبراهيم عن يونس عن الحسن حدثني معقل بن يسار وحدثنا أبو معمر وحدثنا عبد الوارث البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح عند تفسير هذه الآية: حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن قال حدثني محرر في موضعه من كتب الفروع وقد قررنا ذلك في كتاب الأحكام ولله الحمد والمنة. وقد روي أن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار المزني وأخته فقال المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج نفسها وفي الأثر الآخر لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل وفي هذه المسألة نزاع بين العلماء دلالة على أن المرأة لا تملك أن تزوج نفسها وأنه لا بد في النكاح من ولي كما قاله الترمذي وابن جرير عند هذه الآية. كما جاء في الحديث لا تزوج المرأة وكذا روى العوفي عنه عن ابن عباس أيضاً وكذا قال مسروق وإبراهيم النخعي والزهري والضحاك: إنها أنزلت في ذلك وهذا الذي قالوه ظاهر من الآية. وفيها في الرجل يطلق امرأته طليقة أو طلقين فتتقضي عدتها ثم يبدو له أن يتزوجها وأن يراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك فنهى الله أن يمنعوها. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية

قاله غير واحد. وقوله واتقوا الله أي في جميع أحوالكم واعلموا أن الله بما تعملون بصير أي فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم. 233
إما لعذر منها أو لعذر له فلا جناح عليهما في بذله ولا عليه في قبوله منها إذا سلمها أجزتها الماضية بالتالي هي أحسن واسترضع لولده غيرها بالأجرة بالمعروف أخرى. وقوله تعالى وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف أي إذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يستلم منها الولد طفلها وأرشدتهما إلى ما يصلحهما ويصلحه كما قال في سورة الطلاق فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له بذلك من غير مشاورة الآخر. قاله الثوري وغيره وهذا فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره وهو من رحمة الله بعباده حيث حجر على الوالدين في تربية ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعاً عليه فلا جناح عليهما في ذلك فيؤخذ منه إن انفرد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بعد الحولين فقال لا ترضعيه. وقوله فإن أرادوا فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما أي فإن اتفق والد الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في عليه وقد ذكر أن الرضاعة بعد الحولين ربما ضرت الولد إما في بدنه أو عقله وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أنه رأى امرأة ترضع نفقة الأقارب بعضهم على بعض وهو مروي عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف ويشرح ذلك بحديث الحسن عن سمرة مرفوعاً من ملك ذا رحم محرم عتق والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها وهو قول الجمهور وقد استقصى ذلك ابن جرير في تفسيره وقد استدلل بذلك من ذهب من الحنفية والحنبلية إلى وجوب تعالى وعلى الوارث مثل ذلك قيل في عدم الضرر لقريبه قاله مجاهد والشعبي والضحاك وقيل عليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على والدته الطفل ولهذا قال ولا مولود له بولده أي بأن يريد أن ينتزع الولد منها إضراراً بها قاله مجاهد وقتادة والضحاك والزهري والسدي والثوري وابن زيد وغيرهم. وقوله الذي لا يعيش بدون تناوله غالباً ثم بعد هذا لها دفعه عنها إذا شاءت ولكن إن كانت مضارة لأبيها فلا يحل لها ذلك كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الإضرار لها على الوالد نفقتها وكسوتها بالمعروف. وقوله لا تضار والدته بولدها أي بأن تدفعه عنها لتضر أباه بتربيته ولكن ليس لها دفعه إذا ولدته حتى تسقيه اللبن عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسراً قال الضحاك: إذا طلق زوجته وله منها ولد فأرضعت له ولده وجب أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره كما قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عند قوله تعالى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف أي وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: انظرون من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة وسيأتي الكلام على مسائل الرضاع وفيما يتعلق برضاع الكبير وهم الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة والأكابر من الصحابة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورأين ذلك من الخصائص وهو قول الجمهور وحجة الجمهور ببعض نساها فترضعه وتحج في ذلك بحديث سالم مولى أبي حنيفة حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم امرأة أبي حذيفة أن ترضعه وكان كبيراً الله عنها أنها كانت ترى رضاع الكبير يؤثر في التحريم وهو قول عطاء بن أبي رباح والليث بن سعد وكانت عائشة تأمر بمن تختار أن يدخل عليها من الرجال فيحتمل أنهما أرادوا الحولين كقول الجمهور سواء فطم أو لم يفظم ويحتمل أنهما أرادوا الفعل كقول مالك والله أعلم. وقد روي في الصحيحين عن عائشة رضي دون الحولين فأرضعته امرأة بعد فصاله لم يحرم لأنه قد صار بمنزلة الطعام وهو رواية عن الأوزاعي وقد روي عن عمر وعلي أنهما قالاً: لا رضاع بعد فصال رواية وثلاثة أشهر. وقال أبو حنيفة سنتان وستة أشهر وقال زفر بن الهذيل ما دام يرضع فإلى ثلاث سنين وهذا رواية عن الأوزاعي قال مالك: ولو فطم الصبي وسعيد بن المسيب وعطاء والجمهور وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحق والثوري وأبي يوسف ومحمد ومالك في رواية وعنه أن مدته سنتان وشهران وفي وحمله وفصاله ثلاثون شهراً والقول بأن الرضاعة لا تحرم بعد الحولين يروى عن علي وابن عباس وابن مسعود وجابر وأبي هريرة وابن عمر وأم سلمة صلى الله عليه وسلم لا رضاع بعد فصال ولا يتم بعد احتلام وتام الدلالة من هذا الحديث في قوله تعالى وفصاله في عامين أن اشكر لي وقال

تفسير ابن كثير

الدراوردي عن ثور عن عكرمة عن ابن عباس وزاد وما كان بعد الحولين فليس بشيء وهذا أصح. وقال أبو داود الطيالسي عن جابر قال: قال رسول الله ثم قال ولم يسنده عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل وهو ثقة حافظ. قلت وقد رواه الإمام مالك في الموطأ عن ثور بن زيد عن ابن عباس مرفوعا ورواه بن جميل عن سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين عليه السلام ذلك لأن ابنه إبراهيم عليه السلام مات وله سنة وعشرة أشهر فقال إن له مرضعا يعني تكمل رضاعه ويؤيده ما رواه الدارقطني من طريق الهيثم إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن ابني مات في الثدي إن له مرضعا في الجنة وهكذا أخرجه البخاري من حديث شعبة وإنما قال الثدي أي في محل الرضاعة قبل الحولين كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن وكيع وغندر عن شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: لما مات المنذر بن الزبير بن العوام وهي امرأة هشام بن عروة. قلت تفرد الترمذي برواية هذا الحديث ورجاله على شرط الصحيحين ومعنى قوله إلا ما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئا وفاطمة بنت وآله وسلم: لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم قال الترمذي: باب ما جاء أن الرضاعة هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ولهذا قال لمن أراد أن يتم الرضاعة ابن حريج عن مجاهد فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف قال النكاح الحلال الطيب وروي عن الحسن والزهرى والسدي نحو ذلك. 234 طلقت المرأة أو مات عنها زوجها فإذا انقضت عدتها فلا جناح عليها أن تتزين وتتصنع وتتعرض للتزويج فذلك المعروف وروي عن مقاتل بن حيان نحوه وقال قاله الضحاك والربيع بن أنس فلا جناح عليكم قال: الزهرى أي على أوليائها فيما فعلن يعني النساء اللاتي انقضت عدتهن قال الوقي عن ابن عباس إذا أبو حنيفة وأصحابه الأمة المسلمة لنقصها ومحل تقرير ذلك كله في كتب الأحكام والفروع والله الموفق للصواب. وقوله فإذا بلغن أجلهن أي انقضت عدتهن الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالوا: فجعله تعبدا وألحق أبو حنيفة وأصحابه والثوري الصغيرة بها لعدم التكليف وألحق لا إحداد على الكافرة وبه يقول أشهب وابن نافع من أصحاب مالك وحجة قائل هذه المقالة قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم على جميع الزوجات المتوفى عنهن أزواجهن سواء في ذلك الصغيرة والأيسة والحررة والأمة والمسلمة والكافرة لعموم الآية. وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه من ثياب وحلي وغير ذلك وهو واجب في عدة الوفاة قولاً واحداً ولا يجب في عدة الرجعية قولاً واحداً وهل يجب في عدة البائن فيه قولان: ويجب الإحداد الآية. كما قاله ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما سيأتي تقريره. والغرض أن الإحداد هو عبارة عن ترك الزينة من الطيب ولبس ما يدعوها إلى الأزواج من العلماء إلى أن هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها وهي قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج ولا شيئاً حتى تمر بها سنة ثم تخرج فتعطى بعة فترمي بها ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به فقلما تفتض بشيء إلا ماتت ومن ههنا ذهب كثيرون وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية تمكث سنة قالت زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً امرأة قالت يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عيني أفنكحها؟ فقال لا كل ذلك يقول - لا - مرتين أو ثلاثاً ثم قال إنما هي أربعة أشهر عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا وفي الصحيحين أيضاً عن أم سلمة أن الإحداد على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها لما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن أم حبيبة وزينب بنت جحش أمي المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه شهر وثلاثة أحب إلي والله أعلم. وقوله فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير يستفاد من هذا وجوب واليثة وأبو عبيد وأبو ثور والجمهور قال الليث: ولو مات وهو حائض أجزأتها وقال مالك: فلو كانت ممن لا تحيض فثلاثة أشهر وقال الشافعي والجمهور: حيض وهو قول علي وابن مسعود وعطاء وإبراهيم النخعي وقال: مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه عدتها حيضة وبه يقول ابن عمر والشعبي ومكحول وقتادة: عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها نصف عدة الحررة شهران وخمس ليل وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن صالح بن حيي تعتد بثلاث عبد العزيز وبه كان يأمر يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو أمير المؤمنين وبه يقول الأوزاعي وإسحق بن راهويه وأحمد بن حنبل في رواية عنه وقال طاوس وقد ذهب إلى القول بهذا الحديث طائفة من السلف منهم سعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبيرة والحسن وابن سيرين وأبو عياض والزهرى وعمر بن عن مطر الوراق عن رجاء بن حيوة عن قبيصة عن عمرو بن العاص فذكره وقد روي عن الإمام أحمد أنه أنكر هذا الحديث وقيل إن قبيصة لم يسمع عمراً أربعة أشهر وعشر. ورواه أبو داود عن قتيبة عن غندر وعن ابن المثنى عن عبد الأعلى وابن ماجه عن علي بن محمد عن الربيع ثلاثتهم عن سعيد بن أبي عروبة بن أبي عروبة عن قتادة عن رجاء بن حيوة عن قبيصة بن ذؤيب عن عمرو بن العاص أنه قال: لا تلبسوا علينا سنة نبينا: عدة أم الولد إذ توفي عنها سيدها الإمام أحمد في رواية عنه إلى أن عدة أم الولد عدة الحررة ههنا لأنها صارت فراشا كالحرثان وللحديث الذي رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن سعيد فيه ينفخ الروح وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية لم صارت هذه العشر مع الأشهر الأربعة؟ قال: لأن ينفخ فيه الروح رواهما ابن جرير ومن ههنا ذهب لما قد ينقص بعض الشهور ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه والله أعلم. قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة سألت سعيد بن المسيب ما بال عشرة؟ قال: يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر والاحتياط بعشر بعدها حمل فإذا انتظر به هذه المدة ظهر إن كان موجوداً كما جاء في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وغيرهما إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين

تفسير ابن كثير

التي تستوي فيها الخليفة وقد ذكر سعيد بن المسيب وأبو العالية وغيرهما أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا لاحتتمال اشتغال الرحم على العدة. ومن العلماء كـمحمد بن سيرين وبعض الظاهرية من يسوي بين الزوجات الحرائر والإماء في هذا المقام لعموم الآية. ولأن العدة من باب الأمور الجبلية فإن عدتها على النصف من عدة الحرة شهران وخمس ليال على قول الجمهور لأنها لما كانت على النصف من الحرة في الحد فكذلك فلتكن على النصف منها في يعني لما احتج عليه به قال ويصح ذلك عنه أن أصحابه أفتوا بحديث سبيعة كما هو قول أهل العلم قاطبة. وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة إذا كانت أمة فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي قال أبو عمر بن عبد البر: وقد روي أن ابن عباس رجع إلى حديث سبيعة ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت حملها بعده بليال فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها: ما لي أراك متجملة لهلك ترجين النكاح؟ والله سبيعة الأسلمية المخرج في الصحيحين من غير وجه أنها توفي عنها زوجها سعد بن خولة وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته وفي رواية يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشر للجمع بين الآيتين وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي لولا ما ثبتت به السنة في حديث عنها زوجها وهي حامل فإن عدتها بوضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة لعموم قوله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وكان ابن عباس شديدا وفي رواية فقام رجال من أشجع فقالوا: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به في بروع بنت واشق. ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى ولها الميراث فقام معقل بن يسار الأشجعي فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى به في بروع بنت واشق ففرح عبدالله بذلك فرحا يك صوابا فمن الله وإن يك خطنا فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملا وفي لفظ لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة وصححه الترمذي أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فترددوا إليه مرارا في ذلك فقال أقول فيها برأيي فإن الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع ومستنده في غير المدخول بها عموم الآية الكريمة وهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن هذا أمر من الله للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتدن أربعة أشهر وعشر ليال وهذا الحكم يشمل

من أمور النساء وأرشدتهم إلى إضمار الخير دون الشر ثم لم يؤيسهم من رحمته ولم يقنطهم من عائدته فقال واعلموا أن الله غفور رحيم. 235 مسروق أن عمر رجع عن ذلك وجعل لها مهرها وجعلها يجتمعان. وقوله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه توعدهم على ما يقع في ضمائرهم البهقي: وذهب إليه في القديم ورجع عنه في الجديد لقول علي إنها تحل له. قلت قال: ثم هو منقطع عن عمر. وقد روى الثوري عن أشعث عن الشعبي عن هذا أن الزوج لما استعجل ما أحل الله عوقب بنقيض قصده فحرمت عليه على التأبيد كالقاتل يحرم الميراث: وقد روى الشافعي هذا الأثر عن مالك. قال زوجها الأول وكان خاطبا من الخطاب وإن كان دخل بها ففرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الأول ثم اعتدت من الآخر ثم لم ينكحها أبدا قالوا: ومأخذ بن يسار أن عمر رضي الله عنه قال: أيما امرأة نكحت في عدتها فإن كان زوجها الذي تزوج بها لم يدخل بها ففرق بينهما ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها على أنها لا تحرم عليه بل له أن يخطبها إذا انقضت عدتها. وذهب الإمام مالك إلى أنها تحرم عليه على التأبيد واحتج في ذلك بما رواه عن ابن شهاب وسليمان العلماء على أنه لا يصح العقد في مدة العدة. واختلفوا فيمن تزوج امرأة في عدتها فدخل بها فإنه يفرق بينهما وهل تحرم عليه أبدا؟ على قولين: الجمهور بن حيان والزهرى وعطاء الخراساني والسدي والثوري والضحاك حتى يبلغ الكتاب أجله يعني ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة. وقد أجمع الكتاب أجله يعني ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة. قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وقتادة والربيع بن أنس وأبو مالك وزيد بن أسلم ومقاتل قوله إلا أن تقولوا قولاً معروفاً قال: يقول لوليها: لا تسبقني بها يعني لا تزوجها حتى تعلمني رواه ابن أبي حاتم. وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ بن جبير والسدي والثوري وابن زيد: يعني به ما تقدم به إباحة التعريض - كقوله: إني فيك لراغب ونحو ذلك. وقال محمد بن سيرين: قلت لعبيدة: ما معنى في العدة سرا فإذا حلت أظهر ذلك وقد يحتمل أن تكون الآية عامة في جميع ذلك ولهذا قال إلا أن تقولوا قولاً معروفاً قال ابن عباس ومجاهد وسعيد في عدتها أن لا تنكح غيره فهي الله عن ذلك وقدم فيه وأحل التعريض بالخطبة والقول بالمعروف وقال ابن زيد ولكن لا تواعدوهن سرا هو أن يتزوجها والثوري هو أن يأخذ ميثاقها أن لا تتزوج غيره وعن مجاهد هو قول الرجل للمرأة لا تفوتي بنفسي فإني ناكحك وقال قتادة: هو أن يأخذ عهد المرأة وهي لا تقل لها إني عاشق وعاهديني أن لا تتزوجي غيري ونحو هذا وكذا روي عن سعيد بن جبير والشعبي وعكرمة وأبي الضحى والضحاك والزهرى ومجاهد بن حيان والسدي يعني الزنا وهو معنى رواية العوفي عن ابن عباس واختاره ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولكن لا تواعدوهن سرا لا تواعدوهن سرا قال أبو مجلز وأبو الشعثاء جابر بن زيد والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وسليمان التيمي ومقاتل وما يعلنون وكقوله وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ولهذا قال علم الله أنكم ستذكرونهن أي في أنفسكم فرفع الحرج عنكم في ذلك ثم قال ولكن بخطبتها ولا التعريض لها والله أعلم. وقوله أو أكننتم في أنفسكم أي أضمرتم في أنفسكم من خطبتهن وهذا كقوله تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم مكتوم وقال لها فإذا حلت فاذنيني فلما خطب عليها أسامة بن زيد مولاه فزوجها إياه فأما المطلقة فلا خلاف في أنه لا يجوز لغير زوجها التصريح لها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم بن محمد وغير واحد من السلف والأئمة في التعريض أنه يجوز للمتوفى عنها زوجها من غير تصريح لها بالخطبة وهكذا حكم المطلقة الميتة يجوز التعريض صالحة. وهكذا قال مجاهد وطاوس وعكرمة وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي والشعبي والحسن وقتادة والزهرى ويزيد بن قسيط ومقاتل بن حيان والقاسم مجاهد عن ابن عباس ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول إني أريد التزويج وإن النساء لمن حاجتي ولوددت أن يبسر لي امرأة

تفسير ابن كثير

إن شاء الله ولوددت أنى وجدت امرأة سالحة ولا ينتصب لها ما دامت في عدتها. ورواه البخاري تعليقا فقال: وقال لي طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن أمرها ومن أمرها - يعرض لها بالقول بالمعروف وفي رواية ووددت أن الله رزقني امرأة ونحو هذا ولا ينتصب للخطبة وفي رواية إنني لا أريد أن أتزوج غيرك منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء قال التعريض أن يقول إنني أريد التزويج إنني أحب امرأة من يقول تعالى ولا جناح عليكم أن تعرضوا بخطبة النساء في عدتهن من وفاة أزواجهن من غير تصريح. قال: الثوري وشعبة وجريز وغيرهم. عن

أيحسب فيها فقرأ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره قال الشعبي: والله ما رأيت أحدا حبس فيها والله لو كانت واجبة لحبس فيها القضاة. 236 أبي حاتم: حدثنا كثير بن شهاب القزويني حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو- يعني ابن أبي قيس - عن أبي إسحاق عن الشعبي قال: ذكروا له المتعة قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ومن العلماء من يقول إنها مستحبة مطلقا. قال ابن من استحبها لكل مطلقة ممن عدا المفوضة المفارقة قبل الدخول وهذا ليس بمنكوح وعليه تحمل آية التخيير في الأحزاب ولهذا قال تعالى على الموسع لها عن المتعة وإنما المصاصة التي لم يفرض لها ولم يدخل بها فهذه التي دلت هذه الآية الكريمة على وجوب متعتها وهذا قول ابن عمر ومجاهد ومن العلماء قد دخل بها وجب لها مهر مثلها إذا كانت مفوضة وإن كان قد فرض لها وطلقها قبل الدخول وجب لها عليه شطره فإن دخل بها استقر الجميع وكان ذلك عوضا فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين أزرقين. والقول الثالث أن المتعة إنما تجب للمطلقة إذا لم يدخل بها ولم يفرض لها فإن كان البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد وأبي أسيد أنهما قالتا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت شرجيل فلما أدخلت عليه بسط يده إليها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا قال شعبة وغيره عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: نسخت هذه الآية التي في الأحزاب الآية التي في البقرة وقد روى قبل المسيب وإن كانت مفروضا لها لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها العالية والحسن البصري وهو أحد قول الشافعي. ومنهم من جعله الجديد الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم. والقول الثاني إنها تجب للمطلقة إذا طلقت قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا وقد كن مفروضا لهن ومدخولا بهن وهذا قول سعيد بن جبير وأبي لم يفرض لها على أقوال: أحدها أنها تجب المتعة لكل مطلقة لعموم قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ولقوله تعالى يا أيها النبي أستحسن ثلاثين درهما كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما وقد اختلف العلماء أيضا هل تجب المتعة لكل مطلقة أو إنما تجب المتعة لغير المدخول بها التي الزوج على قدر معلوم إلا على أقل ما يقع عليه اسم المتعة وأحب ذلك إلى أن يكون أقله ما تجزئ فيه الصلاة وقال في القديم: لا أعرف في المتعة قدرا إلا أني قليل من حبيب مفارق. وذهب أبو حنيفة إلى أنه متى تنازع الزوجان في مقدار المتعة وجب لها عليه نصف مهر مثلها. وقال الشافعي في الجديد: لا يجبر عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أيوب بن سيرين قال: كان يمتع بالخادم أو بالنفقة أو بالكسوة. قال: ومتع الحسن بن علي بعشرة آلاف. ويروى أن المرأة قالت: متاع متعها بخادم أو نحو ذلك وإن كان معسرا أمتعها بثلاثة أثواب: وقال الشعبي: أوسط ذلك درع وخمار وملحفة و جلباب قال: وكان شريح يمتع بخمسائة. وقال بن أمية عن عكرمة عن ابن عباس قال: متعة الطلاق أعلاه الخادم ودون ذلك الورق ودون ذلك الكسوة. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إن كان موسرا ولهذا أمر تعالى بإمتاعها وهو تعويضها عما فاتها بشيء تعطاه من زوجها بحسب حاله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره. وقال سفيان الثوري عن إسماعيل ابن عباس وطاوس وإبراهيم والحسن البصري: المس النكاح بل يجوز أن يطلقها قبل الدخول بها والفرض لها إن كانت مفوضة وإن كان في هذا انكسار لقلبها أباح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها. وقال

وليس عنده شيء فليدع له رواه ابن أبي حاتم إن الله بما تعملون بصير أي لا يخفى عليه شيء من أموركم وأحوالكم وسيجزي كل عامل بعمله. 237 فكنت من أكثرهم هما حين رأيتهم أحسن ثيابا وأطيب ريحا وأحسن مركبا وجالست الفقراء فاسترحت بهم وقال ولا تنسوا الفضل بينكم إذا أتاه السائل ولا يحرمه. وقال سفيان عن أبي هارون قال: رأيت هارون بن عبد الله في مجلس القرظي فكان عون يحدثنا ولحيته ترش من البكاء ويقول صحبت الأغنياء صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر وعن بيع الغرر فإن كان عندك خير فعد به على أخيك ولا تزده هلاكا إلى هلاكه فإن المسلم أخو المسلم لا يحزنه زمان عضوض بعض المؤمن على ما في يديه وينسى الفضل وقد قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم شرار يبائعون كل مضطر وقد نهى رسول الله يونس بن بكير حدثنا عبد الله بن الوليد الرصافي عن عبد الله بن عبيد عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليأتين على الناس وأبو وائل: المعروف يعني لا تهملوه بينكم وقد قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا موسى بن إسحق حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا الفضل ههنا أن تعفو المرأة عن شطرها أو إتمام الرجل الصداق لها ولهذا قال ولا تنسوا الفضل بينكم أي الإحسان قاله سعيد. وقال الضحاك وقتادة والسدي تعفوا أقرب للتقوى قال أقربهما للتقوى الذي يعفو وكذا روي عن الشعبي وغيره وقال مجاهد والنخعي والضحاك ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والثوري: قال ابن جرير قال بعضهم: خوطب به الرجال والنساء حدثني يونس أنبأنا ابن وهب سمعت ابن جريج يحدث عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس وأن الولي وإن كانت شديدة وهو مروي عن شريح لكن أنكر عليه الشعبي فرجع عن ذلك وصار إلى أنه الزوج وكان يباهل عليه. وقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: أن الله في العفو وأمر به فأمر امرأة عفت جاز عفوها فإن شحت وضنت وعفا وليها جاز عفوها وهذا يقتضي صحة عفو الشافعي في القديم ومأخذه أن الولي هو الذي أكسبها إياه فله التصرف فيه بخلاف سائر ما لها وقال ابن جرير: حدثنا سعيد بن الربيع الرازي حدثنا سفيان وعطاء و طاوس والزهري وربيعه وزيد بن أسلم وإبراهيم النخعي وعكرمة في أحد قوليه ومحمد بن سيرين في أحد قوليه أنه الولي وهذا مذهب مالك وقول عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما - في الذي ذكر الله بيده عقدة النكاح قال ذلك أبوها أو أخوها أو من لا تتكح إلا بإذنه وروي عن علقمة والحسن

تفسير ابن كثير

وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئا من مال المولية للغير فكذلك في الصداق قال والوجه الثاني. حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا والثوري وابن شبرمة والأوزاعي واختاره ابن جرير ومأخذ هذا القول أن الذي بيده عقدة النكاح حقيقة الزوج فإن بيده عقدها وإبرامها ونقضها وانهدامها وأبي مجلز والربيع بن أنس وإياس بن معاوية ومكحول ومقاتل بن حيان أنه الزوج قلت وهذا هو الجديد من قولي الشافعي ومذهب أبي حنيفة وأصحابه بن المسيب وشريح في أحد قوليه وسعيد بن جبيرة ومجاهد والشعبي وعكرمة ونافع ومحمد بن سيرين والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وجابر بن زيد أبي طالب عن الذي بيده عقدة النكاح فقلت له: هو ولي المرأة فقال علي: لا بل هو الزوج. ثم قال: وفي إحدى الروايات عن ابن عباس وجبيرة بن مطعم وسعيد ابن أبي حاتم: وحدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جابر يعني ابن أبي حازم عن عيسى يعني ابن عاصم قال: سمعت شريحا يقول: سألتني علي بن لهيعة به وقد أسنده ابن جرير عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكره ولم يقل عن أبيه عن جده فإله أعلم ثم قال حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولي عقدة النكاح الزوج وهكذا أسنده ابن مردويه من حديث عبد الله بن فقال إلا أن يعفون يعني الرجال وهو قول شاذ لم يتابع عليه انتهى كلامه. وقوله أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح قال ابن أبي حاتم: ذكر عن ابن لهيعة وجابر بن زيد وعطاء الخراساني والضحاك والزهرى ومقاتل بن حيان وابن سيرين والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك. قال: وخالفهم محمد بن كعب القرظي تعفو الثيب فتدع حقها. قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله. وروي عن شريح وسعيد بن المسيب وعكرمة ومجاهد والشعبي والحسن ونافع وقتادة إلا أن يعفون أي النساء عما وجب لها على زوجها فلا يجب لها عليه شيء. قال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله إلا أن يعفون قال: إلا أن بهذا أقول وهو ظاهر الكتاب قال البيهقي وليث بن أبي سليم وإن كان غير محتج به فقد رويناه من حديث ابن أبي طلحة عن ابن عباس فهو مقوله. وقوله ولا يمسه ثم يطلقها: ليس لها إلا نصف الصداق لأن الله يقول وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم قال الشافعي لكن قال الشافعي: أخبرنا مسلم بن خالد أخبرنا ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن طاوس عن ابن عباس أنه قال في الرجل يتزوج المرأة فيخلو بها ما سمي من الصداق إلا أن عند الثلاثة أنه يجب جميع الصداق إذا خلا بها الزوج وإن لم يدخل بها وهو مذهب الشافعي في القديم وبه حكم الخلفاء الراشدون الصداق والحالة هذه أمر مجمع عليه بين العلماء لا خلاف بينهم في ذلك فإنه متى كان قد سمي لها صداقا ثم فارقتها قبل دخوله بها فإنه يجب لها نصف المفروض إذا طلق الزوج قبل الدخول فإنه لو كان ثم واجب آخر من متعة لبينها لا سيما وقد قرننا بما قبلها من اختصاص المتعة بتلك الآية والله أعلم وتشطير وهذه الآية الكريمة مما يدل على اختصاص المتعة بما دلت عليه الآية الأولى حيث إنما أوجب في هذه الآية نصف المهر

الله عليه وسلم قال وعليك السلام أيها المسلم ورحمة الله إن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء فإذا كنتم في الصلاة فاقتنوا ولا تكلموا. 238 على بعض في الصلاة فمرت برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد علي فوقع في نفسي أنه نزل في شيء فلما قضى النبي صلى وغيرهم والأول أظهر والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى: أخبرنا بشر بن الوليد أخبرنا إسحق بن يحيى عن المسيب عن ابن مسعود قال: كنا يسلم بعضنا فهمه منها والله أعلم وقال آخرون إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ويكون ذلك فقد أبيح مرتين وحرم مرتين كما اختار ذلك قوم من أصحابنا فقال قائلون إنما أراد زيد بن أرقم بقوله كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة الإخبار عن جنس الكلام واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما كان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها إلى مكة مع من قدم فهاجر إلى المدينة وهذه الآية وقوموا لله قانتين مدنية بلا خلاف ما قرب وما بعد فلما سلم قال إنني لم أرد عليك إلا أنني كنت في الصلاة وإن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة وقد قال: كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن نهجر إلى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا قال فلما قدمنا سلمت عليه فلم يرد علي فأخذني عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة وبعد الهجرة إلى أرض الحبشة كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح الآية وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن إسماعيل به وقد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء حيث ثبت شبيل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال: كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وذكر الله وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل حدثني الحارث بن بذلك وقال إن في الصلاة لشغلا وفي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة إن هذه الصلاة ترك الكلام في الصلاة لمنافاته إياها ولهذا لما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الرد على ابن مسعود حين سلم عليه وهو في الصلاة اعتذر إليه موضع آخر غير هذا وقد أفردناه على حدة ولله الحمد والمنة. وقوله تعالى وقوموا لله قانتين أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه وهذا الأمر مستلزم أن تكون هي العصر مذهب الشافعي وصمموا على أنها الصبح قولوا واحدا قال الماوردي: ومنهم من حكى في المسألة قولين ولتقرير المعاوضات والجوابات وغيره أنها الصبح لصحة الأحاديث أنها العصر وقد وافقه على هذه الطريقة جماعة من محدثي المذهب ولله الحمد والمنة ومن الفقهاء في المذهب من ينكر ورضي عنهم أجمعين أمين ومن ههنا قطع القاضي الماوردي بأن مذهب الشافعي رحمه الله أن صلاة الوسطى هي صلاة العصر وإن كان قد نص في الجديد بن أبي الجارود عن الشافعي إذا صح الحديث وقلت قولاً فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك فهذا من سيادته وأمانته وهذا نفس إخوانه من الأئمة رحمهم الله قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني وكذا روى الربيع والزعفراني وأحمد بن حنبل عن الشافعي وقال موسى أبو الوليد الله في كتاب الشافعي رحمه الله حدثنا أبي سمعت حرمة بن يحيى اللخمي يقول: قال الشافعي كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف المدار ومعتزك النزاع في الصبح والعصر وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها وقد روى الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمهما

تفسير ابن كثير

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلفين في الصلاة الوسطى هكذا وشبك بين أصابعه وكل هذه الأقوال فيها ضعف بالنسبة إلى التي قبلها وإنما وإلى الآن قال ابن جرير: حدثني محمد بن بشار وابن المثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال: كان وتوقف فيها آخرون لما تعارضت عندهم الأدلة ولم يظهر لهم وجه الترجيح ولم يقع الإجماع على قول واحد بل لم يزل النزاع فيها موجودا من زمان الصحابة وصلاة الفجر وقيل بل هي صلاة الجماعة وقيل صلاة الجمعة وقيل صلاة الخوف وقيل بل صلاة عيد الفطر وقيل بل صلاة الأضحى وقيل الوتر وقيل الضحى بن عبد البر النمري إمام ما وراء البحر وإنما لإحدى الكبر إذ اختاره مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر وقيل إنها صلاة العشاء نهايته وقيل بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر وفي صحته أيضا نظر والعجب أن هذا القول اختاره الشيخ أبو عمر هذا القول عن سعيد بن المسيب وشريح القاضي ونافع مولى ابن عمر والربيع بن خثيم ونقل أيضا عن زيد بن ثابت واختاره إمام الحرمين الجويني في علي بن أحمد الواحدي في تفسيره المشهور وقيل هي واحدة من الخمس بعينها وأبهت فيهن كما أبهت ليلة القدر في الحول أو الشهر أو العشر ويحكي هذا القول بعضهم بأنها وسطى في العدد بين الرباعية والثنائية وبأنها وتر المفروضات وبما جاء فيها من الفضيلة والله أعلم . وقيل إنها العشاء الأخيرة اختاره الخليل عن عمه عن ابن عباس قال: صلاة الوسطى المغرب وحكى هذا القول ابن جرير عن قبيصة بن ذؤيب وحكى أيضا عن قتادة على اختلاف عنه ووجه الصلاة الوسطى هي صلاة المغرب رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وفي إسناده نظر فإنه رواه عن أبيه عن أبي الجماهر عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هذا تكون هذه التلاوة وهي تلاوة الجادة ناسخة للفظ رواية عائشة وحفصة ولمعناها إن كانت الواو دالة على المغايرة وإلا فلفظها فقط والله أعلم وقيل إن نسخها الله عز وجل قال مسلم: ورواه الأشجعي عن الثوري عن الأسود عن شقيق قلت: وشقيق هذا لم يرو له مسلم سوى هذا الحديث الواحد والله أعلم فعلى ثم نسخها الله عز وجل فأنزل حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فقال له زاهر رجل كان مع شقيق: أفهي العصر؟ قال: قد حدثتكم كيف نزلت وكيف عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال: نزلت حافظوا على الصلوات وصلاة العصر فقرأناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله من غيرهم ثم قد روي ما يدل على نسخ هذه التلاوة المذكورة في هذا الحديث قال مسلم: حدثنا إسحق بن راهويه أخبرنا يحيى بن آدم عن فضيل بن مرزوق قرآن ولهذا لم يثبت أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في المصحف ولا قرأ بذلك أحد من القراء الذين تثبت الحجة بقراءتهم لا من السبعة ولا على جواز قول القائل: مررت بأخيك وصاحبك ويكون صاحب هو الأخ نفسه والله أعلم وأما إن روي على أنه قرآن فإنه لم يتواتر فلا يثبت بمثل خبر الواحد صدى المقابر هام والموت هو المنون قال عدي بن زيد العبادي: فقدت الأديم لراهشيه فالفى قولها كذبا ومينا والكذب هو المين وقد نص سيبويه شيخ النحاة المرعى وأشباه ذلك كثيرة وقال الشاعر: إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم وقال أبو داود الإبادي: سلط الموت والمنون عليهم فلمهم في لعطف الصفات لا لعطف الذوات كقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكقوله سبحانه اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج الواو زائدة كما في قوله وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين أو تكون المغايرة فدل ذلك على أنها غيرهما وأجيب عن ذلك بوجوه أحدها أن هذا إن روي على أنه خبر فحديث علي أصح وأصرح منه وهذا يحتمل أن تكون على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين وتقرير المعارضة أنه عطف صلاة العصر على الصلاة الوسطى وبإو العطف التي تقتضي وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا عبيدة حدثنا محمد بن عمرو حدثني أبو سلمة عن عمرو بن رافع مولى عمر قال: كان في مصحف حفصة حافظوا وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قال نافع: فقرأت ذلك المصحف فوجدت فيه الواو. وكذا روى ابن جرير عن ابن عباس وعبيد بن عمير أنهما قرأ كذلك فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فلما بلغتها أمرته فكتبها حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع أن حفصة أمرت مولى لها أن يكتب لها مصحفا فقالت إذا بلغت هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فأذني فلما بلغ أذننها فقالت اكتب حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر طريق أخرى قال ابن جرير: حدثني ابن المثنى حدثنا بن يزيد الأزدي عن سالم بن عبد الله أن حفصة أمرت إنسانا أن يكتب لها مصحفا فقالت إذا بلغت هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى النبي صلى الله عليه وسلم طريق أخرى عن حفصة قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن عبد الله وهكذا رواه محمد بن إسحق بن يسار فقال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي ونافع مولى ابن عمر أن عمر بن نافع قال: فذكر مثله وزاد كما حفظتها من فأذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغتها أذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين روى الإمام مالك أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن رافع قال: كنت أكتب مصحفا لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إذا بلغت هذه الآية على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر وهكذا رواه من طريق الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها كذلك وقد يحيى بن يحيى عن مالك به وقال ابن جرير: حدثني ابن المثنى حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان في مصحف عائشة حافظوا علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه مسلم عن مولى عائشة قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا قالت: إذا بلغت هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فأذني فلما بلغتها أذنتها فأملت عن عبد الله بن هبيرة السبائي به فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا إسحق أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس رواه مسلم والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث ورواه مسلم أيضا من حديث محمد بن إسحق حدثني يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن جبير بن نعيم الحضرمي ضعف له أجره مرتين ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد ثم قال: رواه عن يحيى بن إسحق عن الليث عن جبير بن نعيم عن عبد الله بن هبيرة به وهكذا

تفسير ابن كثير

الله صلى الله عليه وسلم في واد من أوديتهم يقال له الحميص صلاة العصر فقال إن هذه الصلاة عرضت على الذين من قبلكم فضيعوها ألا ومن صلاحها فقد حبط عمله وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحق أخبرنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن أبي تميم عن أبي نضرة الغفاري قال: صلى بنا رسول قلابة عن أبي كثير عن أبي المجاهر عن بريدة بن الحصيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من ترك صلاة العصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وفي الصحيح أيضا من حديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي في المسألة لا تحتل شيئا ويؤكد ذلك الأمر بالمحافظة عليها وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من رواية الزهري عن سالم عن أبيه أن العصر ثم قال: حسن صحيح وأخرجه مسلم في صحيحه من طريق محمد بن طلحة به ولفظة شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر الحديث فهذه نصوص من حديث محمد بن طلحة بن مصرف عن زبيد اليامي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الوسطى صلاة حدثنا همام بن موريق العجلي عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الوسطى صلاة العصر وقد روى الترمذي العصر إسناده لا بأس به حديث آخر قال أبو حاتم بن حبان في صحيحه: حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير حدثنا الجراح بن مخلد حدثنا عمرو بن عاصم حدثني أبي حدثني أبو ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة الصلاة بقيت؟ فقلت العصر فقال هي العصر غريب أيضا جدا حديث آخر قال ابن جرير: حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش وقبض التي تليها فقال هذه الظهر ثم قبض الإبهام فقال هذه المغرب ثم قبض التي تليها فقال هذه العشاء ثم قال: أي أصابعك بقيت فقلت الوسطى فقال أي وسلم في الصلاة الوسطى؟ فقال رجل جالس: أرسلني أبو بكر وعمر وأنا غلام صغير أسأله عن الصلاة الوسطى فأخذ أصبعي الصغير فقال هذه صلاة الفجر إبراهيم بن يزيد الدمشقي قال: كنت جالسا عند عبد العزيز بن مروان فقال: يا فلان اذهب إلى فلان فقل له: أي شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر غريب من هذا الوجه جدا حديث آخر قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام عن مسلم مولى أبي جبير حدثني عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فقال: أنا أعلم لكم ذلك فقام فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه ثم خرج إلينا فقال: أخبرنا أنها صلاة أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال: اختلفنا فيها كما اختلفتم فيها ونحن بفناء بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما الرجل الصالح أبو هاشم بن أحمد الجرشي الواسطي حدثنا الوليد بن مسلم قال: أخبرني صدقة بن خالد حدثني خالد بن دهقان عن خالد بن سيلان عن كهيل بن حرملة قال: سئل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر طريق أخرى بل حديث آخر قال ابن جرير وحدثني المثني حدثنا سليمان سمرة وقال: حسن صحيح وقد سمع منه حديث آخر وقال ابن جرير: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن التيمي عن أبي صالح عن أبي هريرة الله صلى الله عليه وسلم قال هي العصر قال ابن جعفر: سئل عن صلاة الوسطى ورواه الترمذي من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن والصلاة الوسطى وسماها لنا أنها هي صلاة العصر وحدثنا محمد بن جعفر وروح قال: حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب أن رسول صلاة العصر وحدثنا بهز وعفان قال: حدثنا أبان حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حافظوا على الصلوات عنهما حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الوسطى وإنما المقصود رواية من نص منهم في روايته أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر وقد رواه مسلم أيضا من حديث ابن مسعود والبراء بن عازب رضي الله يوم الأحزاب وشغل المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن أداء صلاة العصر يومئذ فروي عن جماعة من الصحابة يطول ذكرهم يقول يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم أو بيوتهم نارا ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي به. وحديث عن عاصم عن زر قال: قلت لعبيدة سل عليا عن الصلاة الوسطى فسأله فقال: كنا نراها الفجر أو الصبح حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق الحسن البصري عن علي به قال الترمذي: ولا يعرف سماعه منه وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان داود والترمذي والنسائي وغير واحد من أصحاب المساند والسنن والصحاح من طرق يطول ذكرها عن عبيدة السلماني عن علي به ورواه الترمذي والنسائي صلى الله عليه وسلم مثله وقد رواه مسلم أيضا من طريق شعبة عن الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار عن علي بن أبي طالب وأخرجه الشيخان وأبو والنسائي من طريق عيسى بن يونس كلاهما عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن أبي الضحى عن شتير بن شكل بن حميد عن علي بن أبي طالب عن النبي صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء وكذا رواه مسلم من حديث أبي معاوية محمد بن حازم الضرير أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن شتير بن شكل عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى قال ابن المنذر وهو الصحيح عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد واختاره ابن حبيب المالكي رحمهم الله. ذكر الدليل على ذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وعبيد بن مريم وغيرهم وهو مذهب أحمد بن حنبل. قال القاضي الماوردي: والشافعي وأبي سعيد وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وعن ابن عمر وابن عباس وعائشة على الصحيح عنهم وبه قال عبيدة وإبراهيم النخعي وأبو رزين وزر بن حبيش الغطا في تبیین الصلاة الوسطى وقد نص فيه أنها العصر وحكاها عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي أيوب وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب وأبي هريرة أكثر أهل الأثر وقال أبو محمد بن عطية في تفسيره وهو قول جمهور الناس وقال الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في كتابه المسمى بكشف والبلغوي رحمهما الله: وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم. وقال القاضي الماوردي هو قول جمهور التابعين. وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر هو قول سعيد وعائشة على اختلاف عنهم وهو قول عروة بن الزبير وعبد الله بن شداد بن الهاد ورواية عن أبي حنيفة رحمهم الله وقيل إنها صلاة العصر قال الترمذي

تفسير ابن كثير

عن عبد الصمد عن شعبة عن عمر بن سليمان عن زيد بن ثابت في حديث رفعه قال الصلاة الوسطى صلاة الظهر وممن روي عنه أنها الظهر ابن عمر وأبو قال: سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال: الصلاة الوسطى هي الظهر ورواه ابن جرير عن زكريا بن يحيى بن أبي زائدة عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال: الصلاة الوسطى صلاة الظهر. وقال أبو داود الطيالسي وغيره عن شعبة أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب أمية الضمري لم يدرك أحدا من الصحابة والصحيح ما تقدم من روايته عن زهرة بن معبد وعروة بن الزبير وقال شعبة وهما عن قتادة عن سعيد بن المسيب والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين رجال أو لأحرقن بيوتهم والزبرقان هو ابن عمرو بن صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قائلتهم وفي تجارتهم فأنزل الله حافظوا على الصلوات لهم يسألانه عن الصلاة الوسطى فقال هي العصر فقام إليه رجلان منهم فسألاه فقال هي الظهر ثم انصرفا إلى أسامة بن زيد فسألاه فقال هي الظهر إن النبي سننه من حديث شعبة به وقال أحمد أيضا: حدثنا يزيد بن أبي وهب عن الزبرقان أن رهطا من قريش مر بهم زيد بن ثابت وهم مجتمعون فأرسلوا إليه غلامين صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ورواه أبو داود في عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصليها بالهجير. وقال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم سمعت الزبرقان يحدث عن عن الزبرقان يعني ابن عمرو عن زهرة يعني ابن معبد قال: كنا جلوسا عند زيد بن ثابت فأرسلوا إلى أسامة فسأله عن الصلاة الوسطى فقال هي الظهر كان وترد المغرب وقيل لأنها بين صلاتي ليل جهريتين وصلاتي نهار سريتين وقيل إنها صلاة الظهر قال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا ابن أبي ذئب بقوله تعالى وقوموا لله قانتين والقنوت عنده في صلاة الصبح ومنهم من قال هي وسطى باعتبار أنها لا تقصر وهي بين صلاتين رباعيتين مقصورتين وعطاء ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس ورواه ابن جرير عن عبد الله بن شداد بن الهاد أيضا وهو الذي نص عليه الشافعي رحمه الله محتجا بن بشير عن قتادة عن جابر بن عبد الله قال: الصلاة الوسطى صلاة الصبح. وحكاها ابن أبي حاتم عن ابن عمر وأبي أمامة وأنس وأبي العالية وعبيد بن عمير عليه وسلم صلاة الغداة فلما فرغوا قال: قلت لهم أيتها الصلاة الوسطى؟ قالوا: التي قد صليتها قبل. وقال أيضا حدثنا ابن بشار حدثنا ابن عثمة عن سعيد عليه وسلم إلى جانيبي ما الصلاة الوسطى؟ قال: هذه الصلاة. وروي من طريق أخرى عن الربيع عن أبي العالية أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جانيبي ما الصلاة الوسطى؟ قال: صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة الغداة فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة صلاة الغداة فقلت لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: صليت خلف ابن عباس أنه صلى الغداة في مسجد البصرة ففقت قبل الركوع وقال هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين رواه ابن جرير ورواه أيضا من حديث عوف عن خلاص بن عمرو عن ابن عباس مثله سواء وقال ابن جرير: حدثنا عدي وعبد الوهاب وشريك وغيرهم عن عوف الأعرابي عن أبي رجاء العطاردي قال: صليت خلف ابن عباس الفجر ففقت فيها ورفع يديه ثم قال: هذه الصلاة وقد اختلف السلف والخلف فيها أي صلاة هي فقيل إنها الصبح حكاها مالك في الموطأ بلاغا عن علي وابن عباس وقال هشيم وابن علية وغندر وابن أبي وهكذا رواه أبو داود والترمذي وقال لا نعرفه إلا من طريق العمري وليس بالقوي عند أهل الحديث. وخص تعالى من بينها بمزيد التأكيد الصلاة الوسطى الله صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الأعمال فقال إن أحب الأعمال إلى الله تعجيل الصلاة لأول وقتها أحمد: حدثنا يونس حدثنا ليث عن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم عن القاسم بن غنام عن جدته أم أبيه الدنيا عن جدته أم فروة كانت ممن بايع رسول ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله قلت ثم أي؟ قال بر الوالدين قال: حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزددته لزداني. وقال الإمام في أوقاتها كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة في وقتها قلت يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها

كتابا موقوتا وستأتي الأحاديث الواردة في صلاة الخوف وصفاتها في سورة النساء عند قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمต لهم الصلاة الآية. 239 وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقلوبه بالشكر والذكر والذي كقوله بعد ذكر صلاة الخوف فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين صلاتكم كما أمرتم فأتوموا ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وخشوعها وجودها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون أي مثل ما أنعم عليكم وهذاكم للإيمان نادر خاص فيجوز فيه مثل ما قلنا بدليل صنيع الصحابة زمن عمر في فتح تستر وقد اشتهر ولم ينكر والله أعلم وقوله فإذا آمنتم فاذكروا الله أي أقيموا مصرحا بهذا في حديث أبي سعيد وغيره وأما مكحول والأوزاعي والبخاري فيجيبون بأن مشروعية صلاة الخوف بعد ذلك لا تنافي جواز ذلك لأن هذا حال على أن صلاة الخوف على الصفة التي ورد بها القرآن في سورة النساء ووردت بها الأحاديث لم تكن مشروعة في غزوة الخندق وإنما شرعت بعد ذلك وقد جاء أدركته فلم يصل إلى أن غربت الشمس في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين وهذا يدل على اختيار البخاري لهذا القول والجمهور على خلافه ويعولون منكم العصر إلا في بني قريظة فمنهم من أدركته الصلاة في الطريق فصلوا وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل السير ومنهم من وسلم العصر يوم الخندق لعذر المحاربة إلى غيبوبة الشمس ويقول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لأصحابه لما جهزهم إلى بني قريظة لا يصلين أحد ونحن مع أبي موسى ففتح لنا قال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها. هذا لفظ البخاري ثم استشهد على ذلك بحديث تأخير صلى الله عليه وسلم وقال أنس بن مالك: حضرت مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها

تفسير ابن كثير

حتى ينكشف القتال ويأمنوا فيصلوا ركعتين فإن لم يقدرُوا صلوا ركعة وسجدتين فإن لم يقدرُوا لا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا وبه قال مكحول مناهضة الحصون ولقاء العدو وقال الأوزاعي: إن كان تهيأ الفتح ولم يقدرُوا على الصلاة صلوا إيماء كل امرئ لنفسه فإن لم يقدرُوا على الإيماء أخروا الصلاة بقية بن الوليد حدثنا المسعودي حدثنا يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله قال: صلاة الخوف ركعة واختار هذا القول ابن جرير وقال البخاري باب الصلاة عند قال: سألت الحكم وحمادا وقتادة عن صلاة المسابقة فقالوا: ركعة وهكذا روى الثوري عنهم سواء وقال ابن جرير أيضا: حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وبه قال الحسن البصري وقتادة والضحاك وغيرهم وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن شعبة وأيوب بن عائد كلاهما عن بكير بن الأحنس الكوفي عن مجاهد عن ابن عباس قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر وعلى ذلك ينزل الحديث الذي رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله الشكري زاد مسلم والنسائي وعطية والحكم وحماد وقتادة نحو ذلك وقد ذهب الإمام أحمد فيما نص عليه إلى أن صلاة الخوف تفعل في بعض الأحيان ركعة واحدة إذا تلاحم الجيوش بن عبد الله قال: إذا كانت المسابقة فليؤم برأسه إيماء حيث كان وجهه فذلك قوله فرجالا أو ركبانا وروى عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء والحسن بن صالح نحو ذلك وزاد ويؤم برأسه أينما توجه ثم قال: حدثنا أبي حدثنا غسان حدثنا داود يعني ابن علية عن مطرف عن عطية عن جابر عباس قال: في هذه الآية يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه قال: وروى عن الحسن ومجاهد ومكحول والسدي والحكم ومالك والأوزاعي والثوري داود بإسناد جيد وهذا من رخص الله التي رخص لعباده ووضعه الآصار والأغلال عنهم وقد روى ابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن لبيقتله وكان نحو عرفة أو عرفات فلما وجهه حانت صلاة العصر قال: فخشيت أن تفوتني فجعلت أصلي وأنا أؤم إيماء الحديث بطوله رواه أحمد وأبو خوف أشد من ذلك فصل رابعا أو قائما تؤم إيماء وفي حديث عبد الله بن أنيس الجهني لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن سفيان الهذلي آخر عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه أو قريبا منه ولمسلم أيضا عن ابن عمر قال: فإن كان القبلة أو غير مستقبلها قال نافع: لا أرى ابن عمر ذكر ذلك إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه البخاري وهذا لفظ مسلم ورواه البخاري أيضا من وجه كما قال مالك عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف وصفها ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا على أقدامهم أو ركبانا مستقبلتي الأكمل وهي حال القتال والتحام الحرب فقال فإن خفتم فرجالا أو ركبانا أي فصلوا على أي حال كان رجالا أو ركبانا: يعني مستقبلتي القبلة وغير مستقبلتي تعلمون لما أمر تعالى عباده بالمحافظة على الصلوات والقيام بحدودها وشدد الأمر بتأكيد ذكر الحال الذي يشتغل الشخص فيها عن أدائها على الوجه وقوله فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتهم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا

فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسائرك حقر فقر ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو والله إنك لتعلم أني لأعلم أنك تكذب. 24 فقال له عمرو لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي فقال والعصر إن الإنسان لفي خسر ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل علي مثلها وتواصوا بالصبر وقد روي عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين كانت أو قصيرة قال الشافعي رحمه الله لو تدبر الناس هذه السور لكفتهم والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق إلى توهين أمره معجزا فعلى التقديرين يحصل المعجز هذا لفظه بحروفه والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة لا يستطيع البشر معارضتها طويلا اخترنا الطريق الثاني وقلنا إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم ممكن فإن قلتم إن الأتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر كان مكابرة والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة إلى الدين قلنا فلهذا السبب فإن قيل قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله يتناول سورة الكوثر وسورة العصر وقل يا أيها الكافرون ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله أو بما يقرب منه الأصوليين كما هو مقرر في موضعه. فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصرها وهذا لا أعلم فيه نزاعا بين الناس سلفا وخلفا. وقد قال الرازي في تفسيره: سورة يونس بسورة مثله يعم كل سورة في القرآن طويلا كانت أو قصيرة لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم كما هي في سياق النفي عند المحققين من بجهلهم في هذا ووافقهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الأندلس. تنبيه ينبغي الوقوف عليه قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وقوله في سنة الآن وصل إلى قعرها وهو عند مسلم وحديث صلاة الكسوف وليلة الإسراء وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا المعنى وقد خالفت المعتزلة ونفس في الصيف وحديث ابن مسعود سمعنا وجبة فقلنا ما هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حجر ألقى به من شفير جهنم منذ سبعين وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها تحاجت الجنة والنار ومنها استأذنت النار ربها فقالت رب أكل بعضي فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر وقد استدلت كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله تعالى أعدت أي أرصدت وهيئت لأنهما متلازمان وأعدت أي أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله كما قال ابن إسحاق عن محمد بن جبير عن ابن عباس أعدت للكافرين الأظهر أن الضمير في أعدت عائد إلى النار التي وقودها الناس والحجارة ويحتمل عوده على الحجارة كما قال ابن مسعود ولا منافاة بين القولين في المعنى بمعنىين أحدهما أن كل من أذى النار دخل النار والآخر أن كل ما يؤدي في النار يتأذى به أهلها من السباع والهوام وغير ذلك. وقوله تعالى أعدت للكافرين قال: وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مؤذ في النار وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف. ثم قال القرطبي وقد فسر قال تعالى كلما خبت زدنهم سعيرا وهكذا رجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحمر ويشتد لهيبها قال ليكون ذلك أشد عذابا لأهلها. فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك. وكذلك سائر الأحجار تفخرها النار وتحرقها وإنما سيق هذا في حر هذه النار التي وعدوا بها وشدة ضرامها وقوة لهيبها

تفسير ابن كثير

وأقوى لسعيرها ولا سيما على ما ذكره السلف من إنها حجارة من كبريت معدة لذلك ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضا مشاهد وهذا الجص يكون أحجارا النار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر فجعلها هذه الحجارة أولى. وهذا الذي قاله ليس بقوي وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها التي كانت تعبد من دون الله كما قال تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآتية حكاها القرطبي والرازي ورجحه على الأول: قال لأن أخذ كبريت. وقال ابن جريج حجارة من كبريت أسود في النار. وقال لي عمرو بن دينار أصلب من هذه الحجارة وأعظم. وقيل المراد بها حجارة الأصنام والأنداد الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار. وقال مجاهد حجارة من كبريت أنتن من الجيفة وقال أبو جعفر محمد بن علي حجارة من السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا بعدها للكافرين. رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه وقال على شرط الشيخين. وقال عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى وقودها الناس والحجارة قال هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم والمراد بالحجارة هي ههنا حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة وهي أشد الأحجار حرا إذا حميت أجارنا الله منها. وقال عبد الملك بن ميسرة الزراد القاسطون فكانوا لجهنم حطباً وقال تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين أما الوقود الوافق فهو ما يلقي في النار لأضرارها كالحطب ونحوه كما قال تعالى وأما على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر وإنا أعطيناك الكوثر. وقوله إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا إلا أنها تصلح فقد حصل المدعى وهو المطلوب وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على أنه من عند الله لصرفه بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة. فقال إن كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته أعلم وله عليه الصلاة والسلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر وله الحمد والمنة. وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز وحيا أي الذي اختصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله البشر وإنما الذي كان أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة لفظ مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم وإنما كان الذي أوتيته ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله في الدنيا ورغبت في الآخرة وثبتت على الطريقة المثلى وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم. ولهذا وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم بشرت به وحذرت وأذرت ودعت إلى فعل الخير واجتناب المنكرات وزهدت ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم الآية وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأحوال وفي وصف الجنة والنار في القرآن يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه ولهذا قال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء كما قال ابن مسعود وغيره من السلف إذا سمعت الله تعالى يقول جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي أم أمنتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وقال في الزجر: فكلا أخذنا بذنبه وقال في الوعد أفرأيت إن متعناهم سنين ثم وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون وقال في الترهيب أأمنتهم أن يخسف بكم جانب البر وأمنتهم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترهيب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال فيها ما تشتهي الأنفس وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات فما ظنك بالقلوب الفاهمات وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والأذان ومشوق إلى تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا وكلما تكررت حلا وعلا لا يخلق عن كثرة الرد ولا يمل منه العلماء هذر لا طائل تحته وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا وإجمالا ممن فهم كلام العرب وتصاريح التعبير فإنه إن لا تفيد شيئا إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح ثم تجد له فيه بيتا أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرهما غالبا في وصف النساء أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع أو شيء من المشاهدات المتعينة التي أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها كما قيل في الشعر إن أعذبه أكذبه. وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي صدقا في الإخبار وعدلا في الأحكام فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في لفظه ومعناه فصيح لا يحادي ولا يداني فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء وأمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى ومن جهة المعنى قال الله تعالى الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف فكل من والقرآن كلام الله خالق كل شيء وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ خائف ولا مشفق أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين وكذلك وقع الأمر لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن وأني يتأتى ذلك لأحد تعالى فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا لن لنفي التأييد في المستقبل أي ولن تفعلوا ذلك أبدا وهذه أيضا معجزة أخرى وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا مقدما غير ولهذا قال

تفسير ابن كثير

رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك به. ورواه النسائي أيضا وابن ماجه من طرق عن سعد بن إسحاق وبه قال الترمذي حسن صحيح. 240 بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت: فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلي فسلاني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به وكذا ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بي فنوديت له فقال كيف قلت؟ فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بني خدره فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القوم لحقهم فقتلوه قالت: فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أرجع إلى أهلي في بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدره على وجوب السكنى في منزل الزوج بما رواه مالك في موطنه عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة أن الفريضة بنت مالك والعشر فمسلم وإن أرادوا أن سكنى الأربعة الأشهر وعشر لا تجب في تركة الميت فهذا محل خلاف بين الأئمة وهما قولان للشافعي رحمه الله وقد استدلوا العباس بن تيمية ورده آخرون منهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر وقول عطاء ومن تابعه على أن ذلك منسوخ بآية الميراث إن أرادوا ما زاد على الأربعة الأشهر ذلك لقوله فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو من ذلك لقوله غير إخراج فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة الأشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يمتنعن من وصية من الله وقيل إنما انتصب على معنى فلتوصوا لهن وصية وقرأ آخرون بالرفع وصية على معنى كتب عليكم وصية واختارها ابن جرير ولا يمتنعن أزواجهن بعد وفاتهن حولا كاملا إن اخترن ذلك ولهذا قال وصية لأزواجهن أي يوصيكم الله بهن وصية كقوله يوصيكم الله في أولادكم الآية وقوله سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخا بالأربعة الأشهر وعشر وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاة بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت شاءت ولا سكنى لها ثم أسند البخاري عن ابن عباس مثل ما تقدم عنه بهذا القول الذي عول عليه مجاهد وعطاء من أن هذه الآية لم تدل على وجوب الاعتداد اعتدت عند أهلها وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت لقول الله فلا جناح عليكم فيما فعلن قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعبدت حيث مجاهد رحمه الله وقال عطاء قال ابن عباس نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعبدت حيث شاءت وهو قول الله تعالى غير إخراج قال عطاء: إن شاءت وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فאלعدة كما هي واجب عليها زعم ذلك عن لأزواجهن متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف قال: جعل الله تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة مجاهد والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا قال كانت هذه للمعتدة تعتد عند أهل زوجها واجب فأنزل الله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية الآية قلت وروي عن مقاتل وقتادة أنها منسوخة بآية الميراث وقال البخاري حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن بن حبان قالوا نسختها أربعة أشهر وعشرا قال وروي عن سعيد بن المسيب قال نسختها التي في الأحزاب يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة قال: وروي عن مجاهد والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك والربيع ومقاتل بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فهذه عدة المتوفى عنها زوجها إلا أن تكون حاملا فعدتها أن تضع ما في بطنها وقال ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا مات وترك امرأة اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله بعد والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن وعكرمة وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني والربيع بن أنس أنها منسوخة وروي عن طريق علي بن أبي طلحة سنة فنسختها آية المواريث فجعل لهن الثمن أو الربع مما ترك الزوج ثم قال: وروي عن أبي موسى الأشعري وابن الزبير ومجاهد وإبراهيم وعطاء والحسن ابن عباس في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهن متاعا إلى الحول غير إخراج فكان للمتوفى عنها زوجها نفقتها وسكنها في الدار كذلك بعدها فأنبتها حيث وجدتها قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن في إبقاء رسمها مع زوال حكمها وبقاء رسمها بعد التي نسختها يوههم بقاء حكمها؟ فأجابهم أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي وأنا وجدتها مثبتة في المصحف تكتبها أو تدعها قال: يا أبن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه ومعنى هذا الإشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان بن عفان والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا قد نسختها الآية الأخرى فلم حدثنا يزيد بن زريع عن حبيب بن أبي مليكة قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا قد نسختها الآية الأخرى فلم قال الأكثرون هذه الآية منسوخة بالتي قبلها وهي قوله يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا قال البخاري: حدثنا أمية

متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وأجاب الأولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص على المشهور المنصوص والله أعلم. 241 من هذا العموم مفهوم قوله تعالى لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره قبل المسيس أو مدخولا بها وهو قول الشافعي رحمه الله وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير ومن لم يوجبها مطلقا يخصص متاع بالمعروف حقا على المتقين وقد استدلل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة أو مفروضا لها أو مطلقة بن أسلم لما نزل قوله تعالى متاع بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل: إن شئت أحسنت ففعلت وإن شئت لم أفعل فأنزل الله هذه الآية والمطلقات وقوله والمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين قال عبدالرحمن بن زيد

وحودده فيما أركم به ونهاكم عنه بينه ووضحه وفسره ولم يتركه مجملا في وقت احتياجكم إليه لعلمكم تعقلون أي تفهمون وتتدبرون. 242 وقوله كذلك يبين الله لكم آياته أي في إحلاله وتحريمه وفروضة

تفسير ابن كثير

فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا قال فرجع عمر من الشام وأخرجه في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري بنحوه. 243
 بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض
 الصحيحين من حديث الزهري به بطريق أخرى لبعضه قال أحمد: حدثنا حجاج ويزيد العمي قالا أخبرنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر
 صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه فحمد الله عمر ثم انصرف وأخرجاه في
 فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فذكر الحديث فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا لبعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله
 عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه
 الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى أخبرنا مالك وعبد الرزاق أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن
 إلا إليه فإن هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلبا لطول الحياة فعملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعا في آن واحد ومن هذا القبيل الحديث الصحيح
 لا يشكرون أي لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر وأنه لا ملجأ من الله
 الجسماني يوم القيامة ولهذا قال إن الله لذو فضل على الناس أي فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة ولكن أكثر الناس
 تعمروهم فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون: سبحانك لا إله إلا أنت وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد
 العظام إن الله يأمرك بأن تكتسي لحما وعصبا وجلدا فكان ذلك وهو يشاهده ثم أمره فنأى أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت
 يحييهم على يديه فأجاب به إلى ذلك وأمره أن يقول: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ثم أمره فنأى أيتها
 رجل واحد فحيضوا إلى حظائر وبنى عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيال فسأل الله أن
 فنزلوا واديا أفيح فملاءوا ما بين عدوتي فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موة
 واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارا من الموت هاربين إلى البرية
 فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم فذلك قوله عز وجل ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الموت الذي حذرهم
 حذر الموت قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا: نأى أرضا ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم موتوا فماتوا
 حدثنا سفيان عن ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو الأسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
 وقال ابن جريج عن عطاء قال: هذا مثل وقال علي بن عاصم: كانوا من أهل زاوردان قرية على فرسخ من قبل واسط وقال وكيع بن الجراح في تفسيره.
 حاتم عن ابن عباس قال: كانوا أهل قرية يقال لها زاوردان. وكذا قال السدي وأبو صالح وزاد من قبل واسط وقال سعيد بن عبد العزيز: كانوا من أهل أذرعات
 آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبو صالح: تسعة آلاف وعن ابن عباس أربعون ألفا وقال وهب بن منبه وأبو مالك: كانوا بضعة وثلاثين ألفا. وروى ابن أبي
 وروى عن ابن عباس أنهم كانوا أربعة

على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء يعني أنه يتألم لكونه ما مات قتيلا في الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه. 244
 الوليد رضي الله عنه أنه قال وهو في سياق الموت: لقد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت
 الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وروينا عن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامي حوزة الإسلام وسيف الله المسلول على أعدائه أبي سليمان خالد بن
 وقال تعالى وقالوا ربنا لم نكتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتبلا أينما تكونوا يدرككم
 مقدر مقنن لا يزداد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين
 الله واعلموا أن الله سميع عليم أي كما أن الحذر لا يغني من القدر كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلا ولا يبعده بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم
 وقوله وقاتلوا في سبيل

ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيق على من يشاء من عباده في الرزق ويوسع على آخرين له الحكمة البالغة في ذلك وإليه ترجعون أي يوم القيامة. 245
 ذلك إلا الله ثم قرأ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة فالكثير من الله لا يحصى وقوله والله يقبض ويبسط أي أنفقوا
 الله له عشرة آلاف ألف غرفة من در وياقوت في الجنة أفأصدق بذلك؟ قال: نعم أو عجب من ذلك؟ قال: نعم وعشرين ألف ألف وثلاثين ألف ألف وما يحصى
 أجرهم بغير حساب وروى ابن أبي حاتم أيضا عن كعب الأحبار أنه جاء رجل فقال: إني سمعت رجلا يقول من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة بنى
 الله عليه وسلم رب زد أمتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال رب زد أمتي فنزلت إنما يوفى الصابرون
 بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال: لما نزلت مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل إلى آخرها فقال رسول الله صلى
 ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة الحديث وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عيسى
 صلى الله عليه وسلم قال من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف
 الحسنه ألفي ألف حسنة وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي وغيره من طريق عمرو بن دينار عن سالم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله
 أضعافا كثيرة ويقول ما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يضاعف
 قلت: زعموا أنك تقول إن الله يضاعف الحسنه ألف ألف حسنة قال: يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له

تفسير ابن كثير

فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت إلى الحج أن ألقاه في هذا الحديث فلقينته لهذا فقلت: يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأترون عنك؟ قال ما هو؟ إن الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة فقلت ويحكم والله ما كان أحد أكثر مجالسة لأبي هريرة مني فما سمعت هذا الحديث قال: فتحملت أريد أن ألحقه أكثر مجالسة لأبي هريرة مني فقدم قبلي حاجا قال: وقدمت بعده فإذا أهل البصرة يأترون عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو خالد سليمان بن خالد المؤدب حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن عقبة الرفاعي عن زياد الجصاص عن أبي عثمان النهدي قال: لم يكن أحد يقول إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة هذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال: حدثنا رضي الله عنه فقلت له إنه بلغني أنك تقول إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال: وما عجبك من ذلك لقد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يضاعف لمن يشاء الآية وسيأتي الكلام عليها وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أخبرنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال: أتيت أبا هريرة وقوله فيضاعفه له أضعافا كثيرة كما قال تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله عنه مرفوعا بنحوه وقوله قرضا حسنا روي عن عمر وغيره من السلف هو النفقة في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال وقيل هو التسبيح والتقديس يا أم الدحداح قالت لبيك قال: أخرجني فقد أقرضته ربي عز وجل. وقد رواه ابن مردويه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله الله قال فنأوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي قال وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فنأوها قرضا حسنا فيضاعفه له قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله وإن الله عز وجل ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح قال أرني يدك يا رسول أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبدالله بن الحارث عن عبدالله بن مسعود قال: لما نزلت من ذا الذي يقرض الله في سبيل الله وقد كرر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع وفي حديث النزول أنه يقول تعالى من يقرض غير عديم ولا ظلوم وقد قال ابن وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة يحث تعالى عباده على الإنفاق

قال الله تعالى: فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين أي ما وفوا بما وعدوا بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله عليم بهم. 246 ملكا ألا تقاتلوا وتنفوا بما التزمت من القتال معه قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي وقد أخذت منا البلاد وسييت الأولاد وتوحيده فدعا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم وكان الملك أيضا قد باد فيهم فقال لهم النبي: فهل عسيتم إن أقام الله لكم سمع الله دعائي ومنهم من يقول شمعون وهو بمعناه فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم وأنبته الله نباتا حسنا فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه في بيت واحفظوا بها لعل الله يرزقها غلاما يكون نبيا لهم ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاما فسمع الله لها ووهبها غلاما فسمته شمويل أي من يحفظها فيهم إلا القليل وانقطعت النبوة من أسباطهم ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من بعلها وقد قتل فأخذوها فحبسوها إلى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبق منهم بلادا كثيرة ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان وكان ذلك موروثا لخلفهم عن سلفهم وينهاهم عن المنكر ويقيمهم على منهج التوراة إلى أن فعلوا ما فعلوا فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا خلقا كثيرا وأخذوا بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم أحدثوا الأحداث وعبد بعضهم الأصنام ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف علقمة بن أبي ياسف بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وقال وهب بن منبه وغيره كان بنو إسرائيل وكذا قال محمد بن إسحق عن وهب بن منبه وهو شمويل بن بالي أن علقمة بن ترخام بن اليهود بن بهرض بن علقمة بن ماجب بن عمرصا بن عزريا بن صفية بن كما هو مصرح به في القصة وقد كان بين داود وموسى ما ينبف عن ألف سنة والله أعلم وقال السدي: هو شمعون وقال مجاهد: هو شمويل عليه السلام بن نون. قال ابن جرير: يعني ابن أفرام بن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل وكان ذلك في زمان داود عليه السلام قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة: هذا النبي هو يوشع

لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال والله واسع عليم أي هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء عليهم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه. 247 الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال والله يؤتي ملكه من يشاء أي هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون العلم والجسم أي وهو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبرا في الحرب ومعرفة فيها أي أتم علما وقامة منكم ومن ههنا ينبغي أن يكون عليكم أي اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم يقول لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك وزاده بسطة في ذكر بعضهم أنه كان سقاء وقيل دباغا وهذا اعتراض منهم على نبينهم وتعننت وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف ثم قد أجابهم النبي قائلا إن الله اصطفاه أنى يكون له الملك علينا أي كيف يكون ملكا علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال أي ثم هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك وقد لهم ملكا منهم فعين لهم طالوت وكان رجلا من أجنادهم ولم يكن من بيت الملك فيهم لأن الملك كان في سبط يهوذا ولم يكن هذا من ذلك السبط فلماذا قالوا أي لما طلبوا من نبينهم أن يعين

وقوله إن في ذلك لآية لكم أي على صدقي فيما جئتمكم به من النبوة وفيما أمرتكم به من طاعة طالوت إن كنتم مؤمنين أي بالله واليوم الآخر. 248 إنه تسلمه داود عليه السلام وأنه لما قام إليهما خجل من فرحه بذلك وقيل شابان منهم فالله أعلم. وقيل كان التابوت بقرية من قرى فلسطين يقال لها أزدوه. من هذا الداء فحملوه على بقرتين فسارتا به لا يقربه أحد إلا مات حتى اقتربتا من بلد بني إسرائيل فكسرتا النيرين ورجعتا وجاء بنو إسرائيل فأخذوه فقبل

تفسير ابن كثير

التابوت من بلدهم فوضعه في بعض القرى فأصاب أهلها داء في رقابهم فأمرتهم جارية من سبي بني إسرائيل أن يردوه إلى بني إسرائيل حتى يخلصوا رأس الصنم فأنزلوه فوضعه تحته فأصبح كذلك فسمروه تحت فأصبح الصنم مكسور القوائم ملقى بعيدا. فعلموا أن هذا أمر من الله لا قبل لهم به فأخرجوا على بقرة وقيل على بقرتين. وذكر غيره أن التابوت كان بأريحاء وكان المشركون لما أخذوه وضعوه في بيت آلهتهم تحت صنمهم الكبير فأصبح التابوت على السدي: أصبح التابوت في دار طالوت فأمّنوا بنبوة شمعون وأطاعوا طالوت وقال عبدالرزاق عن الثوري عن بعض أشياخه: جاءت الملائكة تسوقه على عجلة تحمله الملائكة قال ابن جريج: قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعت بين يدي طالوت والناس ينظرون وقال سألت الثوري عن قوله وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون فقال منهم من يقول قفيز من من ورضاض الألواح ومنهم من يقول العصا والنعلان وقوله موسى وعصا هرون ولوحين من التوراة والمن وقال عطية بن سعد: عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ورضاض الألواح وقال عبدالرزاق: هرون قال عصاه ورضاض الألواح وكذا قال قتادة والسدي والربيع بن أنس وعكرمة وزاد والتوراة وقال أبو صالح وبقيّة مما ترك آل موسى يعني عصا قال ابن جرير: أخبرنا ابن مثنى حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هرون أنه سمع وهب بن منبه يقول: السكينة روح من الله تتكلم إذا اختلّفوا في شيء تكلم فتخبرهم ببيان ما يريدون. وقوله وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هرون بن إسحاق عن وهب بن منبه: السكينة رأس هرة ميتة إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح وقال عبدالرزاق: أخبرنا بكار بن عبدالله وحماد بن سلمة وأبو الأحوص كلهم عن سماك عن خالد بن عرعة عن علي قال: السكينة ريح خجوج ولها رأسان وقال مجاهد لها جناحان وذنب وقال محمد سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن علي قال: السكينة لها وجه كوجه الإنسان ثم هي روح هفافة وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا أبو داود حدثنا شعبة من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء أعطاه الله موسى عليه السلام فوضع فيها الألواح ورواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وقال سفيان الثوري: عن وقال ابن جريج: سألت عطاء عن قوله فيه سكينة من ربكم قال: ما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه وكذا قال الحسن البصري وقيل السكينة طست من ربكم قيل معناه فيه وقار وجلالة قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة فيه سكينة أي وقار وقال الربيع: رحمة وكذا روي عن العوفي عن ابن عباس يقول لهم نبههم إن علامة بركة ملك طالوت عليكم أن يرد الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم وفيه سكينة

بأن وعد الله حق فإن النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عدة ولهذا قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين. 249 تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده أي استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العالمون الذين جازوا معه النهر وما جازه معه إلا مؤمن ورواه البخاري عن عبدالله بن رجاء عن إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق عن جده عن البراء بنحوه ولهذا قال السبيعي عن البراء بن عازب قال: كنا نتحدث أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت ألفا فشرب منه ستة وسبعون ألفا وتبقى معه أربعة آلاف كذا قال. وقد روى ابن جرير من طريق إسرائيل وسفيان الثوري ومسعر بن كدام عن أبي إسحاق من اغترف منه بيده روي ومن شرب منه لم يرو وكذا رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس. وكذا قال قتادة وابن شاذب قال السدي: كان الجيش ثمانين هذا الوجه ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده أي فلا بأس عليه قال الله تعالى فشربوا منه إلا قليلا منهم قال ابن جريج قال ابن عباس: أي مختبركم بنهر قال ابن عباس وغيره: وهو نهر بين الأردن وفلسطين يعني نهر الشريعة المشهور فمن شرب منه فليس مني أي فلا يصحبني اليوم في بني إسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل وكان جيشه يومئذ فيما ذكره السدي ثمانين ألفا فالله أعلم أنه قال إن الله مبتليكم يقول تعالى مخبرا عن طالوت ملك

أمين من الموت والانقطاع فلا آخر له ولا انقضاء بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام والله المسئول أن يحشرنا في زمرة منهم إنه جواد كريم برحيم. 25 به قلت والأظهر أن هذا من كلام قتادة كما تقدم والله أعلم. وقوله تعالى وهم فيها خالدون هذا هو تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام به. وقال صحيح على شرط الشيخين وهذا الذي ادعاه فيه نظر فإن عبدالرزاق بن عمر البزيعي هذا قال فيه أبو حاتم بن حبان العسبي لا يجوز الاحتجاج والغائط والنخامة والبزاق. هذا حديث غريب وقد رواه الحاكم في مستدركه عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن علي بن عفان عن محمد بن عبيد عبدالله بن المبارك عن شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة قال من الحيض حدثنا إبراهيم بن محمد حدثني جعفر بن محمد بن حرب وأحمد بن محمد الخواري قالوا: حدثنا محمد بن عبيد الكندي حدثنا عبدالرزاق بن عمر البزيعي حدثنا خلقت حواء عليها السلام فلما عصت قال الله تعالى إني خلقتك مطهرة وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة وهذا غريب وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه وعطية والسدي نحو ذلك. وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبدالأعلى أنبأنا ابن وهب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال المطهرة التي لا تحيض قال: وكذلك والبول والنخام والبزاق والمني والولد وقال قتادة مطهرة من الأذى والمأثم. وفي رواية عنه لا حيض ولا كلف. وروى عن عطاء والحسن والضحاك وأبي صالح هو مثله في الطعم. وقوله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس مطهرة من القدر والأذى. وقال مجاهد من الحيض والغائط قال يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا في الجنة هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وأتوا به متشابهة يعرفونه وليس ابن جرير من رواية الثوري وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى وأتوا به متشابهة عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء وفي رواية ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ورواه والمرأى وليس يشبهه في الطعم وهذا اختيار ابن جرير. وقال عكرمة وأتوا به متشابهة قال: يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب. وقال سفيان الثوري

تفسير ابن كثير

في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى وأتوا به متشابهة يعني في اللون متشابهة قال يشبه بعضه بعضا ويختلف في الطعم قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك وقال ابن جرير بإسناده عن السدي لهم الولدان كلوا فاللون واحد والطعم مختلف وهو قول الله تعالى وأتوا به متشابهة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية وأتوا به قال: عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها ثم يؤتون بمثلها فيقول لهم أهل الجنة هذا الذي أتيتمونا أنفا به فتقول من قبل فتقول الملائكة كلا فاللون واحد والطعم مختلف. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عامر بن يساف عن يحيى بن أبي كثير شيخ من أهل المصيصة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: يؤتى أحدهم بالصحفة من الشيء فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول هذا الذي أتيتنا به وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من قبل ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعض لقله تعالى وأتوا به متشابهة قال سنيذ بن داود حدثنا جرير وقال عكرمة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال معناه مثل الذي كان بالأمس وكذا قال الربيع بن أنس. وقال مجاهد يقولون ما أشبهه به قال ابن جرير من قبل. قال: إنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونصره ابن الذي رزقنا من قبل قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا هذا الذي رزقنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: قال عبد الله أنهار الجنة تفجر من جبل مسك. وقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك وقال أيضا حدثنا أبو سعيد حدثنا الله من فضله إنه هو البر الرحيم. وقال ابن أبي حاتم: قرأ علي الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو ثوبان عن عطاء بن قره عن عبد الله بن ضمرة أن أنهارها تجري في غير أخدود وجاء في الكوثر أن حافتيه قباب اللؤلؤ المجوف ولا منافاة بينهما فطينها المسك الأذفر وحصاؤها اللؤلؤ والجوهر نساء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها وغرفها وقد جاء في الحديث أو حال السعداء ثم الأشقياء أو عكسه وحاصله ذكر الشيء ومقابله. وأما ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه كما سنوضحه إن شاء الله فهذا قال تعالى وبشر إيمانهم بأعمالهم الصالحة وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء كما سنبسطة في موضعه وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه لما ذكر تعالى ما أعد له لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله الذين صدقوا

الله ذو فضل على العالمين أي ذو من عليهم ورحمة بهم يدفع عنهم ببعضهم بعضا وله الحكم والحكمة والحجة على خلقه في جميع أفعاله وأقواله. 250
الله صلى الله عليه وسلم الأبدال في أمتي ثلاثون: بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنصرون قال قتادة: إنني لأرجو أن يكون الحسن منهم. وقوله ولكن الليثي أخبرنا زيد بن الحباب أخبرني عمر البزار عن عنبسة الخواص عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول تمطرون وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله وقال ابن مردويه أيضا وحدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن جرير بن يزيد حدثنا أبو معاذ نهار بن معاذ بن عثمان بن سعيد أخبرنا زيد بن الحباب حدثني حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي السمان عن ثوبان رفع الحديث قال لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم أيضا غريب ضعيف لما تقدم أيضا وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا علي بن إسماعيل بن حماد أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى صلى الله عليه وسلم إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله عز وجل ما دام فيهم وهذا قال ابن جرير: حدثنا أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله قرأ ابن عمر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وهذا إسناد ضعيف فإن يحيى بن سعيد هذا هو ابن العطار الحمصي وهو ضعيف جدا ثم عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليُدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم فيها اسم لله كثيرا الآية. وقال ابن جرير: حدثني أبو حميد الحمصي أحد بني المغيرة حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سودة دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا كما قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر من العلم الذي اختص به صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض أي لولا الله يدفع عن قوم بآخرين كما الله به من النبوة العظيمة ولهذا قال تعالى وآتاه الله الملك الذي كان بيد طالوت والحكمة أي النبوة بعد شمويل وعلمه مما يشاء أي مما يشاء الله فأصابه فقتله وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره فوفى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه قال الله تعالى فهزمهم بآذن الله أي غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم وقتل داود جالوت ذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به علينا صبرا أي أنزل علينا صبرا من عندك وثبت أقدامنا أي في لقاء الأعداء وجنبنا الفرار والعجز وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم بآذن الله أي لما واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب طالوت لعدوهم أصحاب جالوت وهم عدد كثير قالوا ربنا أفرغ

لا يوجد تفسير لهذه الآية 251

عليه الأمر المطابق لما بأيدي أهل الكتاب من الحق الذي يعلمه علماء بني إسرائيل وإنك أي يا محمد لمن المرسلين وهذا تأكيد وتوطئة للقسم. 252
قال تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين أي هذه آيات الله التي قصصناها عليك من أمر الذين ذكرناهم بالحق أي بالواقع الذي كان

ثم

البيئات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا أي كل ذلك عن قضاء الله وقدره ولهذا قال ولكن الله يفعل ما يريد. 253

تفسير ابن كثير

ورسوله إليهم وأيدناه بروح القدس يعني أن الله أيد به جبريل عليه السلام ثم قال تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
الانقياد والتسليم له والإيمان به. وقوله وآتيناه عيسى ابن مريم البينات أي الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء بني إسرائيل به من أنه عبد الله
تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر الرابع لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية الخامس ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم
أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر الثاني أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع الثالث أن هذا نهى عن التفضيل في مثل هذه الحال التي
بقائمة العرش فلا أدري أفأق قبل أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء وفي رواية لا تفضلوا بين الأنبياء فالجواب من وجوه أحدها
على المسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا
فرفع المسلم يده فلطم بها وجهه اليهودي فقال: أي خبيث؟ وعلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ فجاء اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى
الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين
حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث
وسلم وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه ورفع بعضهم درجات كما ثبت في حديث الإسراء
فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبوراً وقال ههنا تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله يعني موسى ومحمداً صلى الله عليه
يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال تعالى ولقد

الله يومئذ كافراً وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون. 254
يومئذ ولا يتساءلون ولا شفاعاً: أي ولا تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله والكافرون هم الظالمون مبتدأ محصور في خبره أي ولا ظالم أظلم ممن وافى
من نفسه ولا يفادى بمال لو بذله ولو جاء بملاء الأرض ذهباً ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته بل ولا نسابته كما قال فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم
ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا من قبل أن يأتي يوم يعني يوم القيامة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة أي لا يباع أحد
يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب

الكبير المتعال وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصالح الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه. 255
عما يفعل وهم يسألون وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه فقوله وهو العلي العظيم كقوله وهو
شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد الذي لا يسأل
حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه
وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك وعندي في صحته نظر والله أعلم. وقوله ولا ينوده حفظهما أي لا يتقلعه ولا يكثره
من طريق جوير عن الحسن البصري أنه كان يقول الكرسي هو العرش والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار
أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثواب الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير ويقال له الأطلس وقد رد ذلك عليهم آخرون وروى ابن جرير
وغيرهما في وضع الكرسي يوم القيامة لفصل القضاء والظاهر أن ذلك غير المذكور في هذه الآية وقد زعم بعض المتكلمين على علم الهيئة من الإسلاميين
من هذا حديث جابر بن مطعم في صفة العرش كما رواه أبو داود في كتابه السنة من سننه والله أعلم وقد روى ابن مردويه وغيره أحاديث عن بريدة وجابر
سماعه من عمر نظر ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً ومنهم من يرويه عن عمر مرسلًا ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ومنهم من يحذفها وأغرب
وابن أبي عاصم في كتابي السنة لهما والحافظ الضياء في كتاب المختار من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة وليس بذاك المشهور وفي
والأرض وإن له أطيماً كأطيماً الرجل الجديد من ثقله وقد رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما والطبراني
قال: أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال إن كرسيه وسع السموات
وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا زهير حدثنا ابن أبي بكر حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه
والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة
بن محمد الثقفي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكر بن مردويه أخبرنا سليمان بن أحمد أخبرنا عبد الله بن وهيب المقرئ أخبرنا محمد بن أبي اليسرى العسقلاني أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم
قال وقال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرائي فلاة من الأرض. وقال أبو
ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس
بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرني
العرش: وقال السدي: السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وقال الضحاك عن ابن عباس: لو أن السموات السبع والأرضين السبع
من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري الكوفي وهو متروك عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ولا يصح أيضاً وقال السدي عن أبي مالك: الكرسي تحت
بن معاذ عن أبي عاصم عن سفيان وهو الثوري بإسناده عن ابن عباس موقوفاً مثله وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد رواه ابن مردويه
عن ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي العباس بن محمد بن أحمد المحبوبي عن محمد

تفسير ابن كثير

بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس فذكره وهو غلط وقد رواه وكيع في تفسيره حدثنا سفيان عن عمار الذهبي عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبير قول الله عز وجل وسع كرسيه السموات والأرض قال كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر تفسيره: أخبرنا أبو عاصم عن سفيان عن عمار الذهبي عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن بن جبير مثله ثم قال ابن جرير: وقال آخرون: الكرسي موضع القدمين ثم رواه عن أبي موسى والسدي والضحاك ومسلم البطيين وقال شجاع بن مخلد في السموات والأرض قال: علمه وكذا رواه ابن جرير من حديث عبدالله بن إدريس وهشيم كلاهما عن مطرف بن طريف به قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن مطرف بن طريف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وسع كرسيه لا يطلعون أحدا على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله ولا يحيطون به علما. وقوله وسع كرسيه السموات والأرض قال ابن وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعاه عليه ويحتمل أن يكون المراد بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارا عن الملائكة وما تنتزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا. أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة. وقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم دليل على إحاطة علمه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة آتي تحت العرش فأخر ساجدا فيدعني ما شاء الله ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وكقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهذا من عظمتهم وجلاله وكبريائه في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتبه يوم القيامة فردا وقوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه كقوله وكم من الله عز وجل على نبيه آية الكرسي. وقوله له ما في السموات وما في الأرض إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله إن كل من إذا كان آخر الليل نعس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا فقال يا موسى لو كنت أنام لسقطت السموات والأرض فهلكت كما هلكت الزجاجتان في يدك فأنزل وجل يا موسى سألوكم هل ينام ربك فخذ زجاجتين في يدك فقم الليلة ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نعس فوقه لركبتيه ثم انتعش فضبظهما حتى حدثنا أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا: يا موسى هل ينام ربك؟ قال اتقوا الله فناداه ربه عز جدا والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنا أحمد بن عبدالرحمن الدستكي حدثني أبي عن أبيه الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت يده فانكسرت القارورتان قال: ضرب الله عز وجل مثلا إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض وهذا حديث غريب الله إليه ملكا فأرفقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وكادت يده تلتقيان فيستيقظ فيحبس إحداها على عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله؟ فأرسل من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي عكرمة عن عبدالرزاق فذكره وهو من أخبار بني إسرائيل وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وأنه منزّه عنه وأغرب إحداها بالأخرى فكسرهما قال معمر: إنما هو مثل ضربه الله عز وجل يقول فكذلك السموات والأرض في يده وهكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن يحيى فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينبه وينعس وينبه حتى نعس نعسة فضرب أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله عز وجل؟ فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات ولهذا قال ولا نوم لأنه أقوى من السنة وفي الصحيح عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال إن الله لا ينام على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم فقوله لا تأخذه أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس أن تقوم السماء والأرض بأمره وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره وكان عمر يقرأ القيام فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله ومن آياته ابن مردويه وغير ذلك. وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة فقوله الله لا إله إلا هو إخبار بأنه المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق الحي القيوم أي قراءتها عند الحجامة أنها تقوم مقام حجامتين وحديث أبي هريرة في كتابتها في اليد اليسرى بالزعفران سبع مرات وتلحس للحفظ وعدم النسيان أوردتها بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه. وقد ورد في فضلها أحاديث أخر تركناها اختصارا لعدم صحتها وضعف أسانيدنا كحديث علي في حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ثم قال هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في عبدالرحمن عن زارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ: حم المؤمن إلى إليه المصير وآية الكرسي من قرأها أول النهار وأول الليل قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا يحيى بن المغيرة أبو سلمة المخزومي المدني أخبرنا ابن أبي فديك عن عبدالرحمن المليكي ولا يواظب على ذلك إلا نبي أو صديق أو عبد امتحن قلبه للإيمان أو أريد قتله في سبيل الله وهذا حديث منكر جدا. حديث آخر في أنها تحفظ اقرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة فإنه من يقرأها في دبر كل صلاة مكتوبة أجعل له قلب الشاكرين ولسان الذاكرين وثواب النبيين وأعمال الصديقين السكري عن المثني عن قتادة عن الحسن عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام أن

تفسير ابن كثير

كل منهما ضعف وقال ابن مردويه أيضا حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ أخبرنا يحيى بن درستويه المروزي أخبرنا زياد بن إبراهيم أخبرنا أبو حمزة الفرج بن الجوزي أنه حديث موضوع والله أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث علي والمغيرة بن شعبة وجابر بن عبد الله نحو هذا الحديث ولكن في إسناد بن بشر به وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن حمير وهو الحمصي من رجال البخاري أيضا فهو إسناد على شرط البخاري وقد زعم أبو الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت. وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن الحسن بن يناور الأدمي أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن أخبرنا الحسن بن بشر بطرسوس أخبرنا محمد بن حمير أخبرنا محمد بن زياد عن أبي أمامة قال: قال رسول وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم. حديث آخر عن أبي أمامة في فضل قراءتها بعد الصلاة المكتوبة قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن محرز وآل عمران وطه وقال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق: أما البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم أخبرنا عبد الله بن العلاء بن زيد أنه سمع القاسم بن عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث: سورة البقرة عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ابن مردويه: أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أنبأنا الوليد بن مسلم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم عن عيسى بن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد به وقال الترمذي: حسن صحيح. حديث آخر في معنى هذا الله لا إله إلا هو الحي القيوم و الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم إن فيهما اسم الله الأعظم وكذا رواه أبو داود عن مسدد والترمذي عن علي بن خشرم أنبأنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين وسلم يقول: أعظم آية في القرآن الله لا إله إلا هو الحي القيوم. حديث آخر في اشتماله على اسم الله الأعظم قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكر خرج ذات يوم إلى الناس وهم سمطات فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن فقال ابن مسعود على الخبر سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه عليه البخاري أخبرنا عيسى بن موسى غنجار عن عبد الله بن كيسان حدثنا يحيى أخبرنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب أنه من الأئمة وتركه ابن مهدي وكذبه السعدي. حديث آخر قال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي بن نافع أخبرنا عيسى بن محمد المروزي أخبرنا عمر بن محمد القرآن: آية الكرسي ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم فيه شعبة وضعفه قلت وكذا ضعفه أحمد ويحيى بن معين وغير واحد ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه كذا قال وقد رواه الترمذي من حديث زائدة ولفظه لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة أي قال: سورة البقرة فيها آية سيدة أي القرآن لا تقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسي وكذا رواه من طريق آخر عن زائدة عن حكيم بن جبير حماد حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا حكيمة بن جبير الأسدي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم النحيف الجسيم والخيش بالحاء المعجمة ويقال بالحاء المهملة الضراط. حديث آخر عن أبي هريرة قال الحاكم أبو عبد الله في مستدركه: حدثنا علي بن فإنه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خيش كخيش الحمار فليلابن مسعود: أهو عمر؟ فقال: من عسى أن يكون إلا عمر قال أبو عبيد: الضئيل شخيتا كأن زراعيك ذراعا كلب أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال إني بينهم لضليع فعاودني فصارعه فصصره الإنسي فقال: تقرأ آية الكرسي فلقية رجل من الجن فقال: هل لك أن تصارعني؟ فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخل شيطان فصارعه فصصره فقال: إني أراك ضيلا وقائع. قصة أخرى قال أبو عبيد في كتاب الغريب: حدثنا أبو معاوية عن أبي عاصم القفي عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رجل من الإنس بن محمد بن عبيد الله عن شعيب بن حرب عن إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل عن أبي هريرة به وقد تقدم لأبي بن كعب كائنة مثل هذه أيضا فهذه ثلاث يعد فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت أن ذلك كذلك وقد رواه النسائي عن أحمد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن؟ قال نعم قال ما هن قال الله لا إله إلا هو الحي القيوم قرأ آية الكرسي حتى ختمها فتركه فذهب فلم عاهدتني ألا تعود؟ لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تفعلن فإنك إن تدعني علمتك كلمات إذا أنت قلتها لم يقربك أحد يا عدو الله أنت صاحب هذا؟ قال: نعم دعني فإني لا أعود ما كنت أخذا إلا لأهل بيت من الجن فقراء فخلى عنه ثم عاد الثانية ثم عاد الثالثة فقلت أليس قد صاحبك هذا قال نعم قال فإذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك محمد فذهب ففتح الباب فقال سبحان من سخرك محمد فإذا هو قائم بين يديه قال: يوما آخر ثالثا فإذا قد أخذ منه مثل ذلك فشكى ذلك أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تحب أن تأخذ كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فوجد التمر قد أخذ منه ملاء كف ودخل يوما آخر فإذا قد أخذ منه ملاء كف ثم دخل بن عبد الله بن عمرو بن الصغار حدثنا أحمد بن زهير بن حرب أنبأنا مسلم بن إبراهيم أنبأنا إسماعيل بن مسلم العبدي أنبأنا أبو المتوكل الناجي أن أبا هريرة عن عثمان بن الهيثم فذكره وقد روي من وجه آخر عن أبي هريرة بسياق آخر قريب من هذا فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره: حدثنا محمد تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة قلت لا قال: ذاك شيطان كذا رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من فخليت سبيله قال: ما هي؟ قال: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تخطم الآية الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال لي لن يزال فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تخطم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله بها وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت وما هي؟ قال:

تفسير ابن كثير

هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكاً حاجة وعيلاً فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني فأني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته وخلت سبيله فأصاحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيلاً فرحمته وخلت سبيله قال أما إنه الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني فأني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخلت عنه فأصاحت أبو عمرو حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من في الليل. وقد ذكر البخاري هذه القصة عن أبي هريرة فقال في كتاب فضائل القرآن وفي كتاب الوكالة وفي صفة إبليس من صحيحة قال عثمان بن الهيثم فقال صدقت وهي كذوب ورواه الترمذي في فضائل القرآن عن بندار عن أبي أحمد الزبيري به وقال حسن غريب والغول في لغة العرب: الجان إذا تبدى أخذتها فتقول لا أعود فيقول إنها عائدة فأخذتها فقالت أرسلني وأعلمك شيئاً تقوله فلا يقربك شيء: آية الكرسي فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره إني لا أعود فأرسلتها فقال: إنها عائدة فأخذتها مرتين أو ثلاثاً كل ذلك تقول لا أعود وأجىء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول ما فعل أسيرك فأقول أجيبني رسول الله قال فجاءت فقال لها فأخذها فقالت إني لا أعود فأرسلها فجاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك؟ قال أخذتها فقالت: بن أبي ليلى عن أبي أيوب أنه كان في سهوة له وكانت الغول تجيء فتأخذ فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال فإذا رأيتهما فقل باسم الله النسائي حديث آخر عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عبدالرحمن ثلاثمائة وبضعة عشر جملاً غفيراً وقال مرة وخمسة عشر قلت يا رسول الله أي ما أنزل عليك أعظم؟ قال آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم ورواه من مقل أو سر إلى فقير قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال آدم قلت يا رسول الله ونبي كان؟ قال نعم نبي مكلم قلت يا رسول الله كم المرسلون قال قلت يا رسول الله فالصوم؟ قال فرض مجزئ وعند الله مزيد قلت يا رسول الله فالصدقة؟ قال أضعاف مضاعفة قلت يا رسول الله فأيهما أفضل؟ قال جهد شياطين الإنس والجن قال: قلت يا رسول الله أول الإنس شياطين؟ قال نعم قال: قلت يا رسول الله الصلاة قال خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر قال: الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلست فقال يا أبا ذر هل صليت؟ قلت لا قال قم فصل قال فقممت فصليت ثم جلست فقال يا أبا ذر تعوذ بالله من شر الإمام أحمد: حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا المسعودي أنبأني أبو عمر الدمشقي عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى جاء نصر الله؟ قال بلى. قال ربع القرآن قال أليس معك آية الكرسي الله لا إله إلا هو؟ قال بلى قال ربع القرآن. حديث آخر عن أبي ذر جندب بن جنادة قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون؟ قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا الله صلى الله عليه وسلم سأل رجلاً من صحابته فقال أي فلان هل تزوجت؟ قال: لا وليس عندي ما أتزوج به قال أو ليس معك: قل هو الله أحد؟ قال ولا نوم حتى انقضت الآية. حديث آخر عن أنس قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالله بن الحارث حدثني سلمة بن وردان أن أنس بن مالك حدثه أن رسول وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان: أي آية في القرآن أعظم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج أخبرني عمر بن عطاء أن مولى ابن الأسقع رجل صدق أخبره عن الأسقع البكري أنه سمعه يقول إن النبي صلى الله عليه وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر حديث آخر عن الأسقع البكري قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أبو يزيد القراطيسي حدثنا يعقوب بن أبي عباد المكي أعظم فقال رجل الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين كتفي أو قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين كتفي الله عليه وسلم يحدث الناس حتى يكثر عليه فيصعد على سطح بيت فيحدث الناس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي آية في القرآن ولم يخرجاه طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عثمان بن عتاب قال: سمعت أبا السليل قال: كان رجل من أصحاب النبي صلى داود الطيالسي عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرمي بن لاحق عن محمد بن عمرو بن أبي بن كعب عن جده به وقال الحاكم صحيح الإسناد قال: هذه الآية آية الكرسي ثم غدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم فإذ يدك كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلق الجن؟ قال لقد علمت الجن أخبره أنه كان له جرن فيه تمر قال: فكان أبي يتعاهده فوجده ينقص قال فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبيهة الغلام المحتلم قال: فسلمت عليه فرد السلام يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ميسرة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبيدة بن أبي لبابة عن عبدالله بن أبي بن كعب أن أباه عن عبدالأعلى بن عبدالأعلى عن الجريري به وليس عنده زيادة والذي نفسي بيده إلخ. حديث آخر عن أبي أيضاً في فضل آية الكرسي قال الحافظ أبو قال: آية الكرسي قال ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وقد رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شعبة السليل عن عبدالله بن رباح عن أبي هو ابن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله أي آية في كتاب الله أعظم قال: الله ورسوله أعلم فرددها مراراً ثم صح الحديث عن رسول صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا سفيان عن سعيد الجريري عن أبي هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم قد

الأشيب كلاهما عن حماد بن سلمة به نحوه وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر الفزاري به. 256

تفسير ابن كثير

من أهل الجنة. قال: وإذا هو عبدالله بن سلام وهكذا رواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عفان وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن الحسن بن موسى يمينك فطريق أهل الجنة وأما الجبل الزلق فمَنْزِل الشهداء وأما العروة التي استمسكت بها فعروة الإسلام فاستمسك بها حتى تموت قال فإنما أرجو أن أكون وسلم فقال خيرا أما المنهج العظيم فالمحشر وأما الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار ولست من أهلها وأما الطريق التي عرضت عن ذهب فأخذ بيدي فدحا بي حتى أخذت بالعروة فقال: استمسك فقلت نعم فضرب العمود برجله فاستمسك بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله لي طريق عن يميني فسلكتها حتى انتهت إلى جبل زلق فأخذ بيدي فدحا بي فإذا أنا على ذروته فلم أتقار ولم أتماسك فإذا عمود حديد في ذروته حلقة من رؤيا كأن رجلا أتاني فقال انطلق فذهبت معه فسلك بي منهجا عظيما فعرضت لي طريق عن يساري فأردت أن أسلكها فقال: إنك لست من أهلها ثم عرضت فقام خلف سارية فصلى ركعتين فقلت له: قال بعض القوم كذا وكذا فقال: الجنة لله يدخلها من يشاء وإنني رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مشيخة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء شيخ يتوكأ على عصا له فقال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا الإمام أحمد: أنبأنا حسن بن موسى وعثمان قالا: أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن المسيب بن رافع عن خرشة بن الحر قال: قدمت المدينة فجلست سلام أخرجه في الصحيحين من حديث عبدالله بن عون فقمت إليه وأخرجه البخاري من وجه آخر عن محمد بن سيرين به. طريق أخرى وسياق آخر قال فقصصتها عليه فقال أما الروضة فروضة الإسلام وأما العمود فعمود الإسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى أنت على الإسلام حتى تموت قال وهو عبدالله بن فرقع ثيابي من خلفي فقال اصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال استمسك بالعروة فاستيقظت وإنها لفي يدي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة فليل لي اصعد عليه فقلت لا أستطيع فجاءني منصف قال ابن عون هو الوصيف رأيت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقصصتها عليه رأيت كأني في روضة خضراء قال ابن عون فذكر من خضرتها وسعتها وفي فدخلت معه فحدثته فلما استأنس قلت له إن القوم لما دخلت المسجد قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم: إنني قال: كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع فصلى ركعتين أوجز فيهما فقال القوم هذا رجل من أهل الجنة فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله انفصام لها ثم قرأ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقال الإمام أحمد: أنبأنا إسحق بن يوسف حدثنا ابن عوف عن محمد بن قيس بن عبادة صحيحة ولا تنافي بينها وقال معاذ بن جبل في قوله لا انفصام لها دون دخول الجنة وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة فقد استمسك بالعروة الوثقى لا جبيرة والضاحك: يعني لا إله إلا الله وعن أنس بن مالك العروة الوثقى القرآن وعن سالم بن أبي الجعد قال هو الحب في الله والبغض في الله وكل هذه الأقوال قوي شديد ولهذا قال فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها الآية قال مجاهد: العروة الوثقى يعني الإيمان وقال السدي: هو الإسلام وقال سعيد بن بالعروة الوثقى لا انفصام لها أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوله في الطاغوت إنه الشيطان قوي جدا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها. وقوله فقد استمسك خلقه وإن كان فارسيا أو نبطيا وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي إسحق عن حسان بن قائد العبسي عن عمر فذكره ومعنى الجبت السحر والطاغوت الشيطان وإن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من أمه وإن كرم الرجل دينه وحسبه القاسم البغوي: حدثنا أبو روح البلدي حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم عن أبي إسحق عن حسان بن قائد العبسي قال: قال عمر رضي الله عنه إن ووجد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو فقد استمسك بالعروة الوثقى أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراف المستقيم قال أبو بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم أي من خلعت الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله إليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارهة فقال له أسلم وإن كنت كارهها فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص. وقوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن قال إنني أجدني كارهها قال وإن كنت كارهها فإنه ثلاثي صحيح ولكن ليس من هذا القبيل فإنه لم يكرهه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام بل دعاه فيكونوا من أهل الجنة فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل أسلم إلى الجنة في السلاسل يعني الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وفي الصحيح عجب ربك من قوم يقادون معنى لا إكراه قال الله تعالى ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون وقال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبى أحد منهم الدخول ولم ينقذ له أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال لعمر بن الخطاب فكان يعرض علي الإسلام فأبى فيقول لا إكراه في الدين ويقول يا أسبق لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين وقد ذهب في آثارهما فنزلت هذه الآية وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أسبق قال: كنت في دينهم مملوكا نصرانيا أيدي تجار قدموا من الشام يحملون زيبيا فلما عزموا على الذهاب معهم أراد أبوهما أن يستكرههما وطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك رواه ابن جرير وروى السدي نحو ذلك وزاد وكانا قد تنصرا على عباس قوله لا إكراه في الدين قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصيني كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال والحسن البصري وغيرهم أنها نزلت في ذلك وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد الجرشى عن زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن

تفسير ابن كثير

بندار به ومن وجوه أخر عن شعبة به نحوه وقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه من حديث شعبة به وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وقد رواه أبو داود والنسائي جميعا عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير في الدين مكرها مقسورا وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار وإن كان حكمها عاما وقال ابن جرير: حدثنا ابن يسار حدثنا ابن أبي عدي على الدخول فيه بل من هداة الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينه ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول يقول تعالى لا إكراه في الدين أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي لدلله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد

آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. 257 أو قال تبعث أهل الفتن فمن كان هواه الإيمان كانت فتنته بيضاء مضيئة ومن كان هواه الكفر كانت فتنته سوداء مظلمة ثم قرأ هذه الآية الله ولي الذين وتشعبه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن ميسرة حدثنا عبد العزيز بن أبي عثمان عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد قال: يبعث أهل الأهواء تعالى وجعل الظلمات والنور وقال تعالى عن اليمين وعن الشمال إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق وانتشار الباطل وتفرد الكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وقال ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. ولهذا وحده تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لأن الحق واحد والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر

واحدة منها في منخري الملك فمكثت في منخري الملك أربعمئة سنة عذبه الله بها فكان يضرب برأسه بالمرابز في هذه المدة حتى أهلكه الله بها. 258 وقت طلوع الشمس وأرسل الله عليهم بابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركهم عظاما بادية ودخلت ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ثم دعاه الثانية فأبى ثم الثالثة فأبى وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي فجمع النمرود جيشه وجنوده فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه فقال: أنى لكم هذا؟ قالت: من الذي جئت به فعلم أنه رزق رزقهم الله عز وجل قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلى وقال أشغل أهلي عني إذا قدمت عليهم فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكا فنام فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملأين طعاما طيبا فعملت طعاما هذه المناظرة ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام فلما قرب من أهله عمد إلى كتيب من التراب فملأ منه عليه وروى عبدالرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أن النمرود كان عنده طعام وكان الناس يغدون إليه للميرة فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة فكان بينهما وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونمرود بعد خروج إبراهيم من النار ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة منه ومنهم من قد يطلق عبارة ترديه وليس كما قالوه بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ويبين بطلان ما ادعاه نمرود في الأول والثاني ولله الحمد والمنة عذاب شديد وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح فلا يتكلم وقامت عليه الحجة قال الله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يلهيهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم من المشرق فإن كنت إلها كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي أخرج من كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم فرعون في قوله ما علمت لكم من إله غيري ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب أي إذا ولا في معناه لأنه مانع لوجود الصانع وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت كما اقتدى به القتل فأمر بقتل أحدهما فيقتل وأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الإحياء والإماتة والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم لا شريك له. فعند ذلك قال المحاج وهو النمرود أنا أحيي وأميت قال قتادة ومحمد بن إسحق والسدي وغير واحد وذلك أني أوتي بالرجلين قد استحقا وعدمها بعد وجودها وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها الغليظ والمعادنة الشديدة إلا تجبره وطول مدته في الملك وذلك أنه يقال أنه مكث أربعمئة سنة في ملكه ولهذا قال أن أتاه الله الملك وكان طلب من إبراهيم في ربه أي وجود ربه وذلك أنه أنكر أن يكون إله غيره كما قال بعده فرعون لملئه ما علمت لكم من إله غيري وما حمله على هذا الطغيان والكفر مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران نمرود وبختنصر والله أعلم ومعنى قوله ألم تر أي بقلبك يا محمد إلى الذي حاج سام بن نوح ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول قول مجاهد وغيره: قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: هذا الذي حاج إبراهيم في ربه وهو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن

كله قال أعلم أن الله على كل شيء قدير أي أنا عالم بهذا وقد رأيته عيانا فأنا أعلم أهل زماني بذلك وقرأ آخرون قال أعلم على أنه أمر له بالعلم. 259 الله لحما وعصبا وعروقا وجلدا وبعث الله ملكا فنفخ في منخري الحمار فنهق كله بأذن الله عز وجل وذلك كله بمرأى من العزيز فعند ذلك لما تبين له هذا تلوح من بياضها فبعث الله ريحا فجمعتها من كل موضع من تلك المحلة ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حمارا قائما من عظام لا لحم عليها ثم كساها

تفسير ابن كثير

الإسناد ولم يخرجاه وقرئ ننشرها أي نحبيها قاله مجاهد ثم نكسوها لحما وقال السدي وغيره تفرقت عظام حمارة حوله يمينا ويسارا فنظر إليها وهي بن أبي نعيم عن إسماعيل بن حكيم عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ كيف ننشرها بالزاي ثم قال صحيح آية للناس أي دليلا على المعاد وانظر إلى العظام كيف ننشرها أي نرفعها فيركب بعضها على بعض وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث نافع تقدم لم يتغير منه شيء لا العصير استحال ولا التين حمض ولا أتنن ولا العنب نقص وانظر إلى حمارة أي كيف يحبيه الله عز وجل وأنت تنظر ولنجعلك شمس ذلك اليوم فقال أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما قال الله له أي بواسطة الملك كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله في آخر النهار فلما رأى الشمس باقية ظن أنها وتراجع بنو إسرائيل إليها فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه فلما استقل سوبا وبعدها عن العودة إلى ما كانت عليه قال الله تعالى فأما الله مائة عام ثم بعثه قال وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وجدرانها على عرصاتها فوقف متفكرا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة وقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها وهي خاوية أي ليس فيها أحد من قولهم خوت الدار تخوي خويا. وقوله على عروشها أي ساقطة سقوفها الشام يقول إن الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه اسمه حزقيال بن بوار وقال مجاهد بن جبر هو رجل من بني إسرائيل وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس السلام وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال سمعت سليمان بن محمد اليساري الجاري من أهل الجاري ابن عم مطرف قال سمعت سلمان يقول إن رجلا من أهل هو المشهور وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد هو أرميا بن حلقيا قال محمد بن إسحاق عمن لا يهتم عن وهب بن منبه أنه قال: وهو اسم الخضر عليه أنه قال: هو عزيز ورواه ابن جرير عن ناجية نفسه وحكاها ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بريدة وهذا القول في هذا المار من هو فروى ابن أبي حاتم عن عصام بن داود عن آدم بن أبي إياس عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب في ربه وهو في قوة قوله هل رأيت مثل الذي حاج إبراهيم في ربه ولهذا عطف عليه بقوله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها اختلفوا تقدم قوله تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي عن إسحاق بن سليمان عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن سعد يضل به كثيرا يعني الخوارج. 26 عن ابن عباس وما يضل به إلا الفاسقين قال يقول يعرفه الكافرون فيكفرون به. وقال قتادة وما يضل به إلا الفاسقين فسقوا فأضلهم الله على فسقهم. يضل به إلا الفاسقين قال هم المنافقون وقال أبو العالية وما يضل به إلا الفاسقين قال هم أهل النفاق. وكذا قال ربع بن أنس وقال ابن جريج عن مجاهد فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيماننا إلى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا أنه موافق لما ضربه الله له مثلا وإقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به وما حقا يقينا من المثل الذي ضربه الله بما ضرب لهم وأنه لما ضرب له موافق فذلك إضلال الله إياهم به ويهدي به يعني المثل كثيرا من أهل الإيمان والتصديق مسعود وعن ناس من الصحابة يضل به كثيرا يعني به المنافقين ويهدي به كثيرا يعني به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه قال هاهنا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وكذلك وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماننا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب أبو العالية فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم يعني هذا المثل وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا كما قال في سورة المدثر قتادة فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أي يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه من عند الله وروى عن مجاهد والحسن والربيع بن أنس نحو ذلك وقال إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق من ربهم ويهديهم الله بها. وقال السلف إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيه على نفسي لأن الله قال وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال مجاهد في قوله تعالى وقال ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآية. وقال وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وفي القرآن أمثال كثيرة. قال بعض يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل الآية كما قال ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم الآية. وقال تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الآية ثم قال وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال مثل والصغر كالبعوضة كما لا يستنكف عن خلقها كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله يا أيها الناس ضرب مثل وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فأخبر أنه لا يستصغر شيئا يضرب به مثلا ولو كان في الحقارة أحقر ولا أصغر من البعوضة وهذا قول قتادة ابن دعامه واختيار ابن جرير فإنه يؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وأكثر المحققين. وفي الحديث لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء والثاني فما فوقها لما هو أكبر منها لأنه ليس شيء

تفسير ابن كثير

في الصغر والحقارة كما إذا وصف لك رجل باللؤم والشح فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك يعني فيما وصفت وهذا قول الكسائي وأبي عبيد قاله الرازي أحسن أي على الذي هو أحسن. وحكى سيبويه: ما أنا بالذي قائل لك شيئا. أي بالذي هو قائل لك شيئا وقوله تعالى فما فوقها فيه قولان أحدهما فما دونها وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء وقرأ الضحاك وإبراهيم بن عتبة بعوضة بالرفع قال ابن جني وتكون صلة لما وحذف العائد كما في قوله تماما على الذي من غيرنا حب النبي محمد إيانا قال ويجوز أن تكون بعوضة منصوبة بحذف الجار وتقدير الكلام إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بين بعوضة إلي ما فوقها قال: وذلك سائغ في كلام العرب أنهم يعربون صلة ما ومن بإعرابهما لأنهما يكونان معرفة تارة ونكرة أخرى كما قال حسان بن ثابت: يكفي بنا فضلا على منصوبة على البذل كما تقول لأضربن ضربا ما فيصدق بأدنى شيء أو تكون ما نكرة موصوفة ببعوضة واختار ابن جرير أن ما موصولة وبعوضة معربة بإعرابها أنه تعالى أخبر أنه لا يستحي أي لا يستنكف وقيل لا يخشى أن يضرب مثلا ما أي مثل كان بأي شيء كان صغيرا كان أو كبيرا وما هاهنا للتقليل وتكون بعوضة بن أنس عن أبي العالية بنحوه فالحق أعلم فهذا اختلافهم في سبب النزول. وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لأنه أمس بالسورة وهو مناسب ومعني الآية أخذهم الله عند ذلك ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء هكذا رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر عن الربيع هذا مثل ضربه الله للدين أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا ربا عن قتادة: وقال ابن أبي حاتم: روي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي وقاتدة. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال: الأولى عن قتادة فيها إشعار أن هذه الآية مكية وليس كذلك وعبرة رواية سعيد عن قتادة أقرب والله أعلم. وروى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قلت: العبارة الله إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قال الله لا يستحي من الحق أن يذكر شيئا مما قل أو كثر وإن الله حين تعالى هم الخاسرون وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الذي استوقد نارا وقوله أو كصيب من السماء الآيات الثلاث قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله هذه الآية إلى قوله أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله هذين المثليين للمنافقين يعني قوله تعالى مثلهم كمثل قال السدي في تفسيره عن

بن الأحزم بن إبراهيم بن عبدالله السعدي عن بشر بن عمر الزهراني عن عبد العزيز بن أبي سلمة بإسناده مثله ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. 260 فرضي من إبراهيم قوله بلى قال فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس به الشيطان وهكذا رواه الحاكم في المستدرک عن أبي عبدالله محمد بن يعقوب على أنفسهم لا تقتنطوا الآية فقال ابن عباس: لكن أنا أقول قول الله عز وجل وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى عمرو بن العاص فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال عبدالله بن عمرو: قول الله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا حاتم: أخبرنا أبي حدثنا عبدالله بن صالح كاتب الليث حدثني محمد بن أبي سلمة عن عمرو حدثني ابن المنكر أنه قال: التقى عبدالله بن عباس وعبدالله بن أما إن كنت تقول هذا فأنا أقول أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وقال ابن أبي فقال عبدالله بن عمرو قول الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا الآية فقال ابن عباس قال: اتفق عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص أن يجتمعا قال: ونحن شبهة فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى عندك لهذه الأمة آية أرجى عندي منها وقال ابن جرير: حدثني محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب لكل شيء حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر عن أيوب في قوله ولكن ليطمئن قلبي قال: قال ابن عباس: ما في القرآن تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته ولهذا قال واعلم أن الله عز وجل لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء وما شاء كان بلا ممانع لأنه القاهر سعيًا ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها وجعل كل طائر بجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام فإذا قدم له غير رأسه يأباه فإذا قدم إليه رأسه ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى اللحم وإلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على جده وأتينه يمشين كل جبل منهن جزءا قليل أربعة أجبل وقليل سبعة قال ابن عباس: وأخذ رءوسهن بيده ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل على كل جبل منهن جزءا فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن ورتف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل على وأبو مالك وأبو الأسود الدؤلي ووهب ابن منبه والحسن والسدي وغيرهم وقال العوفي عن ابن عباس فصرهن إليك أوثقهن فلما أوثقهن ذبحهن ثم جعل النعام وديكا وطاوسا وقال: مجاهد وعكرمة كانت حمامة وديكا وطاوسا وغرابا وقوله فصرهن إليك أي وقطعهن قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير تعيينها إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن فروي عن ابن عباس أنه قال هي الغرنوق والطاوس والديك والحمامة وعنه أيضا أنه أخذ وزا ورألا وهو فرخ وقد أجيب عن هذا الحديث بأجوبة أحدها. وقوله قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي وإن كان لا طائل تحت قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن وهب به فليس المراد ههنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده بلا خلاف وسعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فأما الحديث الذي رواه البخاري عند هذه الآية حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة ربي الذي يحيي ويميت أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن

ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسبابا منها أنه لما قال لنمرود

يشاء أي بحسب إخلاصه في عمله والله واسع عليم أي فضله واسع كثير أكثر من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق سبحانه وبحمده. 261
عن أبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز المقرئ عن أبي إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر فذكره وقوله ههنا والله يضاعف لمن
قرضا حسنا قال رب زد أمتي قال فأنزل الله إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقد رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه عن حاجب بن أركين
عمر لما نزلت هذه الآية مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد أمتي قال فأنزل الله من ذا الذي يقرض الله
عبدالله بن عبيد الله بن العسكري البزار أخبرنا الحسن بن علي بن شبيب أخبرنا محمود بن خالد الدمشقي أخبرنا أبي عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن
تضعيف الحسنة إلى ألفي ألف حسنة عند قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة الآية. حديث آخر قال ابن مردويه: حدثنا
ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء وهذا حديث غريب وقد تقدم حديث أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة في
الله عليه وآله وسلم قال من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم يوم القيامة ومن غزا في سبيل الله وأنفق في جهة
ابن أبي حاتم: أنبأنا أبي حدثنا هارون بن عبدالله بن مروان حدثنا ابن أبي فديك عن الخليل بن عبدالله عن الحسن بن عمران بن حصين أن رسول الله صلى
عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف. حديث آخر قال
حديث آخر قال أبو داود أنبأنا محمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن يحيى بن أيوب وسعيد بن أبي أيوب عن زبائن بن فائد عن سهل بن معاذ
زائدة عن الدكين عن بشر بن عَميلة عن حريم بن وائل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعفت بسبعمائة ضعف.
الصوم جنة الصوم جنة. وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي سعيد الأشج كلاهما عن وكيع به. حديث آخر قال أحمد حدثنا حسين بن علي عن
فإنه لي وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلي وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله يقول الله إلا الصوم
إفطاره وفرحة يوم القيامة ولخلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. حديث آخر قال أحمد أخبرنا وكيع أخبرنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي
الله صلى الله عليه وسلم إن الله جعل حسنة ابن آدم إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم والصوم لي وأنا أجزى به وللصائم فرحتان فرحة عند
ناقة. حديث آخر قال أحمد حدثنا عمرو بن مجمع أبو المنذر الكندي أخبرنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول
من حديث سليمان بن مهران عن الأعمش به ولفظ مسلم جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال لك بها يوم القيامة سبعمائة
مسعود أن رجلا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة ورواه مسلم والنسائي
من حديث واصل به ومن وجه آخر موقوفا. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان سمعت أبا عمرو الشيباني عن ابن
مريضا أو ما زأى فالحسنة بعشر أمثالها والصوم جنة ما لم يخرقها ومن ابتلاه الله عز وجل ببلاء في جسده فهو له حطة وقد روى النسائي في الصوم بعضه
أعجبنا ما قلت فنسألك عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فسبعمائة ومن أنفق على نفسه وأهله أو عاد
أبو عبيدة؟ قالت: والله لقد بات بأجر قال أبو عبيدة ما بت بأجر وكان مقبلا بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه وقال ألا تسألوني عما قلت؟ قالوا ما
عن بشار بن أبي سيف الجرمي عن عياض بن غطفان قال: دخلنا على أبي عبيدة نعوذ من شكوى أصابه بجنبه وامراته نحيفة قاعدة عند رأسه قلنا كيف بات
بذره في الأرض الطيبة وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف قال الإمام أحمد: حدثنا زياد بن الربيع أبو خدّاش حدثنا واصل مولى ابن عيينة
مائة حبة وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن
بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف ولهذا قال الله تعالى كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة
في سبيل الله قال سعيد بن جبيرة يعني في طاعة الله وقال مكحول يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك وقال شبيب
ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته وإن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فقال مثل الذين ينفقون أموالهم
هذا مثل

ولا هم يحزنون أي على ما خلفوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك. 262
الجزاء الجزيل على ذلك فقال لهم أجرهم عند ربهم أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه ولا خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة
على أحد ولا يمتنون به لا بقول ولا فعل. وقوله ولا أذى أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحيطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى
يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منا على من أعطوه فلا يمتنون

عباس ورواه النسائي من حديث عبد الكريم بن مالك الحوري عن مجاهد قوله وقد روي عن مجاهد عن أبي سعيد وعن مجاهد عن أبي هريرة نحوه. 263
ولا عاق لوالديه ولا منان وقد رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن المنهال عن محمد بن عبدالله بن عصار الموصلي عن عتاب عن خفيف عن مجاهد عن ابن
عن عمه روح بن عباد عن عتاب بن بشير عن خفيف الجراحي عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة مدمن خمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى وقد روى النسائي عن مالك بن سعد
نحوه ثم روى ابن مردويه وابن حبان والحاكم في مستدركه والنسائي من حديث عبدالله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: قال

تفسير ابن كثير

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر. وروى أحمد وابن ماجه من حديث يونس بن ميسرة بن عثمان بن يحيى أخبرنا عثمان بن محمد الدوري أخبرنا هشيم بن خارجة أخبرنا سليمان بن عتبة عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن أبي الدرداء الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد صحيح مسلم من حديث شعبة عن الأعمش عن سليمان بن مسهر عن خرشة بن الحر عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم خير من صدقة يتبعها أذى والله غني عن خلقه حليم أي يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المن في الصدقة ففي عن عمرو بن دينار قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف ألم تسمع قوله قول معروف ومغفرة أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي خير من صدقة يتبعها أذى قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل قال: قرأت على معقل بن عبد الله ثم قال تعالى قول معروف أي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم ومغفرة

تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين. 264 المطر الشديد فتركه صلباً أي فترك الوابل ذلك الصفوان صلباً أي أملس يابساً أي لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أي وكذلك أعمال المرائين فقال فمثله كمثل صفوان وهو جمع صفوانة فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفرداً. أيضاً وهو الصفا وهو الصخر الأملس عليه تراب فأصابه وابل هو ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قال ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه قال الضحاك: والذي يتبع نفقته منا أو أذى وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى والأذى ثم قال تعالى كالذي ينفق ماله رياء الناس أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى كما تبطل صدقة من رأى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المال والأذى فما بقي ثواب الصدقة بخطينة المن ابن عباس ورواه النسائي من حديث عبد الكريم بن مالك الحوري عن مجاهد قوله وقد روي عن مجاهد عن أبي سعيد وعن مجاهد عن أبي هريرة نحوه ولهذا خمر ولا عاق لوالديه ولا منان وقد رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن المنهال عن محمد بن عبد الله بن عصار الموصلي عن عتاب عن خصيف عن مجاهد عن سعد عن عمه روح بن عباد عن عتاب بن بشير عن خصيف الجراحي عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة مدمن وقد روى النسائي عن مالك بن

عمل المؤمن لا يبور أبداً بل يتقبله الله ويكثره وينميهِ كل عامل بحسبه ولهذا قال والله بما تعملون بصير أي لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء. 265 وابل فطل قال الضحاك هو الرذاذ وهو اللين من المطر أي هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيا ما كان فهو كفايتها وكذلك أنها قراءة ابن عباس. وقوله أصابها وابل وهو المطر الشديد كما تقدم فأتت أكلها أي ثمرتها ضعفين أي بالنسبة إلى غيرها من الجنان فإن لم يصبها هن ثلاث قراءات بضم الراء وبما قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهي قراءة بعض أهل الشام والكوفة ويقال إنها لغة تميم وكسر الراء ويذكر كمثل بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع من الأرض وزاد ابن عباس والضحاك وتجري فيه الأنهار قال ابن جرير رحمه الله: وفي الربوة ثلاث لغات تصديقا ويقينا وكذا قال قتادة وأبو صالح وابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد والحسن أي يتثبتون أين يضعون صدقاتهم. وقوله كمثل جنة بربوة أي الحديث الصحيح المتفق على صحته من صام رمضان إيماناً واحتساباً أي يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه قال الشعبي: وتثبتت من أنفسهم أي الله عنهم في ذلك وتثبتت من أنفسهم أي وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ونظير هذا في المعنى قوله عليه السلام في وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات

تتفكرون أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. 266 صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني وانقضاء عمري ولهذا قال تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه حرم هذا جنته عندما كان أفقر ما كان إليها عند كره وضعف ذريته وهكذا روى الحاكم في مستدركه أن رسول الله يكون يوم القيامة إذ رد إلى الله عز وجل ليس له خير فيستعجب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجده قدم لنفسه خيراً يعود عليه كما لم يغن عن ضعاف عند آخر عمره فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر قال أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعنان تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات يقول ضيعة في شبيبته وأصابه الكبر وولده وذريته أي أحرق ثمارها وأباد أشجارها فأى حال يكون حاله؟ وقد روى ابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: ضرب الله مثلاً حسناً وكل أمثاله حسن فلم يحصل منه شيء وخانه أحوج ما كان إليه ولهذا قال تعالى وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار وهو الريح الشديد فيه نار فاحترقت انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياداً بالله من ذلك فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال جريح فذكره وهو من أفراد البخاري رحمه الله وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ثم بعد ذلك بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله ثم رواه البخاري عن الحسن بن محمد الزعفراني عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن المؤمنين فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس رضي الله عنهما ضربت مثلاً بعمل قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس لرجل غني يعمل نزلت؟ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعنان قالوا: الله أعلم فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير

تفسير ابن كثير

وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس له أضعافاً كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه. 267

خلقه فقراء إليه وهو واسع الفضل لا ينقذ ما لديه فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريم جواد وسيجزيه بها ويضاعفها منها فهو غني عنها وما ذاك إلا أن يساوي الغني الفقير كقوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو غني عن جميع خلقه وجميع ثم روى من طريق العوفي وغيره عن ابن عباس نحو ذلك وكذا ذكره غير واحد. وقوله واعلموا أن الله غني حميد أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب لي ما لا ترضون لأنفسكم وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه؟ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد وهو قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فيه يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حَقِّكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه قال فذلك قوله إلا أن تغمضوا فيه فكيف ترضون لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه؟ رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا الله ألا أطعمه المسكين؟ قال لا تطعموهم مما لا تأكلون وقال الثوري: عن السدي عن أبي مالك عن البراء ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه يقول لو كان بضب فلم يأكله ولم يته عنه قلت: يا رسول الله نطعمه المساكين قال لا تطعموهم مما لا تأكلون ثم رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به فقلت يا رسول الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن حماد هو ابن سليمان عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بن مغفل في هذه الآية ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال كسب المسلم لا يكون خبيثاً ولكن لا يصدق بالحشف والدرهم الزيف وما لا خير فيه وقال عن أبيه فذكر نحوه وكذا رواه ابن وهب عن عبد الجليل وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله عن الجعور ولون الحبيق أن يؤخذ في الصدقة وقد روى النسائي هذا الحديث من طريق عبد الجليل بن حميد اليحصبي عن الزهري عن أبي أمامة ولم يقل أبو داود من حديث سفيان بن حسين عن الزهري ثم قال أسنده أبو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهري ولفظه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لونين من التمر الجعور والحبيق وكان الناس يتييمون شرار ثمارهم ثم يخرجونها في الصدقة فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ورواه ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا سليمان بن كثير عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إسرائيل عن السدي وهو إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبي مالك الغفاري واسمه غزوان عن البراء فذكر نحوه ثم قال وهذا حديث حسن غريب وقال على إغماض وحياء فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده وكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عبيد الله هو ابن موسى العبسي فيأتي بالقنو قد انكسر فيعلقه فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه قال لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعضاه فسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس منه لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشبص إلا أن تغمضوا فيه قال: نزلت فينا كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقتله فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن البراء رضي الله عنه ولا تيمموا الخبيث منهم تنفقون ولستم بأخذه والحاكم في مستدركه من طريق السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بنحوه وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وقال ابن أبي حاتم: إلى الحشف فيدخله مع قناء البسر يظن أن ذلك جائز فأُنزل الله فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ثم رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه من حيطانها البسر فعلقوه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعتمد الرجل منهم طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الآية قال: نزلت في الأنصار كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت بن عمر العبقرى حدثني أبي عن أسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قول الله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث. والصحيح القول الأول قال ابن جرير رحمه الله: حدثنا الحسين بوائقه يا نبي الله؟ قال: غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينقق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا: وما بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم لأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا الحرام فتجعلوا نفقتكم منه ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا إسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله إلا أن تتفاضوا فيه فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون وقيل معناه ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون أي لا تعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ولهذا قال ولا تيمموا الخبيث أي تقصدوا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه أي لو أعطيتكموه ما أخذتموه والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض قال ابن عباس أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق بزدالة المال ودينه عباس من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها قال مجاهد: يعني التجارة بتيسيره إياها لهم وقال علي والسدي من طيبات ما كسبتم يعني الذهب يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة ههنا قاله ابن

والله يعدكم مغفرة منه أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء وفضلاً أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر والله واسع عليم. 268

فلا تنفقوه في مرضاة الله ويأمركم بالفحشاء أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق يأمركم بالمعاصي والمأثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى

تفسير ابن كثير

أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن ابن مسعود فجعله من قوله والله أعلم ومعنى قوله تعالى الشيطان يعدكم أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم كذا قال: وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب عن أبيه في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن هناد به وقال الترمذي: حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص يعني سلام بن سليم لا نعرفه مرفوعا إلا من حديثه بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا الآية وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعا عن هناد بن السري وأخرجه ابن حبان فإبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتنعز من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة بآدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد الله

عن إسماعيل بن أبي خالد به وقوله وما يذكر إلا أولو الأبواب أي وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعني به الخطاب ومعنى الكلام. 269 آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة يعني ابن أبي خالد عن قيس وهو ابن أبي حازم عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا حسد إلا في اثنتين رجل رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمر وقوله وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ويزيد قال: حدثنا إسماعيل أخص ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الأحاديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه هذا فالحكمة الفقه في دين الله وقال السدي: الحكمة النبوة والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتاه الله إياه ويحرمه ابن وهب عن مالك قال زيد بن أسلم: الحكمة العقل قال مالك: وإنه يقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته مرفوعا رأس الحكمة مخافة الله وقال أبو العالية في رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعي: الحكمة الفهم وقال أبو مالك: الحكمة السنة وقال العالية: الحكمة خشية الله فإن خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه عن طريق بقة عن عثمان بن زفر الجهني عن أبي عمار الأسدي عن ابن مسعود عن مجاهد يعني بالحكمة الإصابة في القول وقال: ليث بن أبي سليم عن مجاهد يؤتي الحكمة من يشاء ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو وروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا الحكمة القرآن يعني تفسيره قال ابن عباس فإنه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبي نجيح من يشاء قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وقوله يؤتي الحكمة

أحوج ما كانوا إلى رحمته يقال منه خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا كما قال جرير بن عطية: إن سليطا في الخسار أنه أولاد قوم خلقوا أفنه 27 من رحمته كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة الإسلام فإنما يعني به الذنب. وقال ابن جرير في قوله تعالى أولئك هم الخاسرون جمع خاسر وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال الضحاك عن ابن عباس كل شيء نسبته الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر فإنما يعني به الكفر وما نسبته إلى أهل ذلك فكل ما أمر الله بوصله وفعله فقطعوه وتركوه. وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى أولئك هم الخاسرون قال في الآخرة وهذا كما قال تعالى أولئك الأرحام والقرابات كما فسره قتادة كقوله تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ورجحه ابن جرير وقيل المراد أعم من عهد الله من بعد ميثاقه قال هو ما عهد إليهم في القرآن فأفروا به ثم كفروا فتنقضوه. وقوله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل قيل المراد به صلة الثلاث إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا أؤتمنوا خانوا. وكذا قال الربيع بن أنس أيضا وقال السدي في تفسيره بإسناده قوله تعالى الذين ينقضون أخلفوا وإذا أؤتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال إلى قوله أولئك هم الخاسرون قال هي ست خصال من المنافقين إذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا حكى هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا الآيتين. ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وهكذا روي عن مقاتل بن حيان أيضا أوف بعهدكم وقال آخرون العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذ عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله وإذا أخذ ربك من بني به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى إذا أخذ الميثاق عليهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدي أيضا نحو هذا وهو حسن وإليه مال الزمخشري فإنه قال فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم على صدقهم قالوا ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبين لهم صحتهم بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق. وروي عن مقاتل بن حيان لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثله الشاهدة لهم ابن جرير رحمه الله وهو قول مقاتل بن حيان. وقال آخرون بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع علم ذلك عن الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا. وهذا اختيار محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك وكتمانهم

تفسير ابن كثير

تركهم العمل به وقال آخرون بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم وعهد الله الذي نقضه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله ونقضهم ذلك هو الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه فقال يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب الآيات إلى أن قال والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون وهذه الصفات صفات الكفار المبائنة لصفات المؤمنين كما فالفاسق يشمل الكافر والعاصي ولكن فسق الكافر أشد وأفحش والمراد من الآية الفاسق الكافر والله أعلم بدليل أنه وصفهم بقوله تعالى الذين ينقضون عهد في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضا. وتقول العرب فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها ولهذا يقال للفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد. وثبت أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام والفاسق وإن صح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فهو تفسير على المعنى لا أن الآية أريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان فإن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال: سألت أبي فقلت قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه إلى آخر الآية فقال: هم الحرورية وهذا الإسناد وقال شعبة عن

من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره فقال وما للظالمين من أنصار أي يوم القيامة ينقضونهم من عذاب الله ونقمته. 270 بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده وتوعد يخبر تعالى بأنه عالم

جواب الشرط وهو قوله فنعمنا هي كقوله فأصدق وأكون وأكن وقوله والله بما تعملون خبير أي لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه. 271 من سيناتكم أي بدل الصدقات ولا سيما إذا كانت سرا يحصل لكم الخير في رفع الدرجات ويكفر عنكم السيئات وقد قرئ ويكفر بالجزم عطفا على محل صدقة السر في التطوع تفضل علانيته يقال بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيته أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا. وقوله ويكفر عنكم أن إخفاء الصدقة أفضل سواء كانت مفروضة أو مندوبة لكن روى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: جعل الله قط إلا كنت سابقا وهذا الحديث روي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه وإنما أوردناه هنا لقول الشعبي إن الآية نزلت في ذلك ثم إن الآية عامة في وسلم ما خلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر؟ فقال عدة الله وعدة رسوله فبكى عمر رضي الله عنه وقال بأبي أنت وأمي يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير خلفت لهم نصف مالي وأما أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر قال: عنهما أما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر قال: موسى بن عمير عن عامر الشعبي في قوله إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال: أنزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنكم لكم الآية وفي الحديث المروي صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا الحسين بن زياد المحاربي مؤدب محارب أنا علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي ذر فذكره وزاد ثم شرع في هذه الآية إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير في فضل آية الكرسي عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال سر إلى فقير أو جهد من مقل ورواه أحمد ورواه ابن أبي حاتم من طريق من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله وقد ذكرنا نعم الحديد قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال: نعم النار قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء قالت: يا رب فهل خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب هل في خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال الإمام أحمد: نشأ في عبادة الله ورجلان تحابا في الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه الآية ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب أفضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة والأصل أن الإسرار أفضل لهذه فهو خير لكم فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون وقوله إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي أي إن أظهرتموها فنعم شيء هي. وقوله وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء

له أما صدقتك فقد قبلت وأما الزانية فلعلها أن تستعفف بها عن زنا ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق أن يستعفف بها عن سرقة. 272 الليلة بصدقة فخرج فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق فأثني فقيل اللهم لك الحمد على زانية لأتصدقن الليلة بصدقة فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غني قال: اللهم لك الحمد على غني لأتصدقن

تفسير ابن كثير

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبح الناس يتحدثون تصدق على زانية فقال: هذا تمام الآية وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون والحديث المخرج في الصحيحين من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد أجزه على الله ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب البر أو فاجر أو مستحق أو غيره وهو مثاب على قصده ومستند ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله وقال عطاء الخراساني: يعني إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله وهذا معنى حسن وحاصله أن المتصدق فلا لنفسكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ونظائرها في القرآن كثيرة وقوله وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله قال الحسن البصري: نفقة المؤمن لنفسه قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم الآية حديث أسماء بنت الصديق في ذلك وقوله وما تنفقوا من خير بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية ليس عليك هداهم إلى آخرها فأمر بالصدقة بعدها على كل من سأل من كل دين وسيأتي عند حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أحمد الزبيري وأبو داود الحضرمي عن سفيان وهو الثوري به وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثني أحمد بن عبد الرحمن يعني الدشتكي يشاء وما تنفقوا من خير فلا لنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وكذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من قال أبو عبد الرحمن النسائي: أنبأنا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحيم أنبأنا الفريابي حدثنا سفيان عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد نحوه قوله وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم أي لا يخفى عليه شيء منه وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه. 273 من سأل وله أربعون درهما فهو ملحف وهو مثل سف الملة يعني الرمل ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن أحمد بن آدم عن سفيان وهو ابن عيينة بإسناده أخبرنا إبراهيم بن محمد أنبأنا عبد الجبار أخبرنا سفيان عن داود بن شاور عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربعون فقد ألحف ولال أبي ذر أربعون درهما وأربعون شاة وما هنان قال أبو بكر بن عياش: يعني خادمين وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أن أبا ذر كان به عوز فبعث إليه ثلاثمائة دينار فقال: ما وجد عبد الله رجلا أهون عليه مني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سأل وله حسين عبد الله بن أحمد بن يونس حدثني أبي حدثنا أبو بكر بن عياش عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين قال: بلغ الحارث رجلا كان بالشام من قريش تركه شعبة بن الحجاج وضعفه غير واحد من الأئمة من جراء هذا الحديث وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو في وجهه قالوا: يا رسول الله وما غناه؟ قال: خمسون درهما أو حسابها من الذهب وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حكيم بن جبير الأسدي الكوفي وقد بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو كدوحا الله عليه وسلم من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن ملحف والأوقية أربعون درهما وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد قال: قال رسول الله صلى الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد قال: قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فهو زاد أبو داود وهشام بن عمار كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الرجال بإسناده نحوه وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا عبد الرحمن بن أبي كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف قال فقلت ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت فلم أسأله وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة سرحنتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فأتيت به فقعدت قال: فاستقبلني فقال من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكف خمس أواق فرجعت ولم أسأل وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة حدثنا عبد الرحمن بن أبي الرجال عن عمارة بن عرفة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: أغناه الله ومن يسأل الناس له عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلحافا فقلت بيني وبين نفسي لناقة له خير من خمس أواق فلامه ناقة أخرى فهي خير من ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول ومن استعف أعفه الله ومن استغنى إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه بن سويد عن أبي هريرة قال: ليس المسكين بالطواف الذي ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين المتعفف في بيته لا يسأل الناس شيئا تصيبه الحاجة اقرءوا المسكين بالطواف عليكم فتطعمونه لقمة لقمة إنما المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس إلحافا وقال ابن جرير: حدثني معتمر عن الحسن بن مالك عن صالح أبي حاتم: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن أبي الوليد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لا يسألون الناس إلحافا وروى البخاري من حديث شعبة عن محمد بن أبي زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه وقال ابن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقة واللقتان إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم عطاء بن يسار وحده عن أبي هريرة به وقال أبو عبد الرحمن النسائي: أخبرنا علي بن حجر حدثنا إسماعيل أخبرنا شريك وهو ابن أبي نمر عن عطاء بن يسار يتعفف اقرءوا إن شئتم يعني قوله لا يسألون الناس إلحافا وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المديني عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن الأنصاري قال: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقة واللقتان إنما المسكين الذي المسألة فقد ألحف في المسألة قال البخاري حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة في ذلك لآيات للمتوسمين. وقوله لا يسألون الناس إلحافا أي لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن

تفسير ابن كثير

قال تعالى سيماهم في وجوههم وقال ولتعرفنهم في لحن القول وفي الحديث الذي في السنن اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا وقد رواه أحمد من حديث ابن مسعود أيضا. وقوله تعرفهم بسيماهم أي بما يظهر لذوي الأبواب من صفاتهم كما الله عليه وسلم ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم وفي هذا المعنى الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله الآية. وقوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف أي الجاهل بأمرهم والضرب في الأرض هو السفر قال الله تعالى وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة وقال تعالى علم أن سيكون منكم مرضى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم ولا يستطيعون ضربا في الأرض يعني سفرا للتسبب في طلب المعاش وقوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله يعني المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى

أبي طالب وقوله فلهم أجرهم عند ربهم أي يوم القيامة على ما فعلوا من الإنفاق في الطاعات ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره. 274 سرا وعلانية وكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن عن ابن جبير عن أبيه قال: كان لعلي أربعة دراهم فأنفق درهما ليلا ودرهما نهارا ودرهما سرا ودرهما علانية فنزلت الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ثم قال: وكذا روي عن أبي أمامة وسعيد بن المسيب ومكحول وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد ربهم في أصحاب الخيل وقال حنش الصنعاني: عن ابن شهاب عن ابن عباس في هذه الآية قال: هم الذين يعلفون الخيل في سبيل الله رواه ابن أبي حاتم عريب المليكي عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند حديث شعبة به وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن شعيب قال: سمعت سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن يحدث عن أبي مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحسبها كانت له صدقة أخرجه من ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وبهز قال: حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت قال: سمعت عبد الله بن يزيد الأنصاري عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضا عام الفتح وفي رواية عام حجة الوداع وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة في جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سر وجهار حتى إن النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضا كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته

العباس بن تيمية كتابا في إبطال التحليل تضمن النهي عن تعاطي الوسائل المفضية إلى كل باطل وقد كفى في ذلك وشفى فرحمه الله ورضي عنه. 275 لا بصورته لأن الأعمال بالنيات وفي الصحيح إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وقد صنف الإمام العلامة أبو عليه وسلم لعن الله أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه قالوا وما يشهد عليه ويكتب إلا إذا أظهر في صورة عقد شرعي ويكون داخله فاسدا فلا اعتبار بمعناه فجملوا فباعوها وأكلوا أثمانها وقد تقدم في حديث علي وابن مسعود وغيرهما عند لعن المحلل في تفسيره قوله حتى تنكح زوجا غيره قوله صلى الله عليه وسلم لما حرم الربا ووسائله حرم الخمر وما يفضي إليه من تجارة ونحو ذلك كما قال عليه السلام في الحديث المتفق عليه لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم أخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ثم حرم التجارة في الخمر قال بعض من تكلم على هذا الحديث من الأئمة سوى الترمذي من طرق عن الأعمش به وهكذا لفظ رواية البخاري عند تفسير هذه الآية فحرم التجارة وفي لفظ له عن عائشة قالت: لما نزلت الآيات من لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فقرأهن فحرم التجارة في الخمر وقد أخرجه الجماعة تحريم الوسائل المفضية إلى المحرمات الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة قالت: له الناس كلهم؟ قال من لم يأكله ناله من غباره وكذا روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن سعيد بن أبي خيرة عن الحسن به ومن هذا القبيل حدثنا الحسن منذ نحو من أربعين أو خمسين سنة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا قال قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون جزءا أيسرها أن ينكح الرجل أمه وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن سعيد بن أبي خيرة على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال ابن ماجه حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عمرو بن علي الفلاس بإسناد مثله وزاد أيسرها أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم وقال: صحيح حدثنا ابن عدي عن شعبة عن زبيد عن إبراهيم عن مسروق عن عبد الله هو ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الربا ثلاثة وسبعون بابا فدعوا ما يريكم إلى ما لا يريكم وقد قال ابن أبي عدي بالإسناد موقوفا فذكره ورده الحاكم في مستدركه وقد قال ابن ماجه حدثنا عمرو بن علي الصيرفي أنهاكم عن أشياء تصلح لكم وأمركم بأشياء لا تصلح لكم وإن من آخر القرآن نزولا آية الربا وإنه قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه لنا مردويه عن طريق هياج بن بسطام عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إني لعلي المسيب أن عمر قال من آخر ما نزل آية الربا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال: رواه ابن ماجه وابن ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا رواه البخاري عن قبيصة عنه وقال أحمد عن يحيى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن فيه النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس وفي رواية استفت قلبك وإن أفطاك الناس وأفطوك وقال الثوري عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس قال: آخر

تفسير ابن كثير

رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وفي الحديث الآخر الإثم ما حاك في القلب وترددت
اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه وفي السنن عن الحسن بن علي
ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتهيات فمن
المسائل التي فيها شائبة الربا والشرعية شاهدة بأن كل حرام فالوسيلة إليه مثله لأن ما أفضى إلى الحرام حرام كما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد
الله عنه ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فيهن عهدا ننتهي إليه: الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا يعني بذلك بعض
من العلم وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم وباب الربا من أشكال الأبواب على كثير من أهل العلم وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي
المفاضلة ومن هذا حرّموا أشياء بما فهموا من توضيق المسالك المفضية إلى الربا والوسائل الموصلة إليه وتفاوت نظرهم بحسب ما وهب الله لكل منهم
وجه الأرض إنما حرمت هذه الأشياء وما شاكلها حسما لمادة الربا لأنه لا يعلم التساوي بين الشيئين قبل الجفاف ولهذا قال الفقهاء: الجهل بالمماثلة كحقيقه
ما يخرج من الأرض والمزابنة وهي اشتراء الرطب في رءوس النخل بالتمر على وجه الأرض والمحاولة وهي اشتراء الحب في سنبله في الحقل بالحب على
من الله ورسوله ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي خيثم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وإنما حرمت المخابرة وهي المزارعة ببعض
الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يذر المخابرة فليؤذن بحرب
قال أبو داود: حدثنا يحيى أبو داود حدثنا يحيى بن معين أخبرنا عبدالله بن رجاء المكي عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال: لما نزلت
من عاد أي إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولهذا قال فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقد
ما سلف وهذا الأثر مشهور وهو دليل لمن حرم مسألة العينة مع ما جاء فيها من الأحاديث المذكورة المقررة في كتاب الأحكام ولله الحمد والمنة ثم قال تعالى
الله صلى الله عليه وسلم قد بطل إن لم يتب قالت: فقلت أ رأيت إن تركت المائتين وأخذت الستمائة قالت: نعم فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله
إلى العطاء بثمانمائة فاحتاج إلى ثمنه فاشترىته قبل محل الأجل بستمائة فقالت: بنس ما اشتريت وبنس ما اشتريت أبلغني زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول
أبقر أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لها أم بحنة أم ولد زيد بن أرقم يا أم المؤمنين أتعرفين زيد بن أرقم قالت: نعم قالت: فإني بعته عبدا
ابن أبي حاتم قرأ علي محمد بن عبدالله بن عبدالحكم أخبرنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن أبي إسحق الهمداني عن أم يونس يعني امرأته العالية بنت
في حال الجاهلية عفا عما سلف كما قال تعالى فله ما سلف وأمره إلى الله قال سعيد بن جبيرة والسدي: فله ما سلف ما كان أكل من الربا قبل التحريم وقال
النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضع ربا العباس ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة
فله ما سلف وأمره إلى الله أي من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه فله ما سلف من المعاملة لقوله عفا الله عما سلف وكما قال
الأمر ومصالحتها وما ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهاهم عنه وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها الطفل ولهذا قال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى
ما قالوه من الاعتراض مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكما وهو العليم الحكيم الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو العالم بحقائق
نظيره فلم حرم هذا وأبيح هذا؟ وهذا اعتراض منهم على الشرع أي هذا مثل هذا وقد أحل هذا وحرم هذا يحتمل أن يكون من تمام الكلام ردا عليهم أي على
لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع وإنما قالوا إنما البيع مثل الربا أي هو
البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا أي إنما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه وليس هذا قياسا منهم للربا على البيع لأن المشركين
كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده فيفقر له فاه فيلقمه حجرا وذكر في نفسه أنه أكل الربا. وقوله ذلك بأنهم قالوا إنما
في حديث المنام الطويل فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة
يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به وفي إسناده ضعف وقد روى البخاري عن سمرة بن جندب
هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجري من خارج بطونهم فقلت: من هؤلاء
الربا رواه البيهقي مطولا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي
قبره وفي حديث أبي سعيد في الإسراء كما هو مذكور في سورة سبحان أنه عليه السلام مر ليلتئذ يقوم لهم أجواف مثل البيوت فسأل عنهم فقيل: هؤلاء أكلة
قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب وقرأ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وذلك حين يقوم من
الشيطان من المس يوم القيامة وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا ربعة بن كلثوم حدثنا أبي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
حديث أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حنيف عن أبي عبدالله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ: الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه
إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني لا يقومون يوم القيامة وكذا قال ابن أبي نجيع عن مجاهد والضحاك وابن زيد وروى ابن أبي حاتم من
بن حيان نحو ذلك وحكي عن عبدالله بن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقاتل بن حيان أنهم قالوا: في قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون
ابن عباس: أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يخنق رواه ابن أبي حاتم قال وروي عن عوف بن مالك وسعيد بن جبيرة والسدي والربيع بن أنس وقاتل
يتخبطه الشيطان من المس أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياما منكرا وقال
بالباطل وأنواع الشبهات فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم فقال الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي
المؤدين النفقات المخرجين الزكوات المتفضلين بالبر والصدقات لذوي الحاجات والقربات في جميع الأحوال والأوقات شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس

الكسب المباح فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل . 276

القلب أثيم القول والفعل ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من فلوه أو وصيفه أو قال فصيله ثم قال لا نعلم أحدا رواه عن يحيى بن سعيد بن عمرة إلا أبا أويس. وقوله والله لا يحب كل كفار أثيم أي لا يحب كفور عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب فيتلقاها الرحمن بيده فيريها كما يربي أحدكم بن منصور حدثنا إسماعيل حدثني أبي عن يحيى بن سعيد بن عمرة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الضحاك بن عثمان عن أبي هريرة قال إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى يكون مثل أحد تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال البزار حدثنا يحيى بن المعلى عن عائشة أم المؤمنين فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن ثابت عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كف الله حتى تكون مثل أحد فتصدقوا وهكذا رواه أحمد عن عبد الرزاق وهذا طريق غريب صحيح الإسناد ولكن لفظه عجيب والمحفوظ ما تقدم وروي إن العبد إذا تصدق من طيب يقبلها الله منه فيأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله وإن الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله أو قال عن محمد بن عبد الملك بن إسحاق عن عبد الرزاق عن معمر بن أيوب عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به ورواه أحمد أيضا عن خلف بن الوليد عن ابن المبارك عن عبد الواحد بن ضمرة وعبد بن منصور كلاهما عن أبي نضرة عن القاسم به وقد رواه ابن جرير وكذا رواه أحمد عن وكيع وهو في تفسير وكيع ورواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع به وقال حسن صحيح وكذا رواه الترمذي عن عباد بن منصور بيمينه فيربيها لأحدكم مهره أو فلوه حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد وتصدق ذلك في كتاب الله يمحى الله الربا ويربي الصدقات عن عباد بن منصور حدثنا القاسم بن محمد قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقد روي عن أبي هريرة من وجه آخر فقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع وأخرجه النسائي من رواية مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري ومن طريق يحيى القطان عن محمد بن عجلان ثلاثتهم عن سعيد بن يسار أبي الحباب المدني لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل أحد وهكذا روى هذا الحديث مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن سعيد المقبري يسار عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه فيربيها البهيقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن العباس المروزي عن أبي الزناد هاشم بن القاسم عن ورقاء وهو ابن عمر الشكري عن عبد الله بن دينار عن سعيد بن البخاري وقال ورقاء عن ابن دينار عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند هذا الحديث من هذا الوجه الحافظ أبو بكر بن السرح عن أبي وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم به وأما حديث سهيل فرواه عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل به والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم قلت أما رواية مسلم بن أبي مريم فقد تفرد البخاري بذكرها وأما طريق زيد بن أسلم فرواها مسلم في صحيحه عن أبي الطاهر عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن خالد بن مخلد فذكره وقال البخاري: ورواه مسلم بن أبي مريم وزيد بن أسلم وسهيل عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي كذا رواه في كتاب الزكاة وقال في كتاب التوحيد وقال خالد بن مخلد بن سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار فذكر بإسناده نحوه وقد رواه مسلم في الزكاة وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقات قرئ بضم الباء والتخفيف من ربا الشيء يربو وأرباه يربيه أي كثره ونماه ينميه وقرئ يربي بالضم والتشديد من التربية قال البخاري حدثنا رأيت مولى عمر مجذوما ورواه ابن ماجه من حديث الهيثم بن رافع به ولفظه من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس والجذام. وقوله ويربي الله بالإفلاس أو بجذام فقال فروخ عند ذلك أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود في طعام أبدا وأما مولى عمر فقال إنما نشترى بأموالنا ونبيع قال أبو يحيى فلقد المسلمين؟ قال: يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع فقال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه وفيمن جلبه قيل يا أمير المؤمنين إنه قد احتكر قال: من احتكره؟ قالوا فروخ مولى عثمان وقلان مولى عمر فأرسل إليهما فقال: ما حملكما على احتكار طعام فروخ مولى عثمان أن عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج من المسجد فرأى طعاما منشورا فقال: ما هذا الطعام؟ فقالوا: طعام جلب إلينا قال: بارك الله فيه من باب المعاملة بنقيض المقصود كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا الهيثم بن نافع الظاهري حدثني أبو يحيى رجل من أهل مكة عن الركين بن الربيع بن عميلة الفزاري عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل وهذا عليه وسلم قال إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل وقد رواه ابن ماجه عن العباس بن جعفر عن عمرو بن عون عن يحيى بن زائدة عن إسرائيل عن إلى قل وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال: حدثنا حجاج حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم يربو عند الله الآية وقال ابن جرير: في قوله يمحى الله الربا وهذا نظير الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير أعجبك كثرة الخبيث وقال تعالى: ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم وقال وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به بل يعدمه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة كما قال تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو يخبر الله تعالى أنه يمحى الربا أي يذهب إما بأن يذهب

تفسير ابن كثير

من التبعات آمنون فقال إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. 277
مادحا للمؤمنين بربهم المطيعين أمره المؤدين شكره المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مخبرا عما أعد لهم من الكرامة وأنهم يوم القيامة
ثم قال تعالى

تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار قال ابن جريج قال ابن عباس فأذنوا بحرب أي استيقنوا بحرب من الله ورسوله. 278
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فقالوا نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا فتركوه كلهم وهذا
ذلك عتاب بن أسيد نائب مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه يا أيها الذين آمنوا
ربا في الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذهم منهم فتشاوروا وقالت بنو المغيرة لا نؤدي الربا في الإسلام بكسب الإسلام فكتب في
ذلك. وقد ذكر زيد بن أسلم وابن جريج ومقاتل بن حيان والسدي أن هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم
الربا أي اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رءوس الأموال بعد هذا الإنذار إن كنتم مؤمنين أي بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير
المؤمنين بتقواه ناهيا لهم عما يقرهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي خافوه وراقبوه فيما تفعلون وذروا ما بقي من
يقول تعالى أمرا عباده

أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. وكذا رواه من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حمزة الرقاشي عن عمرو هو ابن خارجة فذكره. 279
شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع فلكم رءوس
عبدالمطلب موضوع كله. كذا وجده سليمان بن الأحوص وقد قال ابن مردويه حدثنا الشافعي حدثنا معاذ بن المثنى أخبرنا مسدد أخبرنا أبو الأحوص حدثنا
وسلم في حجة الوداع فقال ألا إن كل ربا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وأول ربا موضوع ربا العباس بن
حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن شبيب بن غرقدة المبارقي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه
الزيادة ولا تظلمون أي بوضع رءوس الأموال أيضا بل لكم ما بذلت من غير زيادة عليه ولا نقص منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحسن بن إشكاب
الله ورسوله قال وهذا المعنى ذكره كثير قال ولكن هذا إسناد به إلى عائشة ضعيف. ثم قال الله تعالى وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون أي بأخذ
زيد بن أرقم في مسألة العينة أخبره أن جهاده مع النبي صلى الله عليه وسلم قد أبطل إلا أن يتوب فخصت الجهاد لأنه ضد قوله فأذنوا بحرب من
يلجننكم إلى معصيته فاقه. رواه ابن أبي حاتم وقال الربيع بن أنس أوعد الله أكل الربا بالقتل رواه ابن جرير وقال السهيلي: ولهذا قالت عائشة لأُم محبة مولاة
فيهم السلاح وقال قتادة أوعدهم الله بالقتل كما يسمعون وجعلهم بهرجا أين ما أتوا فإياكم ومخالطة هذه البيوع من الربا فإن الله قد أوسع الحلال وأطابه فلا
وابن سيرين أنهما قالا والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا وإنهم قد أذنوا بحرب من الله ورسوله ولو كان على الناس إمام عادل لاستتابهم فإن تابوا وإلا
أن يستتبيهم فإن نزع وإلا ضرب عنقه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا هشام بن حسان عن الحسن
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فمن كان مقيما على الربا لا يزع عنه حقا على إمام المسلمين
كلثوم عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يقال يوم القيامة لكل الربا خذ سلاحك للحرب ثم قرأ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله
ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار قال ابن جريج قال ابن عباس فأذنوا بحرب أي استيقنوا بحرب من الله ورسوله وتقدم من رواية ربيعة بن
وهذا تهديد شديد

كما قال تعالى في الأصنام أموات غير أحياء وما يشعرون الآية وقال وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون. 28
ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس وأولئك الجماعة من التابعين وهو كقوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الآية
ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة. وذلك كقوله تعالى قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وهذا غريب والذي قبله. والصحيح
يحييكم في القبر ثم يميتكم وقال ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال خلقهم في ظهر آدم ثم أخذ عليهم الميثاق ثم أماتهم
وعطاء الخراساني نحو ذلك وقال الثوري عن السدي عن أبي صالح كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون قال
عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وعن أبي العالية والحسن ومجاهد وقتادة وأبي صالح والضحاك
القيامة فهذه حياة أخرى فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهكذا روي عن السدي بسنده
وأحييتنا اثنتين قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون إلى القبور. فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم
موتة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم قال وهي مثل قوله تعالى أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين: وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ربنا أمتنا اثنتين
ثم يميتكم ثم يحييكم وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: كنتم أمواتا فأحياكم أمواتا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يميتكم
أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا قال هي التي في البقرة وكنتم أمواتا فأحياكم
بل لا يوقنون وقال تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا والآيات في هذا كثيرة وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن
غيره وكنتم أمواتا فأحياكم أي وقد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود كما قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض
يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده كيف تكفرون بالله أي كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه

تفسير ابن كثير

عبيدة عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا إلى ميسرته أنظره الله بذنبه إلى توبته. 280

الطبراني حدثنا أحمد بن محمد البوراني قاضي الحديبية من ديار ربيعة حدثنا الحسن بن علي الصدائي حدثنا الحكم بن الجارود حدثنا ابن أبي المتثد خال ابن والسعيد من وقي الفتن وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا مالا الله جوفه إيماننا تفرد به أحمد. طريق آخر قال أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض من أنظر معسرا أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم ألا إن عمل الجنة حزن بريوة ثلاثا ألا إن عمل النار سهل بسهولة السلمي الخراساني عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وهو يقول بيده هكذا وأوما عينا في ظله يوم لا ظل إلا ظله من أنظر معسرا أو ترك لغارم. حديث آخر عن ابن عباس قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا نوح بن جعونة بن الفضل الأنصاري عن هشام بن زياد القرشي عن أبيه عن محجن مولى عثمان عن عثمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أظل الله أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني أبو يحيى البزاز محمد بن عبد الرحمن حدثنا الحسن بن أسيد بن سالم الكوفي حدثنا العباس وأشار إلى نياط قلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله وذكر تمام الحديث. حديث آخر عن بيده ثم قال فإن وجدت قضاء فاقضني وإلا فأنت في حل فأشهد أبصر عينا هاتان ووضع أصبعيه على عينيه وسمع أذناي هاتان ووعا قلبي أو أعدك فأخلفك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا قال: قلت الله قال: قلت آله؟ الله ثم قال فأتى بصحيفته فحاشا أريكة أمة فقلت اخرج إلي فقد علمت أين أنت فخرج فقلت ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك خشيت والله أن أحدثك فأكذبك قال أجل كان لي على فلان بن فلان الرامي مال فأتيت أهله فسلمت فقلت أتم هو؟ قالوا لا فخرج علي ابن له جفر فقلت أين أبوك؟ فقال سمع صوتك فدخل ومعه غلام له معه ضمانة من صحف وعلى أبي اليسر بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري فقال له أبي يا عم إنني أرى في وجهك سعة من غضب بن الصامت قال خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله وقد أخرجه مسلم في صحيحه من وجه آخر من حديث عباد بن الوليد بن عبادة قال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي قال حدثني أبو اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان له على رجل حق فأخذه كان له بكل يوم صدقة غريب من هذا الوجه وقد تقدم عن بريدة نحوه. حديث آخر عن أبي اليسر كعب بن عمرو بن حصين قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي داود عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفر له قال أبو مسعود هكذا سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم. وهكذا رواه مسلم من حديث أبي مالك سعد بن طارق به. حديث آخر عن عمران كنت أعطيتني فضلا من المال في الدنيا فكنت أبايع الناس فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر فقال تبارك وتعالى نحن أولى بذلك منك تجاوزوا عن عبيد بن حراش عن حذيفة أن رجلا أتى به الله عز وجل فقال ماذا عملت في الدنيا؟ فقال له الرجل ما عملت مثقال ذرة من خير فقال له ثلاثا وقال في الثالثة إنني كربتته فليفرج عن معسر انفرد به أحمد حديث آخر عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا أبو مالك عن ربعي حدثنا محمد بن عبيد عن يوسف بن صهيب عن زيد العمي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف في عسرته أو مكاتبها في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. حديث آخر عن عبد الله بن عمر قال الإمام أحمد محمد بن عقيل عن عبد الله بن سهل بن حنيف أن سهلا حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعان مجاهدا في سبيل الله أو غازيا أو غارما في مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك حدثنا عمرو بن ثابت حدثنا عبد الله بن كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه. حديث آخر عن سهل بن حنيف قال الحاكم حدثنا هشام بن عمار حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الزهري عن عبد الله بن عبد الله أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ البخاري وابن ماجه من طرق عن ربعي بن حراش عن حذيفة زاد مسلم وعقبة بن عامر وأبي مسعود البدي عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولفظ البخاري الناس وكان من خلقي الجواز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر قال فيقول الله عز وجل أنا أحق من ييسر ادخل الجنة وقد أخرجه البخاري ومسلم فقال ما عملت لك يا رب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها قالها ثلاث مرات قال العبد عند آخرها يارب إنك كنت أعطيتني فضل مال وكنت رجلا أبايع الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الله بعبد من عبده يوم القيامة قال ماذا عملت لي في الدنيا؟ مسلم في صحيحه حديث آخر عن حذيفة بن اليمان قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الأحنس أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك قال نعم فبكى أبو قتادة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة. ورواه البيت يأكل خزيمة فناداه فقال يا فلان اخرج فقد أخبرتك أنك هاهنا فخرج إليه فقال ما يغيبك عني؟ فقال إني معسر وليس عندي شيء قال الله إنك معسر؟ عن محمد بن كعب القرظي أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال: نعم هو في الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة. حديث آخر عن أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري قال أحمد حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو جعفر الخطمي معسرا فله بكل يوم مثله صدقة ثم سمعتك تقول من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قال له بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة. قال ثم سمعته يقول من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قلت سمعتك يا رسول الله تقول من أنظر بريدة قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث حدثنا محمد بن جحادة عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول

تفسير ابن كثير

بن زرارة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر علي معسر أو ليضع عنه. حديث آخر عن بن شعيب المرجاني حدثنا يحيى بن حكيم المقوم حدثنا محمد بن بكر البرساني حدثنا عبدالله بن أبي زياد حدثني عاصم بن عبيدالله عن أبي أمامة أسعد الأحاديث من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فالحديث الأول عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال الطبراني حدثنا عبدالله بن محمد عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون أي وإن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين وقد وردت فقال وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربى ثم يندب إلى الوضع يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء

رواه ابن جرير ورواه ابن عطية عن أبي سعيد قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. 281 يوما ترجعون فيه إلى الله الآية. قال ابن جريج يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعدها تسع ليال وبدي يوم السبت. ومات يوم الاثنين ترجعون فيه إلى الله فكان بين نزولها وموت النبي صلى الله عليه وسلم واحد وثلاثون يوما. وقال ابن جريج قال ابن عباس آخر آية نزلت واتقوا ما كسبت وهم لا يظلمون وكذا رواه الضحاك والعوفي عن ابن عباس وروى الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت واتقوا يوما رواه النسائي من حديث يزيد النحوي عن عكرمة عن عبدالله بن عباس قال آخر شيء نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس رواه ابن مردويه من حديث المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وقد وهم لا يظلمون وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول رواه ابن أبي حاتم وقد فقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت ويحذرهم عقوبته: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقد روي أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها وإتيان الآخرة والرجوع إليه تعالى ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر ثم قال تعالى يعظ عباده ويذكرهم

مواضع من طرق صحيحة معلقا بصيغة الجزم فقال: وقال الليث بن سعيد فذكره ويقال إنه رواه في بعضها عن عبدالله بن صالح كاتب الليث عنه. 282 مركبا قبل هذا الذي جئت فيه؟ قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشب فانصرف بألفك راشدا. وهذا إسناد صحيح وقد رواه البخاري في سبعة دينار وقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لاتيكم بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال ألم أخبرك أنني لم أجد ينظر لعل مركبا تجيئه بماله فإذا بالخشب التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما كسرهما وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف أعطاني فلم أجد مركبا وإني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركبا إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه دينار فسلاني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا فرضي بذلك وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بذلك وإنني قد جهدت أن أجد مركبا أبعث بها إليه بالذي فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر ثم قال اللهم إنك قد علمت أنني استسلفت فلانا ألف قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر ففقدى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا وسلم أنه ذكر أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال انتني بشهداء أشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال انتني بكفيل والإشهاد قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه بقوله فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أئتمن أمانته والدليل على ذلك أيضا الحديث الذي حكى عن شرع من قبلنا مقررنا في شرعنا ولم ينكر عدم الكتابة صاحبه فدعا ربه فلم يستجب له لأنه قد عصى ربه. وقال أبو سعيد والشعبي والربيع بن أنس والحسن وابن جريج وابن زيد وغيرهم كان ذلك واجبا ثم نسخ ذات يوم لأصحابه هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له؟ فقالوا وكيف يكون ذلك؟ قال رجل باع بيعة إلى أجل فلم يشهد ولم يكتب فلما حل ماله جرده لا أمر إيجاب كما ذهب إليه بعضهم قال ابن جريج من ادان فليكتب ومن ابتاع فليشهد وقال قتادة ذكر لنا أن أبا سليمان المرعشي كان رجلا صحب كعبا فقال على الناس والسنن أيضا محفوظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أمر الله بكتابتها إنما هو أشياء جزئية تقع بين الناس فأمروا أمر إرشاد لا نكتب ولا نحسب فما الجمع بينه وبين الأمر بالكتابة فالجواب أن الدين من حيث هو غير مفتقر إلى كتابة أصلا لأن كتاب الله قد سهل الله ويسر حفظه أمر منه تعالى بالكتابة للتوثيق والحفظ فإن قيل فقد ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أمة أمية الثمار السنة والسنتين والثلاث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم وأجل معلوم وقوله فاكتبوه سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن عبدالله بن كثير عن أبي المنهال عن ابن عباس. قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في المضمون إلى أجل مسمى أن الله أحله وأذن فيه ثم قرأ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى. رواه البخاري وثبت في الصحيحين من رواية آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه قال أنزلت في السلم إلى أجل معلوم وقال قتادة عن أبي حسان الأعرج عن ابن عباس قال أشهد أن السلف حيث قال ذلك أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها وقد نبه على هذا في آخر الآية عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه. فقوله يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه هذا إرشاد

تفسیر ابن کثیر

رواية أبي داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة ومن طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومن حديث تمام بن سعد عن زيد بن أسلم زيد بن جعدان في أحاديثه نكارة وقد رواه الحاكم في مستدركه بنحوه من حديث الحارث بن عبد الرحمن بن أبي وثاب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ومن مائة وأتمها لآدم ألف سنة. وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يوسف بن أبي حبيب عن أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة. هذا حديث غريب جدا وعلي بن قدامة وهبتها لابنك داود قال ما فعلت فأبرز الله عليه الكتاب وأشهد عليه الملائكة وحدثنا أسود بن عامر عن حماد بن سلمة فذكره وزاد فيه فأتمها الله لداود آدم ألف سنة فزاده أربعين عاما فكتب عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم وأتته الملائكة قال إنه قد بقي من عمري أربعون عاما فقيل له إنك فيهم رجلا يزهر فقال أي رب من هذا؟ قال هو ابنك داود قال أي رب كم عمره؟ قال ستون عاما قال رب زد في عمره قال لا إلا أن أزيده من عمرك وكان عمر الله عليه وسلم إن أول من جحد آدم عليه السلام إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار إلى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه فرأى وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين هذه الآية الكريمة أطول آية في القرآن العظيم وقد قال

تعدلوا وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً وهكذا قال ههنا ولا تكتموا الشهادة ومن يكتتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم. 283

تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن الكبائر وكتماها كذلك ولهذا قال ومن يكتتمها فإنه آثم قلبه قال السدي يعني فاجر قلبه وهذه كقوله تعالى ولا تكتم شهادة الله إننا إذا لمن الآثمين وقال وسلم قال على اليد ما أخذت حتى تؤديه. وقوله ولا تكتموا الشهادة أي لا تخفوها وتغلوها ولا تظهروها قال ابن عباس وغيره: شهادة الزور من أكبر الله ربه يعني المؤمن كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من رواية قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا اتتمن بعضكم بعضاً فلا بأس أن لا تكتبوا أو لا تشهدوا وقوله وليتق اليهودي وتقرير هذه المسائل في كتاب الأحكام الكبير ولله الحمد والمنة وبه المستعان. وقوله فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذين ائتمن أمانته روى ابن أبي عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير رهنها قوتا لأهله وفي رواية من يهود المدينة وفي رواية الشافعي عند أبي الشحم آخرون من السلف بهذه الآية على أنه لا يكون الرهن مشروعاً إلا في السفر قاله مجاهد وغيره وقد ثبت في الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مذهب الشافعي والجمهور واستدل بها آخرون على أنه لا بد أن يكون الرهن مقبوضاً في يد المرتهن وهو رواية عن الإمام أحمد وذهب إليه طائفة واستدل قلما فرهان مقبوضة أي فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة أي في يد صاحب الحق وقد استدل بقوله فرهان مقبوضة على أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض كما تعالى وإن كنتم على سفر أي مسافرين وتداينتم إلى أجل مسمى ولم تجدوا كاتباً يكتب لكم قال ابن عباس أو وجدوه ولم يجدوا قراطسا أو دواة أو يقول

بن جعدان ضعيف يغرب في رواياته وهو يروي هذا الحديث عن امرأة أبيه أم محمد أمية بنت عبدالله عن عائشة وليس لها عنها في الكتب سواء. 284

ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر وكذا رواه الترمذي وابن جرير من طريق حماد بن سلمة به وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديثه قلت وشيخه علي بن زيد

فقال: هذه مبايعة الله العبد وما يصيبه من الحمى والنكبة والبضاعة يضعها في يد كفه فيفقدوها فيفرع لها ثم يجدها في ضبنته حتى إن المؤمن ليخرج من

عائشة عن هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فقلت: ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها

وغيرهما من طرق متعددة عن قتادة به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبيه قال: سألت

بميمه وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وهذا الحديث مخرج في الصحيحين

فيقول رب أعرف مرتين حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه

النجوى ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول له هل تعرف كذا

قال: بينما نحن نطوف بالبيت مع عبدالله بن عمر وهو يطوف إذا عرض له رجل فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في

ابن أبي عدي عن سعيد بن هشام ح وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا ابن هشام قال جميعا في حديثهما عن قتادة عن صفوان بن محرز

على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة وأنه تعالى قد يحاسب ويغفر وقد يحاسب ويعاقب بالحديث الذي رواه عند هذه الآية قائلا: حدثنا ابن بشار حدثنا

والضحاك عنه قريبا من هذا. وروى ابن جرير عن مجاهد والضحاك نحوه وعن الحسن البصري أنه قال: هي محكمة لم تنسخ واختار ابن جرير ذلك واحتج

بما أخفوه من التكذيب وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم أي من الشك والنفاق وقد روى العوفي

لم يطلع عليه ملائكتي فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله يحاسبكم به الله يقول يخبركم وأما أهل الشك والريب فيخبرهم

وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فإنها لم تنسخ لكن الله إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما

عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة قال تلك صريح الإيمان. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

مسلم وهو عند مسلم أيضا من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به وروى مسلم أيضا من حديث مغيرة

صلى الله عليه وسلم فسأله فقالوا إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال وقد وجدتموه؟ قالوا نعم قال ذاك صريح الإيمان لفظ

تفسير ابن كثير

بمعنى حديث عبدالرزاق زاد ومحاه الله ولا يهلك على الله إلا هالك وفي حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله عنده حسنة وإن هم بها فعلها كتبها الله عنده سيئة واحدة ثم رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان في هذا الإسناد كتبها الله له عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعلها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى قال إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها تفرد به مسلم دون غيره من أصحاب الكتب وقال مسلم أيضاً: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا عبدالوارث عن الجعد أبي عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعلها كتبت له عشرة إلى سبعمائة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له وإن عملها كتبت صحيح البخاري وقال مسلم أيضاً: حدثنا أبو كريب حدثنا خالد الأحمر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقي الله عز وجل تفرد به مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق بهذا السياق واللفظ وبعضه في تركها فكتبوها له حسنة وإنما تركها من جراي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحسن أحد إسلامه فإن له بكل حسنة يعملها تكتب له بعشر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب وذاك أن عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن عملها فكتبوها له بمثلها وإن حسنة فأنأ كتبها له حسنة ما لم يعمل فإذا عملها فأنأ كتبها بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنأ أغفرها له ما لم يعملها فإن عملها فأنأ كتبها له بمثلها أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله إذا تحدث عبدي بأن يعمل له حسنة فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة فلم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة وقال عبدالرزاق: طريق إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها عبيد بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فكتبوها حسنة فإن عملها فكتبوها عشرة لفظ مسلم وهو في إفراده من تعلم. وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله إذا هم قتادة عن زارة بن أبي أوفى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو والشعبي والنخعي ومحمد بن كعب القرظي وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة أنها منسوخة بالتي بعدها وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة من طريق صلى الله عليه وسلم أحسبه ابن عمر إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال: نسختها الآية التي بعدها وهكذا روي عن علي وابن مسعود وكعب الأحبار ثبت عن ابن عمر كما ثبت عن ابن عباس قال البخاري: حدثنا إسحق حدثنا روح حدثنا شعبة عن خالد الحذاء عن مروان الأصغر عن رجل من أصحاب النبي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت فنسختها الآية التي بعدها لا يكلف الله نفساً إلا وسعها فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس وقد أن أباه قرأ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فدمعت عيناه فبلغ صنيعة ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبدالرحمن لقد صنع كما صنع ما اكتسبت في القول والفعل طريق أخرى قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا إسحق حدثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سالم إلا وسعها إلى آخر السورة قال ابن عباس: فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها تلاها فقال ابن عباس يغفر الله لأبي عبدالرحمن لعمرى لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبدالله بن عمر فأنزل الله بعدها لا يكلف الله نفساً والله لئن واخذنا الله بهذا لهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سمع نسيجه قال ابن مرجانة: فقمتم حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين جالس مع عبدالله بن عمر تلا هذه الآية لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء الآية فقال: طريق أخرى عنه قال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة سمعه يحدث أنه بينما هو أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله إلى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتجوز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال قلوبنا فليست بأيدينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا قال فنسختها هذه الآية آمن الرسول بما غمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غما شديداً وغازتهم غيظاً شديداً يعني وقالوا يا رسول الله هلكتنا إن كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل فأما فقلت يا أبا عباس كنت عند ابن عمر فقرأ هذه الآية فبكى قال: أية آية؟ قلت وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال ابن عباس إن هذه الآية حين أنزلت قال قد فعلت طريق أخرى عن ابن عباس قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال: دخلت على ابن عباس على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين أبي شيبه وأبي كريب وإسحق بن إبراهيم ثلاثتهم عن وكيع به وزاد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير إلى قوله فانصرنا على القوم الكافرين وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم حديث ابن عباس في ذلك قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن آدم بن سليمان سمعت سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين نسخها الله فأنزل الله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا إصراً

تفسير ابن كثير

أو أخطأنا إلى آخره ورواه مسلم منفردا به من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة فذكر مثله ولفظه فلما فعلوا ذلك غفرانك ربنا وإليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا أنزل الله في أثرها آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما أقر بها القوم وذلت بها يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل شيء قدير اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب وقالوا: صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله وإيقانهم قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثني أبو عبد الرحمن يعني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله المحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرتها وهذا من شدة إيمانهم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير. وقال يعلم السر وأخفى والآيات في ذلك كثيرة جدا وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو وإن دقت وخفيت وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم يخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن وأنه المطلع على ما فيهن لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر

غفرانك ربنا وإليك المصير قال جبريل إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلى آخر الآية. 285
صلى الله عليه وسلم آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا لكم وإليك المصير أي المرجع والمآب يوم الحساب. قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن سنان عن حكيم عن جابر قال: لما نزلت على رسول الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون إلى قوله غفرانك ربنا قال قد غفرت ربنا وفهمناه وقمنا به وامتنلنا العمل بمقتضاه غفرانك ربنا سؤال للمغفرة والرحمة واللطف قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابن فضل خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين وقوله وقالوا سمعنا وأطعنا أي سمعنا قولك يا بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم والرسول والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه ويصدقون بجميع الأنبياء عليه وسلم حق له أن يؤمن ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقوله والمؤمنون عطف على الرسول ثم أخبر عن الجميع فقال كل آمن يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ويحق له أن يؤمن وقد روى الحاكم في مستدركه حدثنا أبو النضر الفقيه: حدثنا معاذ بن نجدة القرشي حدثنا خالد بن يحيى حدثنا أبو عقيل عن الله عليه وسلم بذلك قال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت عليه وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما إلا أوتيته رواه مسلم والنسائي وهذا لفظه. فقوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه إخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ما فتح قط قال: فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل إذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب سورة البقرة من تحت العرش والمفصل نافلة. الحديث العاشر قد تقدم في فضائل الفاتحة من رواية عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن مكي بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي مليح عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم الأوفى استرجع واستكان. الحديث التاسع قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن كوفي حدثنا أحمد بن يحيى بن حمزة حدثنا محمد بن بكر حدثنا ضحك وقال إنهما من كنز الرحمن تحت العرش وإذا قرأ من يعمل سوءا يجز به وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء عمرو أخبرنا ابن مريم حدثني يوسف بن أبي الحجاج عن سعيد عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آخر سورة البقرة وآية الكرسي صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. الحديث الثامن قال ابن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن مدين أخبرنا الحسن بن الجهم أخبرنا إسماعيل بن سورة البقرة ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان ثم قال هذا حديث غريب وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث حماد بن سلمة به وقال عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن أشعث بن عبد الرحمن الحرمي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني المخارقي عن علي قال: ما أرى أحدا يعقل بلغه الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة فإنها من كنز تحت العرش. الحديث السابع قال سورة البقرة فإنها من كنز عطية نبيكم صلى الله عليه وسلم من تحت العرش ورواه وكيع في تفسيره عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمير بن عمرو حاتم بن بزيع أخبرنا جعفر بن عون عن مالك بن مغول عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: لا أرى أحدا عقل الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم نعيم بن أبي هندي عن ربعي عن حذيفة بنحوه. الحديث السادس قال ابن مردويه حدثنا عبد الباقي بن نافع أنبأنا إسماعيل بن الفضل أخبرنا محمد بن

تفسير ابن كثير

فضلنا على الناس بثلاث أوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من بيت كنز تحت العرش لم يعطها أحد قبلي ولا يعطاها أحد بعدي ثم رواه من حديث أحمد بن كامل حدثنا إبراهيم بن إسحق الحربي أخبرنا مروان أنبأنا ابن عوانة عن أبي مالك عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتين من آخر سورة البقرة فإني أعطيتهما من كنز تحت العرش هذا إسناد حسن ولم يخرجوه في كتبهم. الحديث الخامس قال ابن مردويه: حدثنا حدثني محمد بن إسحق عن يزيد أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمت. الحديث الرابع قال أحمد: حدثنا إسحق بن إبراهيم الرازي حدثنا سلمة بن الفضل فيقبض منها. قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وأعطى صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها عبد الله بن نمير وألفاظهم متقاربة قال ابن نمير: حدثنا أبي حدثنا مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله العرش. الحديث الثالث قال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة حدثنا مالك بن مغول ح وحدثنا ابن نمير وزهير بن حرب جميعا عن عن الثوري عن منصور عن ربعي عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي وقد رواه ابن مردويه من حديث الأشجعي كفته. الحديث الثاني قال الإمام أحمد: حدثنا حسين حدثنا شيبان عن منصور عن ربعي عن خرخشة بن الحر عن المعمر بن سويد عن أبي ذر قال: قال شريك عن عاصم عن المسيب بن رافع عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلته أيضا عن عبد الرحمن عن ابن مسعود قال عبد الرحمن: ثم لقيت أبا مسعود فحدثني به وهكذا رواه أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن آدم حدثنا من طريق سليمان بن مهران الأعمش بإسناده مثله وهو في الصحيحين من طريق الثوري عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن عنه به وهو في الصحيحين بن يزيد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفته. الحديث الثالث قال عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين وحدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن الواردة في فضل هاتين الآيتين الكريمتين نفعا الله بهما الحديث الأول قال البخاري: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن ذكر الأحاديث

السورة انصرفنا على القوم الكافرين قال أمين ورواه وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن رجل عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال آمين. 286 الله: قد فعلت. وقال ابن جرير: حدثني مثنى بن إبراهيم حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي إسحاق أن معاذ رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه غيرك وأشركوا معك من عبادك فانصرفنا عليهم واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة قال الله نعم. وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس قال وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول لنا ولا قوة إلا بك فانصرفنا على القوم الكافرين أي الذين جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك وعبدوا يوقعه في نظيره. وقد تقدم في الحديث أن الله قال نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت. وقوله أنت مولانا أي أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا في ذنب آخر ولهذا قالوا إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه وأن يستتره عن عبادته فلا يفضح به بينهم وأن يعصمه فلا تعلمه من تقصيرنا وزللنا واغفر لنا أي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة وارحمنا أي فيما يستقبل فلا توقعنا بتوفيقيك ما لا طاقة لنا به قال العزبة والعلمة رواه ابن أبي حاتم قال الله نعم وفي الحديث الآخر قال الله قد فعلت. وقوله واعف عنا أي فيما بيننا وبينك مما السمحة. وقوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به أي من التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلنا بما لا قبل لنا به وقد قال مكحول في قوله ربنا ولا تحملنا الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله قد فعلت وجاء في الحديث من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بالحنيفية الحنيفة السهل السمح وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله نعم وعن ابن عباس عن رسول الماضية قبلنا من الأغلال والآصار التي كانت عليهم التي بعثت نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. وقوله ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا أي لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقناها كما شرعته للأمم عليه وسلم قال إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث من الخطأ والنسيان والاستكراه قال أبو بكر فذكرت ذلك للحسن فقال: أجل أما تقرأ بذلك قرآننا ربنا لا وأعله أحمد وأبو حاتم والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو بكر الهذلي عن شهر عن أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم بن عمير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروهوا عليه وقد روي من طريق آخر سننه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي عمرو الأوزاعي عن عطاء قال ابن ماجه في روايته عن ابن عباس وقال الطبراني وابن حبان عن عطاء عن عبيد منا بوجه الشرعي وقد تقدم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال الله نعم ولحديث ابن عباس قال الله قد فعلت وروى ابن ماجه في وعلمهم أن يقولوا ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي إن تركنا فرضا على جهة النسيان أو فعلنا حراما كذلك أو أخطأنا أي الصواب في العمل جهلا خير وعليها ما اكتسبت أي من شر وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف. ثم قال تعالى مرشدا عباده إلى سؤاله وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرشدهم الشخص دفعه فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان وقوله لها ما كسبت أي من الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله أي هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما يملك

تفسير ابن كثير

إلى آخر الآية. وقوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي لا يكلف أحد فوق طاقته وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم وهذه هي النسخة وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير قال جبريل إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل لا يكلف الله نفسا إلا وسعها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن سنان عن حكيم عن جابر قال: لما

من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعا وقد حرر ذلك البيهقي. 29 من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة خالد عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها حاتم وابن مردويه في تفسيره هذه الآية الحديث الذي رواه مسلم والنسائي في التفسير أيضا من رواية ابن جريج قال أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن أصنافا وصفاتها وألوانها وأشكالها وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة والله سبحانه وتعالى أعلم. وقد ذكر ابن أبي بالقوة إلى الفعل لما أكملت سورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كان مودعا فيها من المياه فنبئت النباتات على اختلاف وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعا فيها الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا وقد حررنا ذلك في سورة النازعات ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها قالوا فذكر خلق السماء قبل الأرض. وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد العليم فهذه وهذه الدتان على أن الأرض خلقت قبل السماء وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل اثنتي طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظ ذلك تقدير العزيز ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض تحت بعض وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء كما قال في آية السجدة قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا خلق الأرض ثار منها دخان فذلك حين يقول ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات قال بعضهم فوق بعض وسبع أرضين يعني بعضها على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة. وقال مجاهد في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا قال خلق الله الأرض قبل السماء فلما في الأحد والإثنين وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء وخلق السماوات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم جرير حدثني المثنى حدثنا عبدالله بن صالح حدثني أبو معشر سعيد بن أبي سعيد عن عبدالله بن سلام أنه قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين فذلك حين يقول خلق السماوات والأرض وأوحى في كل سماء أمرها قال خلق الله في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من استوى إلى السماء وهي دخان وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها يقول أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها لأهلها في أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سأل فهكذا الأمر ثم وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك حين يقول قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين فأرسي عليها الجبال ففرت فالجبال تفخر على الأرض فذلك قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض في يومين في الأحد والاثنين فخلق الأرض على حوت والحوت هو الذي ذكره في القرآن والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاء على قبل فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دحانا فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء ثم أبيض الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم قال إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق عن ابن عباس. قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة هو الذي خلق لكم ما في الفعل على الفعل كما قال الشاعر: قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده وقيل إن الدحي كان بعد خلق السماوات والأرض رواه علي بن أبي طلحة والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم فقد قيل أن ثم هاهنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء الله. فأما قوله تعالى أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها العزيز العليم ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتداء بخلق الأرض أولا ثم خلق السماوات سبعا وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك وقد لها وللأرض اثنتي طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظ ذلك تقدير له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال

تفسیر ابن کثیر

ما خلق كما قال ألا يعلم من خلق وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة وهو قوله تعالى قل أننكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون لأنه عدي بالإى فسواهن أي فخلق السماء سبعا والسماء هاهنا اسم جنس فلهذا قال فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم أي وعلمه محيط بجميع فقال هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات أي قصد إلى السماء والاستواء هاهنا مضمن معنى القصد والإقبال لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم ذكر دليلا آخر مما يشاهدونه من خلق السماوات والأرض

فحدثني رجال من بني حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك قال أولئك قوم آمنوا بالغيب هذا حديث غريب من هذا الوجه. 3

وسلم قد استقبل البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام قال إبراهيم

بديلة بنت أسلم قالت: صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة فاستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا سجدتين ثم جاءنا من يخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه

أبي حدثنا عبدالله بن محمد المسندي حدثنا إسحاق بن إدريس أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري أخبرني جعفر بن محمود عن جدته

صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه. وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا

أبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن حميد وفيه ضعف عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي

إيماناً لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث قلت ولكن قد روى

يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن أعجب الخلق إلي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا فالنبيون قال وما لهم لا

الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي عن المغيرة بن قيس التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:

العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قررته في أول شرح البخاري لأنه مدحهم على ذلك وذكر أنهم أعظم أجراً من هذه الحثية لا مطلقاً وكذا

أعظم منكم أجراً مرتين ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة عن مرزوق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جمعة بنحوه. وهذا الحديث فيه دلالة على

قال ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك

رحمك الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً؟ أمنا بالله واتبعناك

رضي الله عنه فلما انصرف خرجنا نشيعه فلما أراد الانصراف قال إن لكم جائزة وحقا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا هات

بن صالح عن صالح بن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس يصلي فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة

يروني طريق أخرى قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا عبدالله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن مسعود حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا معاوية

صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول الله هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك. قال نعم قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم

بن دريك عن ابن محيريز قال: قلت لأبي جمعة حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أحدثك حديثاً جيداً: تغدينا مع رسول الله

الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفي معنى هذا الحديث الذي رواه أحمد حدثنا أبو المغيرة أنا الأوزاعي حدثني أسد بن عبد الرحمن عن خالد

هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب إلى قوله المفلحون وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق عن الأعمش به وقال

عبدالله إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه

عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال كنا عند عبدالله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال

بالغيب قال بالقدر. فكل هذه متقاربة في معنى واحد لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به. وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية

القرآن وقال عطاء بن أبي رباح من آمن بالله فقد آمن بالغيب وقال إسماعيل بن أبي خالد يؤمنون بالغيب قال بغيب الإسلام وقال زيد بن أسلم الذين يؤمنون

أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بالغيب قال بما جاء منه يعني من الله تعالى وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر قال الغيب

ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن

بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله. وكذا قال قتادة بن دعامة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن

الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى يؤمنون بالغيب قال يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ويؤمنون بالحياة

أي في حال كونهم غيباً عن الناس. وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد قال أبو جعفر الرازي عن

وقال إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فعلى هذا يكون قوله بالغيب حالاً

كما يؤمنون بالشهادة وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون

خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والخشية خلاصة الإيمان والعلم كما قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال بعضهم يؤمنون بالغيب

وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة. ومنهم من فسره بالخشية كقوله تعالى إن الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله من

هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة

مقرؤنا مع الأعمال كقوله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً.

القرآن والمراد به ذلك كما قال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وكما قال إخوة يوسف لأبيهم وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وكذلك إذا استعمل

تفسير ابن كثير

بالعمل والإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل قلت أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل في يخشون. قال ابن جرير: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما يؤمنون يصدقون وقال معمر عن الزهري: الإيمان العمل وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس يؤمنون قال أبو جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: الإيمان التصديق وقال علي وهذا يشبه حال الخلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر والأمويين بالمغرب ولنقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى. 30 وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم بينهما وتردد إمام الحرمين في ذلك قلت اثنين فأكثر كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة. قالوا: وإذا جاز بعث نبیین في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الإمامة لأن النبوة أعلى رتبة بلا خلاف. جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنا من كان وهذا قول الجمهور وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد منهم إمام الحرمين. وقالت الكرامية: يجوز وسلم الأمر إلى معاوية لكن هذا لعذر وقد مدح على ذلك: فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام من جاءكم وأمركم عليه الصلاة والسلام إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان وهل له أن يعزل نفسه فيه خلاف وقد عزل الحسن بن علي رضي الله عنه نفسه على الصحيح ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطأ خلافاً للغلاة الروافض ولو فسق الإمام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف والصحيح أنه لا ينعزل لقوله من الأربعة الباقين في هذا نظر والله أعلم. ويجب أن يكون ذكراً حراً بالغاً عاقلاً مسلماً عدلاً مجتهداً بصيراً سليم الأعضاء خبيراً بالحروب والآراء قرشياً له كما ترك عمر رضي الله عنه الأمر شورى بين ستة فوقع الأمر على عاقد وهو عبدالرحمن بن عوف ومعقود له وهو عثمان واستنبط وجوب الأربعة الشهود عليه الشافعي وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة؟ فيه خلاف فمنهم من قال لا يشترط وقيل بلى ويكفي شاهدان. وقال الجبائي يجب أربعة وعاقده ومعقود عند الجمهور وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع والله أعلم. أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف وقد نص بعمر بن الخطاب أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته أو بمبايعته واحد منهم له فيجب التزامها والإمامة تنال بالنص كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر أو بالإيماء إليه كما يقول آخرون منهم أو باستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق من ظالمهم ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا تمكن إقامتها إلا بالإمام وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. أعلم ما لا تعلمون وقد استدلل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم أنبياء ورسول وقوم صالحون وساكنو الجنة وسيأتي عن ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى قال إني تسبيحا في السماوات العلى سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى قال إني أعلم ما لا تعلمون قال قتادة فكان في علم الله أنه سيكون في تلك الخليقة أفضل؟ قال ما اصطكى الله لملائكته سبحان الله وبحمده وروى البيهقي عن عبدالرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به سمع من الطهارة من الأنداس وما أضاف إليك أهل الكفر بك. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام بذلك المطهرة. فمعنى قول الملائكة إذا ونحن نسبح بحمدك ونذكرك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونقدس لك ننسبك إلى ما هو من صفاتك التقديس هو التعظيم والتطهير. ومنه قولهم سبوح قدوس يعني بقولهم سبوح تنزيه له وبقولهم قدوس طهارة وتعظيم له: وكذلك للأرض أرض مقدسة يعني نعظمك ونكبرك. فقال الضحاك: التقديس التطهير. وقال محمد بن إسحق: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال: لا نعصي ولا نأتي شيئا نكرهه. وقال ابن جرير: وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: يقولون نصلي لك. وقال مجاهد: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال: بحمدك ونقدس لك. قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة قال: التسبيح التسييح والتقديس الصلاة. وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس فابتلوا بخلق آدم وكل خلق مهتلى كما ابتليت السماوات والأرض بالطاعة فقال الله تعالى ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله تعالى ونحن نسبح وساكنو الجنة قال وذكر لنا عن ابن عباس أنه كان يقول: إن الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام قالت الملائكة ما الله خالق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منا والفساد في الأرض ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال إني أعلم ما لا تعلمون. فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسول وقوم صالحون خليفة قال استشار الملائكة في خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملائكة أنه لا شيء أكره عند الله من سفك الدماء يا رب خبرنا مسألة استخبار منهم لا على وجه الإنكار واختاره ابن جرير وقال سعيد عن قتادة قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أنتم ومن بعض ما ترونه لي طائعا. قال: وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك فكانهم قالوا أن ذلك كائن من بني آدم فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم إني أعلم ما لا تعلمون يعني أن الدماء. قال ابن جرير: وقال بعضهم إنما قالت الملائكة ما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرهم وهذا أيضاً إسرائيلي منكر كالذي قبله والله أعلم. قال ابن جرير: إنما تكلموا بما أعلمهم الله أنه كائن من خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك إنا الملائكة الذين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضاً بحيث قال: حدثنا أبي حدثنا هشام بن أبي عبيد الله حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال: سمعت أبي يقول بن علي بن الحسن الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة توجب رده والله أعلم ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط وهو خلاف السياق جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال ذلك استطالة على الملائكة. وهذا أثر غريب وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد

تفسير ابن كثير

لمحات في أم الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم وما كان فيه من الأمور فأسر ذلك إلى هاروت وماروت وكانا من أعوانه فلما قال تعالى إني ابن المبارك عن معروف يعني ابن خربوذ المكي عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان له كل يوم ثلاث أنه إذا كان في الأرض خليفة أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فذلك حين قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا هشام الرازي حدثنا جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون فقالوا بالقول الذي علمهم. وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أنجعل فيها من يفسد فيها كان الله أعلمهم بالعلم الذي علمهم أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون قال الحسن إن الجن كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون الدماء ولكن أخبرنا الحسن قال: قال الله للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قال لهم إني فاعل فأمروا برهبهم فعلمهم علما وطوى عنهم علما ولم يعلموه. فقالوا يفسد فيها كما أفسدت الجن ويسفك الدماء كما سفكوا. قال ابن أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مبارك بن فضالة وخلق آدم يوم الجمعة فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم ببغيهم وكان الفساد في الأرض فمن ثم قالوا: أنجعل فيها من في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله أعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال: خلق الله الملائكة يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس جاعل في الأرض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال: إني أعلم ما لا تعلمون. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوا بجزائر البحور فقال الله للملائكة: إني أبي حدثنا على بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو قال: كان الجن بنو الجان في الأرض ذلك وتقدم أنفا ما رواه الضحاك عن ابن عباس أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم فقالت الملائكة ذلك فقاوسا هؤلاء بأولئك. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أنجعل فيها من يفسد فيها. وقد تقدم ما رواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن الله أعلم الملائكة بما تفعله ذرية آدم فقالت الملائكة بن زيد بن أسلم: قال الله للملائكة إني أريد أن أخلق في الأرض خلقا وأجعل فيها خليفة وليس لله عز وجل خلق إلا الملائكة والأرض وليس فيها خلق. قالوا: عن عطاء بن السائب عن ابن سابط إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال: يعنون به بني آدم. وقال عبدالرحمن إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فأسكنه إياها فلذلك قال إني جاعل في الأرض خليفة وقال سفيان الثوري روق عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله إليهم إبليس فقتلهم في الأرض خليفة يقول ساكتا وعامرا يعمرها ويسكنها خلفا ليس منكم: قال ابن جرير: وحدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمار عن أبي ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة لأنه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر فكان منه خلفا قال: وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى إني جاعل الفعلية من قولك خلف فلان فلان في هذا الأثر إذا قام مقامه فيه بعده كما قال تعالى ثم جعلناكم فئات في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون بين خلقه وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه: قال ابن جرير: وإنما معنى الخلافة التي ذكرها إنما هي خلافة قرن منهم قرنا. قال: والخليفة الآية على هذا إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل في الأرض خليفة. قالوا: ربنا وما يكون ذاك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. قال ابن جرير فكان تأويل قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة إن الله تعالى قال للملائكة إني جاعل الأرض خليفة يعني مكة وهذا مرسل وفي سنده ضعف وفيه مدرج وهو أن المراد بالأرض مكة والله أعلم فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك خليفة بن السائب عن عبدالرحمن بن سابط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دحيت الأرض من مكة وأول من طاف بالبيت الملائكة فقال الله إني جاعل في ففيها تساهل وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن والله أعلم في الأرض قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن عطاء ومعناه أنه أخبرهم بذلك وقال السدي استشار الملائكة في خلق آدم رواه ابن أبي حاتم وقال وروي عن قتادة نحوه وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وفتادة قالوا: قال الله للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قال لهم إني فاعل هذا السماء أصلح لكم وأليق بكم. ذكرها الرازي مع غيرها من الأجوبة والله أعلم. ذكر أقوال المفسرين ببسط ما ذكرناه قال ابن جرير: حدثني القاسم بن الحسن ويفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك طلبا منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم فقال الله تعالى لهم إني أعلم ما لا تعلمون من أن بقاءكم في ونقدس لك فقال إني أعلم ما لا تعلمون أي من وجود إبليس بينكم وليس هو كما وصفتم أنفسكم به. وقيل بل تضمن قولهم أنجعل فيها من يفسد فيها وقيل معنى قوله جوابا لهم إني أعلم ما لا تعلمون إني لي حكمة مفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها وقيل إنه جواب ونحن نسبح بحمدك يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل فقولهم أنيئناهم وهم يصلون وتركتاهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم إني أعلم ما لا تعلمون وهم يصلون. وذلك لأنهم يتعاقبون فينا ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال كما قال عليه الصلاة والسلام وقد ثبت في الصحيح أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عبادهم يسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أنيئناهم وهم يصلون وتركتاهم والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملين والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم الراجعة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء كما سيأتي. أي ولا يصدر منا شيء من ذلك وهلا وقع الاختصار علينا؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال إني أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصلحة يقولون يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نصلي لك

تفسير ابن كثير

قتادة وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يتوهمه بعض المفسرين وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه وههنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقاً قال أنهم قاسوهم على من سبق كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد الصنف من صلصال من حمإ مسنون أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم قاله القرطبي أو فيها ويفسك الدماء فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره والظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد بن علي وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي في الأرض يخلفون وقال فخلف من بعدهم خلف وقرئ في الشاذ إني جاعل في الأرض خليفة حكاه الزمخشري وغيره ونقل القرطبي عن زيد بعضاً قرنا بعد قرن وجيلاً بعد جيل كما قال تعالى هو الذي جعلكم خلائف الأرض وقال ويجعلكم خلفاء الأرض وقال ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة ورده ابن جرير قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا اجتراء من أبي عبيدة إني جاعل في الأرض خليفة أي قوما يخلف بعضهم إذ قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية وهو أبو عبيدة أنه زعم أن إذ هاهنا زائدة وأن تقدير الكلام وقال ربك يخبر تعالى بامتثاله على بني آدم بتنويعه بذكرهم في المأل الأعلى قبل إيجادهم فقال تعالى وإذ قال ربك للملائكة أي واذكر يا محمد لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أخرى أن تكونوا غير عالمين. 31 إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء وإن جعلتكم فيها أطعموني واتبعتهم أمري بالتعظيم والتقديس فإذا كنتم عليكم أيها الملائكة القائلون: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ من غيرنا أم منا. فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك إن كنتم صادقين في قيلكم أني يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء. وقال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعني ذلك فقال أنبئوني بأسماء من عرضته في الأرض خليفة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة إن كنتم صادقين أن بني آدم إني لم أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. وقال الضحاك عن ابن عباس إن كنتم صادقين إن كنتم تعلمون أني لم أجعل وقاتلة قال: علمه اسم كل شيء وجعل يسمى كل شيء باسمه وعرضت عليه أمة أمة وبهذا الإسناد عن الحسن وقاتلة في قوله تعالى إن كنتم صادقين الأسماء على الملائكة وقال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة عن الحسن وأبي بكر عن الحسن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة. وقال ابن جرير عن مجاهد ثم عرض أصحاب قتادة قال ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن أسماء كل شيء. فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال ثم عرضهم على الملائكة يعني المسميات كما قال عبدالرزاق عن معمر عن عروبة عن قتادة. ووجه إيراد هاهنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام. فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي عن قتادة به وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد وهو ابن أبي لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة ثم أعود الرابعة فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود هكذا ساق البخاري هذا الحديث ههنا تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيته ثم أشفع فيحد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق حتى أستاذن ربي فيأذن لي فإذا رأيته ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك وسل هناك ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه. فيقول انتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول لست هناك. انتوا محمدا عبدا ربه ما ليس له به علم فيستحي. فيقول انتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هناك. فيقول انتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه فيقول لست يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناك ويذكر ذنبه فيستحي انتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتونه فيقول لست هناك ويذكر سؤاله القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى صلى الله عليه وسلم قال: وقال لي خليفة. حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجتمع المؤمنون يوم ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في كتاب التفسير من صحيحه: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله الصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذراتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية يعني ذوات الأسماء والأفعال المكبر والمصغر ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير وقد قرأ عبد الله بن مسعود ثم عرضهن. وقرأ أبي بن كعب ثم عرضها أي السماوات. معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين كلهم. واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لأنه قال ثم عرضهم عبارة عما يعقل. وهذا الذي رجح به ليس بلازم فإنه لا ينفي أن يدخل من السلف أنه علمه أسماء كل شيء وقال الربيع في رواية عنه أسماء الملائكة. وقال حميد الشامي أسماء النجوم. وقال عبدالرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته نعم حتى الفسوة والفسية وقال مجاهد وعلم آدم الأسماء كلها قال علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقاتلة وغيرهم وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس وعلم آدم الأسماء كلها قال علمه اسم الصحفة والقدر قال

تفسير ابن كثير

وعلم آدم الأسماء كلها قال هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودواب وسما وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها عن ابن عباس وعلم آدم الأسماء كلها قال علمه أسماء ولده إنسانا وإنسانا والدواب فقيل هذا الحمار هذا الجمل هذا الفرس وقال الضحاك عن ابن عباس لا يعلمون ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى وعلم آدم الأسماء كلها قال السدي عمن حدثه بعد سجودهم له وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان

أن تقول. قال وحدثنا أبي حدثنا فضيل بن النضر بن عدي قال سأل رجل ميمون بن مهران عن سبحان الله قال اسم يعظم الله به ويحاشا به من السوء. 32 تنزيه الله نفسه عن السوء ثم قال: قال عمر لعلي وأصحابه عنده لا إله إلا الله قد عرفناها فما سبحان الله فقال له على كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب الحكمة في ذلك والعدل التام. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس: سبحان الله. قال ولهذا قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم أي العليم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء لك هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وأن يعلموا شيئا إلا ما علمهم الله تعالى

تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ذكر أن الذي نادى إنما كان واحدا من بني تميم قال وكذلك قوله وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون. 33 العرب قتل الجيش وهزموا وإنما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم كما قال أنجعل فيها من يفسد فيها والذي كانوا يكتمون ما كان منطويا عليه إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته. قال وصح ذلك وكما تقول السماوات والأرض ما تظهرونه بألسنتكم. وما كنتم تخفون في أنفسكم فلا يخفى علي شيء سواء عندي سرائركم وعلايتكم والذي أظهره بألسنتهم قولهم الله آدم من العلم أقروا له بالفضل. وقال ابن جرير وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس وهو أن معنى قوله تعالى: وأعلم تدون وأعلم مع علمي غيب فيها من يعصيني ومن يطيعني قال وقد سبق من الله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه قال فلما رأوا ما أعطى وآدم: فقال الله للملائكة كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها هذا عندي قد علمته فكذلك أخفيت عنكم أني أجعل منه وأكرم. فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم قال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة تدون وما كنتم تكتمون فكان الذي أبدوا هو قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. وكان الذي كنتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم أبو العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة هو قولهم لم يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه: وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وأعلم ما أبدوا وما كنتم تكتمون يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر وكذلك قال سعيد بن جبيرة ومجاهد والسدي والضحاك والثوري. واختار ذلك ابن جرير وقال مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فهذا الذي عن ابن عباس وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون قال أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز. وقال السدي عن أبي ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم وقيل في قوله تعالى وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون غير ما ذكرناه فروى الضحاك تعالى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى وكما قال إخبارا عن الهدد أنه قال لسليمان ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض تعالى للملائكة ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون أي ألم أقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي كما قال شيء وروي عن سعيد بن جبيرة والحسن وقتادة نحو ذلك فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الأشياء قال الله ميكائيل أنت إسرأيل حتى عدد الأسماء كلها حتى بلغ الغراب. وقال مجاهد في قول الله قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم قال اسم الحمامة والغراب واسم كل بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون قال زيد بن أسلم قال أنت جبرائيل أنت قوله تعالى قال يا آدم أنبئهم

وقد رجح كلا من القولين طائفة وظاهر الآية الكريمة العموم فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم والله أعلم. 34 تعرضوا أمره على الكتاب والسنة وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلماء هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الأرض أو عام بملائكة السماوات والأرض به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله. بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغفروا به حتى الأمور المهولة. وقد قال: يونس بن عبد الأعلى الصدفي قلت للشافعي كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغفروا الكثيرة من أنه يأمر السماء أن تمطر فتتمطر والأرض أن تنبت فتنبت وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب وأن يقتل ذلك الشاب ثم يحييه إلى غير ذلك من مبين وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمر وبما ثبتت به الأحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق على يد الفاجر والكافر أيضا بما ثبت عن ابن صياد أنه قال هو الدخ حين خبا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فارتقب يوم تأتي السماء بدخان الله بالإيمان وهو لا يقطع بنفسه لذلك يعني والولي الذي يقطع له بذلك الأمر قلت وقد استدلل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يد غير الولي بل قد يكون العادات فليس ذلك دالا على ولايته خلافا لبعض الصوفية والرافضة هذا لفظه ثم استدلل على ما قال بأن لا نقطع بهذا الذي جرى الخارق على يديه أنه يوافي تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين ورجحه القرطبي وذكرها هنا مسألة فقال: قال علماؤنا من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق فكان من المغرقيين وقال فتكونا من الظالمين وقال الشاعر: بتيهاء فقر والمطي كأنها قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها أي قد صارت وقال ابن فورك

تفسير ابن كثير

والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس قال بعض المعربين وكان من الكافرين أي وصار من الكافرين بسبب امتناعه كما قال لآدم عليه السلام قلت وقد ثبت في الصحيح لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر الكافرين حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة وقال أنا ناري وهذا طيني وكان بدء الذنوب الكبر استكبر عدو الله أن يسجد أن المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض وهو ضعيف كما قال وقال قتادة في قوله تعالى فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من لله عز وجل لأنها امتثال لأمره تعالى. وقد قواه الرازي في تفسيره وضعف ما عده من القولين الآخرين وهما كونه جعل قبله إذ لا يظهر فيه شرف والآخر كما قال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس وفي هذا التنظير نظر والأظهر أن القول الأول أولى والسجدة لآدم إكراما وإعظاما واحتراما وسلاما وهي طاعة لا. لو كنت أمرا بشرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ورجحه الرازي وقال بعضهم بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا. قال معاذ: قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلماهم فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك فقال سجدوا تحية وسلام وإكرام كما قال تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤيائي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد كان هذا وقال قتادة في قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته وقال بعض الناس كان هذا كعب القرظي ابتداء خلق إبليس من الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة فصيره الله إلى ما أبدى عليه خلقه على الكفر قال الله تعالى وكان من الكافرين عن الربيع عن أبي العالية وكان من الكافرين يعني من العاصين وقال السدي وكان من الكافرين الذين لم يخلقهم الله يومئذ يكونون بعد وقال محمد بن حدثنا أبو أسامة حدثنا صالح بن حيان حدثنا عبد الله بن بريدة: قوله تعالى وكان من الكافرين من الذين أبوا فأحرقتهم النار وقال أبو جعفر رضي الله عنه الذين أبوا أن يسجدوا لآدم وهذا غريب ولا يكاد يصح إسناده فإن فيه رجلا مبهما ومثله لا يحتج به والله أعلم. وقال: ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج فقال إني خالق بشرا من طين اسجدوا لآدم قال فأبوا فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق هؤلاء فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان إبليس من أولئك عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق خلقا آخر يتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى إبليس فلذلك قال تعالى إلا إبليس كان من الجن وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان البزار حدثنا أبو بن يحيى عن موسى بن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل عن سعد بن مسعود قال: كانت الملائكة تقاتل الجن فسيب إبليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء رواه ابن جرير. وقال سنيذ بن داود: حدثنا هشيم أنبأنا عبد الرحمن طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس وهذا إسناد صحيح عن الحسن وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء. وقال شهر بن حوشب: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عدي بن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة يقال لهم الجن وكان إبليس منهم وكان يوسوس ما بين السماء والأرض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيمًا رواه ابن جرير. وقال قتادة عن سعيد بن المسيب: سماء الدنيا وكان له سلطان على الأرض وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس سواء. وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس: إن من الملائكة قبيلة ثم أبلس بعد وقال سنيذ: عن حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان عن سفیان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: كان إبليس اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة عن خالد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد عن ابن عباس أو غيره بنحوه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهدا وأكثرهم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمون جنا. وفي رواية إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ولهذا قال: محمد بن إسحاق عن خالد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم فلماذا دخل في الخطاب لهم وذم في مخالفة الأمر وسنبت المسألة إن شاء الله تعالى عند قوله إلا في مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء ويقول على شرط البخاري. والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم لأنه لم يكن في تفسير السدي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم. والحاكم يروي أتجعل فيها من يفسد فيها فهذا الذي أبدوا وأعلم ما كنتم تكتمون يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور الحكيم قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون قال: قولهم فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم منها فما يكون لك يعني ما ينبغي لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين والصغار هو الذل قال وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة واستكبر وكان من الكافرين قال الله له ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت بيدي؟ قال أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشر خلقتهم من طين قال الله له اخرج رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى خلق الإنسان من عجل فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين أبى لله فقال فقال له الله يرحمك الله فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل الروح إلى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد ما خلقت ودخل من فيه فخرج من دبره وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته فلما بلغ الحين الذي يريد الله فكان أشدهم فرعا منه إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لأمر

تفسير ابن كثير

ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه يلتزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي ميكائيل فعادت منه فعادها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعادت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الأرض وخلط الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال يا رب إنها عادت بك فأعذتها فبعث بعضهم بعضا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون يعني من شأن إبليس. فبعث على ذلك فقال الله للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فقالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل الجن لأنهم خزان الجنة وكان إبليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا يروى به تفسير مشهور وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى السر كما أعلم العلانية يعني ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز هذا سياق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها وهذا الإسناد إلى ابن عباس أقل لكم أيتهن الملائكة خاصة إني أعلم غيب السماوات والأرض ولا يعلم غيري وأعلم ما تدون يقول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يقول أعلم إلا ما علمتنا تبريا منهم من علم الغيب إلا ما علمتنا كما علمت آدم فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم يقول أخبرهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم فيما تكلموا به من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره الذي ليس لهم به علم قالوا سبحانه تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تنبا إليك لا علم لنا بأسماء هؤلاء أي يقول أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة قال: فلما علمت الملائكة مودة الله عليهم وأشابه ذلك من الأمم وغيرها ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة يعني الملائكة الذين كانوا مع إبليس الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم أنبئوني كله وجعله شيطانا رجيمًا عقوبة لمعصيته ثم علم آدم الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول إن النار أقوى من الطين قال فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله أي آيسه من الخير خاصة دون الملائكة الذين في السماوات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاعتزاز فقال لا أسجد له تمت النفخة في جسده عطس فقال الحمد لله رب العالمين بإلهام الله فقال الله له يرحمك الله يا آدم قال ثم قال تعالى: للملائكة الذين كانوا مع إبليس إلى جسده فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله تعالى وخلق الإنسان عجولا قال ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء قال: فلما لأعصينك. قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجري. شيء منها في جسده إلا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة إلى سرتة نظر يدخل في فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيئا للصلصلة ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت علي ملقى وكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصل فيصوت فهو قول الله تعالى من صلصال كالفخار يقول كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت قال ثم فخلق الله آدم من طين لازب واللازب اللازج الطيب من حمأ مسنون متين وإنما كان حمأ مسنونا بعد التراب فخلق منه آدم بيده قال فمكث أربعين ليلة جسدا لذلك؟ فقال الله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون يقول إني قد اطلعت على قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واعتزازه قال ثم أمر بتربة آدم فرفعت إني جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة مجيبين له: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وإنما بعثنا عليهم نفسه فقال قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه فقال الله تعالى للملائكة الذين كانوا معه: في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذي يقال لهم الجن فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل إبليس ذلك اغتر في طرفها إذا ألهمت قال وخلق الإنسان من طين فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله إليهم إبليس خازنا من خزان الجنة قال وخلق الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي قال وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته قال وذكر الحديث كما سيأتي إن شاء الله. وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا أيضا كثيرة منها حديث الشفاعة المتقدم وحديث موسى عليه السلام رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فلما اجتمع به قال أنت آدم الذي خلقه وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم وقد دل على ذلك أحاديث

وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه وإن جهله جاهل لم يضره جهله به والله أعلم وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب. 35

دليلا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة وقد قيل: كانت شجرة البر. وقيل كانت شجرة العنب. وقيل كانت شجرة التين. وجاز أن تكون واحدة منها نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكل منها ولا علم. عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده عنها آدم وزوجته. فهذه أقوال ستة في تفسير هذه الشجرة. قال الإمام العلامة أبو جعفر بن جرير رحمه الله: والصواب في ذلك أن يقال إن الله عز وجل ثاؤه الله آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها من بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهي الشجرة التي نهى الله من أكل منها أحدث ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث وقال عبدالرزاق: حدثنا عمر بن عبدالرحمن بن مهران قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لما أسكن

تفسير ابن كثير

ابن جرير عن مجاهد ولا تقربا هذه الشجرة قال التينة وبه قال قتادة وابن جريج وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كانت الشجرة الحبة منها في الجنة ككلي البقر وألين من الزبد وأحلى من العسل. وقال سفيان الثوري عن حصين عن أبي مالك ولا تقربا هذه الشجرة قال النخلة وقال العوفي وأبو مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى. وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه أنه كان يقول: هي البر ولكن عن الشجرة التي نهى عنها آدم وهي السنبلة وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتون وكذلك فسره الحسن البصري ووهب بن منبه وعطية حدثني رجل من بني تميم أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم والشجرة التي تاب عندها آدم فكتب إليه أبو الجلد: سألتني عن رجل من أهل العلم عن حجاج عن مجاهد عن ابن عباس قال: هي البر وقال ابن جرير: وحدثنى المثنى بن إبراهيم حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا القاسم عبد الرزاق: أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: هي السنبلة وقال محمد بن إسحاق الأحمسي حدثنا أبو يحيى الحماني حدثنا أبو النضر أبو عمر الخراز عن عكرمة عن ابن عباس قال: الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي السنبلة وقال مسعود عن ناس من الصحابة ولا تقربا هذه الشجرة هي الكرم. وتزعم يهود أنها الحنطة. وقال ابن جرير وابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة بن جبيرة والسدي والشعبي وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس قال السدي أيضا في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن وامتحن لآدم وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي. قال السدي عن حدثه عن ابن عباس: الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي الكرم. وكذا قال سعيد خلقت من شيء حي. قال الله يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وأما قوله ولا تقربا هذه الشجرة فهو إخبار من الله تعالى فسألها ما أنت؟ قالت امرأة قال ولم خلقت؟ قالت لتسكن إلي قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم؟ قال حواء ولم حواء؟ قال إنها أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحيشا ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة قاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة الله وجعل له سكنا من نفسه قال له قبيلة يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ويقال فسواها امرأة ليسكن إليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمي ودمي وزوجتي فسكن إليها فلما زوجه العلم عن ابن عباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء كلها فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم إلى قوله إنك أنت العليم الحكيم قال ثم ألقيت السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد صرح بذلك محمد بن إسحاق حيث قال لما فرغ الله من معاتبة إبليس أقبل على آدم وعلمه الأسماء في الأرض فالأكثر على الأول وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض وسيأتي تقرير ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى وسياق أنبيا كان قال نعم نبيا رسولا يكلمه الله قبيلة يعني عيانا فقال اسكن أنت وزوجك الجنة وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم أي في السماء أو من حديث محمد بن عيسى الدامغاني. حدثنا سلمة بن الفضل عن ميكائيل عن ليث عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أرايت آدم الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس وأنه أباح له الجنة يسكن منها حيث يشاء ويأكل منها ما شاء رغدا أي هنيئا واسعا طيبا. وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه يقول الله تعالى إخبارا عما أكرم به آدم: أنه أمر

لهما وهو في الأرض وهما في السماء ذكرها الزمخشري وغيره. وقد أورد القرطبي هاهنا أحاديث في الحيات وقتلهن وبيان حكم ذلك فأجاد وأفاد. 36 كما جاء في التوراة أنه دخل في فم الحية إلى الجنة. وقد قال بعضهم: يحتمل أنه وسوس لهما وهو خارج باب الجنة. وقال بعضهم: يحتمل أنه وسوس هذا في أول كتابنا البداية والنهاية وأجاب الجمهور بأجوبة أحدها أنه منع من دخول الجنة مكرما فأما على وجه السرقة والإهانة فلا يمتنع ولهذا قال بعضهم هنالك طردا قدريا والقدر لا يخالف ولا يمانع؟ فالجواب أن هذا بعينه استدل به من يقول إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء كما قد بسطنا التي أخرجنا منها. فإن قيل فإذا كانت جنة آدم التي أخرج منها في السماء كما يقول الجمهور من العلماء فكيف تمكن إبليس من دخول الجنة وقد طرد من نعود إلى أوطاننا ونسلم قال الرازي عن فتح الموصلي أنه قال: كنا قوما من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار إلى الذنوب وترتجي درج الجنان ونيل فوز العابد أنسيت ربك حين أخرج آدمنا منها إلى الدنيا بذنب واحد وقال ابن القاسم: ولكننا سبي العدو فهل ترى بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصي قال الشاعر: يا ناظرا يرنو بعيني راقدا ومشاهدا للأمر غير مشاهد تصل الذنوب وفيه أخرج منها رواه مسلم والنسائي. وقال الرازي: أعلم أن في هذه الآية تهديدا عظيما عن كل المعاصي من وجوه الأول إنما يتصور ما جرى على آدم بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فتماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير. وقال الزهري عن عبد الرحمن وأهبط إبليس مشبكا بين أصابعه رافعا رأسه إلى السماء. وقال عبد الرزاق: قال معمر أخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال إن الله حين أهبط بن أبي قيس عن الزبير بن عدي عن ابن عمر قال: أهبط آدم بالصفاء وحواء بالمرودة. وقال رجاء بن سلمة: أهبط آدم عليه السلام يدها على ركبتيه مطأطنا رأسه أميال وأهبطت الحية بأصبعها رواه ابن أبي حاتم. وقال أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمر أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها دحنا بين مكة والطائف. وعن الحسن البصري قال: أهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بدستيميسان من البصرة على ابن عباس قال: أهبط آدم بدحنا أرض الهند. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال:

تفسير ابن كثير

من الهند من قبضة الورق التي هبط بها آدم وإنما قبضها أسفا على الجنة حين أخرج منها. وقال عمران بن عيينة: عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن منها جميعا فهبطوا ونزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الأسود وقبضة من ورق الجنة فبته بالهند فبنت شجرة الطيب فإنما أصل ما يجاء به من الطيب التاسعة أو العاشرة فأخرج آدم معه غصنا من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة وهو الإكليل من ورق الجنة. وقال السدي: قال الله تعالى اهبطوا قال: لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا. وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس قال: خرج آدم من الجنة للساعة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال عبد بن حميد في تفسيره حدثنا روح عن هشام عن الحسن باكويه عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أسكن آدم الجنة خلقا ثم عصوني لأسكنتهم دار العاصين. هذا حديث غريب وفيه انقطاع بل إعضال بين قتادة وأبي بن كعب رضي الله عنهما. وقال الحاكم: حدثنا أبو بكر بن شجرة بشعره فنودي: يا آدم أفرارا مني؟ قال: بل حياء منك قال: يا آدم أخرج من جوارى فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني ولو خلقت مثلك ملء الأرض بن عمار حدثنا علي بن عاصم عن سعيد عن قتادة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذاق آدم من الشجرة فر هاربا فتعلقت فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحياء. قال: وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم القرشي سنة أربع وخمسين ومائتين حدثنا سليمان بن منصور ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم مني تفر؟ عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما الأعراف فهناك القصة أبسط منها هاهنا والله الموفق. وقد قال ابن أبي حاتم ههنا: حدثنا علي بن الحسن بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي بن منبه وغيرهم. هاهنا أخبارا إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته وسنبسط ذلك إن شاء الله في سورة أي قرار وأرزاق وآجال إلى حين أي وقت مؤقت ومقدار معين ثم تقوم القيامة وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده وأبي العالية ووهب فأخرجهما مما كانا فيه أي من اللباس والمنزل والرحب والرزق الهنيء والراحة وقلنا اهبطوا بعضهم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين الزلل فعلى هذا يكون تقدير الكلام فأزلهما الشيطان عنها أي بسببها كما قال تعالى يؤفك عنه من أفك أي يصرف بسببه من هو مأفوك ولهذا قال تعالى كما قرأ عاصم فأزلهما أي فنحاهما ويصح أن يكون عائدا على أقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقاتلة فأزلهما أي من قبل وقوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها يصح أن يكون الضمير في قوله عنها عائدا إلى الجنة فيكون معنى الكلام

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب ويتوب على من يتوب وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبده لا إله إلا هو التواب الرحيم. 37 من تاب إليه وأناب كقوله ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وقوله ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية وقوله ومن تاب وعمل صالحا اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم. وقوله تعالى إنه هو التواب الرحيم أي إنه يتوب على سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين لنكون من الخاسرين وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه كان يقول في قول الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه. قال الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت أصاب الخطيئة قال رأيت إن تبت يا رب وأصلحت؟ قال الله إذا أدخلك الجنة فهي الكلمات ومن الكلمات أيضا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا من هذا الوجه وفيه انقطاع: وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه. قال إن آدم لما الله عليه وسلم قال آدم عليه السلام رأيت يا رب إن تبت ورجعت أعاندي إلى الجنة؟ قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وهذا حديث غريب شبيه بهذا فقال: حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب حدثنا ابن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى في مستدركه من حديث ابن جبير عن ابن عباس وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وهكذا فسره السدي وعطية العوفي. وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا قيل له بلى قال: رأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال نعم. وهكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد عن ابن عباس بنحوه ورواه الحاكم وقال السدي عمن حدثه عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات قال: قال آدم عليه السلام: يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال له بلى. قال: ونفخت في من روحك؟ من قبل نفسي؟ قال بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك قال: فكما كتبته علي فاغفر لي. قال فذلك قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه سمع عبيد بن عمير. وفي رواية قال مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال: قال آدم يا رب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدئته من بني تميم قال: أتيت ابن عباس فسألته ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه؟ قال: علم شأن الحج. وقال سفيان الثوري عن عبدالعزيز بن رفيع أخبرني من والربيع بن أنس والحسن وقاتلة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال أبو إسحاق السبيعي عن رجل إن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية قيل

منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. 38 وأرسلت به الرسل فلا خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا كما قال في سورة طه قال اهبطا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن الهدى القرآن وهذان القولان صحيحان. وقول أبي العالية أعم فمن اتبع هداي أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب من الجنة والمراد الذرية أنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل كما قال أبو العالية الهدى الأنبياء والرسل والبيئات والبيان وقال مقاتل بن حيان: الهدى

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم

وتكرير كما يقال قم قم وقال آخرون بل الإهباط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض والصحيح الأول والله أعلم. 39
في الشفاعة وقد رواه مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة به. وذكر هذا الإهباط الثاني لما تعلق به ما بعده من المعنى المغاير للأول وزعم بعضهم أنه تأكيد صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم فأما انتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن من طريقين عن أبي سلمة سعيد بن يزيد عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد واسمه سعد بن مالك بن سنان الخدري قال: قال رسول الله أي مخلصون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص. أورد ابن جرير هاهنا حديثا ساقه

منهم في الإسلام فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحثية فغيرهم يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصل لهم والله أعلم. 4
أنزل إلينا وأنزل إليكم ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل مرتين وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجملا كما جاء في الصحيح إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم ولكن قولوا آمنا بالذي بالله ورسله وكتبه لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلا فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الأجر لا نفرق بين أحد من رسله وقال تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم إلى غير ذلك من الآيات الدالة على جميع أمر المؤمنين بالإيمان وما أنزل إليكم من ربكم وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الآية. وقال تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بالله ورسله وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإيقان بالآخرة من قبل الآية. وقال تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد كما أن هذا لا يصح إلا بذاك وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما قال يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإيقان بالآخرة وكتابي من إنسي وجني وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها فلا يصح الإيمان بالغيب وإقام أول سورة البقرة في نعت المؤمنين وآياتان في نعت الكافرين وثلاثة عشر في المناققين فهذه الآيات الأربع عامات في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي عربي وكتابي قلت والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري عن رجل عن مجاهد ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: أربع آيات من إلا بمناسبة وهي أن الله وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين كافر ومنافق فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين بنبيه وآمن بي ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها وأما ابن جرير فما استشهد على صحة ما قال في الصحيحين من حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون أجراً مرتين رجل من أهل الكتاب آمن عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجراً مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وبما ثبت وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله الآية ويقولون آمنا بالله الذي أنزلناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى لمؤمني أهل الكتاب نقله السدي في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة واختاره ابن جرير رحمه الله ويستشهد لما قال بقوله تعالى والموصوف واحد والثالث أن الموصوفين أولاً مؤمنو العرب والموصوفون ثانياً بقوله والذي يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وكما قال الشاعر: إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم فحطفت الصفات بعضها على بعض والثاني هما واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي أحدها أن الموصوفين أولاً هم الموصوفون ثانياً وهم كل مؤمن مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم قاله مجاهد وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة هنا هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ومن هم؟ على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير من ربهم وبالأخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان وإنما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا وقد اختلف المفسرون في الموصوفين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك أي يصدقون بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاءهم به قال ابن عباس والذين

إلى الحق واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والاتعاظ بالقرآن وزواجه وامتثال أوامره وتصديق أخباره والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. 40
بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتكم من المسخ وغيره وهذا انتقال من الترغيب فدعاهم إليه بالرغبة والرهبة لعلهم يرجعون وإياي فارهبون أي فاحشون قاله أبو العالية والسدي والربيع بن أنس وقتادة. وقال ابن عباس في قوله تعالى وإياي فارهبون أي إن نزل بكم ما أنزل وأن يتبعوه. وقال الضحاك عن ابن عباس: أوف بعهدكم قال أرض عنكم وأدخلكم الجنة وكذا قال السدي والضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس وقوله تعالى أورد الرازي بشارات كثيرة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية وأوفوا بعهدي قال عهده إلى عباده دين الإسلام من بني إسماعيل نبيا عظيما يطيعه جميع الشعوب والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم فمن اتبعه غفر الله له ذنبه وأدخله الجنة وجعل له أجرين. وقد وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار الآية وقال آخرون هو الذي أخذ الله عليهم في التوراة أنه سيعتق هو قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وآمنت برسلي وعزمتهم

تفسير ابن كثير

ما وعدتكم عليه من تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم. وقال الحسن البصري آبائكم لما كان نجاهم من فرعون وقومه وأوفوا بعهدي أوف بعهدي الذي أخذت في أعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم أنجز لكم بن إسحق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي بلائي عندكم وعند موسى عليه السلام لهم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يعني في زمانهم. وقال محمد الحاجر وأنزل عليهم المن والسلوى ونجاهم من عبودية آل فرعون وقال أبو العالية: نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل أو نزل عليهم الكتب قلت وهذا كقول أن إسرائيل كقولك عبد الله وقوله تعالى اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم قال مجاهد نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سمى وفيما سوى ذلك أن فجر لهم قالوا اللهم نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وقال الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس عن شهر بن حوشب قال: حدثني عبد الله بن عباس قال حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب؟ ومن ذلك أيضا قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا فإسرائيل هو يعقوب بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الحميد بن بهرام العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق كما تقول يا ابن الكريم افعل كذا يا ابن الشجاع بارز الأبطال يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك. بالدخول في الإسلام ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ومهيجا لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام وتقديره يا بني يقول تعالى أمرا بني إسرائيل

الله. ومعنى قوله وإياي فاتقون أنه تعالى يتوعدهم فيما يتعمدون من كتمان الحق وإظهار خلافه ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه. 41 الأحول عن أبي العالية عن طلق بن حبيب قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله وأن ترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة والله أعلم وقوله وإياي فاتقون قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عمر الدوري حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عاصم عمر بن عبد البر على أنه لما علمه الله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله فتركه رواه أبو داود وروى مثله عن أبي بن كعب مرفوعا فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء منهم أبو من القرآن فأما حديث عبادة بن الصامت أنه علم رجلا من أهل الصفة شيئا من القرآن فأهدى له قوسا فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن العلماء كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة اللديغ إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله وقوله في قصة المخطوبة زوجتكها بما معك له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه وإذا لم يتعين عليه فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور القيامة فأما تعليم العلم بأجرة فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله فإن لم يحصل الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يرح الجنة يوم ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس لتستمرروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيمة الزائلة عن قريب وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي قليلا يقول لا تأخذوا عليه أجرا قال وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وقيل معناه لا تعتاضوا عن البيان والإيضاح يقول لا تأخذوا طمعا قليلا ولا تكتنوا اسم الله فذلك الطمع هو الثمن وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا في قوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا إن آياته كتابه الذي أنزله إليهم وإن الثمن القليل الدنيا وشهواتها وقال السدي: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا قال: سئل الحسن يعني البصري عن قوله تعالى ثمنا قليلا قال: الثمن القليل الدنيا بحذافيرها وقال ابن لهيعة: حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبيرة عن الإمامين بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية كما قال عبد الله بن المبارك: أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر عن هارون بن يزيد المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول لا تعتاضوا به أول من كفر به من بني إسرائيل لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة فإن يهود متلازمان لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن وأما قوله أول كافر به فيعني الحسن والسدي والربيع بن أنس واختار ابن جرير أن الضمير في قوله به عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله بما أنزلت وكلا القولين صحيح لأنهما ما ليس عند غيركم قال أبو العالية: يقول ولا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم يعني من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم بمبعثه وكذا قال نحو ذلك وقوله ولا تكونوا أول كافر به قال بعض المعربين أول فريق كافر به أو نحو ذلك. قال ابن عباس: ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول لأنهم يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل وروى عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل. قال أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول يا معشر أهل الكتاب آمنوا مصدقا لما معكم يعني به القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي العربي بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا مشتملا على الحق من الله تعالى ولهذا قال وآمنوا بما أنزلت

بهم إلى النار إن سلخوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق لتروجوه عليهم والبيان الإيضاح وعكسه الكتمان وخط الحق بالباطل. 42 تعلمون حال أيضا ومعناه وأنتم تعلمون الحق. ويجوز أن يكون المعنى وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المفضي أي لا تجمعوا بين هذا وهذا كما يقال لا تأكل السمك وتشرب اللبن قال الزمخشري وفي مصحف ابن مسعود وتكتمون الحق أي في حال كتمانكم الحق وأنتم

تفسير ابن كثير

والسدي وقتادة والربيع بن أنس وتكتموا الحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قلت وتكتموا يحتمل أن يكون مجزوما ويحتمل أن يكون منصوبا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم وروي عن أبي العالية نحو ذلك وقال مجاهد نحو ذلك. وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا بالباطل ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله. وروي عن الحسن البصري الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن سعيد بن جبيرة والربيع بن أنس نحوه وقال قتادة ولا تلبسوا الحق الضحاك عن ابن عباس ولا تلبسوا الحق بالباطل لا تخلصوا الحق بالباطل والصدق بالكذب وقال أبو العالية ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول ولا تخلصوا الحق وإظهارهم الباطل ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون فنهاهم عن الشينين معا وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به ولهذا قال يقول تعالى ناهيا لليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل. تمويهه وتكتمانهم

العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة وأبسط لك في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى وقد تكلم القرطبي على مسائل الجماعة والإمامة فأجاد. 43 قال صدقة الفطر وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين أي وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ومن أخص ذلك وأكمل الصلاة. وقد استدل كثير من وبالصلاة وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي حيان التيمي عن الحارث العكلي في قوله تعالى وآتوا الزكاة الزكاة قال: ما يجب الزكاة؟ قال: مائتان فصاعدا وقال مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى وآتوا الزكاة قال فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها كونوا معهم ومنهم وقال علي بن طلحة عن ابن عباس يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص وقال وكيع عن أبي جناب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وآتوا أن يؤتوا الزكاة أي يدفعونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم واركعوا مع الراكعين أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول قال مقاتل قوله تعالى لأهل الكتاب وأقيموا الصلاة أمرهم أن يصلوا مع النبي وآتوا الزكاة أمرهم

وقوله إخبارا عن شعيب وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. 44 ثلاث آيات قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقوله يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا إليه إنسانه فيه ضعف وقال إبراهيم النخعي إني لأكره القصص زيد بن الحارث حدثنا عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الناس إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح أحكمت هذه الآية؟ قال لا قال فابدأ بنفسك. رواه ابن مردويه في تفسيره وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون أحكمت هذه؟ قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام وما أريد أن أخالفكم الله فافعل قال وما هن؟ قال قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم أحكمت هذه؟ قال لا قال فالحرف الثاني قال قوله تعالى لم تقولون ما لا إنه جاءه رجل فقال: يا ابن عباس إني أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر قال أبلغت ذلك؟ قال أرجو قال إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب عن زهير بن عباد الرواسي عن أبي بكر الزهري عبد الله بن حكيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن الوليد بن عقبة فذكره وقال: الضحاك عن ابن عباس فيقولون بم دخلتم النار؟ فو الله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل ورواه ابن جرير الطبري عن أحمد بن يحيى الخباز الرملي يتذكر أولو الألباب وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أناسا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار الآثار: إنه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة ليس من يعلم كمن لا يعلم. وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يعافي الأमीين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء وقد ورد في بعض بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش به نحوه وقال: أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول كنت آمركم أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قالوا وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه لا أكلمه ألا أسمعكم إني لأكلمه فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من افتتحه والله لا أقول لرجل إنك خير الناس وإن كان علي أميرا بعد أفلا يعقلون حديث آخر. قال الإمام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: قيل لأسامة وأنا رديفه ألا تكلم عثمان. فقال: إنكم ترون أنني عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم مر يقوم تقرض شفاهم فقال يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم حاتم وابن مردويه أيضا من حديث هشام الدستوائي عن المغيرة يعني ابن حبيب ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال لما بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وأخرج ابن حبان في صحيحه وابن أبي بن قيس عن علي بن زيد عن ثمامة عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاهم وألستهم به ثم قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا موسى بن هارون حدثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببلخ حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا عمر ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به وكذا رواه يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه عبد بن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة به ورواه الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار قال قلت من هؤلاء؟ قالوا خطباء أمتك من أهل الدنيا كانوا يأمرون

تفسير ابن كثير

الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا وكيع حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد هو ابن جده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه هذا حديث غريب من هذا الوجه. حديث آخر. قال قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا علي بن سليمان الكلبي حدثنا الأعمش عن أبي تميمة الهجيمي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي والحسن بن علي العمري من ذا الذي ليس فيه شيء؟ قلت لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم سعيد بن جبير يقول لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. قال مالك وصدق منه تمسكهم بهذه الآية فإنه لا حجة لهم فيها والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه قال مالك عن ربيعة سمعت واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي ينهى غيره عنها وهذا ضعيف وأضعف السلام وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فكل من الأمر بالمعروف وفعله تركهم له فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق فقال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون والغرض أن الله تعالى حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل سألهم عن أبي قلابة في قول الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب قال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يفقه الرجل كل الفقه أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم وقال أبو جعفر بن جرير حدثني علي بن الحسن حدثنا أسلم الحرمي حدثنا مغلد بن الحسين عن أيوب السختياني وتحدثون ما تعلمون من كتابي وقال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي محمد بن إسحاق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وتنسون أنفسكم أي تتركون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أي تهنون والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فغيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة. وقال بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فغيرهم الله عز وجل وكذلك قال السدي وقال ابن جريج أتأمرون الناس بالبر أهل الكتاب فتنتبهوا من رقدتكم وتنبصروا من عمايتكم. وهذا كما قال عبدالرزاق عن معمر بن قتادة في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال كان أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم يقول تعالى كيف يليق بك يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا

والظاهر أن الآية وإن كانت خطابا في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص وإنما هي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم. 45 المانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من رضا الله العظيمة إقامتها إلا على الخاشعين أي المتواضعين المستكينين لطاعته المتذللين من مخالفته. هكذا قال: عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه وقال: ابن جرير معنى الآية واستعينوا أيها الأخبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وإقامة الصلاة الضحاك وإنها لكبيرة قال: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده. وهذا يشبه ما جاء في الحديث. لقد سألت عن بما أنزل الله وقال: مجاهد المؤمنين حقا وقال: أبو العالية إلا على الخاشعين الخائفين وقال مقاتل بن حيان إلا على الخاشعين يعني به المتواضعين وقال: ويلهما إلا ذو حظ عظيم. وعلى كل تقدير فقوله تعالى وإنها لكبيرة أي مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم أي وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا وما يلقاها أي يؤتاها أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون وقال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي إلى الصلاة نص عليه مجاهد واختاره ابن جرير ويحتمل أن يكون عائدا على ما يدل عليه الكلام وهو الوصية بذلك كقوله تعالى في قصة قارون وقال الذين إلا على الخاشعين وقال سنيذ عن حجاج عن ابن جريج واستعينوا بالصبر والصلاة قال إنهما معونتان على رحمة الله والضمير في قوله وإنها لكبيرة عائد سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة ابن جرير وقد حدثنا محمد بن الفضل ويعقوب بن إبراهيم قالا حدثنا ابن علية حدثنا عيينة بن عبدالرحمن عن أبيه أن ابن عباس نعي إليه أخوه قثم وهو في الصلاة والسلام أنه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له أشكم درد ومعناه أيوجعك بطنك! قال: نعم قال: قم فصل فإن الصلاة شفاء قال عليا رضي الله عنه يقول لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويدعو حتى أصبح. قال ابن جرير وروي عنه عليه ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي وكان إذا حزبه أمر صلى. حدثنا عبدالله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع حارثة بن مضرب سمع حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال: قال عكرمة بن عمار قال: محمد بن عبدالله الدؤلي قال: عبدالعزيز قال حذيفة رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بن أخي حذيفة ويقال: أخي حذيفة مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا سهل بن عثمان العسكري عبيد بن أبي قدامة عن عبدالعزيز بن اليمان عن حذيفة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. ورواه بعضهم عن عبدالعزيز

تفسير ابن كثير

داود عن محمد بن عيسى عن يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار كما سيأتي وقد رواه ابن جرير من حديث ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد بن أبي عبد الله الدؤلي قال: قال عبدالعزيز أخو حذيفة قال حذيفة يعني ابن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى ورواه أبو تهي عن الفحشاء والمنكر وذكر الله أكبر الآية وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عكرمة بن عمار عن محمد بن أنها من طاعة الله وأما قوله والصلاة إن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر كما قال تعالى اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة رجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر. وقال أبو العالية في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قال على مرضاة الله واعلموا البصري نحو قول عمر. وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة عن مالك بن دينار عن سعيد بن جبير قال الصبر اعتراف العبد لله بما أصيب فيه واحتسابه عند الله سليمان عن أبي سنان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن وأحسن منه الصبر عن محارم الله. قال: وروي عن الحسن وقيل المراد بالصبر الكف عن المعاصي ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلاها فعل الصلاة. قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن حمزة بن إسماعيل حدثنا إسحق بن نطق به الحديث وقال: سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن جري ابن كليب عن رجل من بني سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصوم نصف الصبر على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة فأما الصبر فقليل إنه الصيام نص عليه مجاهد قال القرطبي وغيره ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر كما يقول تعالى أمرا عبده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل بن حيان في تفسير هذه الآية استعينوا

أظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا فيقول الله اليوم أنساك كما نسيتهن وسياأتي مبسوطة عند قوله تعالى نسوا الله فسيهم إن شاء الله تعالى. 46 وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وترتع؟ فيقول بلى فيقول الله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم علموا أنهم ملاقو ربهم كقوله إني ظننت أني ملاق حسابه يقول علمت وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قلت ربهم قال: الظن هاهنا يقين قال: ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد والسدي والربيع بن أنس وقتادة نحو قول أبي العالية وقال سنيذ عن حجاج عن ابن جريج مجاهد قال كل ظن في القرآن فهو علم وهذا سند صحيح وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقو عاصم حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد كل ظن في القرآن يقين أي ظننت وظنونا وحدثني المثنى حدثنا أبو داود الجبري عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن تحصر وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ومنه قول الله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو فيكم وأجعل مني الظن غيبا يعني وأجعل مني اليقين غيبا مرجما قال والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن بن الصمة. فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سرائهم في الفارسي المسرد يعني بذلك تيقنوا بألفي مدجج يأتيتكم وقال عمير بن طارق. فإن يعبروا قومي وأقعد ظنا نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخا والمستغيث صارخا وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده كما قال دريد بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات فأما قوله يظنون أنهم ملاقو ربهم قال ابن جرير رحمه الله العرب قد تسمي اليقين ظنا والشك ربهم أي يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة معروضون عليه وأنهم إليه راجعون أي أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعدله فلها لما أيقنوا الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون هذا من تمام الكلام الذي قبله أي أن الصلاة أو الوصاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو وقوله تعالى

الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه. 47 على سائر الأمم لا شتمال أمتهم على الأنبياء منهم حكاة القرطبي في تفسيره وفيه نظر لأن العالمين عام يشتمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء فإبراهيم كنتم خير أمة أخرجت للناس وقيل المراد تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس ويلزم تفضيلهم مطلقا حكاة الرازي وفيه نظر وقيل إنهم فضلوا القشيري. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله والأحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله تعالى خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم وفي المسانيد والسنن عن معاوية بن حيدة عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ويجب الحمل على هذا لأن هذه الأمة أفضل منهم لقوله تعالى خطابا لهذه الأمة كنتم العالية في قوله تعالى وأني فضلتكم على العالمين قال بما أعطوا من الملك والرسول والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان فإن لكل زمان عالما وروي لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال تعالى وإن قال موسى يذكرهم تعالى بسالف نعمه على آبائهم وأسلافهم وما كان فضلهم به من إرسال

والنصرء فيجزي بالسيئة مثلها وبالחסنة أضعافها وذلك نظير قوله تعالى وقفوههم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون. 48 عدل ولا فدية بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرشى والشفاعات وارتفع من القوم التناصر والتعاون وصار الحكم إلى الجبار العدل الذي لا ينفع لديه الشفعاء تمنعون منا هيئات ليس ذلك لكم اليوم قال ابن جرير وتأويل قوله ولا هم ينصرون يعني أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ولا يقبل منهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم الآية وقال: الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ما لكم لا تناصرون ما لكم اليوم لا قال تعالى وهو يجير ولا يجار عليه وقال فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد وقال ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وقال كما قال فما له من قوة ولا ناصر أي أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ أحدا من عذابه منقذ ولا يخلص منه أحد ولا يجير منه أحد كما

تفسير ابن كثير

من عذاب الله كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذو جاه ولا يقبل منهم فداء هذا كله من جانب التلطف ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من غيرهم الشام أحسن عليه الثناء قال قيل يا رسول الله ما العدل؟ قال العدل الفدية وقوله تعالى ولا هم ينصرون أي ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم ما قال ابن جرير حدثني نجيح بن إبراهيم حدثنا علي بن حكيم حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرو بن قيس المالني عن رجل من بني أمية من أهل قال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن عمير بن هاني وهذا القول غريب هاهنا والقول الأول أظهر في تفسير هذه الآية وقد ورد حديث يقويه وهو وقال عبدالرزاق أنبأنا الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه في حديث طويل قال والصرف والعدل التطوع والفريضة وكذا عن أبي العالية في قوله ولا يقبل منها عدل يعني فداء قال ابن أبي حاتم وروي عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك فيعد لها من العدل يقول لو جاءت بملء الأرض ذهباً تفتدي به ما تقبل منها وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ولا خلال قال: سنيد حدثني حجاج حدثني ابن جريج قال: قال مجاهد قال ابن عباس ولا يؤخذ منها عدل قال بدل والبدل الفدية وقال السدي أما عدل قريب ولا شفاعة ذي جاه ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً كما قال تعالى من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقال لا بيع فيه مأواكم النار هي مولاكم الآية. فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه فإنه لا ينفعهم قرابة من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم وقال تعالى وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها وقال فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به وقال إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به الشافعين وكما قال عن أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل أي لا يقبل منها فدية كما قال تعالى إن الذين أبلغ المقامات أن كلا من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئاً وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة يعني من الكافرين كما قال فما تنفعهم شفاعة وقال: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال: يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً فهذا من طول نقمه يوم القيامة فقال: واتقوا يوماً يعني يوم القيامة لا تجزي نفس عن نفس شيئاً أي لا يغني أحد عن أحد كما قال ولا تزر وازرة وزر أخرى لما ذكرهم تعالى بنعمه أولاً وعطف على ذلك التحذير

الجمهور ولفظه بعد ما حكى القول الأول ثم قال: وقال الجمهور الإشارة إلى الذبح ونحوه والبلاء هاهنا في الشر والمعنى وفي الذبح مكروه وامتحان. 49 التي يختبر بها عباده وقيل المراد بقوله وفي ذلك بلاء إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء قال: القرطبي وهذا قول إبلاء وبلاء قال زهير بن أبي سلمى: جزى الله بإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلى قال فجمع بين اللغتين لأنه أراد فأنعم الله عليهما خير النعم ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون قال ابن جرير وأكثر ما يقال في الشر بلوته وأبلوه بلاء وفي الخير أبلية من ربكم عظيم قال نعمة من ربكم عظيمة وكذا قال أبو العالية وأبو مالك والسدي وغيرهم وأصل البلاء الاختبار وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى لكم من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة عليكم في ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى بلاء من ربكم عظيم قال نعمة وقال مجاهد بلاء فعليه لعنة الله وقوله تعالى وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم قال ابن جرير وفي الذي فعلنا بكم من إنجاننا آبائكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء بن مصعب بن الريان وقيل: مصعب بن الريان فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة وأصله فارسي من اصطخر وإياما كان الفرس وتبع لمن ملك اليمن كافراً والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطيئيموس لمن ملك الهند ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد على بني إسرائيل. وفرعون علم كل من ملك مصر كافراً من العماليق وغيرهم كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافراً وكسرى لمن ملك بآياديه ونعمه عليهم فناسب أن يقول هناك يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم بعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والآيات في قوله يسومونكم سوء العذاب ثم فسر بهذا لقوله ههنا اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأما في سورة إبراهيم فلما قال وذكرهم بأيام الله أي عذابكم كما يقال سائمة الغنم من إدامتها الرعي. نقله القرطبي وإنما قال هاهنا يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ليكون ذلك تفسيراً للنعمة عليهم قاله أبو عبيدة كما يقال سامه خطة خسف إذا أولاه إياها قال: عمرو بن كلثوم: إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقر الخسف فينا وقيل معناه يديمون يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص إن شاء الله تعالى وبه الثقة والمعونة والتأييد. ومعنى يسومونكم يولونكم وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها وههنا فسر العذاب بذبح الأبناء وفي سورة إبراهيم عطف عليه كما قال يسومونكم سوء العذاب الفتون كما سيأتي في موضعه في سورة طه إن شاء الله تعالى فعند ذلك أمر فرعون لعنه الله بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل وأن تترك البنات يكون على يدي رجل من بني إسرائيل ويقال بعد تحدث سماره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة وهكذا جاء حديث أن فرعون لعنه الله كان قد رأى رؤيا هالته رأى ناراً خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلا بيوت بني إسرائيل مضمونها أن زوال ملكه سوء العذاب أي خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلام وقد كانوا يسومونكم أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب وذلك يقول تعالى اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم

قالوا إنا نرجو أن نكون هؤلاء ثم قال إن الذين كفروا سواء عليهم إلى قوله عظيم هؤلاء أهل النار قالوا لسنأهم يا رسول الله. قال: أجل. 5 أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار قالوا بلى يا رسول الله. قال ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين إلى قوله تعالى المفلحون هؤلاء أهل الجنة عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له يا رسول الله إنا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ من القرآن فنكاد أن نياس أو كما قال: قال أفلا

تفسير ابن كثير

حاتم: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني عبيد الله بن المغيرة عن أبي الهيثم واسمه سليمان بن عبد الله من الترجيح أن ذلك صفة للمؤمنين عامة والإشارة عائدة عليهم والله أعلم. وقد نقل عن مجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة رحمهم الله وقال ابن أبي يؤنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هم المؤمنون من أهل الكتاب. ثم جمع الفريقين فقال أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وقد تقدم عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب والذين وخبره أولئك هم المفلحون واختار أنه عائد إلى جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب لما رواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن الآية على ما تقدم من الخلاف. وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل إليك منقطعاً مما قبله وأن يكون مرفوعاً على الابتداء بقوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل إليك الآية على ما تقدم من الخلاف. وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل إليك وقد حكى ابن جرير قولاً عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون إلى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين أي المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالتواب والخلود في الجنات والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب. على هدى من ربهم فإن معنى ذلك فإنهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديده إياهم وتوفيقه لهم وتأويل قوله تعالى وأولئك هم المفلحون من ربهم واستقامة على ما جاءهم به وأولئك هم المفلحون أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا وقال ابن جرير وأما معنى قوله تعالى أولئك أي في الدنيا والآخرة وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أولئك على هدى من ربهم أي على نور بالدار الآخرة وهو مستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرمات على هدى أي على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى وأولئك هم المفلحون أولئك أي المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق من الذي رزقهم الله والإيمان بما أنزل الله إلى الرسول ومن قبله من الرسل والإيمان يقول الله تعالى

وسلم قال فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء وهذا ضعيف من هذا الوجه فإن زيد العمي فيه ضعف وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه. 50 به نحو ما تقدم وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو الربيع حدثنا سلام يعني ابن سليم عن زيد العمي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصومه وروى هذا الحديث البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أيوب السخيتاني ما هذا اليوم الذي تصومون؟ قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله عز وجل فيه بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى عليه السلام فقال رسول الله حدثنا أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبيرة عن أبيه عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال وكذلك قال غير واحد من السلف كما سيأتي بيانه في موضعه وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء كما قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الوارث مثل الجبل ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك قال وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون موسى؟ فوالله ما كذبت ولا كذبت فعل ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فضره فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم يقول يقال له يوشع بن نون أين أمر ربك؟ قال أمامك؟ يشير إلى البحر فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال: أين أمر ربك يا من كبدها حتى يجتمع إلى ستمائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه موسى ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة قال: فوالله ما صاح ليلتنز ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فذبحت ثم قال: لا أفرغ عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أبي إسحاق الهمداني عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر إلى قوله وأنتم تنظرون قال لما خرج إن شاء الله فأنجيناكم أي خلاصناكم منهم وحجنا بينكم وبينهم وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون ذلك أسفى لصدوركم وأبلغ في إهانة عدوكم. قال مع موسى عليه السلام خرج فرعون في طلبكم ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلاً كما سيأتي في موضعه ومن أبسطها ما في سورة الشعراء معناه وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون وخرجتم

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قيل إنها ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر. 51 عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة وكانت أربعين يوماً وهي المذكورة في الأعراف في قوله تعالى يقول تعالى واذكروا نعمتي

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قيل إنها ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر. 52 عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة وكانت أربعين يوماً وهي المذكورة في الأعراف في قوله تعالى يقول تعالى واذكروا نعمتي

النأي والبعد فالكذب هو المين والنأي هو البعد. وقال عنترة: حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم فعطف الإقفار على الإقواء وهو هو. 53 عليه وإن كان المعنى واحداً كما في قول الشاعر: وقدمت الأديم لراقشيه فألفى قولها كذبا ومينا وقال الآخر: ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها بعد ما أهلكتنا القرون الأولى بضائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وقيل الواو زائدة والمعنى ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان وهذا غريب وقيل عطف والضلالة لعلكم تهتدون وكان ذلك أيضاً بعد خروجهم من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الأعراف ولقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من وإذ آتينا موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان وهو ما يفرق بين الحق والباطل والهدى

تفسير ابن كثير

ويتنادون فيها رحم الله عبدا صبر نفسه حتى يبلغ الله رضاه قال فقتلهم شهداء وتيب على أحيائهم ثم قرأ فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم. 54 والخناجر والسكاكين. قال: وبعث عليهم ضباة قال فجعلوا يتلامسون بالأيدي ويقتل بعضهم بعضا قال: ويلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو لا يدري. قال موسى انطلقوا إلى موعد ربكم فقالوا يا موسى ما من توبة قال بلى: اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم الآية فاختلطوا السيوف والجزرة أن ترفع عنهم السيوف وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لما رجع موسى إلى قومه وكانوا سبعين رجلا قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه فقال: لهم بالأفنية وأصلت عليهم القوم السيوف فجعلوا يقتلونهم فهش موسى فبكى إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وأمر موسى من عبادة العجل فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم قال: فبلغني أنهم قالوا لموسى نصبر لأمر الله فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده فجلسوا لما رجع موسى إلى قومه وأحرق العجل وذراه في اليم خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل يحزنك أما من قتل منهم فحي عندي يرزقون وأما من بقي فقد قبلت توبته فسر بذلك موسى وبني إسرائيل رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه. وقال: ابن إسحاق إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبني إسرائيل للذي كان من القتل فيهم فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى ما وتطاعنوا بالخناجر وموسى رافع يديه حتى إذا فتر بعضهم قالوا يا نبي الله ادع الله لنا وأخذوا بعضديه يسندون يديه فلم يزل أمرهم على ذلك حتى بقي مكفرا عنه فذلك قوله فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وقال الزهري: لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسهم برزوا ومعهم موسى فاضطربوا بالسيوف ألفا وحتى دعا موسى وهارون ربنا أهلك بني إسرائيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يلقوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا ومن قال فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم سبعون شهادة. وقال الحسن البصري: أصابتهم ظلمة حنسد فقتل بعضهم بعضا ثم انكشف عنهم فجعل توبتهم في ذلك وقال السدي: في قوله فاقتلوا أنفسكم من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا حتى بلغ الله فيهم نعمته فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل فجعل لحيمهم توبة وللمقتول قتيل وأن الله أوحى إلى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه. وروي عن علي رضي الله عنه نحو ذلك وقال قتادة: أمر القوم بشديد قالا: قال بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعض لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف له توبة وكل من بقي كانت له توبة. وقال ابن جرير: أخبرني القاسم بن أبي برة أنه سمع سعيد بن جبيرة ومجاهدا يقولان في قوله تعالى فاقتلوا أنفسكم العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضه بعضا فانجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كان عليكم إنه هو التواب الرحيم. قال أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال: وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على حدثنا سفيان بن عيينة قال: قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال موسى لقومه توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب للقاتل والمقتول وهذا قطعة من حديث الفنون وسيأتي في سورة طه بكماله إن شاء الله. وقال ابن جرير: حدثني عبدالكريم بن الهيثم حدثنا إبراهيم بن بشار ولا يبالى من قتل في ذلك الموطن فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما أطلع الله على ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به فغفر الله عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: فقال الله تعالى: إن توبتهم أن يقتل كل واحد منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف جرمهم أي فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره. وقد روى النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث يزيد بن هارون عن الأصغر بن زيد الوراق باتخاذكم العجل قال أبو العالية وسعيد بن جبيرة والربيع بن أنس فتوبوا إلى بارئكم أي إلى خالقكم قلت وفي قوله هاهنا إلى بارئكم تنبيه على عظم الله تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لنن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا الآية. قال: فذلك حين يقول موسى يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم قوله تعالى وإن قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فقال ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع حتى قال هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل قال الحسن البصري رحمه الله في

منا فأوحى الله إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجل رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون. 55 فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلك خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء نار وقال: عروة بن رويم في قوله وأنتم تنظرون قال: صعق بعضهم وبعض ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء وقال السدي فأخذتكم الصاعقة فماتوا صوتا فصعقوا يقول مالوا. وقال: مروان بن الحكم فيما خطب به على منبر مكة الصاعقة صيحة من السماء وقال السدي في قوله فأخذتكم الصاعقة وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه قال فسمعوا كلاما فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال فسمعوا عباس أنه قال: في قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة أي علانية أي حتى نرى الله وقال قتادة والربيع بن أنس حتى نرى الله جهرة أي عيانا في هذه الآية وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال علانية وكذا قال: إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق عن أبي الحويرة عن ابن يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق إذ سألتم رؤيتي جهرة عيانا مما لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم كما قال ابن جريج قال: ابن عباس معانيهم للأمور الفظيعة لا تمنع تكليفهم لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أمورا عظاما من خوارق العادات وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح والله أعلم. 56 التكليف عنهم لمعانيته الأمر جهرة حتى صاروا مضطرين إلى التصديق والثاني أنهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف قال القرطبي وهذا هو الصحيح لأن كتاب الله قالوا لا فبعث الله ملائكة فنتقت الجبل فوقهم وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا. وقد حكى الماوردي في ذلك قولين أحدهما أنه سقط الله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا فقال أي شيء أصابكم؟ فقالوا أصابنا أنا متنا ثم أحيينا قال خذوا

تفسير ابن كثير

نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال فجاءت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون قال ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا ويقول هذا كتابي فخذوه فماله لا يكلما كما يكلما أنت يا موسى وقرأ قول الله لن يعبدون العجل فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه فقالوا ومن القول الثاني في الآية قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال: لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدتهم بن نون وقد غلط أهل الكتاب أيضا في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله عز وجل فإن موسى الكليم عليه السلام قد سأل ذلك فمنع منه كيف يناله هؤلاء السبعون. إنك لا تطلب من الله شيئا إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا فدعا بذلك فأجاب الله دعوته وهذا غريب جدا إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هرون ثم يوشع المختارون منهم ولم يحك كثير من المفسرين سواه وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد إحيائهم قالوا يا موسى وساق البقية وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موسى فاختار موسى سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا بن إسحاق وقال إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير لما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض كما أمرهم الله به أمر الله يناشد ربه عز وجل ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل فقال لا إلا أن يقتلوا أنفسهم هذا سياق محمد منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد فما الذي يصدقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا؟ إنا هدنا إليك فلم يزل موسى ويرغب إليه ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي قد سفهوا أفتهلك من ورأي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا؟ أي إن هذا لهم هلاك واخترت عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ودونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل فلما فرغ إليه من أمره انكشف الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال: للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب حين صنعوا ما أمروا به وخرجوا للقاء الله قالوا: يا موسى اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا فقال أفعلم فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي العجل وذراه في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا إلى الله وتوبوا إلى الله مما صنعتم وأسألوه التوبة على من تركتم وراءكم بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق قال: لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لأخيه وللسامري ما قال: وحرقت وقال الربيع بن أنس كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا أجالهم وكذا قال: قتادة وقال: ابن جرير حدثنا محمد وسقوا الإبل وملؤا أسقيتهم ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر. فهذا هو الأكمل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم. 57 ما معهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا الله فيه وأمرهم فملؤا كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشربوا القيظ والحر الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر مع أن ذلك كان سهلا على النبي ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته منها عام تبوك في ذلك له فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات وخوارق العادات ومن ههنا متبين فضيلة أصحاب محمد وإرشاد وامتنان وقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا كما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا هزة كما انتفض السلواة من بلل القطر وقال الكسائي: السلوى واحدة وجمعه سلاوي نقله كله القرطبي وقوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم أمر بإباحة يسمونه مفرج قالوا والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضا كما يقال سمانى للمفرد والجمع وويلي كذلك وقال الخليل واحده سلواة وأنشد: وإني لتعروني لذكراك قال الشاعر: شربت على سلواة ماء مزنة فلا وجديد العيش يا مي ما أسلو واسم ذلك الماء السلوان وقال بعضهم السلوان دواء يشفي الحزين فيسلو والأطباء عين سلوان وقال الجوهري: السلوى العسل واستشهد ببيت الهذلي أيضا والسلواة بالضم خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا دعوى الإجماع لا يصح لأن المؤرخ أحد علماء اللغة والتفسير قال إنه العسل واستدل ببيت الهذلي هذا وذكر أنه كذلك في لغة كنانة لأنه يسلي به ومنه غلط الهذلي في قوله إنه العسل وأنشد في ذلك مستشهدا: وقاسمها بالله جهدا لأنتم ألد من السلوى إذا ما أشورها قال فظن أن السلوى عسلا قال القرطبي: والسلوى فوق طعام يوم فسد إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا قال: ابن عطية السلوى طير بإجماع المفسرين وقد قاله السدي وقال: سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس خلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن قال ابن جريج: فكان الرجل إذا أخذ من المن عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعتوا في الأرض مفسدين وروي عن وهب بن منبه وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما توب بذلك قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى وقوله وإذا تستقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا سبط من عين فقالوا هذا الشراب فأين الظل؟ فظل عليهم الغمام فقالوا هذا الظل فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان ولا يتخرق لهم فإن كان سميئا ذبحه وإلا أرسله فإذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عين فشرب كل لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل على شجر الزنجبيل والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير السمانى مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء فخبئوا للغد فنتن اللحم وخزن الخبر وقال السدي لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام كيف

تفسير ابن كثير

وقال: سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لحما فقال الله لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض فأرسل عليهم ريح فأذرت عند مساكنهم السلوى وهو لا يشخص فيه شيء ولا يطلبه وقال: وهب بن منبه: السلوى طير سمين مثل الحمامة كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت وفي رواية عن وهب منها قدر ما يكفيه يومه ذلك فإذا تغذى فسد ولم يبق عنده حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه كان يوم عبادة السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور أو نحو ذلك. وقال قتادة: السلوى كان من طير إلى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب وكان الرجل يذبح عن جهضم عن ابن عباس قال السلوى هو السماني وكذا قال: مجاهد والشعبي والضحاك والحسن وعكرمة والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى وعن عكرمة أما وعن ناس من الصحابة السلوى طائر يشبه السماني وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا قوة بن خالد ابن عباس السلوى طائر يشبه بالسماني كانوا يأكلون منه. وقال السدي في خبره ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود الكذب وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من رواية سعيد بن زيد رضي الله عنه. وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة عن شهر بن حوشب ويحتمل عندي أنه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها وقد سمعه من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم فإن الأسانيد إليه جيدة وهو لا يعتمد عن عبد الجليل بن عطية عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين فقد اختلف كما ترى فيه على أعلم: وروى عن شهر عن ابن عباس كما رواه النسائي أيضا في الوليمة عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد عن عبد الله بن عون الخراز عن أبي عبيدة الحداد والعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة وقد روى الترمذي والنسائي من طريقه شيئا من هذا والله الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار فقال بعضهم نحسبه الكمأة فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين إبراهيم حدثنا حمدون بن أحمد حدثنا جويرة بن أشرس حدثنا حماد عن شعيب بن الحجاب عن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تداروا في عن أحمد بن عثمان بن حكيم عن عبيد الله بن موسى وقد روى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه كما قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن الربيع به ثم ابن مردويه رواه أيضا عن عبد الله بن إسحاق عن الحسن بن سلام عن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الأعمش به وكذا رواه النسائي خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كمآت فقال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وأخرجه النسائي عن عمرو بن منصور عن الحسن حدثنا عباس الدوري حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأعمش عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي سعيد الخدري قال: مردويه عن أحمد بن عثمان عن عباس الدوري عن لاحق بن صواب عن عمار بن رزيق عن الأعمش كابين ماجه وقال: ابن مردويه أيضا حدثنا أحمد بن عثمان جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد رواه النسائي وحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ورواه ابن عن الأعمش عن أبي بشر عن شهر عنهما به وقد روى أعني النسائي من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي سلمة كلاهما عن الأعمش عن عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ثم رواه أيضا ابن ماجه من طرق شفاء من السم وقال النسائي في الوليمة أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب بن حوشب عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي وماؤها شفاء للعين وروى عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد وجابر كما قال الإمام أحمد حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يذكرون الكمأة وبعضهم يقول جدري الأرض فقال الكمأة من المن لم يسمع منه بدليل ما رواه النسائي في الوليمة من سننه عن علي بن الحسين الدرهمي عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب بن عبد الصمد عن مطر الوراق عن شهر بقصة العجوة عند النسائي وبالقصتين عند ابن ماجه وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة فإنه عبد الأعلى عن خالد الحذاء عن شهر بن حوشب بقصة الكمأة فقط. وروى النسائي أيضا وابن ماجه من حديث محمد بن بشار عن أبي عبد الصمد بن عبدالعزيز قد رواه النسائي عن محمد بن بشار به وعنه عن غندر عن شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة به وعن محمد بن بشار عن قالوا الكمأة جدري الأرض فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم وهذا الحديث الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن هذا السلمي الواسطي يكنى بأبي محمد وقيل أبو سليمان المؤدب قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي: روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها. ثم قال بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وطلحة بن عن أبي هريرة فقال: حدثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصري حدثنا أسلم بن سهل حدثنا القاسم بن عيسى حدثنا طلحة بن عبد الرحمن عن قتادة عن سعيد ولا من حديث سعيد بن عامر عنه وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر كذا قال وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من طريق آخر شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين تفرد بإخراجه الترمذي ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن محمد بن عمرو بن عيلان قال: حدثنا سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وفيها به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه البخاري ومسلم من رواية الحسن العرني عن عمرو بن حريث به وقال: الترمذي حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ومحمود الحديث رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك وهو ابن عمير به وأخرجه الجماعة في كتبهم إلا أبا داود من طرق عن عبد الملك وهو ابن عمير حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وهذا

تفسير ابن كثير

كان طعاما وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا وإن ركب مع غيره صار نوع آخر ولكن ليس هو المراد من الآية وحده والدليل على ذلك قول البخاري من فسر به الشراب والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كذا فالمن المشهور أن أكل وحده ذا بهجة مزمورا فالناطف هو السائل والحليب المزمور الصافي منه والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن فمنهم من فسر به الطعام ومنهم أمية بن أبي الصلت حيث قال: فرأى الله أنهم بمضيق لا بذى مزرع ولا مثمورا فسنها عليهم غاديات ويرى مزنهم خلایا وخورا عسلا ناطفا وماء فراتا وحليبا حدثنا إسرائيل عن جابر عن عامر وهو الشعبي قال: عسلکم هذا جزء من سبعين جزءا من المن وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه العسل وقع في شعر ثم يشربونه. وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقال خبز رقاق مثل الذرة أو مثل النقي وقال أبو جعفر بن جرير حدثني محمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشتة ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية وقال: الربيع بن أنس المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه الزنجبيل وقال: قتادة كان المن ينزل عليهم في محلهم سقوط الثلج أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس شيء أنزله الله عليهم مثل الظل شبه الرب الغليظ وقال: السدي قالوا يا موسى كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجرة هو؟ فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كان المن ينزل عليهم على الأشجار فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاؤا. وقال مجاهد المن صمغة وقال: عكرمة المن وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر. قال ابن عباس وكان معهم في التيه: وقوله تعالى وأنزلنا عليكم المن اختلفت عبارات المفسرين في المن ما عباس وظللنا عليكم الغمام قال غمام أبرد من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله فيه في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة يريد والله أعلم أنه ليس من زي هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظرا كما قال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج قال: قال ابن الله فيه يوم القيامة ولم يكن إلا لهم. وهكذا رواه ابن جرير عن المثني بن إبراهيم عن أبي حذيفة وكذا رواه الثوري وغيره عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكأنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وظللنا عليكم الغمام قال ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي وقال الحسن وقتادة وظللنا عليكم الغمام كان هذا في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وقال: ابن جرير قال: آخرون وهو غمام أبرد من هذا وأطيب. حديث الفتون قال: ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر والربيع بن أنس وأبي مجلز والضحاك والسدي نحو قول ابن عباس غمامة سمي بذلك لأنه يغم السماء أي يوارئها ويستترها وهو السحاب الأبيض ظللوا به في التيه ليقبهم حر الشمس كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضا بما أسغى عليهم من النعم فقال وظللنا عليكم الغمام وهو جمع رضي الله عنه لما دخل إيوان كسرى صلى فيه ثمانى ركعات والصحيح أنه بفصل بين كل ركعتي بتسليم وقيل يصليها كلها بتسليم واحد والله أعلم. 58 صلاة الضحى وقال: آخرون بل هي صلاة الفتح فاستحبوا للإمام وللأمير إذا فتح بلدا أن يصلي فيه ثمانى ركعات عند أول دخوله كما فعل سعد بن أبي وقاص العليا وإنه لخاضع لربه حتى أن عثونه ليمس مورك رحله شكرا لله على ذلك ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثمانى ركعات وذلك ضحى وقال: بعضهم هذه ونعي إليه روحه الكريمة أيضا ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر كما روي أنه كان يوم الفتح فتح مكة داخلا إليها من الثنية وفسره ابن عباس بأنه نعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجله فيها وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فسر به بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى إذا جاء نصر الله وسنزيه المحسنين وقال هذا جواب الأمر أي إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضعفنا لكم الحسنات وحاصل الأمر أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عباس إلى رجل قد سماه فسأله عن قوله تعالى وقولوا حطة فكتب إليه أن أقروا بالذنوب وقال: الحسن وقتادة أي احطط عنا خطايانا نغفر لكم خطاياكم أنس نحوه وقال الضحاك عن ابن عباس وقولوا حطة قال قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم وقال عكرمة قولوا لا إله إلا الله وقال الأوزاعي. كتب ابن قال الثوري عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقولوا حطة قال مغفرة استغفروا وروى عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن عن أبي الكنود عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤسهم خلاف ما أمروا وقوله تعالى وقولوا حطة وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهة من جهات القبلة وقال خصيف قال عكرمة قال: ابن عباس فدخلوا على شق وقال السدي عن أبي سعيد الأزدي الخصيف: قال عكرمة قال ابن عباس كان الباب قبل القبلة وقال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والضحاك هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس البصري أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبعده الرازي وحكى عن بعضهم أن المراد ههنا في السجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته وقال قال ركعا من باب صغير رواه الحاكم من حديث سفيان به ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان وهو الثوري به وزاد فدخلوا من قبل استأههم وقال الحسن محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله وادخلوا الباب سجدا وإنقاذهم من التيه والضلال قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس إنه كان يقول في قوله تعالى وادخلوا الباب سجدا أي ركعا وقال ابن جرير: حدثنا قليلا حتى أمكن الفتح ولما فتحوها أقروا أن يدخلوا الباب باب البلد سجدا أي شكر الله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم عليهم أن بيت المقدس وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفتحها الله عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس يومئذ وهذا بعيد لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحا وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر حكاه الرازي في تفسيره والصحيح الأول

تفسير ابن كثير

حاكيا عن موسى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا الآية. وقال: آخرون هي أريحا ويحكي عن ابن عباس وعبدالرحمن بن زيد كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس كما نص على ذلك السدي والربيع بن أنس وقتادة وأبو مسلم الأصفهاني وغير واحد وقد قال الله تعالى إسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ولهذا نكلهم عن الجهاد ودخلهم الأرض المقدسة لما قدموا من برد مصر صحبة موسى عليه السلام فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم يقول تعالى لانما لهم على

وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ومن حديث مالك عن محمد ابن المنكر وسالم بن أبي النضر عن عامر بن سعد بنحوه. 59 قال: أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم حبيب بن أبي ثابت إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها الحديث قال ابن جرير أخبرني يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس عن الزهري الله عليه وسلم الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد يعني ابن أبي وقاص عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله صلى الغضب وقال الشعبي الرجز إما الطاعون وإما البرد وقال سعيد بن جبير هو الطاعون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن عباس كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب وهكذا روى عن مجاهد وأبي مالك والسدي والحسن وقتادة أنه العذاب وقال أبو العالية الرجز ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته. ولهذا قال فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وقال الضحاك رافعي رؤسهم وأمروا أن يقولوا حطة أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا فاستهزؤا فقالوا حنطة في شعيرة وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على استاهم من قبل استاهم الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وهكذا روى عن عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس ويحيى بن رافع. وحاصل ما ذكره عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى ادخلوا الباب سجداً قال ركعا من باب صغير فدخلوا من قبل استاهم وقالوا حنطة فذلك قوله تعالى فبدل فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وقال الثوري عن الأعمش عن المنهال فيها شعيرة فأنزل الله فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وقال أسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود أنه قال إنهم قالوا هطاً سمعنا أذية مزبا الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وقال الثوري عن السدي عن أبي سعد الأزدي عن أبي الكتود عن ابن مسعود وقولوا حطة فقالوا حنطة حبة حمراء قيل لهم ادخلوا الباب سجداً قال: ركعا وقولوا حطة أي مغفرة فدخلوا على استاهم وجعلوا يقولون حنطة حمراء فيها شعيرة فذلك قول الله تعالى فبدل إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وقال: سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء سيقول السفهاء من الناس قال: اليهود إذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها ذات الحنظل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لبني بن إسماعيل ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى منفردا به في كتاب الحروف مختصرا وقال: ابن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز حدثنا محمد لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن مسافر حدثنا ابن أبي فديك عن هشام بمثله هكذا رواه عبد الله بن وهب حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أمروا أن يدخلوا فيه سجداً يزحفون على استاهم وهم يقولون حنطة في شعيرة وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح وحدثنا سليمان بن داود حدثنا كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة وعمن لا أنهم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب الذي بن نصر ومسلم عن محمد بن رافع والترمذي عن عبدالرحمن بن حميد كلهم عن عبدالرزاق به وقال الترمذي حسن صحيح وقال محمد بن إسحاق كان تبديلهم سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على استاهم فقالوا حبة في شعرة وهذا حديث صحيح رواه البخاري عن إسحاق وقالوا حبة وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لبني إسرائيل ادخلوا الباب عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن عبدالرحمن به موقوفاً وعن محمد بن عبيد بن محمد عن ابن المبارك ببعضه مسنداً في قوله تعالى حطة قال فبدلوا صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاهم فبدلوا وقالوا حبة في شعرة ورواه النسائي غير الذي قيل لهم قال: البخاري حدثني محمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولاً

أن يكون لا يؤمنون خبراً لأن تقديره إن الذين كفروا لا يؤمنون ويكون قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم جملة معترضة والله أعلم. 6 من الإعراب أنه جملة مؤكدة للتي قبلها سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم أي هم كفار في كلا الحالين فلماذا أكد ذلك بقوله تعالى لا يؤمنون ويحتمل الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون هؤلاء أهل النار قالوا: لسنا منهم يا رسول الله. قال أجل وقوله تعالى لا يؤمنون محله عبدالله بن المغيرة عن أبي الهيثم عن عبدالله بن عمرو قال قيل يا رسول الله إنا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ فنكاد أن نياس فقال ألا أخبركم ثم قال إن التي في معناها والله أعلم. وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً فقال: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة حدثني

تفسير ابن كثير

الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها والمعنى الذي ذكرناه أولا وهو المروي عن ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة أظهر ويفسر ببقية الآيات وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال نزلت هاتان الآيتان في قادة الأحزاب وهم الذين قال الله فيهم ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق وقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يسمعون منك إنذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك الذين كفروا أي بما أنزل إليك وإن قالوا إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جببر عن ابن عباس إن الله صلى الله عليه وسلم يحرض أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول على كل شيء وكيل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون قال كان رسول حسرات وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر ومن تولى فلا تحزن عليهم ولا يهمنك ذلك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب إنما أنت نذير والله ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك الآية أي أن من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ومن أضله فلا هادي له فلا تذهب نفسك عليهم به. كما قال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم وقال تعالى في حق المعاندين من أهل الكتاب يقول تعالى إن الذين كفروا أي غطوا الحق وستروه وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك سواء عليهم إنذارك وعدمه فإنهم لا يؤمنون بما جنتهم

وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية ومعنوية قد سأل عنها الزمخشري في تفسيره وأجاب عنها بما عنده والأمر في ذلك قريب والله أعلم. 60 بقوله فانبجست منه اثنتا عشرة عينا وهو أول الانفجار وأخبر هاهنا بما آل إليه الحال أخرا وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار هاهنا وذاك هناك والله أعلم. تعالى يقص على رسوله صلى الله عليه وسلم ما فعل بهم. وأما في هذه السورة وهي البقرة فهي مدنية فلماذا كان الخطاب فيها متوجها إليهم وأخبر هناك منها وقال مجاهد نحو قول ابن عباس وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورة الأعراف ولكن تلك مكية فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب لأن الله الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس: قال ذلك في التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار منه اثنتي عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين وقال الضحاك: قال ابن عباس لما كان بنو إسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهارا وقال قلت لجويبر كيف علم كل أناس مشربهم؟ قال: كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فينضح فيبيس فقالوا إن فقد موسى هذا الحجر عطشنا فأوحى الله إليه أن يكلم الحجارة فتنفجر ولا يمسه بالعصا لعلهم يقرون والله أعلم وقال يحيى بن النضر: الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فقال: له جبريل ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته قال الزمخشري محتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد أي اضرب الشيء وكان يحمل على حمار قال وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الإنسان وقيل كان من الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان في الظلمة حجر فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا وقال قتادة كان حجرا طوريا من الطور يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه وقال: الزمخشري عليه السلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فإذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء وقال: عثمان ابن عطاء الخراساني عن أبيه كان لبني إسرائيل جرير وابن أبي حاتم وهو حديث الفتون الطويل. وقال: عطية العوفي وجعل لهم حجرا مثل رأس الثور يحمل على ثور فإذا نزلوا منزلا وضعوه فضربه موسى كل سبط عيנם يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي وابن رضي الله عنه وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وأمر موسى عليه السلام فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاث عيون وأعلم كد وعبدوا الذي سخر لكم ذلك ولا تعتوا في الأرض مفسدين ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوا. وقد بسطه المفسرون في كلامهم كما قال: ابن عباس الماء لكم منه من ثنتي عشرة عينا كل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها فكلو من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء الذي أنبعثه لكم بلا سعي منكم ولا تعالى واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم وتفجيرتي يقول

أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به أنهم كانوا يعصون ويعتدون فالعصيان فعل المناهي والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به والله أعلم. 61 قال أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبي أو قتل نبيا وإمام ضلالة وممثل من الممثلين وقوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وهذه علة من آخر النهار وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبان حدثنا عاصم عن أبي وائل عن عبد الله يعني ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيلاسي حدثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلثمائة نبي ثم يقيمون سوق بقلهم بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد وكساهم ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة جزاء وفاقا قال أبو داود لا ليس ذلك من البغي ولكن البغي من بطر أو قال سفه الحق وغمط الناس يعني رد الحق وانتقاص الناس والازدراء بهم والتعاضم عليهم ولهذا لما ارتكب من آخر حديثه وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أن أحدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغي؟ فقال قال ابن مسعود كنت لا أحجب عن النجوى ولا عن كذا ولا عن كذا فأثيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فأدركته الله عليه وسلم قال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا إسماعيل عن ابن عون عن عمرو بن سعد عن حميد بن عبد الرحمن

تفسير ابن كثير

الحال إلى أن قتلوههم فلا كفر أعظم من هذا أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله صلى وإحلال الغضب بهم من الذلة بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم عليهم من الله سخط. وقوله تعالى ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق يقول تعالى هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة يعني تنصرف متحملهما وترجع بهما قد صارا عليك دوني. فمعنى الكلام إذا رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب انصرفوا ورجعوا ولا يقال بآء إلا موصولا إما بخير وإما بشر يقال منه بآء فلان بذنبه يبوء به بواء وبواء ومنه قوله تعالى إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أنس فحدث عليهم غضب من الله وقال سعيد بن جبيرة وبأءوا بغضب من الله يقول استوجبوا سخطا وقال ابن جرير: يعني بقوله وبأءوا بغضب من الله المسكنة الفاقة. وقال عطية العوفي الخراج وقال الضحاك الجزية وقوله تعالى وبأءوا بغضب من الله قال الضحاك استحقوا لغضب من الله وقال الربيع بن الحسن أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين ولقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجيبهم الجزية وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي معمر عن الحسن وقتادة في قوله تعالى وضربت عليهم الذلة قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وقال الضحال وضربت عليهم الذلة قال الذل. وقال ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون. وقال الضحاك عن ابن عباس وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال هم أصحاب القبالات يعني الجزية. وقال عبدالرزاق عن عليهم الذلة والمسكنة أي وضعت عليهم وألزموا بها شرعا وقدرًا أي لا يزالون مستذلين من وجدهم استذلهم وأهانهم وضرب عليهم الصغار وهم مع خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتكم أي ما طلبتم ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه والله أعلم يقول تعالى وضربت بل هو كثيرا في أي بلد دخلتموها وجدتموه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه. ولهذا قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو فيه نظر والحق أن المراد مصر من الأمصار كما روي عن ابن عباس وغيره والمعنى على ذلك لأن موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سألتكم ليس بأمر عزيز مكون ذلك من باب الاتباع لكتابة المصحف كما في قوله تعالى قواريرا قواريرا ثم توقف في المراد ما هو أم مصر فرعون أم مصر من الأمصار وهذا الذي قاله بمصر فرعون وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية والربيع وعن الأعمش أيضا. قال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون على قراءة الأجزاء أيضا ابن جرير وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود اهبطوا مصر من غير إجراء يعني من غير صرف ثم روى عن أبي العالية والربيع بن أنس أنها فسرا ذلك من الأمصار رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد البقال سعيد بن المرزبان عن عكرمة عنه قال: وروى عن السدي وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك وقال الأئمة العثمانية وهو قراءة الجمهور بالصرف. قال ابن جرير: ولا أستجيز القراءة بغير ذلك لإجماع المصاحف على ذلك: وقال ابن عباس اهبطوا مصرا الدينية مع ما هم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع. وقوله تعالى اهبطوا مصرًا هكذا هو منون مصروف مكتوب بالألف في المصاحف وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم وقوله تعالى قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير فيه تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة أن الفوم كل حب يختبز. قال وقال بعضهم هو الحمص لغة شامية ومنه يقال لبائعه فامي مغير عن فومي قال البخاري. قول عكرمة والسدي والحسن البصري وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم فالله أعلم وقال الجوهرى: الفوم الحنطة وقال ابن دريد: الفوم السنبلة. سفيان الثوري: عن ابن جريج عن مجاهد وعطاء وفومها قالا وخبزها. وقال هشيم عن يونس عن الحسن وحسين أبي مالك وفومها قال الحنطة وهو قول الله وفومها قال الفوم الحنطة بلسان بني هاشم وكذا قال علي بن أبي طلحة والضحاك عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس أن الفوم الحنطة وقال ورد المدينة عن زراعة فوم وقال ابن جرير حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسلم الجهني حدثنا عيسى بن يونس عن رشيد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس في عباس سئل عن قول الله وفومها ما فومها؟ قال الحنطة. قال ابن عباس. أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول: قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا الفوم الحنطة وهو البر الذي يعمل منه الخبز قال: ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبدالأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب قراءة حدثني نافع بن أبي نعيم أن ابن كقولهم: وقعوا في عاثور شر وعافور شر وأثافي وأثافي ومغاير ومغاير وأشابه ذلك مما تقلب الفاء ثاء والثاء فاء لتقارب مخرجيهما والله أعلم وقال آخرون في قوله وفومها قال: قال ابن عباس الثوم قال وفي اللغة القديمة فوموا لنا بمعنى اختزوا قال ابن جرير: فإن كان ذلك صحيحا فإنه من الحروف المبدلة وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبيرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحق البصري عن يونس عن الحسن كلها معروفة وأما الفوم فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء وكذا فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم. وعدسها وبصلها وإنما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المن والسلى لأنه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم فهو مأكول واحد. فالبقول والقثاء والعدس والبصل فيه وكانوا قوما أهل أعداس وبصل وبقل وفوم فقالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدينية من البقول ونحوها مما سألتكم قال الحسن البصري فبطروا ذلك فلم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلى طعاما طيبا نافعا هنيئا سهلا واذكروا دبركم وضجركم مما رزقناكم

ينبزون من أسلم بالصائب أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك وقال بعض العلماء الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم. 62 ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه. ولهذا كان المشركون إلى الكثرانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادا عليهم ومبطلا لقولهم وأظهر الأقوال والله أعلم. قول مجاهد ومتابعيه وهب بن منبه أنهم قوم أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبة للعبادة والدعاء أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها قال: وهذا القول هو المنسوب ذكره بعض العلماء أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وأنهم فاعلة ولهذا أفتى أبو سعيد الأصبخري بكفرهم للقادر بالله حين سألهم عنهم واختار الرازي

تفسير ابن كثير

والحسن وابن أبي نجيح أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم قال القرطبي: والذي تحصل من مذهبهم فيما إلا الله. وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وحكى القرطبي عن مجاهد إلا الله قال ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم يعني في قوله لا إله إلا الله وهب: قال عبدالرحمن بن زيد الصابئون أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله يمين كل يوم خمس صلوات وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال: الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا. وقال عبدالله وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال: الصابئون قوم مما يلي العراق وهم بكوثى وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون من كل سنة ثلاثين يوما ويصلون قوم يعبدون الملائكة ويقرءون الزبور ويصلون للقبلة وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبدالأعلى أخبرنا ابن أن الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون الخمس قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية قال فخير بعد أنهم يعبدون الملائكة وقال أبو جعفر الرازي بلغني أن الصابئين الحسن ذكر الصابئين فقال: هم قوم يعبدون الملائكة. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال: أخبر زياد أهل البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين إنهم كالمجوس فقال الحكم ألم أخبركم بذلك وقال عبدالرحمن بن مهدي عن معاوية بن عبدالكريم سمعت من أهل الكتاب يقرءون الزبور ولهذا قال أبو حنيفة وإسحق لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم. وقال هشيم عن مطرف: كنا عند الحكم بن عتبة فحدثه رجل من وروي عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي وأبو الشعثاء جابر بن زيد والضحاك وإسحق بن راهويه الصابئون فرقة فيهم فقال سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه. وسميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنين لكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية وأما الصابئين فقد اختلف وسلم خاتما للنبيين ورسولا إلى بني آدم على الإطلاق وجب عليهم تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانكفاف عما عنه زجر وهؤلاء هم المؤمنون حقا والنصارى جمع نصران كنشواوي جمع نشوان وسكاري جمع سكران ويقال للمرأة نصرانة قال الشاعر: نصرانة لم تحنف فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وقال الحواريون نحن أنصار الله وقيل إنهم سمو ذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة قاله قتادة وابن جريج وروى عن ابن عباس أيضا والله أعلم. والانقياد له فأصحابه وأهل دينه هم النصارى وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم وقد يقال لهم أنصار أيضا كما قال عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله أولاد يعقوب وقال أبو عمرو بن العلاء لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة فلما بعث عيسى صلى الله عليه وسلم وجب على بني إسرائيل اتباعه وهي التوبة كقول موسى عليه السلام إنا هدنا إليك أي تبنا فكأنهم سمو بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض وقل لنسبتهم إلى يهودا أكبر زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة فاليهود أتباع موسى عليه السلام والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم واليهود من الهوادة وهي المودة أو التهود إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملا إلا ما كان موافقا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه به فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في آمن بالله واليوم الآخر قال فأنزل الله بعد ذلك ومن يبتغ غير الإسلام دين فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فإن هذا الذي قاله ابن عباس وروى عن سعيد بن جبير نحو هذا قلت هذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكا. قال ابن أبي حاتم: بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان من أهل النار فاشتد الآخر وعمل صالحا الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال: كانوا يصلون والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر الآية وقال السدي إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم عن مجاهد قال: قال سلمان رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت إن الذين آمنوا ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن أبي عمر العدوي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الساعة كل من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما يتروكونه ويخلفونه كما قال تعالى ألا إن فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم وما أحل بهم من النكال نبه تعالى على أن من أحسن من الأمم السالفة وأطاع فإن له جزاء الحسنى وكذلك الأمر إلى قيام لما بين تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره وتعدى في

بقوة ومعنى قوله وإلا قذفته عليكم أي أسقطه عليكم يعني الجبل. وقال أبو العالية والربيع واذكروا ما فيه يقول اقرءوا ما في التوراة واعملوا به. 63 بقوة أي بطاعة وقال مجاهد: بقوة بعمل بما فيه وقال قتادة خذوا ما آتيناكم بقوة قوة الجد وإلا قذفته عليكم. قال: فأقروا بذلك أنهم يأخذون ما أوتوا يسجدون كذلك وذلك قول الله تعالى ورفعنا فوقكم الطور وقال الحسن في قوله خذوا ما آتيناكم بقوة يعني التوراة وقال أبو العالية والربيع بن أنس فسقطوا سجدوا فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم فقالوا والله ما سجدنا أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فهم عن ابن عباس أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا. وقال السدي: فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا إليه وقد غشيهم

تفسير ابن كثير

والحسن والضحاك والربيع بن أنس وغير واحد وهذا ظاهر وفي رواية عن ابن عباس الطور ما أنبت من الجبال وما لم ينبت فليس بطور وفي حديث الفتون واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون فالطور هو الجبل كما فسره به في الأعراف ونص على ذلك ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤسهم ليقروا بما عاهدوا عليه ويأخذوه بقوة وجزم وامثال كما قال تعالى وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه يقول تعالى مذكرا بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله وأخبر تعالى أنه لما فلولاً فضل الله عليكم ورحمته أي بتوبته عليكم وإرساله النبيين والمرسلين إليكم لكنتم من الخاسرين بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة. 64 قوله تعالى ثم توليتكم من بعد ذلك فلولاً فضل الله عليكم يقول تعالى ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتكم عنه وانثنتم ونقضتموه عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد رحمه الله من أن مسخهم إنما كان معنويا لا صوريا بل الصحيح أنه معنوي صوري والله تعالى أعلم. 65 قردة خاسئين وذلك حين يقول لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم الآية فهم القردة قلت والغرض من هذا السياق المسلمون عليهم الحائط فإذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ففتحوا عنهم فذهبوا في الأرض فذلك قول الله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا بابا ولعنهم داود عليه السلام فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطوا عليهم تسور معذرة إلى ربكم ولعلم يتقون فلما أبوا قال المسلمون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار ففتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت ينتهوا. فقال بعض الذين نهوهم لبعض لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظوهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم فقال بعضهم إنما تصطادون يوم السبت وهو لا يحل لكم فقالوا إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم ففتحتم له الماء فدخل قال وغلبوا أن جاء فأخذه فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره روائحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيهم أكل السمك فقال لهم علماؤهم: ويحكم فتح النهر فأقبل الموج بالحياتن يضربها حتى يلقيها في الحفيرة فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فيها فإذا كان يوم الأحد حياتنهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيتهم فاشتتت بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهرا إلى البحر فإذا كان يوم السبت لزم سفلى البحر فلم ير منهم شيء حتى يكون يوم السبت فذلك قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم إذا كان يوم السبت وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئا لم يبق في البحر حوت إلا خرج حتى يخرج خراطيمهم من الماء يوم الأحد قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال هم أهل أيلة وهي القرية التي كانت حاضرة البحر فكانت الحياتن قال جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر التي كان ابن عباس نحوا من هذا وقال السدي في وإنما لقردة والصبي بعينه وإنه لقرد قال: قال ابن عباس: فلولاً ما ذكر الله أنه نجى الذين نهوا عن السوء لقد أهلك الله الجميع منهم قال وهي القرية التي مغلقة عليهم قد دخلوها ليلا فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد والمرأة بعينها تلك البقية في أنديةهم ومساجدهم فقدوا الناس فلم يروههم قال: فقال بعضهم لبعض إن للناس شأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها صنعوا: لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا؟ قالوا معذرة إلى ربكم بسخطنا أعمالهم ولعلمهم يتقون قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك أصبحت وباعوها في الأسواق فقالت طائفه منهم من أهل البقية ويحكم اتقوا الله ونهوههم عما كانوا يصنعون فقالت طائفة أخرى لم تأكل الحياتن ولم تنه القوم عما والله لقد وجدنا ريح الحياتن ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل قال ففعلوا كما فعل وصنعوا سرا زمانا طويلا لم يجعل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية كان الغد جاء فأخذه أي إني لم أخذه في يوم السبت فانطلق به فأكله حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحياتن فقال أهل القرية الأمد وقوموا إلى الحياتن عمد رجل منهم فأخذ حوتا سرا يوم السبت فحزمه بخيط ثم أرسله في الماء وأوتد له وتدا في الساحل فأوثقه ثم تركه حتى إذا حتى إذا ذهب السبت ذهب من هبنا صغيرا ولا كبيرا حتى إذا كان يوم السبت أتينا شرعا حتى إذا ذهب السبت ذهبنا فكانوا كذلك حتى طال عليهم في قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين فحرم الله عليهم في السبت الحياتن صيدها وأكلها وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعا إلى ساحل بحرهم في عيدكم يوم الجمعة فخالفوا إلى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاههم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره وكانوا مالك نحوه وقال محمد بن إسحاق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال: قال ابن عباس إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم ويحوله كما يشاء وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله كونوا قردة خاسئين قال يعني أذلة صاغرين وروى عن مجاهد وقتادة والربيع وأبي وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة أيام التي ذكرها الله في كتابه فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء. ابن عباس فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام قال ولم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل الطائفي عن ابن أبي نجيج عن مجاهد عن ابن عباس قال إنما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فواقا ثم هلكوا ما كان للمسوخ نسل. وقال الضحاك عن فلان ألم نهكم فيقولون برؤسهم أي بلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمصيصة حدثنا محمد بن مسلم يعني قردة تعاوى لها أذنانا بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال عطاء الخراساني نودوا يا أهل القرية كونوا قردة خاسئين فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون يا القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وأن الشيوخ صاروا خنازير: وقال شيبان النحوي عن قتادة فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فصار القوم وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت الآية وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعل الله منهم سند جيد عن مجاهد وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره قال الله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله

تفسير ابن كثير

يحمل أسفاراً ورواه ابن جرير عن المنى عن أبي حذيفة وعن محمد بن عمر الباهلي وعن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به وهذا حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة. وإنما هو مثل ضربه الله كمثل الحمار وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسطة إن شاء الله وبه الثقة وقوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون القصة بكما لها. وقال السدي: أهل هذه القرية هم أهل أيلة وكذا قال قتادة عملهم وهذه القصة مبسطة في سورة الأعراف حيث يقول تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم في الشكل الظاهر وليس بإنسان حقيقة فذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم من جنس الحبال والحيل فلم تخلص منها يوماً ذلك فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة وهي أشبه شيء بالإناسي على اصطيد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبال والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذهم عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعاً لهم فتحيلوا يقول تعالى ولقد علمتم يا معشر

في الحيل وهذا إسناده جيد وأحمد بن مسلم هذا وثق الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح والله أعلم. 66 بن هرون حدثنا محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم كما قال الإمام أبو عبد الله بن بطة حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد المراد بالموعظة هاهنا الزاجر أي جعلنا ما أحلنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل فليحذر المتقون وموعظة للمتقين بعدهم فيتقون نعمة الله ويحذرونها وقال السدي وعطية العوفي وموعظة للمتقين قال أما محمد صلى الله عليه وسلم قلت للمتقين قال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وموعظة للمتقين الذين من بعدهم إلى يوم القيامة وقال الحسن وفتادة من أطرافها فجعلهم عبرة ونكالا لمن في زمانهم وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ولهذا قال وموعظة للمتقين: وقوله تعالى وموعظة ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى الآية وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة الآية وقال تعالى أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها هذا الفعل وما بعده وهو قول الحسن قلت وأرجح الأقوال المراد بما بين يديها وما خلفها من حضرتها من القرى يبلغهم خبرها وما حل بها كما قال تعالى من العلم يخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها. والثاني المراد بذلك من حضرتها من القرى والأمم. والثالث أنه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبه من قبل من ذنوب القوم وما خلفها لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب وحكى الرازي ثلاثة أقوال أحدها أن المراد بما بين يديها وما خلفها من تقدمها من القرى بما عندهم نكالا لما بين يديها وما خلفها أي عقوبة لما خلا من ذنوبهم وقال ابن أبي حاتم: وروى عن عكرمة ومجاهد والسدي والفراء وابن عطية: لما بين يديها خلفها في المكان وهو ما حولها من القرى كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة والله أعلم. وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية فجعلناها فكيف يصح هذا الكلام أن تضر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم؟ وهذا لعل أحداً من الناس لا يقوله بعد تصوره فتعين أن المراد بما بين يديها وما يديها وما خلفها في الزمان. وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس أن تكون أهل تلك القرية عبرة لهم وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس في شأن السبت وقال أبو العالية والربيع وعطية: وما خلفها لما بقي بعدهم من الناس من بني إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم وكان هؤلاء يقولون المراد لما بين خلفها قال من حضرتها من الناس يومئذ. وروى عن إسماعيل بن أبي خالد وفتادة وعطية العوفي فجعلناها نكالا لما بين يديها قال ما قبلها من الماضين قال محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى وكذا قال سعيد بن جبيرة لما بين يديها وما لعلمهم يرجعون ومنه قوله تعالى أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها الآية على أحد الأقوال فالمراد لما بين يديها وما خلفها في المكان كما أي من القرى قال ابن عباس: يعني جعلناها بما أحلنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى كما قال تعالى ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات في سبتهم نكالا أي ما عاقبناهم عقوبة فجعلناها عبرة كما قال الله عن فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والأولى وقوله تعالى لما بين يديها وما خلفها الحيتان وقيل على العقوبة وقيل على القرية حكاه ابن جرير والصحيح أن الضمير عائد على القرية أي فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتدائهم وقوله تعالى فجعلناها نكالا قال بعضهم الضمير في فجعلناها عائد على القردة وقيل على

الظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا نصدق ولا تكذب فهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم. 67 فأوحى الله تعالى إليه أن يذبخوا بقرة فقال لهم موسى إن الله أمره أن تذبخوا بقرة وهذه السياقات عن عبادة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف قتلوا قتيلاً ثم ردوا الباب قال أهل المدينة: يا رسول الله قد عرفت اعتزلنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس والله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً. يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا موسى فذكروا له شأنهم قالوا: يا موسى إن هؤلاء أخو المقتول وأصحابه هيهات قتلتموه ثم تردون الباب؟ وكان موسى لما رأى القتل كثيراً في بني إسرائيل كان إذا رأى القتل بين ظهراني القوم أخذه فكاد على باب المدينة ثم كمن في مكان هو وأصحابه قال فأشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فله ير شيئاً ففتح الباب فلما رأى القتل رد الباب فناداه المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسا قال: وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير أخيه فطال عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله فوضعه الناس بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس فكانوا إذا أمسا لم يتركوا أحداً منهم خارجاً إلا أدخلوه وإذا أصبحوا أقام رئيسهم فنظر وأشرف فإذا له ير شيئاً فتح

تفسير ابن كثير

عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا إن سبط من بني إسرائيل لما رأوا كثرة شرور قتلك؟ فقال لهم ابن أخي قال: أقتله فأخذ ماله وأنكح ابنته. فأخذوا الغلام فقتلوه وقال سنيد: حدثنا حجاج هو ابن محمد عن ابن جريح عن مجاهد وحجاج فأضعفوه له حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهباً فباعهم إياها وأخذ ثمنها فذبحوها قال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه من وقد أعطيناها ثمننا. فقال له موسى: أعطهم بقرتك. فقال: يا رسول الله أنا أحق بمالي. فقال صدقت. وقال للقوم: أرضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهباً فأبى فزادوه حتى بلغوا عشراً. فقالوا والله لا نتركك حتى نأخذها منك فانطلقوا به إلى موسى عليه السلام فقالوا يا نبي الله إنا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناها من ذلك اللؤلؤ أن يجعل له تلك البقرة فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة وأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعههم إياها بقرة بقرته فأعطوه ثنتين فأبى ثلاثين ألفاً وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف فلما أكثر عليه قال والله لا أشتريه منك بشيء أبداً وأبى أن يوقظ أباه فعوضه الله بسبعين ألفاً فقال له الفتى: كما أنت حتى يستيقظ أبي فأخذه منك بثمانين ألفاً قال الآخر: أيقظ أباك وهو لك بستين ألفاً. فجعل التاجر يحط له حتى بلغ عليها وكان رجل في بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه وإن رجلاً مر به معه لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائماً تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل: تشتري مني هذا اللؤلؤ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة شية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فلم يقدروا بقرة صفراء فاقع لونها قال نقي لونها تسر الناظرين قال تعجب الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون التي لم تلد إلا ولداً واحداً والعوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها على موسى فشدد الله عليهم فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك والفاض الهرة التي لا تولد والبكر قتله وتقول اذبحوا بقرة أنهزاً بنا وقال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال ابن عباس: فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكن شددوا وتعننوا يقول تعالى وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا نسألك عن القتل وعن بالدية فقال له يا رسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فوالله إن ديتنا علينا لهينة ولكن نستحي أن نغير به فذلك حين بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم وقال قتلتم عمي فأدوا إلي ديتهم فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي واعماه فرفعههم إلى موسى فقاضى عليهم مع الفتى ليلاً فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع إلى أهله فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدري أبناً هو فلم يجده فانطلق نحوه فإذا هو وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل فقال يا عم انطلق معي فخذ من تجارة هؤلاء القوم لعلني أن أصيب منها فإنهم إذا رأوك معي أعطوني فخرج العم وكان له ابن أخ محتاج فخطب إليه ابن أخيه ابنته فأبى أن يزوجه فغضب الفتى وقال والله لأقتلن عمي ولأخذن ماله ولأنكحن ابنته ولاكلن ديتهم فأتاه الفتى بقرة ففرضوه ببعضها. وقال السدي وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال: كان رجل من بني إسرائيل مكثراً من المال فكانت له ابنة ولا فتحن باب المدينة من حين أغلقنا حتى أصبحنا. وأن جبريل جاء بأمر السميع العليم إلى موسى عليه السلام فقال قل لهم إن الله يأمركم أن تذبحوا أصبحنا وإنهم عمدوا إلى موسى عليه السلام فلما أتوه قال بنو أخي الشيخ: عمن وجدناه مقتولاً على باب مدينتهم وقال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلناه الشيخ فقالوا عمن قتل على باب مدينتكم فوالله لتغرمن لنا دية عمن. قال أهل المدينة نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً ولا فتحن باب مدينتنا منذ أغلق حتى الشيطان ذلك وتناول عليهم أن لا يموت عمهم عمدوا إليه فقتلوه ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخي مدينتين كانوا في إحداها وكان القتل وإذا قتل وطرح بين المدينتين قيس ما بين القتل والقريتين فأيتتهما كانت أقرب إليه غرمت الدية وأنهم لما سول لهم لما تناول عليهم أن لا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال لهم هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم فترثوا ماله وتغرموا أهل المدينة التي لستم بهاديتهم وذلك أنهم كانتا موسى عليه السلام كان مكثراً من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم وكان الشيخ لا ولد له وكان بنو أخيه ورثته فقالوا: ليت عمن قد مات فورثنا ماله. وإنه جرير حدثني محمد بن سعيد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله في شأن البقرة وذلك أن شيخاً من بني إسرائيل على عهد فرجع إليه روحه فسمى لهم قتله ثم عاد ميتاً كما كان فأخذ قتله وهو الذي كان أتى موسى عليه السلام فشكا إليه فقتله الله على أسوأ عمله وقال محمد بن عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها. ففعلوا واشتروها فذبحوها فأمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظماً منها فيضربوه به القتل ففعلوا لا يزكو لهم غيرها أضعفت عليهم الثمن فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة وأنها سألت أضعاف ثمنها فقال موسى إن الله قد خفف فقالوا وإنا إن شاء الله لمهتدون هدوا إليها أبداً فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعت لهم إلا عند عجوز وعندها يتامى وهي القيمة عليهم فلما علمت أنه قال ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إياها ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ولولا أن القوم استوتوا يعني ولا تعمل في الحرث مسلمة يعني مسلمة من العيوب لا شية فيها يقول لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول أي لم يذلها العمل تثير الأرض ولا تسقى الحرث يعني وليست بذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها أي صاف لونها تسر الناظرين أي تعجب الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض يعني لا هرة ولا بكر يعني ولا صغيره عوان بين ذلك أي نصف بين البكر والهرة قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها فأوحى الله إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فقالوا أتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي الله من كان عنده من هذا علم إلا يبينه لنا فلم يكن عندهم علم فأقبل القاتل على موسى عليه السلام فقال له أنت نبي الله فسل لنا ربك أن يبين لنا فسأل ربه موسى عليه السلام فقال له إن قريبي قتل وإني إلى أمر عظيم وإني لا أجد أحداً يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله قال: فنادى موسى في الناس فقال: أنشد

تفسير ابن كثير

يأمركم أن تذبحوا بقرة قال: كان رجل من بني إسرائيل وكان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وكان وارثه فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق وأتى أبي جعفر هو الرازي عن هشام بن حسان به وقال آدم ابن أبي إياس في تفسيره: أنبأنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية في قول الله تعالى إن الله عن محمد بن سيرين عن عبيدة بنحو من ذلك والله أعلم. ورواه عبد بن حميد في تفسيره أنبأنا يزيد ابن هرون به ورواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن فضربوه ببعضها فقام فقالوا من قتلك؟ فقال: هذا لابن أخيه ثم مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قاتل بعد ورواه ابن جرير من حديث أيوب فشدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا أنقصها من ملء جلدتها ذهبا فأخذوها فذبحوها فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتخذنا هزا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوو الرأي منهم والنهي: علام يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له كان رجل من بني إسرائيل عقيما لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم بسط القصة قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني قال: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة وبين القاتل من هو بسببها وإحياء الله المقتول ونصه على من قتله منه. ذكر يقول تعالى:

كثير بن زياد عن الحسن في البقرة كانت بقرة وحشية وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها. 68 والربيع بن أنس وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك وقال السدي العوان النصف الثاني بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها: وقال هشيم عن جوبير عن ابن عباس: عوان بين ذلك يقول نصف بين الكبيرة والصغيرة وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر وأحسن ما تكون وروى عن عكرمة ومجاهد وأبي العالية أبو العالية والسدي ومجاهد وعكرمة وعطية العوفي وعطاء الخراساني ووهب بن منبه والضحاك والحسن وقتادة وقاله ابن عباس أيضا وقال الضحاك عن عليهم وإيم الله لو أنهم لو يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة هرمة ولا صغيرة لم يلحقها الفحل كما قاله ابن جريج: قال لي عطاء لو أخذوا أدنى بقرة لكفتهم قال ابن جريج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمروا بأدنى بقرة ولكنهم لما شددوا شدد الله ولكنهم شددوا فشدد عليهم إنسانه صحيح وقد رواه غير واحد عن ابن عباس وكذا قال عبيدة والسدي ومجاهد وعكرمة وأبو العالية وغير واحد وقال قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا هشام بن علي عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها الموقع عنهم كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشدد عليهم فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أي ما هذه البقرة وأي شيء صفتها أخبر تعالى عن تعنت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم وهذا لما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت من جلدها. وفي التوراة أنها كانت حمراء فلعل هذا خطأ في التعريب أو كما قال الأول أنها كانت شديدة الصفرة تضرب إلى حمرة وسواد والله أعلم. 69 تسر الناظرين أي تعجب الناظرين وكذا قال أبو العالية وقتاده والربيع بن أنس. وقال وهب بن منبه إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج عن معمر عن ابن عمر فاقع لونها قال صاف وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس فاقع لونها شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض. وقال السدي تسود من صفرتها وقال سعيد بن جبيرة فاقع لونها وقال صافية اللون. وروى عن أبي العالية والربيع بن أنس والسدي والحسن وقتادة نحوه. وقال شريك صفراء فاقع لونها قال سواد شديدة السواد وهذا غريب والصحيح الأول ولهذا أكد صفرتها بأنه فاقع لونها وقال عطية العوفي فاقع لونها تكاد بن جبيرة كانت صفراء القرن والظلف. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي حدثنا نوح بن قيس أنبأنا أبو رجاء عن الحسن في قوله تعالى بقرة قوله تعالى تسر الناظرين وكذا قال مجاهد ووهب بن منبه كانت صفراء. وعن ابن عمر كانت صفراء الظلف. وعن سعيد

منها نفاق كما أنزل سورة براءة فيهم وسورة المنافقين فيهم وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفا لأحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها. 7 شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ولما كان أمرهم يشبهه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل الوغى متقلدا سيفاً ورمحا تقديره وسقيتها ماء بارداً ومعتقلاً رمحا لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين على الإتيان على محل وعلى سمعهم كقوله تعالى وحوار عين وقول الشاعر: علفتها تبنا وماء بارداً حتى غدت همالة عيناها وقال الآخر: ورأيت زوجك في ابن جرير ومن نصب غشاوة من قوله تعالى وعلى أبصارهم غشاوة يحتمل أنه نصبها بإضمار فعل تقديره وجعل على أبصارهم غشاوة ويحتمل أن يكون نصبها على القلب والسمع والغشاوة على البصر قال الله تعالى فإن يشأ الله يختم على قلبك وقال وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة قال والغشاوة على أبصارهم. قال: وحدثنا القاسم حدثنا الحسين يعني ابن داود وهو سنيد حدثني حجاج وهو ابن محمد الأعور حدثني ابن جريج قال: الختم وقال ابن جرير حدثني محمد بن سعد حدثنا أبي حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم الله عليه وسلم في قوله ختم الله علي قلوبهم وعلى سمعهم فلا يعقلون ولا يسمعون يقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون على البصر كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى ختم الله علي قلوبهم وعلى سمعهم وقوله وعلى أبصارهم غشاوة جملة تامة فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع والغشاوة وهي الغطاء يكون لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم علي قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمته وحله رباطها عنها. وأعلم أن الوقف التام على قوله تعالى الله علي قلوبهم وعلى سمعهم نظير الختم والطبع علي ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك

تفسير ابن كثير

أثابها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر في قوله تعالى ختم بن عجلان به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال ابن جرير فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والبيهق بن سعد وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم ثلاثتهم عن محمد فإن تاب ونزع واستعجب صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هذا الحديث عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرياد كالكوخ مخجيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الحديث. قال ابن جرير قال تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير علي قلبين بكفرهم وذكر حديث تغليب القلوب ويا مقلب القلوب ثبت قلوبنا علي دينك وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم. قال القرطبي وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازة لكفرهم كما قال بل طبع الله عليها قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح فلو أحاط عالما بهذا لما قال ما قال وقاله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على ذلك إلا اعتزاله لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده يتعالى الله عنه في اعتقاده ولو فهم قوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ختم على قلوبهم وأسماعهم قلت وقد أظنب الزمخشري في تقرير ما رده ابن جرير هاهنا وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدا وما جراه على دعوا إليه من الحق كما يقال إن فلانا أصم عن هذا الكلام إذا امتنع عن سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا قال وهذا لا يصح لأن الله تعالى قد أخبر أنه هو الذي الأعشى عن مجاهد بنحوه قال ابن جرير وقال بعضهم إنما معنى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم إخبار من الله عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما وقال بإصبع أخرى وهكذا حتى ضم أصابعه كلها. ثم قال: يطبع عليه بطابع وقال مجاهد كانوا يرون أن ذلك الرين ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذه يعني الكف فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه وقال بإصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضم وقال بإصبع أخرى فإذا أذنب ضم. وحدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول: الران أيسر من الطبع والطبع أيسر من الإقفال والإقفال أشد من ذلك كله. وقال الأعشى: أرانا مجاهد بيده. الذنوب على القلب فحفت به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم. قال ابن جريج الختم على القلب والسمع قال ابن جريج: سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون. وقال ابن جريج: قال مجاهد ختم الله على قلوبهم: قال الطبع ثبتت قال السدي ختم الله أي طبع الله وقال قتادة في هذه الآية استحوز عليهم الشيطان إذ أطاعوه فختم الله على قلوبهم وعلى ولكن شددوا فشدد الله عليهم وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي والله أعلم. 70 رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن بني إسرائيل قالوا وإنا إن شاء الله لمهتدون ما أعطوا أبدا ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبخوا لأجزأت عنهم أبو بكر بن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن سرور بن المغيرة عن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن حديث أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن بني إسرائيل قالوا وإنا إن شاء الله لمهتدون لما أعطوا ولكن استثنوا ورواه الحافظ الصوفي حدثنا أبو سعيد أحمد بن داود الحداد حدثنا سرور بن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عليها أي لكثرتها فميز لنا هذه البقرة وصفها وحلها لنا وإنا إن شاء الله إذا بيتنها لنا لمهتدون إليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن يحيى الأودي قوله تعالى إن البقرة تشابه

والثوري والكوفيين لا يصح السلم في الحيوان لأنه لا تنضبط أحواله وحكى مثله عن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم. 71 المرأة لزوجها كأنه ينظر إليها وكما وصف النبي صلى الله عليه وسلم إبل الدية في قتل الخطأ وشبه العمد بالصفات المذكورة بالحديث وقال أبو حنيفة هو مذهب مالك والأوزاعي والبيهق والشافعي وأحمد وجمهور العلماء سلفا وخلفا بدليل ما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتعت المرأة ما وجهناه وبالله التوفيق. مسألة استدلل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت أو تم تقييدها بعد الاطلاق على صحة السلم في الحيوان كما اختار أن الصواب في ذلك أنهم لم يكادوا يفعلوا ذلك لغلاء ثمنها وللفضيحة وفي هذا نظر بل الصواب والله أعلم ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس على الكتاب أيضا وقال ابن جرير وقال آخرون لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة إن اطلع الله على قاتل القاتل الذي اختصموا فيه ولم يسنده عن أحد ثم وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عبيدة أخبرني محمد بن سوقة عن عكرمة قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير وهذا إسناد جيد عن عكرمة والظاهر أنه نقله عن أهل ابن عباس قال عبيدة ومجاهد ووهب بن منبه وأبو العالية وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم اشتروها بمال كثير وفيه اختلاف ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك وما كادوا يفعلون لكثرة ثمنها وفي هذا نظر لأن كثرة الثمن لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل كما تقدم من حكاية أبي العالية والسدي ورواه العوفي عن ما ذبحوها إلا بعد الجهد وفي هذا ذم لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعتن فلهاذا ما كادوا يذبونها. وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس فذبوها قال الضحاك عن ابن عباس كادوا أن لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي أرادوا لأنهم أرادوا أن لا يذبوها يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح وغيره قالوا الآن جئت بالحق قال قتادة الآن بينت لنا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقيل ذلك والله جاءهم الحق فذبوها وما كادوا يفعلون

تفسیر ابن کثیر

أي يعمل عليها بالحراثة لكنها لا تسقي الحرث وهذا ضعيف لأنه فسر الذلول التي لم تذلل بالعمل بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث كذا قرره القرطبي وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى وقد زعم بعضهم أن المعنى في ذلك قوله تعالى إنها بقرة لا ذلول ليس بمذلة بالعمل ثم استأنف فقال تثير الأرض فيها قال لونها واحد بهيم وروي عن عطية العوفي ووهب بن منبه وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك وقال السدي لا شية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة. مسلمة القوائم والخلق لا شية فيها قال مجاهد: لا بياض ولا سواد وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة: ليس فيها بياض. وقال عطاء الخراساني: لا شية غير لونها وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب فيها وكذا قال أبو العالية والربيع وقال مجاهد: مسلمة من الشية. وقال عطاء الخراساني: الحرث أي إنها ليست مذلة بالحراثة ولا معدة للسقي في الساقية بل هي مكرمة حسنة صبيحة مسلمة صحيحة لا عيب بها لا شية فيها أي ليس فيها لون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي

حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله وتصديق ذلك في كلام الله والله مخرج ما كنتم تكتمون. 72 ما تغيبون وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرة بن أسلم البصري حدثنا محمد بن الطفيل العبدى حدثنا صدقة بن رستم سمعت المسيب بن رافع يقول ما عمل رجل فيها قال: قال بعضهم أنتم قتلتموه وقال آخرون بل أنتم قتلتموه وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم والله مخرج ما كنتم تكتمون قال مجاهد أنه قال في قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها اختلftم وقال عطاء الخراساني والضحاك اختصمتم فيها وقال ابن جريج وإذ قتلتم نفسا فادارءتم قال البخاري فادارءتم فيها اختلftم وهكذا قال مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي حذيفة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

وسلم أن يرض رأسه بين حجرين وعند مالك إذا كان لوثا حلف أولياء القتل قسامة وخالف الجمهور في ذلك ولم يجعلوا قول القتل في ذلك لوثا. 73
بين حجرين ففعل بك هذا أفلان؟ أفلان؟ حتى ذكروا اليهودي فأومأت برأسها فأخذ اليهودي فلم يزل به حتى اعترف فأمر رسول الله صلى الله عليه
قتلني فكان ذلك مقبولا منه لأنه لا يخبر حينئذ إلا بالحق ولا يتهم والحالة هذه. ورجحوا ذلك لحديث أنس أن يهوديا قتل جارية على أوضح لها فرضخ رأسها
أيديهم أفلا يشكرون مسألة استدل لمذهب الإمام مالك في كون قول الجريح فلان قتلني لوثا بهذه القصة لأن القتل لما حيي سئل عمن قتله فقال فلان
وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته
الله الموتى؟ قال أما مررت بواد ممحل ثم مررت به خضرا قال بلى: قال كذلك النشور أو قال كذلك يحيي الله الموتى وشاهد هذا قوله تعالى

الطيالسي: حدثنا شعبة أخبرني يعلى بن عطاء قال سمعت وكيع بن عدس يحدث عن أبي رزین العقيلي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله كيف يحيى خاوية على عروشها وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة ونبه تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميما كما قال أبو داود الموتى في خمسة مواضع ثم بعثناكم من بعد موتكم وهذه القصة وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وقصة الذي مر على قرية وهي القتيل جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد وفاصلا ما كان بينهم من الخصومة والعناد والله تعالى قد ذكر في هذه السورة مما خلقه من إحياء أربابها وقيل بلسانها وقيل بعجب ذنبها وقوله تعالى كذلك يحيى الله الموتى أي فضربوه فحي ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر يأخذوا عظما من عظامها فيضربوها به القتل ففعلوا فرجع إليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: فضربوه ببعض وقتادة وعكرمة نحو ذلك. وقال السدي فضربوه بالبضعة التي بين الكفتين فعاش فسألوه فقال قتلني ابن أخي وقال أبو العالية أمرهم موسى عليه السلام أن بن الجراح في تفسيره: حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة فقلنا اضربوه ببعضها فضرب فخذها فقام فقال قتلني فلان قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد أنبأنا معمر قال: قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة ضربوا القتيل ببعض لحمها قال معمر: قال قتادة ضربه بلحم فخذها فعاش فقال قتلني فلان وقال وكيع قال قتلني فلان وكذا قال الحسن وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه ضرب ببعضها وفي رواية ابن عباس أنه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف وقال عبدالرزاق قال فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملء مسكها دنائير فذبحوها فضربوه يعني القتيل بعضو منها فقام تشخب أوداجه دم فقالوا له من قتلك؟

بن عمرو عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له وكانت بقرة تعجبه معصوم بيانه فمن نبههم كما أبهمه الله ولهذا قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن المنهال وقد كان معينا في نفس الأمر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا ولكنه أبهمه ولم يجيء من طريق صحيح عن فقلنا اضربوه ببعضها هذا البعض أى شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن

غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم. وروى البزار عن أنس مرفوعاً أربع من الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا. 74

في كتابه الزهد من جامعه عن محمد بن عبدالله بن أبي الثلج صاحب الإمام أحمد به ومن وجه آخر عن إبراهيم بن عبدالله بن الحارث بن حاطب به وقال صلى الله عليه وسلم قال: لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي. رواه الترمذي بن أيوب حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي الثلج حدثنا علي بن حفص حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن حاطب عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله في بحر لجي الآية أي إن منهم من هو هكذا ومنهم من هو كهذا والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد شيبه بقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا مع قوله أو كصيب من السماء وكقوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة مع قوله أو كظلمات ومعنى ذلك على هذا التأويل فبعضها كالحجارة قسوة وبعضها أشد قسوة من الحجارة وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره قلت وهذا القول الأخير يلقى وقال بعضهم معنى ذلك فقلوبكم لا تخرج عن أحد هذين المثليين إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة وإما أن تكون أشد منها في القسوة. قال: ابن جرير

تفسير ابن كثير

له شككت فقال كلا والله ثم انتزع يقول الله تعالى وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فقال أو كان شاكا من أخبر بهذا من الهادي منهم ومن الضال؟ جرير قالوا ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكا في أن حب من سمى رشد ولكنه أبهم على من خاطبه قال وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل بذلك الإبهام على المخاطب كما قال أبو الأسود: أحب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا فإن يك جبههم رشدا أصبه وليس بمخطئ إن كان غيبا قال ابن إلى مائة ألف أو يزيدون فكان قاب قوسين أو أدنى وقال آخرون معنى ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة عندكم حكاه ابن جرير: وقال آخرون المراد له قدرا وقال آخرون أو ههنا بمعنى بل فتقديره: فهي كالحجارة بل أشد قسوة وكقوله إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وأرسلناه نصفه فقد تريد ونصفه قاله ابن جرير: وقال جرير بن عطية: نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر قال ابن جرير يعني نال الخلافة وكانت فهي كالحجارة وأشد قسوة كقوله تعالى ولا تطع منهم أثما أو كفورا عذرا أو نذرا وكما قال النابغة الذبياني: قالت ألا ليتهما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى فهي كالحجارة أو أشد قسوة بعد الإجماع على استحالة كونها للشك فقال بعضهم أو ههنا بمعنى الواو تقديره: كل حلوا أو حامضا أي لا يخرج عن واحد منهما. أي وقلوبكم صارت كالحجارة أو أشد قسوة منها لا تخرج عن واحد من هذين الشئيين والله أعلم. تنبيه حكاه الرازي في تفسيره وزاد قولا آخر أنها للإبهام بالنسبة إلى المخاطب كقول القائل أكلت خبزا أو تمرا وهو يعلم أيهما أكل وقال آخر إنها بمعنى قول القائل يشهد لمن استلم بحق يوم القيامة وغير ذلك مما في معناه وحكى القرطبي قولا إنها للتخيير أي مثلا لهذا وهذا وهذا مثل: جالس الحسن أو ابن سيرين. وكذا وكحين الجذع المتواتر خبره وفي صحيح مسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن وفي صفة الحجر الأسود إنه أتينا طائعين لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الآية وفي الصحيح هذا جبل يحبنا ونحبه تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن الآية وقال والنجم والشجر يسجدان أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيا ظلاله الآية قالتا إلى هذا فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وقال من باب المجاز وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة ما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله يريد أن ينقض قال الرازي والقرطبي وغيرهما من الأئمة ولا حاجة البكاء وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال قليل البكاء وإن منها لما يهبط من خشية الله قال بكاء القلب غير دموع العين وقد زعم بعضهم أن هذا عمار حدثنا الحكم بن هشام الثقفي حدثني يحيى ابن أبي طالب يعني ويحيى بن يعقوب في قوله تعالى وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار قال كثرة الباقلائي وهذا تأويل بعيد وتبعه في استبعاده الرازي وهو كما قال فإن هذا خروج عن اللفظ بلا دليل والله أعلم وقال: ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن إله من الحق وما الله بغافل عما تعملون وقال أبو علي الجبائي في تفسيره وإن منها لما يهبط من خشية الله هو سقوط البرد من السحاب قال القاضي من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله أي وإن من الحجارة لأئين من قلوبكم عما تدعون أو يتردى من رأس جبل لمن خشية الله نزل بذلك القرآن وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وإن إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه كان يقول كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن ماء الماء وإن لم يبين جاريا ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله وفيه إدراك لذلك بحسبه كما قال تسبح له السموات والأرض ومن فيهن وإن من شيء فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج لئنها أو أشد قسوة من الحجارة فإن من الحجارة ما يتفجر منها العيون بالأنهار الجارية ومنها ما يشقق فيخرج منه أبناء أخي الشيخ فهي كالحجارة أو أشد قسوة فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات قتلك قال بنو أخي قتلوني ثم قبض فقال بنو أخيه حين قبضه الله والله ما قتلناه فكذبوا بالحق بعد أن رأوه فقال الله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يعني عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس لما ضرب المقتول ببعض البقرة جلس أحيا ما كان قط فقيل له من ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال توبيا لبني إسرائيل وتقربا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى الله وإحيائه الموتى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك كله فهي كالحجارة التي تلين أبدا يقول تعالى

يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمره بالحق فقال الله لهم أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون. 75 باطلا والباطل فيها حقا وإذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق وإذا جاءهم أحد ابن زيد في قوله يسمعون كلام الله ثم يحرفونه قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه وقال السدي وهم يعلمون أي أنهم أذنبوا وقال ابن وهب قال: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه وقال مجاهد الذين يحرفونه والذين يكتُمونه هم العلماء منهم وقال: أبو العالية عمدوا وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله أي مبلغا إليه ولهذا قال قتادة في قوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قال قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى السدي وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه قال هي التوراة حرفوها وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق وإن كان أمركم بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وقال وينهاهم حتى عقلوا منه ما سمعوا ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل إن الله قد

تفسير ابن كثير

وليظهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا فوقعوا سجودا وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم العلم أنهم قالوا لموسى يا موسى قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا تعالى فأسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى فقال نعم مرهم فليبتطهروا وليس قوله ليسمعون التوراة كلهم قد سمعها ولكن هم الذين سألو موسى رؤية ربهم فآخذتهم الصاعقة فيها. وقال محمد بن إسحاق فيما حدثني بعض أهل ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال هذا يخالفونه على بصيرة وهم يعلمون أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله وهذا المقام شبيهه بقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم قست قلوبهم من بعد ذلك وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه أي يتأولونه على غير تأويله من بعد ما عقلوه أي فهموه على الجلية ومع أفطمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم أي ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد أباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم يقول تعالى

قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قال بعضهم لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصموكم. 76 الله منكم وقال عطاء الخراساني أحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني بما قضى لكم وعليكم وقال الحسن البصري: هؤلاء اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمنوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض أحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على محمدا صلى الله عليه وسلم وقال السدي أحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا هذا القول إلا منكم أحدثونهم بما فتح الله عليكم بما حكم الله للفتح يكون لهم حجة عليكم. قال ابن جريج عن مجاهد هذا حين أرسل إليهم عليا فأذوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم فقال يا إخوان القردة والخنازير ويا عبدة الطاغوت فقالوا من أخبر بهذا الأمر محمدا؟ ما خرج الله عليكم قول آخر في المراد بالفتح قال: ابن جريج: حدثني القاسم بن أبي برزة عن مجاهد في قوله تعالى أحدثونهم بما فتح الله عليكم قال قام عن عمر عن قتادة أحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم قال كانوا يقولون سيكون نبي فخلا بعضهم ببعض فقالوا أحدثونهم بما فتح الله عليكم الآية. وقال أبو العالية أحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني بما أنزل الله في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم. وقال عبدالرزاق وكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون فيقولون أليس قد قال الله لكم كذا وكذا؟ فيقولون بلى. فإذا رجعوا إلى قومهم يعني الرؤساء فقالوا أحدثونهم بما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره. فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر من أهل الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا إذا رجعت إلينا فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون إليهما بعد العصر. وقرأ قوله تعالى وقالت بن زيد بن أسلم فيما رواه ابن وهب عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن فقال رؤساؤهم وسلم قالوا آمنا وقال السدي هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا. وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة وغير واحد من السلف والخلف حتى قال عبدالرحمن أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وقال: الضحاك عن ابن عباس: يعني المنافقين من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه عليه تفتخرون بأنه نبي وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا نتنتظر ونجد في كتابنا اجدوده ولا تقروا به يقول الله تعالى به عليهم فكان منهم فأنزل الله وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أي لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أي إن صاحبكم رسول الله ولكنه إليكم خاصة وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض الآية قال محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإذا وقوله تعالى وإذا لقوا

وسلم بما في كتابهم عند ربهم وما يعلنون يعني حين قالوا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آمنا وكذا قال أبو العالية والربيع وقتادة. 77 تناهوا أن يخبر أحد منهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما فتح الله عليهم مما في كتابهم خشية أن يحاجهم أصحاب محمد صلى الله عليه مكتوبا عندهم وكذا قال قتادة وقال الحسن إن الله يعلم ما يسرون قال كان ما أسروا أنهم كانوا إذا تولوا عن أصحاب محمد وخلا بعضهم إلى بعض أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون قال أبو العالية: يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وهم يجدونه قوله تعالى

ما فيه وهم يجحدون نبوتك بالظن وقال مجاهد وإن هم إلا يظنون يكذبون وقال قتادة وأبو العالية والربيع: يظنون بالله الظنون بغير الحق. 78 وقال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون أي ولا يدرون أمنيته الآية وقال كعب بن مالك الشاعر: تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر وقال آخر: تمنى كتاب الله آخر ليلة تمنى داود الكتاب على رسل أمانى بالتشديد والتخفيف أيضا أي إلا تلاوة فعلى هذا يكون استثناء منقطعا واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى إلا إذا تمنى أي تلا ألقى الشيطان في وتخرصه ومنه الخبر المروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت يعني ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب. وقيل المراد بقوله إلا يفقهون من الكتب الذي أنزله الله تعالى على موسى شيئا ولكنهم يتخرصون الكذب. يتخرصون الأباطيل كذبا وزورا والتمني في هذا الموضع هو تخلق الكذب

تفسير ابن كثير

فقالوا نحن من أهل الكتاب وليسوا منهم قال ابن جرير والأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد إن الأميين الذين وصفهم الله تعالى أنهم لا وعن الحسن البصري نحوه وقال أبو العالية والربيع وقتادة إلا أمني يتمنون على الله ما ليس لهم وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم إلا أمني قال تمنوا الكتاب إلا أمني قال أناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله ويقولون هو من الكتاب أمني يتمنونها قوله تعالى إلا أمني يقول إلا قولاً يقولون بأفواههم كذباً وقال مجاهد إلا كذباً: وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومنهم أميون لا يعلمون عن ابن عباس بهذا الإسناد نظر والله أعلم. وقوله تعالى إلا أمني قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس إلا أمني الأحاديث وقال الضحاك عن ابن عباس في ثم قال ابن جرير: وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم وذلك أن الأمي عند العرب الذي لا يكتب. قلت ثم في صحة هذا أنزله الله فكتبوا كتاباً بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله وقال قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله بن سعيد عن بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ومنهم أميون قال الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتاباً يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه. قال وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قول خلاف هذا وهو ما حدثنا به أبو كريب حدثنا عثمان لا نفتقر في عبادتنا ومواقيتنا إلى كتاب ولا حساب وقال تبارك وتعالى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم وقال ابن جرير: نسبت العرب من لا يكتب ولا قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون وقال عليه الصلاة والسلام إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا الحديث أي الكتاب أي لا يدرون ما فيه. ولهذا في صفات النبي صلى الله عليه وسلم: أنه الأمي لأنه لم يكن يحسن الكتابة كما قال تعالى وما كنت تتلوا من والأميون جمع أمي وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة. قاله أبو العالية والربيع وقتادة وإبراهيم النخعي وغير واحد وهو ظاهر في قوله تعالى لا يعلمون يقول تعالى ومنهم أميون أي ومن أهل الكتاب قاله مجاهد:

الله عنهما فويل لهم يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون يقول مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم. 79 وويل لهم مما يكسبون أي فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما أكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي أنزل عليكم رواه البخاري من طرق عن الزهري وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: الثمن القليل الدنيا بحذافيرها. وقوله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألهم عن الذي عن شيء وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تفرغوه غصاً لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا أنه من عند الله فيأخذوا به ثمناً قليلاً وقال الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب للذين يكتبون الكتاب بأيديهم قال: نزلت في المشركين وأهل الكتاب وقال: السدي كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم هم أحبار اليهود وكذا قال سعيد عن قتادة هم اليهود وقال سفيان الثوري عن عبدالرحمن بن علقمة سألت ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى فويل من جاوز نصبها بمعنى ألزمهم ويلا قلت لكن لم يقرأ بذلك أحد وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم قال الخليل وفي معنى ويل ويح وويش وويه وويك وويب ومنهم من فرق بينها وقال بعض النحاة إنما جاز الابتداء بها وهي نكرة لأن فيها معنى الدعاء ومنهم أحمد الويل شدة الشر وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح لمن أشرف عليها وقال الأصمعي الويل تفجع والويل ترحم وقال: وغيره الويل الحزن وقال التوراة فقال تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا غريب أيضاً جداً وعن ابن عباس الويل المشقة من العذاب وقال: الخليل بن لأنهم حرفوا التوراة زادوا فيها ما أحبوا ومحووا منها ما يكرهون ومحووا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ولذلك غضب الله عليهم فرفع بعض عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون قال الويل جبل في النار وهو الذي أنزل في اليهود إبراهيم بن عبدالسلام حدثنا صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبدالحميد بن جعفر عن كنانة العدوي عن عثمان بن عفان رضي الله ابن لهيعة قلت لم ينفر به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوع منكر والله أعلم. قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا قبل أن يبلغ قعره ورواه الترمذي عن عبدالرحمن بن حميد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً جهنم. وقال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبدالأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو أموال الناس بالباطل والويل والهلاك والدمار وهي كلمة مشهورة في اللغة: وقال سفيان الثوري عن زياد بن فياض سمع أبا عياض يقول: ويل صديد في أصل الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً الآية. هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله وأكل وقوله تعالى فويل للذين يكتبون

كذلك كما كذبهم الله في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم بقوله تعالى والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ويقولون وما هم بمؤمنين. 8 أي إنما يقولون ذلك إذا جاءوك فقط لا في نفس الأمر ولهذا يؤكدون الشهادة بأن ولام التأكيد في خبرها. أكدوا أمرهم قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وليس الأمر الآخر وما هم بمؤمنين أي يقولون ذلك قولاً ليس وراءهم شيء آخر كما قال تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر وهذا من المحذورات الكبار أن يظن لأهل القبور خير فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وهم كفار في نفس الأمر وهذا من الصفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع لذلك فساد عريض من عدم الاحتراز

تفسير ابن كثير

من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم وكذا فسرهما بالمنافقين من الأوس والخزرج وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة. قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد يهاجر مكرها بل يهاجر فيترك ماله عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته بن سلول وكان رأسا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا على أن يملكوهم فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا والسلام وأدع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله قال عبدالله بن أبي والخزرج وقل من أسلم من اليهود إلا عبدالله بن سلام رضي الله عنه ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضا لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف بل قد كان عليه الصلاة قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو خلافة من الناس من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى المدينة وكان بها الأنصار المنافق يخالف قوله فعلة وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان وهو أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار وعملي وهو من أكبر الذنوب كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وهذا كما قال ابن جريج: النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر

على ذلك فقالوا: أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك ورواه الإمام أحمد والبخاري والنسائي من حديث الليث بن سعد بنحوه. 80
الله عليه وسلم هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم قال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ فقالوا نعم قال فما حملكم فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال: لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم رسول الله صلى شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفت في أبينا فقال: لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار؟ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم؟ قالوا فلان قال كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت ثم قال لهم هل أنتم صادقي عن فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا إلي كان من اليهود ههنا فقال حدثنا عبدالرحمن بن جعفر حدثنا محمد بن محمد بن صخر حدثنا أبو عبدالرحمن المقرئ حدثنا ليث بن سعد حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال لما بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله عز وجل وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة الآية. وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه رحمه الله فيها قوم آخرون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رءوسهم معدودة يعني الأيام التي عبدنا فيها العجل وقال عكرمة خاضت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا الزقوم فتذهب جهنم وتهلك. فذلك قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وقال: عبدالرزاق عن معمر عن قتادة وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم التي هي ثابتة في أصل الجحيم وقال أعداء الله إنما نغذب حتى ننتهي إلى شجرة ليلة زاد غيره وهي مدة عبادتهم العجل وحكاها القرطبي عن ابن عباس وقتادة وقال الضحاك قال ابن عباس زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبا عن محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه وقال العوفي عن ابن عباس وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة اليهود قالوا لن تمسنا النار إلا أربعين وإنما نغذب بكل ألف سنة يوما في النار وإنما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة إلى قوله خالدون ثم رواه تعلمون من الكذب والافتراء عليه. قال محمد بن إسحق بن سيف عن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة قل أخذتم عند الله عهدا أي بذلك فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ولكن هذا ما جرى ولا كان ولهذا أتى بأم التي بمعنى بل تقولون على الله ما لا يقول تعالى إخبارا عن اليهود فيما نقلوه وأدعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى

بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا فأنضجوا ما قذفوا فيها. 81
وسلم قال: إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهم مثلا كمثل قوم نزلوا حيث قال حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمرو بن قتادة عن عبدربه عن أبي عياض عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلة والربيع بن أنس وأحاطت به خطيئته الموجبة الكبيرة وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى والله أعلم. ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حثيم وأحاطت به خطيئته قال الذي يموت على خطاياهم من أن يتوب وعن السدي وأبي رزين نحوه وقال أبو العالية ومجاهد والحسن في رواية عنهما به خطيئته قال بقلبه وقال: أبو هريرة وأبو وائل وعطاء والحسن وأحاطت به خطيئته قالوا أحاط به شركه. وقال: الأعمش عن أبي رزين عن الربيع العالية ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحوه وقال: الحسن أيضا والسدي السيئة الكبيرة من الكبائر. وقال ابن جريج عن مجاهد وأحاطت عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط به كفره فما له من حسنة وفي رواية عن ابن عباس قال الشرك قال ابن أبي حاتم. وروي عن وائل وأبي فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بلى من كسب سيئة أي تعالى ليس بأمانيتكم ولا أمانتي أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن

تفسير ابن كثير

أهل النار والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من العمل الموافق للشرعية فهم من أهل الجنة وهذا المقام شبيه بقوله الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون بل الأمر أنه من عمل سيئة وأحاطت به خطيئته وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من يقول تعالى ليس

خالدون أي من آمن بما كفرتم وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له. 82 وقال محمد بن إسحق حدثني محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها

تعالى يقول وقولوا للناس حسنا وهو السلام قال: وروي عن عطاء الخراساني نحوه قلت وقد ثبت في السنة أنهم لا يبدعون بالسلام والله أعلم. 83 بن عقبة عن أسد بن وداعة أنه كان يخرج من منزله فلا يلقي يهوديا ولا نصرانيا إلا سلم عليه فقيل له: ما شأنك تسلم على اليهودي والنصراني؟ فقال: إن الله ههنا ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبد الله بن يوسف يعني التنيسي حدثنا خالد بن صبيح عن حميد وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا فقامت هذه الأمة من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها ولله الحمد والمنة. ومن النقول الغريبة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وأخبر أنهم تولوا عن ذلك كله أي تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به إلا القليل منهم. وقد أمر الله هذه الأمة بنظير ذلك في سورة النساء بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة فقال: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

وصححه من حديث أبي عامر الخزاز واسمه صالح بن رستم به وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل فجمع عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تحقرن من المعروف شيئا وإن لم تجد فالق أخاك بوجه منطلق وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي وهو كل خلق حسن رضي الله. وقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا أبو عامر الخزاز عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله البصري في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا فالحسن من القول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنا كما قال الله الآية. وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا أي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن وأهليهم وسيأتي الكلام على هذه الأصناف عند آية النساء التي أمرنا الله تعالى بها صريحا في قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا عن سيبويه. قال واختاره الكسائي والفراء قال واليتامى وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء والمساكين الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم الله كما قرأها من قرأها من السلف فحذفت أن فارتفع وحكي عن أبي وابن مسعود أنهما قرأها لا تعبدوا إلا الله ونقل هذا التوجيه القرطبي في تفسيره قال ثم من؟ قال أباك؟ ثم أدناك ثم أدناك وقوله تعالى لا تعبدون إلا الله قال الزمخشري خبر بمعنى الطلب وهو أكد وقيل كان أصله أن لا تعبدوا إلا قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رجلا قال يا رسول الله من أبر؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أمك

حقه والمساكين وابن السبيل وفي الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي؟ قال بر الوالدين كما قال تعالى أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير وقال تبارك وتعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إلى أن قال وآت ذا القربى حق الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له ثم بعده حق المخلوقين وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها وهو وهم يعرفونه ويذكرونه فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وبهذا أمر جميع خلقه ولذلك خلقهم كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك وأنهم تولوا عن ذلك كله وأعرضوا قصدا وعمدا

عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقوله تعالى ثم أقررتم وأنتم تشهدون أي ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به. 84 أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه أي لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج منه من منزله ولا يظهر عليه كما قال تعالى فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم وذلك أن ولهذا قال تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ولهذا قال تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب عملا بحكم التوراة الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم في الجاهلية عباد أصنام وكانت بينهم حروب كثيرة وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الأوس فكانت كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا يقول الله تبارك وتعالى منكرا على اليهود الذين

بسبب مخالفتهم شرع الله وأمره ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب جزاء على مخالفتهم كتاب الله الذي بأيديهم وما الله بغافل عما تعملون. 85 بها الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام واليهود عليهم لعائن الله يتكاثرون بينهم ولهذا قال تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا أي فيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما كتموه من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه ومخرجه ومهاجره وغير ذلك من شئونه التي أخبرنا وهذا السياق ذم اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي يعتقدون صحتها ومخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة فلماذا لا يؤمنون على ما

تفسير ابن كثير

النساء من لم يقع عليه العرب ولا يفادي من وقع عليه العرب فقال عبدالله: أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهم كلهن والذي أرشدت إليه الآية الكريمة بن إياس في تفسيره: حدثنا أبو جعفر يعني الرازي حدثنا الربيع بن أنس أخبرنا أبو العالية أن عبدالله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادي من أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم قال: أنت عبدالله بن سلام؟ قال: نعم قال: فجاء بأربعة آلاف فأخذ عبدالله ألفين ورد عليه ألفين. وقال آدم أو لتكفرن بدينك الذي أنت عليه قال: ادن مني فدنا منه فقراً في أذنه مما في التوراة: إنك لا تجد مملوكاً من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته وإن يأتوكم نعم قال: أخذتها بسبعمئة درهم قال: فإني أربحك سبعمئة أخرى قال: فإني قد حلفت أن لا أنقصها من أربعة آلاف قال: لا حاجة فيها قال: والله لتشتريها مني عبدالله بن سلام يهودية بسبعمئة فلما مر برأس الجالوت نزل به فقال له عبدالله: يا رأس الجالوت هل لك في عجز ههنا من أهل دينك تشتريها مني قال: من ديارهم الآية. وقال أسباط عن السدي عن عبد خير قال: غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي بلنجر فحاصرنا أهلها ففتحن المدينة وأصبنا سباباً واشترى منكم ديارهم الآية. وقال أسباط عن السدي عن الشعبي: نزلت هذه الآية في قيس بن الحطيم ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً قالوا: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تبارك وتعالى فقال تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً أسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه فتعيرهم العرب بذلك ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم وحرّم علينا قتالهم في حرب بينهم فتقاتل بنو قريظة مع حلفائهم النضير وحلفاءهم وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها ويغلبونهم فيخربون ديارهم ويخرجونهم منها فإذا من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة. وقال أسباط عن السدي: كانت قريظة حلفاء الأوس وكانت النضير حلفاء الخزرج فكانوا يقتتلون التوراة وتقتلونهم وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظهر عليه إلا من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا؟ ففي ذلك من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حيث أنباهم بذلك أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أي تفادونهم بحكم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ويطلبون ما أصابوا من دمائهم وقتلوا ولا يعرفون جنة ولا ناراً ولا بعثاً ولا قيامة ولا كتاباً ولا حلالاً ولا حراماً فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة وأخذوا به بعضهم من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان وقريظة وهم حلفاء الأوس فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل واحد من فعلهم وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والنضير بن أبي محمد عن سعيد بن جببر أو عكرمة عن ابن عباس ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم الآية. قال: أنباهم الله بذلك ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم الآية قال محمد بن إسحق بن يسار حدثني محمد عنهم العذاب أي لا يفتر عنهم ساعة واحدة ولا هم ينصرون أي وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدى ولا يجيرهم منه. 86 أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة واختاروها فلا يخفف

وقد قال عليه السلام في مرض موته ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري قلت وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره. 87 كذبتم وفريقاً تقتلون إنما لم يقل وفريقاً قتلتم لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم باسم والسحر الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره فتضمن كلامه قولاً آخر وهو أن المراد روح عيسى نفسه المقدسة المطهرة وقال الزمخشري في قوله تعالى فريقاً بالاختصاص والتقريب تكرمة وميل لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالإنجيل كما قال في القرآن روحاً من أمرنا وقيل باسم أول السياق ولله الحمد وقال الزمخشري بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه والإنجيل تكرير قول لا معنى له والله سبحانه وتعالى أعز وأجل أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به قلت ومن الدليل على أنه جبرائيل ما تقدم من والإنجيل الآية. فذكر أنه أيده به فلو كان الروح الذي أيده به هو الإنجيل لكان قوله وإن أيدتك بروح القدس وإن علمتك الكتاب والحكمة والتوراة تعالى إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإن علمتك الكتاب والحكمة والتوراة ثم قال ابن جرير وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال الروح في هذا الموضع جبرائيل فإن الله تعالى أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر في قوله تعالى وأيدناه بروح القدس قال: أيد الله عيسى بالإنجيل روحاً كما جعل القرآن روحاً كلاهما روح الله كما قال تعالى وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وقال السدي: القدس البركة. وقال العوفي عن ابن عباس القدس الطهر وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى أن أبا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله الرب تبارك وتعالى. وهو قول كعب وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصري أنهما قالاً: القدس هو الله تعالى وروحه جبريل. فعلى هذا يكون القول الأول عن عبيد بن عمير أيضاً قال: وهو الاسم الأعظم. وقال ابن أبي نجيح: الروح هو حفظة على الملائكة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس: القدس هو الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى. وقال ابن جرير حدثت عن المنجاب فذكره وقال ابن أبي حاتم وروي عن سعيد بن جببر نحو ذلك ونقله القرطبي آخر: قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا بشر بن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وأيدناه بروح القدس قال: هو الاسم الله صلى الله عليه وسلم قال إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. أقوال الروح فقال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه جبرائيل وهو الذي يأتيني؟ قالوا نعم: وفي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود أن رسول إسحق حدثني عبدالرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفراً من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أخبرنا عن

تفسير ابن كثير

أن رسول الله قال لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك وفي شعر حسان قوله: وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء وقال محمد بن أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أحب عني اللهم أيده بروح القدس فقال اللهم نعم وفي بعض الروايات المسيب عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحقه إليه فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى وهشام بن عروة كلاهما عن عائشة به قال الترمذي حسن صحيح وهو حديث أبي الزناد وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن تعلقا وقد رواه أبو داود في سننه عن ابن سيرين والترمذي عن علي بن حجر وإسماعيل بن موسى الفزاري ثلاثتهم عن أبي عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك فهذا من البخاري ما قال البخاري وقال ابن أبي الزناد عن أبيه عن أبي هريرة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد فكان ومحمد بن كعب وإسماعيل بن خالد والسدي والربيع بن أنس وعطية العوفي وقتادة مع قوله تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين استكبرتم ففريقا كذبتهم وفريقا تقتلون. والدليل على أن روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية وتابعه على ذلك ابن عباس التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها فهذا كان ذلك يشق عليهم فكذبوه وربما قتلوا بعضهم ولهذا قال تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء أسوأ المعاملة ففريقا يكذبونه وفريقا يقتلون وما ذاك إلا لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبالإلزام بأحكام بني إسرائيل له وحسداهم وعنادهم لمخالفة التوراة البعض كما قال تعالى إخبارا عن عيسى ولأهل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتمكم بآية من ربكم الآية. فتكون طيرا بإذن الله وإبراء الأسقام وإخباره بالغيوب وتأيدته بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به فاشتد تكذيب بمخالفة التوراة في بعض الأحكام ولهذا أعطاه الله من البينات وهي المعجزات. قال ابن عباس: من إحياء الموتى وخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها قال السدي عن أبي مالك: أتبعنا وقال غيره: أردفنا. والكل قريب كما قال تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم فجاء بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء الآية ولهذا قال تعالى وقفينا من بعده بالرسول فحرفوها وبدلوها وخالفوا وأمرها وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة والاستكبار على الأنبياء وأنهم إنما يتبعون أهواءهم فذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب وهو التوراة مثل هذا قط. تريد ما رأيت مثل هذا قط وقال الكسائي: تقول العرب من زنى بأرض قلما تنبت أي لا تنبت شيئا حكاها ابن جرير رحمه الله والله أعلم. 88 به محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم إنما كانوا غير مؤمنين بشيء وإنما قال: قليلا ما يؤمنون وهم بالجميع كافرون كما تقول العرب قلما رأيت وقيل قليلا إيمانهم بمعنى أنهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب ولكنه إيمان لا ينفعهم لأنه مغمور بما كفروا به من الذي جاءهم الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وقد اختلفوا في معنى قوله قليلا ما يؤمنون وقوله فلا يؤمنون إلا قليلا فقال بعضهم قليلا من يؤمن منهم بل لعنهم الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون أي ليس الأمر كما ادعوا بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها كما قال في سورة النساء وقولهم قلوبنا غلف بل طبع نقلها الزمخشري أي جمع غلاف أي أوعية بمعنى أنهم ادعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر كما كانوا يفتنون بعلم التوراة ولهذا قال تعالى العوفي عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف أي أوعية للعلم وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيها حكاها ابن جرير وقالوا قلوبنا غلف بضم اللام بعيدة من الخير. قول آخر: قال الضحاك عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف قال يقولون قلوبنا غلف مملوءة لا تحتاج إلى علم محمد ولا غيره وقال عطية العرزمي أنبأنا أبي عن جدي عن قتادة عن الحسن في قوله: قلوبنا غلف قال: لم تختن وهذا القول يرجع معناه إلى ما تقدم من عدم طهارة قلوبهم وأنها عن أبي البخترى عن حذيفة قال القلوب أربعة فذكر منها وقلب أغلف مغضوب عليه وذاك قلب الكافر وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن فلا يخلص إليه مما تقول شيء وقرأ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وهذا الذي رجحه ابن جرير واستشهد بما روي من حديث عمرو بن مرة الجملي منهم إلا القليل وقالوا قلوبنا غلف هو كقوله وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وقال عبد الرحمن بن أسلم في قوله غلف قال: تقول قلبي في غلاف علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء بل لعنهم الله بكفرهم أي طردهم الله وأبعدهم من كل خير قليلا ما يؤمنون قال قتادة معناه لا يؤمن وهو الغطاء: وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: فلا تعي ولا تفقه قاله مجاهد وقتادة: وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل هي القلوب المطبوع عليها وقال مجاهد وقالوا قلوبنا غلف عليها غشاوة وقال عكرمة: عليها طابع وقال أبو العالية: أي لا تفقه وقال السدي يقولون عليها غلاف وقالوا قلوبنا غلف أي في أكنة: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف أي لا تفقه وقال العوفي عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس

يقولون إنه سيأتي نبي فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال مجاهد فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلجنة الله على الكافرين قال هم اليهود. 89 عليه وسلم فقال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلجنة الله على الكافرين وقال قتادة وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال وكانوا نعذب المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية: كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يقول يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يعني بذلك أهل الكتاب فلما بعث محمد ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه. الله في ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الآية. وقال العوفي عن ابن عباس وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا

تفسير ابن كثير

ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور ودأود بن سلمة يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك بل يكذبون وقال محمد بن إسحق أخبرني محمد بن أبي محمد أخبر عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن جاءهم ما عرفوا كفروا به فلجنة الله على الكافرين وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وقال يستنصرون وهم يقولون إن نبيا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به يقول الله تعالى فلما وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قالوا كنا قد علوناهم قهرا دهرنا في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب أشياخ منهم قال: فينا والله وفيهم يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة يعني ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم المشركين إذا قاتلوهم يقولون إنه سيبعث نبي في آخر الزمان فنقتلكم معه قتل عاد وإرم كما قال محمد بن إسحق عن عاصم بن عمرو عن قتادة الأنصاري عن من التوراة وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من يقول تعالى ولما جاءهم يعني اليهود كتاب من عند الله وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني

وينكر بقلبه ويخالف بعمله يصبح على حال ويمسي على غيره ويمسي على حال ويصبح على غيره ويتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح هبت معها. 9 بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون نعت المنافق عند كثير: خنع الأخلاق يصدق بلسانه يخادعون الله قال يظهرون لا إله إلا الله يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وفي أنفسهم غير ذلك. وقال سعيد عن قتادة ومن الناس من يقول آمنا على عمى من أمرهم مقيمين. وقال ابن أبي حاتم أنبأنا علي بن المبارك فيما كتب إلي حدثنا زيد بن المبارك حدثنا محمد بن نور عن ابن جريح في قوله تعالى يشعرون إعلاما منه عبادة المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسقاطهم عليها ربهم بكفرهم وشركهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين ولكنهم الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به فذلك خديعته نفسه ظنا منه مع إساءته إليها في أمر معادها أنه إليها محسن كما قال تعالى وما يخدعون إلا أنفسهم وما من فعله خادع لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيته ويسقيها كأس سرورها وهو موردها حياض عطيا ومجرعها به كأس عذابها ومزبرها من غضب تقية بما يخلص به من القتل والسبي والعذاب العاجل وهو لغير ما أظهره مستبطن وذلك من فعله وإن كان خادعا للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقية لينجو بما هو له خائف مخادعا فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين بإظهاره ما أظهر بلسانه معنى واحد. قال ابن جرير فإن قال قائل: كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية؟ قيل: لا تمتنع العرب يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ومن القراءة من قرأ وما يخدعون إلا أنفسهم وكلا القراءتين ترجع إلى إنهم هم الكاذبون ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون يقول وما يغفون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم وما عنده وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين كما قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا وقوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا أي بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك وأن ذاك نافعهم صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجننا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنبار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار. 90 حدثنا يحيى حدثنا ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في في الدنيا والآخرة كما قال تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين وقد قال الإمام أحمد عليه وسلم وعن ابن عباس مثله. وقوله تعالى وللکافرين عذاب مهين ولما كان كفرهم سببه البغي والحسد ومنشأ ذلك التكبر قبولوا بالإهانة والصغار وبالقرآن وعن عكرمة وقتادة مثله قال السدي: أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في العجل وأما الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم واستقروا بغضب على غضب وقال أبو العالية: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم عليهم في ما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم وغضب عليهم بكفرهم بهذا النبي الذي بعث الله إليهم قلت ومعنى باءوا استوجبوا واستحقوا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أي إن الله جعله من غيرهم فباءوا بغضب على غضب قال ابن عباس في الغضب على الغضب فغضب من يشاء من عباده ولا حسد أعظم من هذا قال ابن إسحق عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن عباس بنسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم عن تصديقه وموآزرته ونصرته وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكرهية أن ينزل الله فضله على الله عليه وسلم بأن يبينوه وقال السدي بنسما اشتروا به أنفسهم يقول باءوا به أنفسهم يقول بنسما اعتاضوا لأنفسهم فرضوا به وعدلوا إليه من الكفر قال مجاهد بنسما اشتروا به أنفسهم يهود شروا الحق بالباطل وكتمان ما جاء به محمد صلى

الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم بل أمركم باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما أنزل علينا وتعيير لهم. 91 ليهود بني إسرائيل إذا قلت لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا: لم تقتلون إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله أنبياء الله يا معشر اليهود وقد حرم تقتلون وقال السدي في هذه الآية يعيبرهم الله تبارك وتعالى قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين وقال أبو جعفر بن جرير: قل يا محمد على رسل الله فلسستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهبي كما قال تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريق

تفسير ابن كثير

أنزل إليكم فلم تقتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم؟ قتلتموهم بغيا وعنادا واستكبارا آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ثم قال تعالى فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم صادقين في دعوكم الإيمان بما وسلم الحق مصدقا لما معهم منصوبا على الحال أي في حال تصديقه لما معهم من التوراة والإنجيل فالحجة قائمة عليهم بذلك كما قال تعالى الذين والإنجيل ولا نقر إلا بذلك ويكفرون بما وراءه يعني بما يعدوه وهو الحق مصدق لما معهم أي وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد صلى الله عليه الكتاب آمنوا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوه قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة يقول تعالى وإذا قيل لهم أي لليهود وأمثالهم من أهل

وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لكونن من الخاسرين. 92 قال تعالى واتخذ قوم موسى من حليهم عجلا جسدا له خوار وأنتم ظالمون أي وأنتم ظالمون في هذا الصنيع الذي صنعتموه من بعده عبادتكم العجل التي شاهدوها ثم اتخذتم العجل أي معبودا من دون الله في زمان موسى وأيامه وقوله من بعده أي من بعد ما ذهب عنكم إلى الطور لمناجاة الله عز وجل كما إلا الله والآيات البيّنات هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد وفرق البحر وتظليلهم بالغمام والمن والسلوى والحجر وغير ذلك من الآيات ولقد جاءكم موسى بالبيّنات أي بالآيات الواضحات والدلائل القاطعات على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا إله

الناس أجمعين فكيف تدعون لأنفسكم الإيمان وقد فعلتم هذه الأفاعيل القبيحة من نقضكم المواثيق وكفركم بآيات الله وعبادتكم العجل من دون الله. 93 ثم اعتمادكم في كفركم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا أكبر ذنوبكم وأشد الأمور عليكم إذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الأنبياء والمرسلين المبعوث إلى أن إنسانا يطير وقوله قل بنسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين أي بنسما تعتمدونه في قديم الدهر وحديثه من كفركم بآيات الله ومخالفتكم الأنبياء في زوجته عثمة: غفل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير غفل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور كاد إذا ذكرت العهد منها أطيرو لو لأن المقصود من هذا السياق أنه ظهر على شفاههم ووجوههم والمذكور ههنا أنهم أشربوا في قلوبهم العجل يعني في حال عبادتهم له ثم أنشد قول النابغة حتى عادت وجوههم كالزعفران وحكى القرطبي عن كتاب القشيري أنه ما شرب أحد منه ممن عبد العجل إلا جن ثم قال القرطبي: وهذا شيء غير ما ههنا ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب وقال سعيد بن جبيرة وأشربوا في قلوبهم العجل قال لما أحرق العجل برد ثم نسف فحسوا الماء عمير وأبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: عمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شاطئ نهر فما شرب أحد من فذلك حين يقول الله تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عمارة بن فذبحه بالمبرد ثم ذراه في البحر ثم لم يبق بحر يجري يومئذ إلا وقع فيه شيء ثم قال لهم موسى: أشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاريه الذهب حبك الشيء يعمي ويصم ورواه أبو داود عن حيوة بن شريح عن بقة بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم به وقال السدي أخذ موسى عليه السلام العجل حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال في قلوبهم العجل بكفرهم قال أشربوا حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم. وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس وقال الإمام أحمد حدثنا عصام بن خالد عليهم حتى قبلوه ثم خالفوه ولهذا قالوا سمعنا وعصينا وقد تقدم تفسير ذلك وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قال عبدالرزاق عن قتادة وأشربوا يعدد سبحانه وتعالى عليهم خطأهم ومخالفتهم للميثاق وعتوهم وإعراضهم عنه حتى رفع الطور

خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. 94 عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنه يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله قال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد

لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت ولهذا قال تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين. 95 وسميت هذه المباهلة تمنيا لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره وكانت المباهلة بالموت وسلم ونعته وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة. تستأصل الكاذب لا محالة فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافتراءهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم اعلما أن المباهلة نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى فأما على تفسير ابن عباس فلا يلزم عليه شيء من ذلك بل قيل لهم كلام نصف إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون أن يقولوا على هذا فهل أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم؟ وهذا كله إنما وكم من صالح لا يتمنى الموت بل يود أن يعمر ليزداد خيرا ويرتفع درجته في الجنة كما جاء في الحديث خيركم من طال عمره وحسن عمله ولهم مع ذلك عليهم على هذا التأويل إذ يقال إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم أنهم يتمنون الموت فإنه لا علاقة بين وجود الصلاح وتمني الموت كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي في عيسى إذا دعا للمباهلة من المباهلة. فهذا الكلام منه أوله حسن وآخره فيه نظر وذلك أنه لا تظهر الحجة في دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم فامتنع اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها أنها إن تمت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها عيشها والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا وإن لم تعظوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون

تفسير ابن كثير

محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزل من الله لكم لكي يعطيكم أمنيته من الموت إذا تميتتم فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبتها وكدر عيسى ابن مريم عليه السلام وجادلوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة فقال لفريق اليهود إن كنتم محقين فتمنوا الموت فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصارى إذا خالفوه في الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرة وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول: فإنه قال القول في تأويل قوله تعالى قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس الآية فهذه وأما من فسر الآية على معنى إن كنتم صادقين أي في دعوكم فتمنوا الآن الموت ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ومال الضلالة فليمد له الرحمن مداً أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومد له واستدرجه كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله تعالى. وهم صاغرون فضربها عليهم وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح أمينا ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين قل من كان في الله على الكاذبين فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض: والله لئن باهلتهم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف فعند ذلك جنحوا للسلم وبدلوا الجزية عن يد المباهلة فقال الله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة فلما تأخروا علم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعوتهم وعنادهم إلى والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك فينبئكم بما كنتم تعملون فهم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى دعوا إلى المباهلة إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة بن أنس رحمهم الله تعالى ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت فسر به ابن عباس الآية هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع ولو تمنوا الموت وما كانوا ليتمنوه. وقد قال الله ما سمعت ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وهذا غريب عن الحسن ثم هذا الذي قول الله: ما كانوا ليتمنوه بما قدمت أيديهم. قلت أرايتك لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم تمنوا الموت أترأهم كانوا ميتين؟ قال: لا والله ما كانوا ليموتوا عن عبد الكريم به. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار حدثنا سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن قال الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن يزيد الرقي حدثنا فرات من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالا حدثنا بذلك أبو كريب حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد أسانيد صحيحة إلى ابن عباس وقال ابن جرير في تفسيره وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم بن محمد الطنافسي حدثنا عثمان سمعت الأعمش قال لا أظنه إلا عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه وهذه الجزري عن عكرمة قوله: فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. قال: قال ابن عباس لو تمنى يهود الموت لماتوا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا علي تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات. وقال الضحاک عن ابن عباس فتمنوا الموت: فسلوا الموت وقال عبدالرزاق عن معمر عن عبد الكريم ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين أي يعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك ولو

من العذاب لو عمر كما عمر إبليس لم ينفعه إذ كان كافراً والله بصير بما يعملون أي خبير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازي كل عاقل بعمله. 96 منجيه منه. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية يهود أحرص على الحياة من هؤلاء وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة وليس ذلك بمزحجه وقال العوفي عن ابن عباس وما هو بمزحجه من العذاب أن يعمر قال هذا الذين عادوا جبرائيل قال أبو العالية وابن عمر فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا من العذاب وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت فهو يحب طول الحياة وأن اليهودي لو عرف ما له في الآخرة من الخزي ما ضيع ما عنده من العلم. طول العمر وقال مجاهد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس وما هو بمزحجه من العذاب أن يعمر أي وما هو بمنجيه في قوله يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو الأعاجم هزارسال نوروز مهرجان وقال مجاهد يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال: حببت إليهم الخطيئة بن جبيرة نفسه أيضاً وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سمعت أبي علياً يقول حدثنا أبو حمزة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس البطين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو كقول الفارسي ده هزارسال يقول عشرة آلاف سنة. وكذا روي عن سعيد أي يود أحد اليهود كما يدل عليه نظم السياق وقال أبو العالية يود أحدهم أي أحد المجوس وهو يرجع إلى الأول لو يعمر ألف سنة. قال الأعمش عن مسلم سند تفسير الصحابي وقال الحسن البصري ولتجدنهم أحرص الناس على حياة قال المنافق أحرص الناس وأحرص من المشرك على حياة يود أحدهم ابن عباس ومن الذين أشركوا قال الأعاجم وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث الثوري وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. قال وقد اتفقا على عطف الخاص على العام قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبيرة عن فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب ولتجدنهم أحرص الناس على حياة أي على طول العمر لما يعلمون مآلهم السيئ وعاقبتهم عند الله الخاسرة لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر عدو لنا لأنه ينزل بالشدة والسنة وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب فجبرائيل عدو لنا. فقال الله تعالى من كان عدواً لجبريل الآية. 97

تفسير ابن كثير

أخبرنا هشيم أخبرنا عبد الملك عن عطاء بنحوه. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله قل من كان عدوا لجبريل قال: قالت اليهود إن جبرائيل أن ميكائيل كان هو الذي ينزل عليكم اتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث وإن جبرائيل ينزل بالعذاب والنقمة فإنه عدو لنا قال فنزلت هذه الآية. حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثني هشيم أخبرنا حصين بن عبدالرحمن عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى من كان عدوا لجبريل قال: قالت اليهود للمسلمين لو عدو للكافرين قال فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه ورواه عبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر هو الرازي: وقال ابن جرير: حدثني ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال إن جبرائيل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا. فقال عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله منقطع أيضا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبدالرحمن يعني الدستلي حدثنا أبو جعفر عن حصين بن عبد الرحمن عن عبدالرحمن بن أبي قتادة. قال بلغنا أن عمر أقبل إلى اليهود يوما فذكر نحوه. وهذا في تفسير آدم وهو أيضا منقطع وكذلك رواه أسباط عن السدي عن عمر مثل هذا أو نحوه وهو فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله الآيات. ثم قال حدثني المثنى حدثنا آدم حدثنا أبو جعفر حدثنا لهم عمر: هل تعرفون جبرائيل وتكرون محمدا صلى الله عليه وسلم؟ ففارقهم عمر عند ذلك وتوجه نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم فقالوا ذاك عدونا من أهل السماء يطلع محمدا على سرنا وإذا جاء جاء بالحرب والسنة ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل وكان إذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال رحبوا به فقال لهم عمر: أما والله ما جئتمكم لحبكم ولا لرغبة فيكم ولكن جئت لأسمع منكم فسألهم وسألوه فقالوا من صاحب صاحبكم؟ فقال لهم جبرائيل. زمانه والله أعلم. وقال ابن جبير: حدثنا بشير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود فلما انصرف ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدث به عن عمر ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر فإنه لم يدرك هو عندهم إذ مر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام إليه عمر فأتاه وقد أنزل الله عز وجل: من كان عدوا لله وملائكته عن يمينه وميكائيل عن شماله. قال عمر: وإني أشهد ما ينزلان إلا بإذن الله وما كان ميكائيل ليسالم عدو جبرائيل وما كان جبرائيل ليسالم عدو ميكائيل. فبينما من الملائكة وميكائيل سلمنا لو كان ميكائيل الذي يأتيه أسلمنا. قال: فإني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما منزلتهما عند الله تعالى؟ قالوا: جبريل كتبكم؟ قالوا نعم قال: فما يمنعكم أن تتبعوه؟ قالوا: إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له من الملائكة كفلا وإن جبرائيل كفل محمدا وهو الذي يأتيه وهو عدونا سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مجالد أنبأنا عامر قال: انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود فقال أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا في بأبي وأمي أنت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك وأنا أسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو خوخة لبني فلان فقال يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن قبل فقرأ علي من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله حتى قرأ الآيات قال: قلت لجبرائيل أن يسالم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبرائيل. قال: ثم قمت فاتبعته النبي صلى الله عليه وسلم فلحقته وهو خارج من من ربهما عز وجل؟ قال أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال: فقلت فوالذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما وما ينبغي قالوا إن جبرائيل ملك الفضاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة والتخفيف ونحو هذا قال: قلت وما منزلتهما قالوا إن لنا عدوا من الملائكة وسلمنا من الملائكة وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة. قلت ومن عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: ويحكم إذا هلكتم. قالوا: إنا لم نهلك قلت كيف ذلك وأنت تعلمون أنه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه. أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا. فقال لهم عالمهم وكبيرهم: إنه قد غلط عليكم فأجيئوه قالوا فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت. قال: أما إذ نشدنا بما نشدنا فإننا يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به. قال: فقلت لهم عند ذلك نشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون تغشانا وتأتينا. فقلت: إني أتاكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق القرآن قالوا: ومروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لأنك القرآن ومن القرآن كيف يصدق التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب ما من صاحبك أحد أحب إلينا منك قلت ولم ذلك؟ قالوا لأنك صلى الله عليه وسلم أدركنه الصلاة بواد صلاها ثم ارتحل فتركه ثم أنشأ يحدثهم فقال: كنت أشهد اليهود يوم مدارسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق رجالا يبتدرون أحجارا يصلون إليها فقال ما بال هؤلاء؟ قالوا يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى هنا قال فكفر ذلك وقال أيما رسول الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك حدثني بن المثنى حدثني ربعي ابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال نزل عمر الروحاء فرأى يقدمون المضاف إليه على المضاف والله أعلم. ثم قال ابن جرير: وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب في عبدالجليل فغضب موجودة في هذا كله واختلف الأسماء المضاف إليها وكذلك جبرائيل وميكائيل وعزائيل وإسرافيل ونحو ذلك وفي كلام غير العرب يقول إيل عبارة عن عبد والكلمة الأخرى هي اسم الله لأن كلمة إيل لا تتغير في الجميع فوزانه عبدالله عبدالرحمن عبدالملك عبدالقدوس عبدالسلام عبدالكافي وميكائيل اسمه عبدالله إيل الله. ورواه يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس مثله سواء وكذا قال غير واحد من السلف كما سيأتي قريب ومن الناس من الحكم عن أبيه عن عكرمة ورواه ابن جرير عن الحسين بن يزيد الطحان عن إسحق بن منصور عن قيس بن عاصم عن عكرمة أنه قال إن جبريل اسمه عبدالله تعالى وحكاية البخاري كما تقدم عن عكرمة هو المشهور أن إيل هو الله وقد رواه سفيان الثوري عن خصيف عن عكرمة ورواه عبد بن حميد عن إبراهيم بن وجه آخر عن أنس بنحوه وفي صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب من هذا السياق كما سيأتي في موضعه إن شاء الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا: هو شرنا وابن شرنا وانتقصوه. فقال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله. انفرد به البخاري من هذا الوجه وقد أخرجه من بن سلام فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. قال أرايتم إن أسلم قالوا أعاده الله من ذلك فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله

تفسير ابن كثير

الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم ييهتوني فجاءت اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله يا رسول من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك وأما أول أشرار الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام أشرار الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه قال أخبرني بهذه جبرائيل أنفا قال جبريل: قال نعم قال ذاك عدو اليهود بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترق فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول لجبريل قال عكرمة جبر وميك وإسراف: عبد. إيل: الله. حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال سمع عبد الله بن سلام مجاهد قالت يهود يا محمد ما نزل جبريل إلا بشدة وحرب وقتال فإنه لنا عدو فنزل قل من كان عدوا لجبريل الآية قال البخاري قوله تعالى من كان عدوا الذي ينزل عليه بالوحي قال جبرائيل. قالوا فإنه عدو لنا ولا يأتي إلا بالحرب والشدة والقتال. فنزل قل من كان عدوا لجبريل الآية قال ابن جرير: قال حسن غريب. وقال سنيدي في تفسيره عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة أن يهود سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحبه فأنزل الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله إلى آخر الآية ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد وقال الترمذي: صاحبك؟ قال جبريل عليه السلام قالوا جبريل ذلك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان. الصوت الذي نسمع؟ قال صوته قالوا صدقت قالوا إنما بقيت واحدة وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها إنه ليس من نبي إلا وله ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من هذا الرعد. قال ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيديه أو في يديه مخراق من نار يزرع به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى قالوا فما هذا على نفسه قال كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان كذا قال أحمد: قال بعضهم يعني الإبل فحرم لحومها قالوا صدقت قالوا أخبرنا ما كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر. قال يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال والله على ما نقول وكيل قال هاتوا قالوا فأخبرنا عن علامة النبي؟ قال تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا أخبرنا عباس قال: أقبلت يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك. فأخذ عدوا لجبريل إلى قوله لا يعلمون وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبيرة عن ابن أنه جبريل وهو الذي يأتيني قالوا: اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء فلو لا ذلك اتبعناك. فأنزل الله تعالى فيهم قل من كان بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب فذكر مرسلا وزاد فيه قالوا فأخبرنا عن الروح قال فأنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون كلاهما عن عبد الحميد بن بهرام به ورواه أحمد أيضا عن الحسين بن محمد المروزي عن عبد الحميد بنحوه وقد رواه محمد بن إسحق بن يسار حدثنا عبد الله فعندها باءوا بغضب على غضب وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعبد الرحمن بن حميد في تفسيره عن أحمد بن يونس قالوا: إنه عدونا فأنزل الله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه إلى قوله لو كانوا يعلمون وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعتك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم. قال اللهم اشهد قالوا: أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك. قال فإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل قالوا: اللهم نعم. قال اللهم اشهد وأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله عز وجل وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا بإذن الله وإذا فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد عليهم وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من مرضه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها أنا أنبأتكم لتتابعني؟ فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق فقال نشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم عهد الله لئن عما شئتم قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ذمة وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتكموه لتتابعني على الإسلام فقالوا ذلك لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ذلك فقال بعضهم إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته: ذكر من قال ذلك العلم بالتأويل جميعا أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله جمع أهل

لي ولما فقد آذنته بالمحاربة وفي الحديث الآخر إني لأثار لأوليائي كما يثار الليث الحرب وفي الحديث الصحيح من كنت خصمه خصمه. 98 وإعلامهم أن من عادى وليا لله فقد عادى الله ومن عادى الله فإن الله عدو له ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة كما تقدم الحديث من عادى سبق الموت ذا الغنى والفقير وقال الآخر: ليت الغراب غداة ينعب دأبا كان الغراب مقطوع الأوداج وإنما أظهر الله هذا الاسم ههنا لتقرير هذا المعنى وإظهاره

تفسير ابن كثير

عدو للكافرين فيه إيقاع المظهر مكان المضر حيث لم يقل فإنه عدو بل قال: فإن الله عدو للكافرين كما قال الشاعر: لا أرى الموت يسبق الموت شيء اللغة والقراءات ولم تطول كتابنا هذا بسرد ذلك إلا أن يدور فهم المعنى عليه أو يرجع الحكم في ذلك إليه وبالله الثقة وهو المستعان وقوله تعالى فإن الله به أبا سليمان الداراني فانتفض وقال: لهذا الحديث أحب إلي من كل شيء في دفتر كان بين يديه. وفي جبرائيل وميكائيل لغات وقراءات تذكر في كتب ويحيى بن يعمر نحو ذلك ثم قال: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثني عبدالعزيز بن عمير قال: اسم جبرائيل في الملائكة خادم الله قال: فحدثت اسم جبرائيل من أسمائكم؟ قلنا لا قال: اسمه عبدالله وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة ومجاهد والضحاك عباس قال: إنما كان قوله جبرائيل كقوله عبدالله وعبدالرحمن وقيل جبر عبد وإيل الله. وقال محمد بن إسحق عن الزهري عن علي بن الحسين قال: أتدرون ما الله وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن إسماعيل بن أبي رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وقد تقدم ما حكاه البخاري ورواه ابن جرير عن عكرمة وغيره أنه قال جبر وميك وإسراف: عبید وإيل: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من كما أن إسرافيل موكل بالنفخ في الصور للبعث يوم القيامة ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يقول كما قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر ولكن جبرائيل أكثر وهي وظيفته وميكائيل موكل بالنبات والقطر هناك بالهدى وهذا بالرزق جبريل عدوهم وميكائيل وليهم فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا ولأنه أيضا ينزل على أنبياء الله بعض الأحيان الملائكة في عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لأن السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه وقرن معه ميكائيل في اللفظ لأن اليهود زعموا أن رسله من الملائكة كما قال تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وجبريل وميكال وهذا من باب عطف الخاص على العام فإنها دخلا في الآية ثم قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين يقول تعالى من عاداني وملائكتي ورسلي ورسله تشمل لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الآية وقال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين تعالى من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه أي من الكتب المتقدمة وهدى وبشرى للمؤمنين أي هدى لقلوبهم وبشرى صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد لي وليا فقد بارزني بالحرب ولهذا غضب الله لجبرائيل على من عاداه فقال ربه كما قال وما تنتزل إلا بأمر ربك الآية وقال تعالى وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين وقد روى البخاري في عليهم بالكفر المحقق إذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم وكذلك من عادى جبرائيل فإنه عدو لله لأن جبرائيل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه وإنما ينزل بأمر الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الآيةتين فحكم رسول من رسل الله ملكي ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله أي من عادى جبرائيل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك فهو وأما تفسير الآية فقوله تعالى قل من كان

ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينه فنتبعك فأنزل الله في ذلك من قوله ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون. 99 إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة وسعيد ابن جبيرة عن ابن عباس قال: قال ابن سوريا القطويني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد وأنت عندهم أُمي لم تقرأ كتابا وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه يقول الله تعالى لهم في ذلك عبرة وبيان وعليهم حجة لو كانوا يعلمون. وقال محمد بن بشر ولا أخذ شيئا منه عن آدمي كما قال الضحاك عن ابن عباس ولقد أنزلنا إليك آيات بينات يقول فأنت تتلوهم عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية وبين ذلك إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصف من غير تعلم تعلمه من الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها إلى هلاكه الحسد والبغي إسرائيل والنبا عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماءهم وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة فاطلع إليك يا محمد علامات واضحات دلالات على نبوتك وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني قال الإمام أبو جعفر بن جرير في قوله تعالى ولقد أنزلنا إليك آيات بينات الآية أي أنزلنا

سورة 3

كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطمع وأعظم والله أعلم. 1 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال

تفسير ابن كثير

فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمضى حي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مظاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق و حرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الم و المص وخمسة مثل كهيعص و حمعسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصرح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاية لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاية ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاية ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا أمانا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتوبة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاية ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتلاف وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق و ص و ح و ط و س و ر و غير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفتي بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وإن شرف ولا أريد الشر إلا أن — يقول وإن شرفا فشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفتي بالفاء فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا ينقد عنه جلده إذا — فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي لنا غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم

تفسير ابن كثير

فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معاً ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورة كثيرة بتحميده وتسميحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبالألف لا ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وأجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: فقال الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهذلي عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضاً من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب عن قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهذلي الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسماً للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاة القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود عند تفسير آية المباهلة منها إن شاء الله تعالى وقد ذكرنا ما ورد من فضلها مع سورة البقرة أول البقرة. قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في وصدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزل في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة كما سيأتي بيان ذلك

قال أولئك منكم أولئك هم وقود النار ثم رواه من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه. 10 الناس زمان يقرؤون القرآن فيقرؤنه ويعلمونه فيقولون قد قرأنا وقد علمنا فمن هذا الذي هو خير منا؟ فما في أولئك من خير قالوا يا رسول الله فمن أولئك؟ وجهدت ونصحت فاصبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه وليخوضن رجال البحار بالإسلام وليأتين على شداد عن أم الفضل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة بمكة فقال هل بلغت يقولها ثلاثاً فقام عمر بن الخطاب وكان أوها فقال اللهم نعم وحرصت يا رسول الله فمن أولئك؟ قال أولئك منكم وهم وقود النار وقد رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن عبد الله بن الهاد عن هند بنت الحارث امرأة عبد الله بن رجال البحار بالإسلام وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرؤنه ثم يقولون قرأنا وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا فهل في أولئك من خير؟ قالوا ثلاثاً فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نعم ثم أصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر إلى مواطنه وليخوضن هند بنت الحارث عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس قالت: بينما نحن بمكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فنأدى هل بلغت اللهم هل بلغت وتوقد به كقوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآتية. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة أخبرني ابن الهاد عن وكذبوا رسله وخالفوا كتابه ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار أي حطبها الذي تسجر به وهم كافرون وقال تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وقال ههنا إن الذين كفروا أي بآيات الله

تفسیر ابن کثیر

لهم عند الله ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه كما قال تعالى ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم الآية وهكذا قال ههنا إن طيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. 100 أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من إرسال رسوله كما قال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يحدروا لك لكانوا من ألد الأعداء يحدرونك أي يحدرونك ويحسدونك ويحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من إرسال رسوله كما قال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يحدروا لك لكانوا من ألد الأعداء يحدرونك

أَيُّ مَعَ هَذَا فَلَا عِصَامَ بِاللَّهِ وَالتَّوَكَّلْ عَلَيْهِ هُوَ الْعَمْدَةُ فِي الْهَدَايَةِ وَالْعِدَّةُ فِي مَبَاعَدَةِ الْغَوَايَةِ وَالْوَسِيلَةُ إِلَى الرِّشَادِ وَطَرِيقُ السَّدَادِ وَحُصُولُ الْمَرَادِ. 101

بِمَا فِيهَا وَقَدْ ذَكَرْتَ سَنَدَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا: فَنَحْنُ قَالَ وَكَيْفَ لَا تَوَّعُّونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟ قَالُوا: فَأَيُّ النَّاسِ أَعْجَبُ إِيْمَانًا؟ قَالَ قَوْمٌ يَجِئُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَجِدُونَ صَحْفًا يُؤْمِنُونَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيْمَانًا؟ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ قَالَ وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْيُ يَتْلُوهَا عَلَيْكُمْ وَيُبَلِّغُهَا إِلَيْكُمْ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ الْآيَةُ بَعْدَهَا. وَكَمَا قَالَ تَعَالَى وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ يَعْنِي أَنَّ الْكُفْرَ بَعِيدٌ مِنْكُمْ وَحَاشَاكُمْ مِنْهُ فَإِنَّ آيَاتَ اللَّهِ تَنْزِلُ عَلَى رَسُولِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَهُوَ فَقَالَ: بَابُ كَيْفَ يَخْرُجُ لِلسُّجُودِ ثُمَّ سَاقَهُ مِثْلَهُ فَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ لَا أَمُوتَ إِلَّا مُسْلِمًا وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ لَا أَقْتُلَ إِلَّا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ. 102

قَالَ: بَايَعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لَا آخِرَ إِلَّا قَائِمًا وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ شُعْبَةَ بِهِ وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ثَابِتٍ مَرْسَلًا. فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهِكٍ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ وَأَمْنَهُ مِمَّا يَخَافُ ثُمَّ قَالَ: لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ ثَابِتٍ غَيْرَ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ. وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ مِنْ حَدِيثِهِ ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ غَرِيبٌ وَكَذَا قَالَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْجُو اللَّهَ وَأَخَافُ ذَنْبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَحْسَبُهُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَرِيضًا فَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ فَوَافَقَهُ فِي السُّوقِ فَسَلِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ أَنْتَ يَا فُلَانٌ؟ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْقُرَشِيُّ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَإِنَّ ظَنِّي بِي خَيْرٌ فَلَهُ فَإِنَّ ظَنِّي بِي شَرٌّ فَلَهُ وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ بِهِ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ اللَّهُ سَفِيَانٌ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِ ثَلَاثٍ لَا يَمُوتُونَ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَلْتَدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يَحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي عَنِ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْكَعْبَةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَزْحَزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ مُسْتَدْرِكُهُ مِنْ طَرِيقٍ عَنْ شُعْبَةَ بِهِ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَالَ الْحَاكِمُ: عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ لِأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مِنَ الزَّقُومِ وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ وَابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُومِ قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا ذَلِكَ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا رُوْحٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ عَنْ مُجَاهِدٍ: إِنْ النَّاسُ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَإِنْ ابْنُ عَبَّاسٍ جَالِسٌ مَعَهُ مُجَحِّنٌ فَقَالَ: صَحَّتْكُمْ وَسَلَامَتُكُمْ لَتَمُوتُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ الْكَرِيمَ قَدْ أَجْرَى عَادَتَهُ بِكَرَمِهِ أَنَّهُ مِنْ عَاشٍ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَ عَلَيْهِ فَعِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ خِلَافٍ تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَنْهُمْ وَيَقُومُوا بِالْقُسْطِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَيُّ حَافِظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي حَالٍ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ قَالَ: لَمْ تَنْسَخْ وَلَكِنْ حَقَّ تَقَاتُهُ أَنْ يَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا جَبِيرٌ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَقَتَادَةُ وَمِقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَالسَّديُّ وَغَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ النَّخَعِيَّ وَطَاوُوسَ وَالْحَسَنَ وَقَتَادَةَ وَأَبِي سَنَانٍ وَالسَّديُّ نَحْوَ ذَلِكَ. وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَتَّقِي اللَّهَ الْعَبْدُ حَقَّ تَقَاتِهِ حَتَّى يَخْزَنَ لِسَانَهُ. وَقَدْ ذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ كَذَا قَالَ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ مَرَّةٍ الْهَمْدَانِيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ وَإِبْرَاهِيمُ وَيَذْكُرُ فَلَا يَنْسَى وَكَذَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ مَسْعَرٍ عَنْ زَيْدٍ عَنْ مَرَّةٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا فَذَكَرَهُ ثُمَّ قَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَهَبٌ عَنْ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ مَرَّةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ أَنْ يَطَاعَ فَلَا يَعْصَى وَيُشْكَرُ فَلَا يَكْفُرُ يَشْكُرُ فَلَا يَكْفُرُ وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مَوْقُوفٌ وَقَدْ تَابَعَ مَرَّةً عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَفِيَانَ وَشُعْبَةَ عَنْ زُبَيْدٍ الْيَامِي عَنْ مَرَّةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ قَالَ: أَنْ يَطَاعَ فَلَا يَعْصَى وَأَنْ يَذْكُرَ فَلَا يَنْسَى وَأَنْ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ حَدَّثَنَا

فندموا على ما كان منهم فاصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم وذكر عكرمة أن ذلك نزل فيهم حين تثاروا في قضية الإفك والله أعلم. 103 وتواعدوا إلى الحرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم فجعل يسكتهم ويقول أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ وتلا عليهم هذه الآية من حروبهم يوم بعث وتلك الحروب ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتثاروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم

تفسير ابن كثير

وذلك أن رجلا من اليهود مر بملا من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكر لهم ما كان بي وعالة فأغناكم الله بي؟ فكلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن. وقد ذكر محمد بن إسحق بن يسار وغيره: أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج. فعتب من عتب منهم بما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله فخطبهم فقال يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم فأنقذهم الله منها أن هداهم للإيمان. وقد امتن عليهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قسم غنائم حنين الله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إلى آخر الآية وكانوا والوقائع بينهم فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى قال إلى آخر الآية وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلي وعدواة شديدة وضغائن وإحن وذحول طال بسببها قتالهم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا عليهم الافتراق والاختلاف فقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار وهم الذين ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا. وخيف الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم التفرق والأمر بالاجتماع والإئتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هلم إلى الطريق فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله القرآن. وقوله ولا تفرقوا أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة. وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك وقال وكيع حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: قال عبد الله: إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين: يا أبا عبد الله هذا الطريق الله صلى الله عليه وسلم إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه وروى من حديث حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض. وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول بن يحيى الأموي حدثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك بن سليمان العزمي عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو في صفة القرآن هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم. وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري: حدثنا سعيد عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس أي بعهد وذمة وقيل بحبل من الله يعني القرآن كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعا قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قيل بحبل الله أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها ضربت

وابن ماجه من حديث عمرو بن أبي عمرو به وقال الترمذي: حسن والأحاديث في هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتي تفسيرها في أماكنها. 104 قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم ورواه الترمذي سليمان الهاشمي أنبأنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان وفي رواية وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. وقال الإمام أحمد: حدثنا ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره يدعون إلى الخير ثم قال الخير اتباع القرآن وسنتي رواه ابن مردويه والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتكن منكم أمة يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون

رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به وقد ورد هذا الحديث من طرق. 105 لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به وهكذا ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه صلى صلاة الظهر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني أزهري عن عبد الله الهروي عن أبي عامر عبد الله بن يحيى قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم. قال الإمام أحمد: حدثنا قال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات الآية ينهى تبارك

الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم قال الحسن البصري: وهم المنافقون فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وهذا الوصف يعم كل كافر. 106 وجوه وتسود وجوه يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة قاله ابن عباس رضي الله عنهما فأما وقوله تعالى يوم تبيض

أبي غالب بنحوه. وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبي ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا ثم قال تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك. 107 ما حدثكموه ثم قال هذا حديث حسن وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق عن معمر عن وجوه إلى آخر الآية قلت: لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو لم أسمعته إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعاً - حتى عد سبعا

تفسير ابن كثير

أمامة رءوسا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود عنها حولا وقد قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح وحماد بن سلمة عن أبي غالب قال: رأى أبو يعني الجنة ماكتون فيها أبدا لا يبغون

أي ليس بظالم لهم بل هو الحاكم العدل الذي لا يجوز لأنه القادر على كل شيء العالم بكل شيء فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدا من خلقه. 108
نتلوها عليك أي هذه آيات الله وحججه وبياناته نتلوها عليك يا محمد بالحق أي تكشف ما الأمر عليه في الدنيا والآخرة وما الله يريد ظلما للعالمين
قال تعالى تلك آيات الله

قال تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض أي الجميع ملك له وعبيد له وإلى الله ترجع الأمور أي هو الحاكم المتصرف في الدنيا والآخرة. 109

ولهذا

شديد العقاب أي شديد الأخذ أليم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء بل هو الفعال لما يريد الذي قد غلب كل شيء لا إله غيره ولا رب سواه. 11
الكافرين لا تغني عنهم الأموال ولا الأولاد بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاءوا من آيات الله وحججه والله من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل والمعنى كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في حبها وبكيت دارها ورسمها والمعنى في الآية أن وال الحال والشأن والأمر والعادة كما يقال لا يزال هذا دأبي ودأبك وقال امرؤ القيس: وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تأسف أسي وتجمل كدأبك وغير واحد ومنهم من يقول: كسنة آل فرعون وكفعل آل فرعون وكشبه آل فرعون والألفاظ متقاربة والدأب بالتسكين والتحريك أيضا كنهز ونهر هو الصنيع وقوله تعالى كدأب آل فرعون قال الضحاك عن ابن عباس: كصنيع آل فرعون وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك

لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون أي قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان. 110
ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى ولو آمن أهل الكتاب أي بما أنزل على محمد لكان خيرا هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها رواه ابن جرير. ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه الآية: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة فقرا هذه الآية كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم قال من سره أن يكون من خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح كما قال قتادة: أنبأنا أحمد بن عيسى التنيسي حدثنا عمرو بن سلمة حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد بن عجيل به. فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى كنتم صدقة الدمشقي عن زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عجيل عن الزهري. ورواه الثعلبي حدثنا أبو عباس المخلي أنبأنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد زهير. وقد رواه أبو أحمد بن عدي الحافظ فقال: حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحق حدثنا أبو بكر الأعمش عن محمد بن أبي غياث حدثنا أبو حفص التنيسي حدثنا الأمم حتى تدخلها أمتي ثم قال انفرد به ابن عجيل عن الزهري ولم يرو عنه سواه وتفرّد به زهير بن محمد عن ابن عجيل وتفرّد به عمرو بن أبي سلمة عن عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وذكر تمام الحديث. حديث آخر روى الدارقطني في الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عجيل عن الزهري مرفوعا بنحوه ورواه مسلم أيضا من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن الآخرون الأولون تبع غدا لليهود وللنصارى بعد غد. رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه الناس لنا فيه عبدالرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن الأولين وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم ريع أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة. وقال أحمد بن حنبل حدثنا موسى بن غيلان حدثنا هاشم بن مغلد حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما نزلت ثلة من أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من أمتي تفرد به خالد بن يزيد البجلي وقد تكلم فيه ابن عدي. حديث آخر قال الطبراني حدثنا عبد الله بن عبدالرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد البجلي حدثنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حديث حسن ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه به. حديث آخر روى الطبراني من حديث سليمان أهل الجنة عشرون ومائة صف: هذه الأمة من ذلك ثمانون صفا وكذا رواه عن عفان عن عبدالعزيز به وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به وقال: هذا عبدالصمد حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا ضرار بن مرة أبو سنان الشيباني عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا قال الطبراني: تفرد به الحارث بن حصين حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا الناس ثلاثة أرباعها قالوا الله ورسوله أعلم قال كيف أنتم وثلاثها قالوا: ذاك أكثر قال كيف أنتم والشرط لكم قالوا ذاك أكثر فقال رسول الله صلى الحارث بن حصين حدثني القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر شطر أهل الجنة طريق أخرى عن ابن مسعود قال الطبراني: حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني قال لنا رسول الله صلى أما ترضون أن تكونوا ريع أهل الجنة فكبرنا ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا

تفسير ابن كثير

رواه عن روح عن ابن جريج به وهو على شرط مسلم وثبت في الصحيحين من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة قال: فكبرنا ثم قال: أرجو أن يكونوا ثلث الناس قال: فكبرنا ثم قال أرجو أن يكونوا الشطر وهكذا قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنني لأرجو أن يكون الأنبياء وهذا إسناد حسن. حديث آخر من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة. والذي نفس محمد بيده ليعثن منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمض بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما فحسب ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألفا. حديث آخر قال أبو القاسم الطبراني حدثنا هشيم بن مرثد الطبراني مهاجري أمتي ويوفي الله بقيته من أعرابنا وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده مثله وزاد: قال أبو سعيد: هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم بأذني ووعاه قلبي قال أبو سعيد قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إن شاء الله يستوعب أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفا ثم يحيي ربي ثلاث حثيات بكفيه كذا قال قيس فقلت لأبي سعيد: أنت سمعت عن يزيد بن سلام يقول: حدثني عبد الله بن عامر أن قيسا الكندي حدثه أن أبا سعيد الأنماري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ربي وعدني أو بحثية واحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر. حديث آخر قال الطبراني: حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام الجنة بغير حساب فقال عمر: يا رسول الله زدنا فقال عمر: حسبك إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بحفنة حديث آخر روى الطبراني من حديث قتادة عن أبي بكر بن عمر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلثمائة ألف قالوا: يا رسول الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا؟ وهذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات ما عدا عبد القاهر بن السري وقد سئل عنه ابن معين فقال صالح. قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا قالوا: زدنا يا رسول الله قال لكل رجل سبعون ألفا قالوا: زدنا وكان على كتيب فقالوا فقال هكذا وحنا بيديه طريق أخرى عن أنس قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن بكير حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة بحفنة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر هذا حديث غريب من هذا الوجه وأبو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبي بصري. ألف فقال أبو بكر: يا رسول الله زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قلت: يا رسول الله زدنا فقال عمر: إن الله قادر على أن يدخل الناس بن الهيثم البلدي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة عمر هذا الحديث بهذا الإسناد تفرد به عبد الرزاق. قال الضياء: وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني قال: حدثنا محمد بن أحمد بن مخلد حدثنا إبراهيم يا أبا بكر فقال أبو بكر: دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا. قال عمر: إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف قال أبو بكر رضي الله عنه: زدنا يا رسول الله قال والله هكذا قال عمر: حسبك مساكن في الجنة قال الضياء: وهذا عندي على شرط مسلم. حديث آخر قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال ثم قال وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوءوا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم ميمونة حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالكديد أو قال بقديد فذكر حديثا وفيه لهذا الإسناد علة والله أعلم. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام يعني الدستوائي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي الله في آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر. قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسي في كتاب صفة الجنة: لا أعلم الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفا ثم يحيي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حثيات فكبر عمر وقال: إن السبعين الأول يشفعهم يقول: حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل أيضا إسناد حسن. حديث آخر قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد بن سلام الله سمع أبا سلام الله إلا مثل الذباب الأصب في الذباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزادني ثلاث حثيات وهذا أمانة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب فقال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول ابن أبي عاصم: حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي اليمان الهروي واسمه عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي من حثيات ربي عز وجل وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش به وهذا إسناد جيد. طريق أخرى عن أبي أمانة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنن له حدثنا أبو بكر بن أبي شعبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد سمعت أبا أمانة الباهلي يقول سمعت يولونهم كأضوا نجم في السماء ثم كذلك وذكر بقيته رواه مسلم من حديث روح غير أنه لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم حديث آخر قال الحافظ أنه سمع جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا وفيه: فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يحاسبون ثم الذين وأخرجه البخاري عن أسيد بن زيد عن هشيم وليس عنده: لا يسترقون. حديث آخر قال أحمد: حدثنا روح بن عباد حدثنا ابن جرير أخبرني أبو الزبير فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة

تفسير ابن كثير

عليهم رسول الله صلى فقال ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئا وذكرنا أشياء فخرج أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم الشعبي ؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال لا رقية إلا من عين أو حمة قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن قلت أنا ثم قلت: أما إنني لم أكن في صلاة ولكني لدغت قال فما صنعت ؟ قلت استرقيت قال: فما حملك على ذلك قلت حديث حدثنا الشعبي قال: وما حدثكم الحجاج في صحيحه: حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب انقض البارحة ؟ وجوههم على صورة القمر ليلة البدر أخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل به. حديث آخر قال مسلم بن بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمئة ألف أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة سبقك بها عكاشة. حديث آخر قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان عن أبي حازم عن السهل نمرة عليه فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم ثم قام رجل من الأنصار فقال مثله فقال عليه وسلم يقول يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر قال أبو هريرة. فقام عكاشة بن محض الأسدي يرفع حسان وعنده ذكر عكاشة. حديث آخر ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفا بغير حساب ولا عذاب قيل: من هم ؟ قال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ورواه مسلم من طريق هشام بن محمد بن أبي عدي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون الضياء المقدسي وقال: هذا عندي على شرط مسلم. حديث آخر قال الطبراني: حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة رواه الحافظ فقلت: نعم قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محض صلى الله عليه وسلم عرضت علي الأمم بالموسم فرائث علي أمتي ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهيبتهم قد ملؤا السهل والجبل فقال أرضيت يا محمد ؟ حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبدالعزيز حدثنا حماد بن عاصم عن زرعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي عن يسارك قال: فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقال: رضيت ؟ قلت: رضيت وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه تفرد به أحمد ولم يخرجوه. السند وهذا السياق ورواه أيضا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة بإسناده مثله وزاد بعد قوله رضيت يا رب رضيت يا رب: قال رضيت ؟ قلت: نعم قال: انظر بالله شيئا حتى ماتوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون هكذا رواه أحمد بهذا ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة قال: ثم تحدثنا فقلنا من ترون هؤلاء السبعين الألف قوم ولدوا في الإسلام ولم يشركوا الأفق فإني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون فقام عكاشة بن محض فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم أي من السبعين فدعا له فقام رجل آخر فقال: صلى الله عليه وسلم فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفا فافعلوا فإن قصرتم فكونوا من أهل الضراب فإن قصرتم فكونوا من أهل فإذا الضراب قد سد بوجوه الرجال فقيل لي أرضيت: فقلت: رضيت يا رب قال: فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال النبي السلام ومعه كبكبة من بني إسرائيل فأعجبوني فقلت من هؤلاء ؟ قيل: هذا أخوك موسى ومعه بنو إسرائيل فقلت: فأين أمتي ؟ فقيل انظر عن يمينك فنظرت عرضت علي الأنبياء الليلة بأممها فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصاة والنبي ومعه النفر والنبي وليس معه أحد حتى مر على موسى عليه قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكثرنا الحديث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال ألفا هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي بين شريح وبين ثوبان والله أعلم. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفا لا يحاسبون مع كل ألف سبعون عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصي حدثنا محمد بن إسماعيل يعني ابن عياش حدثني أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي أسماء الرحبي ألفا تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناده رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون فهو حديث صحيح ولله الحمد والمنة. طريق أخرى قال الطبراني: حدثنا حتى أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون إلى ابن قرط فلما رآه قام فرعا فقال الناس ما شأنه أحدث أمر ؟ فأتى ثوبان فدخل عليه فعاده وجلس عنده ساعة ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال: اجلس عليه وسلم أما بعد فإنه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته ثم طوى الكتاب وقال له: أتبلغه إياه ؟ قال نعم فانطلق الرجل بكتابه فدفعه فدخل على ثوبان رجل من الكلاعيين عاندا له فقال له ثوبان: أتكتب ؟ قال: نعم قال: اكتب فكتب للأمير عبد الله بن قرط من ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد: حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة قال: قال شريح بن عبيدة: مرض ثوبان بحمص وعليها عبد الله بن قرط الأزدي فلم يعده وفرج عبد الرحمن ابن أبي بكر بين يديه وقال عبد الله وبسط باعيه وحثا عبد الله وقال هاشم: وهذا من الله لا يدري ما عدده. حديث آخر قال الإمام

تفسير ابن كثير

كل ألف سبعين ألفا قال عمر: فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني هذا الله صلى الله عليه وسلم قال إن ربي أعطاني سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته فقال استزدته فأعطاني مع حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام بن حسان عن القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي فزادني وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هنا قال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن القاسم حدثنا المسعودي حدثنا بكير بن الأخنس عن رجل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقول: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وما سمعته يكتبه قبلها ولا بعدها يقول إن الله تعالى يقول يا عيسى إني باع بك أمة إن أصابهم ما إسناده حسن. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية بن أبي جبير عن يزيد بن ميسرة قال: سمعت أبا الدرداء رضي الله ما هو؟ قال نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت أمتي خير الأمم تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو ابن الحنفية أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء فقلنا يا رسول الله ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا ابن زهير عن عبد الله يعني ابن محمد بن عقيل عن محمد بن علي فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل. فالعمل على مناجاه وسبيله يقوم القليل منه حسنه الترمذي. ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه. وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه معاوية بن حيدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل وهو حديث مشهور وقد أمة وسطا أي خيارا لتكونوا شهداء على الناس الآية. وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه ومستدرک الحاكم من رواية حكيم بن كل قرن بحسبه وخير قرونها الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال في الآية الأخرى وكذلك جعلناكم كنتم خير أمة أخرجت للناس قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة. والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة المنكر وأوصلهم للرحم ورواه أحمد في مسنده والنسائي في سننه والحاكم في مستدركه من حديث سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن درة بنت أبي لهب قالت: قام وعطاء والربيع بن أنس كنتم خير أمة أخرجت للناس يعني خير الناس للناس: والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ولهذا قال تأمرون بالمعروف وأخرجت للناس قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان بن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه كنتم خير أمة يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال

مريم وهم كذلك ويحكم بملة الإسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام. 111 بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن وسلبوهم ملك الشام أبد الأبدية ودهر الدهرين ولا تزال عصاة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى ابن هكذا وقع فإنهم يوم خير أمة أخرجت للناس وأرغم أنوفهم وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة كلهم أذلهم الله. وكذلك النصارى المؤمنين ومبشرا لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين فقال تعالى لن يضرركم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ثم قال تعالى مخبرا عباده

عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار. 112 فعيذا بالله من ذلك والله عز وجل المستعان. قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن سليمان الأعمش عن إبراهيم أي إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله وقبضوا لذلك أنهم كانوا يكترون العصيان لأوامر الله والغشيان لمعاصي الله والاعتداء في شرع الله أي إنما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدا متصلا بذل الآخرة ثم قال تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون من الله وهم يستحقونه وضربت عليهم المسكنة أي ألزموها قدرا وشرعا. ولهذا قال ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق من الناس وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي والربيع بن أنس. وقوله وباءوا بغضب من الله أي ألزموها فالتزموا بغضب والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة وكذا عبد على أحد قولنا العلماء قال ابن عباس إلا بحبل من الله وحبل من الناس أي بعهد من الله وعهد من الله أي بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة وحبل من الناس أي أمان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد قال تعالى ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس أي ألزهمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون إلا بحبل

نبي الله ففي قائمة يعني مستقيمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون أي يقيمون الليل ويكثر التهجود ويتلون القرآن في صلواتهم. 113 سواء أي ليسوا كلهم على حد سواء بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ولهذا قال تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة

تفسير ابن كثير

كعب الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم. أي لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ولهذا قال تعالى ليسوا والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحق وغيره. ورواه العوفي عن ابن عباس: أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم قال فنزلت هذه الآيات ليسوا سواء من أهل الكتاب إلى قوله والله عليم بالمتقين شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما صلى الله عليه وسلم وهكذا قال السدي. ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى قالا: حدثنا أبي نجیح: زعم الحسن بن أبي يزيد العجلي عن ابن مسعود في قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد قال ابن

وأولئك من الصالحين وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله الآية. 114 يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات

يكفروه أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء والله عليم بالمتقين أي لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا. 115 قال تعالى ههنا وما يفعلوا من خير فلن

الله ولا عذابه إذا أراد بهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار في هذه الدار قاله مجاهد والحسن والسدي. 116 قال تعالى مخبرا عن الكفرة المشركين بأنه لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أي لا ترد عنهم بأس

وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون. 117 أو حصاده فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه. فكذلك الكفار يحرق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشيء بالنار أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته أي فأحرقته يعني بذلك السعفة إذا نزلت على حرث قد أن جذاذه والربيع بن أنس وغيرهم. وقال عطاء: برد وجليد وعن ابن عباس أيضا ومجاهد فيها صر أي نار وهو يرجع إلى الأول فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد قال تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيه صر أي برد شديد قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقائدة والضحاك

هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله ما لا يخفي مثله علي لبيب عامل ولهذا قال تعالى قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. 118 نظر والله أعلم. ثم قال تعالى قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر أي قد لاح على صفحات وجوههم وقلوبهم فالتفتت أسنتهم من العداوة مع ما تتراءى ناراها وفي الحديث الآخر من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله والاستشهاد عليه بالآية فيه وأما الاستضاءة بنار المشركين فمعناه لا تقاربهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم بل تباعدوا منهم وهاجروا من بلادهم ولهذا روى أبو داود لا عربي لئلا يشابه نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان نقشه محمد رسول الله ولهذا جاء في الحديث الصحيح أنه نهى أن ينقش أحد على نقشه ورواه الإمام أحمد عن هشيم بإسناده مثله من غير ذكر تفسير الحسن البصري وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا أي بخط كتاب الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله تعالى وقد رواه النسائي عن مجاهد بن موسى عن هشيم عربيا محمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله لا تستضيئوا بنار المشركين يقول لا تستشيروا المشركين في أموركم ثم قال الحسن: تصديق ذلك في حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فقال الحسن: أما قوله لا تنقشوا في خواتيمكم يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فلم يدروا ما هو فاتوا الحسن فقالوا له: إن أنسا هشيم حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد قال: كانوا يأتون أنسا فإذا حدثهم بحديث لا يدرون ما هو أتوا الحسن يعني البصري فيفسره لهم قال: فحدث ذات التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ولهذا قال تعالى لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسرائيل حدثنا المؤمنين ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استتالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم عن ابن أبي الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن ههنا غلاما من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون عن ثلاثة من الصحابة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان حدثنا عيسى بن يونس عن أبي حيان التميمي عن أبي الزنباغ البخاري في صحيحه فقال: وقال عبيد الله بن أبي جعفر عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعا فذكره فيحتمل أنه عند أبي سلمة بن سلام عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه فيحتمل أنه عند الزهري عن أبي سلمة عنهما وأخرجه النسائي عن الزهري أيضا وعلقه من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه والمعصوم من عصمة الله وقد رواه الأوزاعي ومعاوية بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبي عتيق عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من أهل الأديان وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم وقوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم أي من غيركم بطانة أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين

عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تأملون وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها ولا خروج لكم منها. 119 فموتوا أنتم بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور أي هو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين وهو مجازيكم الصدور أي مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين وبغيظكم ذلك منهم فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ومعل كلمته ومظهر دينه ذلك من كل وجه كما قال تعالى وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وذلك أشد الغيظ والحق قال الله تعالى قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات كفاي أناملي العشرة وقال ابن مسعود والسدي والربيع بن أنس: الأنامل الأصابع وهذا شأن المنافقين يظهرهم للمؤمنين الإيمان والمودة وهم في الباطن بخلاف لهم منهم لكم رواه ابن جرير وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ والأنامل أطراف الأصابع قاله قتادة. وقال الشاعر: وما حملت أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وتؤمنون بالكتاب كله أي بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء بالكتاب كله أي ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب وهم عندهم الشك والريب والحيرة وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة ولا يحبونكم أي أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرهم لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا باطنا ولا ظاهرا وتؤمنون قوله تعالى ها أنتم أولاء تحبونهم

الأبصار وقد رواه محمد بن إسحاق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروها لهذا قال تعالى قد كان لكم آية. 12 لعرفت أنا نحن الناس وإنك لم تلق مثلنا فأنزل الله في ذلك من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد إلى قوله لعبرة لأولي أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أعمارا لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلنا عمرو بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود يقول تعالى: قل يا محمد للكافرين ستغلبون أي في الدنيا وتحشرون أي يوم القيامة إلى جهنم وبئس المهاد. وقد كر محمد بن إسحاق بن يسار عن عاصم بن عليه كفاه. ثم شرع تعالى في ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبين الصابرين فقال تعالى. 120 الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته ومن توكل المؤمنين: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الآية يرشدكم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على وإن أصاب المسلمين سنة أي جذب أو أدبيل عليهم الأعداء لما لله تعالى في ذلك من الحكمة كما جرى يوم أحد فرح المنافقون بذلك قال الله تعالى مخاطبا يفرحوا بها وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأيد وكثروا وعز أنصارهم ساء ذلك المنافقين قال تعالى إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة

قال الله تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الآية. ثم كان جوابه عنه أن غدوه ليوأهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار. 121 لما تقولون عليهم بضمائرهم. وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالا حاصله كيف تقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد ولهذا قال تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال أي تنزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم واللهم سمع عليهم أي سميع خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل. ودفعوا اللواء إلى بني عبدالدار ثم كان بين الفريقين ما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى. آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين. وتهيات قريش وهم ثلاثة آلاف. ومعهم مائة فرس قد جنبوها. فجعلوا على ميمنة الخيل الله صلى الله عليه وسلم بين درعين. وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبدالدار. وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الغلمان يومئذ وأخر فقال لهم انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا وإن رأيتمونا تخططنا الطير فلا تبرحوا مكانكم وظاهر رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه. وأمر على الرماة عبدالله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف. والرماة يومئذ خمسون رجلا الله صلى الله عليه وسلم سائرا حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي: وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال وتهيات رجع عبدالله بن أبي بثلث الجيش مغضبا لكونه لم يرجع إلى قوله وقال هو وأصحابه: لو نعلم اليوم قتالا لاتبعناكم ولكننا لا نراكم تقاتلون. واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يرجع حتى يحكم الله له فسار صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه فلما كانوا بالشوط وسلم فلبس لامته وخرج عليهم وقد ندم بعضهم وقالوا: لعننا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن شئت أن نمكت فقال رسول النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وأن رجعوا رجعوا خائبين وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرا بالخروج إليهم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أم يمكت بالمدينة؟ فأشار عبدالله بن أبي بالمقام بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ورامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ارصد هذه الأموال لقتال محمد فأنفقوها في ذلك فجمعوا الجموع والأحابيش وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريبا من أحد تلقاء المدينة فصلى المشركين حين قتل من قتل من أشرفهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان قال أبناء من قتل ورؤساء من بقي لأبي سفيان: يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة قال قتادة: لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال وقال عكرمة: يوم السبت للنصف من شوال فإله أعلم. وكان سببها أن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغير واحد وعن الحسن البصري المراد بذلك يوم الأحزاب. ورواه ابن جرير وهو غريب لا يعول عليه وكانت وقعة أحد

المراد بهذه الواقعة يوم أحد عند الجمهور قاله

أنها لم تنزل لقوله تعالى والله وليهما. وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وكذا قال غير واحد من السلف إنهم بنو حارثة وبنو سلمة. 122 بن عبدالله يقول: فينا نزلت إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية. قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب وقال سفيان مرة وما يسرني قوله تعالى إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية. قال البخاري: حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان قال: قال عمر سمعت جابر

منسوبة إلى رجل حفرها يقال له بدر بن النارين قال الشعبي. بدر بن رجل يسمى بدرا: وقوله فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي تقومون بطاعته. 123 وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه وبدر محلة بين مكة والمدينة تعرف ببئرها وقال أبو عبيدة: من يراهنني؟ فقال شاب أنا إن لم تغضب قال: فسبقه فرأيت عقيصتي أبي عبيدة ينفران وهو خلفه على فرس أعرابي وهذا إسناد صحيح هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني قال: فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ قال: وأصنا أموالا فتشاورنا فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل ذي رأس عشرة قال: على من هو أعز نصرا وأحصن جندا الله عز وجل فاستنصروه فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد نصر في يوم بدر في أقل من عدتكم فإذا جاءكم كتابي قال: وقال عمر: إذا كان قتالا فعليكم أبو عبيدة قال: فكتبنا إليه أنه قد جأش إلينا الموت واستمددناه فكتب إلينا إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وإني أدلكم قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد وعياض وليس عياض هذا الذي حدث سماكا إذ أعجبتكم كثرتمكم فلم تغن عنكم شيئا إلى غفور رحيم وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك قال: سمعت عياضا الأشعري نصركم الله بدر وأنتم أدلة أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى ويوم حنين فأعز الله رسوله وأظهر وجهه وتنزله وبيض وجه النبي وقييله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى ممثنا على عبادته المؤمنين وحزبه المتقين ولقد من العدد جميع ما يحتاجون إليه. وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سواغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد فيه الشرك وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ فإنهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم فارسان وسبعون بعيرا والباقيون مشاة ليس معهم الله ببدر أي يوم بدر وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودمغ قوله تعالى ولقد نصركم

بالخمسائة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى إن تصبروا وتتقوا فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد. 124 من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عقبة وغيرهم. لكن قالوا لم يحصل الإمداد إنما كان يوم بدر والله أعلم. وقال سعيد بن أبي عروبة أمد الله المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف القول الثاني أن هذا الوعد متعلق بقوله وإذ غدوت غيرهم ويتبعهم ألوف آخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة مردفين إلى قوله إن الله عزيز حكيم؟ فالجواب أن التنصيص على الألف ههنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله مردفين بمعنى يردفهم صاروا خمسة آلاف فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مسومين قال: فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد الله المسلمين بالخمسة. وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين إلى قوله من الملائكة قال: هذا يوم بدر رواه ابن أبي حاتم. ثم قال: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا داود عن عامر يعني الشعبي أن المسلمين الشعبي والربيع بن أنس وغيرهم واختاره ابن جرير قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله إذ تقول للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين أحدهما أن قوله إذ تقول للمؤمنين متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر وهذا عن الحسن البصري وعامر اختلف المفسرون في هذا الوعد

يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فنزلت الملائكة عليهم عمام صفر رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الزبير فذكره. 125 مقسم عن ابن عباس فذكر نحوه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأحمسي حدثنا وكيع حدثنا هشام بن عروة عن يحيى بن عباد: أن الزبير رضي الله عنه كان عليه ويوم حنين عمام حمراء. ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر وكانوا يكونون عددا وممدا لا يضربون ثم رواه عن الحسن بن عمار عن الحكم عن تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وقال ابن إسحق حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال: كان سيما الملائكة يوم بدر عمام بيض قد أرسلوها في ظهورهم وكان سيما الملائكة يوم بدر عمام سود ويوم حنين عمام حمراء. وروي من حديث حسين بن مخارق عن سعيد عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: لم من حديث عبدالقدوس بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله مسومين قال معلمين وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف وقال قتادة وعكرمة مسومين أي بسيما القتال. وقال مكحول: مسومين بالعمائم. وروى ابن مردويه بالصوف الأبيض في أذناب الخيل وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمدا علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية مسومين قال: بالعن الأحمر وقال مجاهد: مسومين أي محذفة أعرافها معلمة نواصيها الأبيض وكان سيماهم أيضا في نواصي خيولهم رواه ابن أبي حاتم. ثم قال حدثنا أبو زرعة حدثنا هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن مسومين أي معلمين بالسيما. وقال أبو إسحق السبيعي عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف

تفسير ابن كثير

الضحك: من غضبهم ووجههم. وقال العوفي عن ابن عباس: من سفرهم هذا ويقال من غضبهم هذا. وقوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وقوله تعالى ويأتوكم من فورهم هذا قال الحسن وقتادة والربيع والسدي: أي من وجههم هذا. وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح أي من غضبهم هذا. وقال قوله تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا يعني تصبروا على مصابرة عدوكم وتتقوني وتطيعوا أمري.

وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم أي هو ذو العزة التي لا ترام والحكمة في قدره والإحكام. 126 الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ولهذا قال ههنا وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال ذلك ولو يشاء قوله تعالى وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به أي وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالهم إلا بشارة لكم وتطيبها لقلوبكم وتطمينا

يكتبهم فينقلوا أي يرجعوا خائبين أي لم يحصلوا على ما أملوا. ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له. 127 لماله في ذلك من الحكمة في كل تقدير ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين فقال ليقطع طرفا أي ليهلك أمة من الذين كفروا أو قال تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا أي أمركم بالجهاد والجلاء

نبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل؟ فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء الآية وكذا رواه عبدالرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه ولم يقل فأفاق. 128 رباعيته وفرق حاجبه فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف يقوم فعلوا هذا وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال: أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون انفرد به مسلم فرواه عن القعني عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فذكره. عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل البخاري معلقة مرسله وقد تقدمت مسندة متصلة في مسند أحمد أنفا. وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون هكذا ذكر هذه الزيادة الحمد فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء الآية. وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك فقال في غزوة أحد: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرك عبد الله أخبرك معمر عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال كيف يفلح قوم شجوا بنبيهم؟ فنزلت ليس لك من الأمر شيء وقد أسند هذا الحديث الذي علقه البخاري في صحيحه العن فلانا وفلانا لأحياء من أحياء العرب حتى أنزل الله ليس لك من الأمر شيء الآية. وقال البخاري: قال حميد وثابت عن أنس بن مالك: شج النبي صلى من المؤمنين. اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر اللهم

لأحد قنت بعد الركوع وربما قال إذا قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد: اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو يسميهم بأسمائهم حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية. وقال البخاري أيضا: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب للإسلام قال البخاري: قال محمد بن عجلان عن نافع عن ابن رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو على رجال من المشركين عجلان عن نافع عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة قال: فأنزل الله ليس لك من الأمر شيء إلى آخر الآية قال: وهدهم الله لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فتب عليهم كلهم. وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية العلائي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا محمد بن الله عليه وسلم يقول اللهم العن فلانا وفلانا اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية ليس حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل قال أحمد: وهو عبد الله بن عقيل صالح الحديث ثقة حدثنا عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية. وهكذا رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك وقال الإمام أحمد سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول على كفرهم وذنوبهم ولهذا قال فإنهم ظالمون أي يستحقون ذلك. وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر عن الزهري حدثني عبادي إلا ما أمرتك به فيهم. ثم ذكر بقية الأقسام فقال أو يتوب عليهم أي مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة أو يعذبهم أي في الدنيا والآخرة يشاء وقال إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال محمد بن إسحق في قوله ليس لك من الأمر شيء أي ليس لك من الحكم شيء في قال تعالى ليس لك من الأمر شيء أي بل الأمر كله إلي كما قال تعالى فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال ليس عليك هدهم ولكن الله يهدي من له وأهلها عبيد بين يديه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء أي هو المتصرف فلا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله غفور رحيم. 129 قال تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض الآية. أي الجميع ملك

إن في ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدي به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. 13

تفسير ابن كثير

ويعز المؤمنين ويذل الكافرين كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال ههنا والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار أي هؤلاء وهؤلاء في أعين هؤلاء ليقدم كل منهما على الآخر ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليفرق بين الحق والباطل فيظهر كلمة الإيمان على الكفر والطغيان من ربهم عز وجل ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء في أعين منهم فقلنا كم كنتم؟ قال: ألفا فعندما عاين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثلهم أي أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة الآية وقال أبو إسحق عن أبي عبدة عن عبد الله بن مسعود قال: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جاني: تراهم سبعين قال: أراهم مائة. قال: فأسرنا رجلا يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم الطيب عن ابن مسعود في قوله تعالى قد كان لكم آية في فنتين التقتا الآية قال: هذا يوم بدر. قال عبد الله بن مسعود: وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا فالجواب أن هذا كان في حالة والآخر كان في حالة أخرى كما قال السدي عن وكذا قال وعلى هذا فلا إشكال لكن بقي سؤال آخر وهو وارد على القولين وهو أن يقال ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر وإذ يريكموهم وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم لكن وجه ابن جرير هذا وجعله صحيحا كما تقول عندي ألف وأنا محتاج إلى مثليها وتكون محتاجا إلى ثلاثة آلاف عن علي رضي الله عنه قال: كانوا ألفا وكذا قال ابن مسعود. والمشهور أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين كم ينحرون كل يوم؟ قال: يوما تسعا ويوما عشرة قال النبي صلى الله عليه وسلم القوم ما بين تسعمائة إلى ألف. وروى أبو إسحق السبيعي عن جارية بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل ذلك العبد الأسود لبني الحجاج عن عدة قريش قال: كثير. قال هذه الآية ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس وخلاف المعروف عند الجمهور أن المشركين كانوا بين تسعمائة إلى ألف كما رواه محمد ما رواه العوفي عن ابن عباس: أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين وكان هذا القول مأخوذ من ظاهر قوله تعالى يرونهم مثلهم رأي العين أي يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثلهم أي ضعفيهم في العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم وهذا لا إشكال فيه على قليلا وهكذا كان الأمر. كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم. والقول الثاني أن المعنى في لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة وهي أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحذر لهم المسلمين فأخبرهم بأنهم ثلثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثلهم في العدد رأي أعينهم أي جعل الله ذلك فيما رأوه سببا لنصرة الإسلام عليهم وهذا في فنتين أي طائفتين التقتا أي للقتال فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة وهم مشركو قريش يوم بدر وقوله يرونهم مثلهم رأي العين قال قد كان لكم آية أي قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم آية أي دلالة على أن الله معز دينه وناصر رسوله ومظهر كلمته ومعل أمره

وزاده الآخر في القدر وهكذا كل عام فريما تضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون في الأولى وفي الآخرة. 130 المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافا مضاعفة كما كانوا في الجاهلية يقولون إذا حل أجل الدين إما أن تقضي وإما أن تربى فإن قضاه وإلا زاده في المدة يقول تعالى ناهيا عباده

ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها فقال تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. 131

لا يوجد تفسير لهذه الآية 132

قال الله عز وجل كعرض السموات والأرض والنار في أسفل سافلين فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض وبين وجود النار والله أعلم. 133 المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب فإن الليل يكون من الجانب الآخر فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها كما أن لا يكون في مكان وإن كنا لا نعلمه: وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار الثاني أن يكون وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل. وهذا يحتمل معنيين أحدهما أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار وسلم فقال: رأيت قوله تعالى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ قال أرأيت الليل إذا جاء ليل لا شيء فأين النهار؟ قال: حيث شاء الله قال أبو هشام حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم عن عمه يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه أين يكون الليل إذا جاء النهار وأين يكون النهار إذا جاء الليل. وقد روى هذا مرفوعا فقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا أبو نعيم حدثنا جعفر بن برقان أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلا من أهل الكتاب قال: يقولون جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال ابن عباس لهم عمر: رأيتكم إذا جاء النهار أين الليل وإذا جاء الليل أين النهار فقالوا: لقد نزعنا مثلا من التوراة رواه ابن جرير من ثلاثة طرق. ثم قال: حدثنا أحمد بن حازم وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب: أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال كتب تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار. وقال الأعمش على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فتناول الصحيفة رجل عن يساره قال: قلت من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية فإذا كتاب صاحبي: إنك خيثة عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد فسد فقال قدمت النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار. وقد رواه ابن جرير فقال حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن أبي الآية. وقد روي في مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال

تفسير ابن كثير

الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن وهذه الآية كقوله في سورة الحديد سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض العرش والشيء المقرب والمستدير عرضه كطوله وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح إذا سألتُم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الأرض تنبئها على اتساع طولها كما قال في صفة فرش الجنة بطائنها من إستبرق أي فما ظنك بالظواهر وقيل بل عرضها كطولها لأنها قبة فيه تحت تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين أي كما أعدت النار للكافرين وقد قيل إن معنى قوله عرضها السموات ثم ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارة إلى نيل القربات فقال

إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول: أين العافون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة. 134 بن عجرة وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم بنحو ذلك وروي من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه. ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقد أورده ابن مردويه من حديث علي وكعب يحيى بن أبي طلحة القرشي عن عباد بن الصامت عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات عليهن ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله. روى الحاكم في مستدركه من حديث موسى بن عقبة عن إسحق بن أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكمل الأحوال ولهذا قال والله يحب المحسنين. فهذا من مقامات الإحسان وفي الحديث ثلاث أقسم غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل ثم قال تعالى والعافين عن الناس أي مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في وجه الله. رواه ابن جرير وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد به فقوله تعالى والكاظمين الغيظ أي لا يعملون بن عبيد عن الحسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد من جرعة أفضل أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء إنفاذه ملأه الله جوفه أمنا وإيمانا حديث آخر قال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد أنبأنا يحيى ابن طالب أنبأنا علي بن عاصم أخبرني يونس له عبد الجليل عن عم له عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى والكاظمين الغيظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على حديث سعيد بن أبي أيوب به وقال الترمذي: حسن غريب حديث آخر قال عبد الرزاق أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء. ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من الله تاج الملك. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا سعيد حدثني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمنا وإيمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو قادر عليه قال بشر: أحسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة ومن توج لله كساه عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر مجروح ومتمنه حسن حديث آخره في معناه قال أبو داود حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن بشر يعني ابن منصور عن محمد بن من وفي الفتن وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد الله إلا ملأ الله جوفه إيمانا. انفرد به أحمد وإسناده حسن ليس فيه الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنم ألا إن عمل الجنة حزن بربوة ثلاثا ألا إن عمل النار سهل بسهولة. والسعيد آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا نوح بن معاوية السلمي عن مقاتل بن حيان عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول فليتوضأ. وهكذا رواه أبو داود من حديث إبراهيم بن خالد الصنعاني عن أبي وائل القاص المرادي الصنعاني قال أبو داود: أراه عبد الله بن بحير حديث وقد كانت له حصة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه فلما أن أغضبه قام ثم عاد إلينا وقد توضأ فقال: حدثني أبي عن جدي عطية هو ابن سعد السعدي حرب عن أبيه عن أبي ذر كما رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا أبو وائل الصنعاني قال: كنا جلوسا فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع. ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل بإسناده إلا أنه وقع في روايته عن أبي حرب عن أبي ذر والصحيح ابن أبي قائما فجلس ثم اضطجع فليل له يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس قال: كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقالوا: أيكم يورد على أبي ذر ويحسب شعرات من رأسه؟ فقال رجل: أنا فجاء فأورد على الحوض فدقه وكان أبو ذر أحمد حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا داود بن أبي هند عن أبي حرب ابن أبي الأسود عن أبي الأسود عن أبي ذر صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل يا رسول الله أوصني قال لا تغضب قال الرجل: ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله انفرد به أنفرد به أحمد حديث آخر. قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هشام به ورواه أيضا عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به: أن رجلا قال يا رسول الله قل لي قولا وأقلل علي لعلي أعقله فقال لا تغضب. الحديث علي لعلي أعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تغضب فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب وهكذا رواه عن أبي معاوية أبيه عن الأحنف بن قيس عن عم له يقال له حارثة بن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله قل لي قولا ينفعني وأقلل الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه حديث آخر. قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير حدثنا هشام هو ابن عروة عن منه شيئا قال: ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ما الصرعة؟ قالوا: الصريع الذي لا تصرعه الرجال فقال صلى الله عليه وسلم الصرعة كل الصرعة يقدم منهم شيئا قال أتدرون من الصعلوك؟ قالوا الذي ليس له مال فقال النبي صلى الله عليه وسلم الصعلوك كل الصعلوك الذي له مال فمات ولم يقدم

تفسير ابن كثير

أبي حصين عن رجل شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال أتدرون ما الرقوب؟ قلنا الذي لا ولد له قال الرقوب كل الرقوب الذي له ولد فمات ولم من رواية الأعمش به حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجعفي يحدث عن أبي حصبة أو ابن ما الرقوب؟ قلنا الذي لا ولد له قال لا ولكن الرقوب الذي لا يقدم من ولده شيئاً. أخرج البخاري الفضل الأول منه وأخرج مسلم أصل هذا الحديث ما تعدون الصرعة فيكم؟ قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله مالك من مالك إلا ما قدمت وما لوارثك إلا ما أخرت. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ماله أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال من حديث مالك. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد عن عبد الله وهو ابن مسعود رضي الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقد رواه الشيخان ومن اعتذر إلي قبل الله عذره. وهذا حديث غريب وفي إسناده نظر. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن حدثنا مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب النميري عن أبي عمرو بن أنس بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته فيمن أهلك رواه ابن أبي حاتم. وقد قال أبو يعلى في مسنده: حدثنا أبو موسى الزمن حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل حدثني الربيع بن سليمان بمعنى كتموه فلم يعملوه وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم: وقد ورد في بعض الآثار يقول الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت فلا أهلكك والإنفاق في مرضيه والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس أي إذا ثار بهم الغيظ كظموه والمنشط والمكره والصحة والمرض. وفي جميع الأحوال كما قال الذين ينفقون بالليل والنهار سرا وعلانية والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال الذين ينفقون في السراء والضراء أي في الشدة والرخاء

قال وهو على المنبر ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ويل لأقمار القول ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون. تفرد به أحمد. 135 ونظائر هذا كثيرة جداً. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أنبأنا جرير حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه الله عليه وهذا كقوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وكفوله ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً كبير ويكفيه نسبته إلى أبي بكر فهو حديث حسن والله أعلم. وقوله وهم يعلمون قال مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير وهم يعلمون أن من تاب تاب أحمد وابن حبان وقول علي بن المديني والترمذي: ليس إسناد هذا الحديث بذلك الظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعي داود والترمذي والبخاري في مسنده من حديث عثمان بن واقد وقد وثقه يحيى بن معين به وشيخه أبو نصر المقاسطي واسمه سالم بن عبيد وثقه الإمام نضرة عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة ورواه أبو كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وغيره قالوا: حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي فعلوا وهم يعلمون أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه الله عليه وسلم أتى بأسير فقال: اللهم اني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله وقوله ولم يصروا على ما الذنوب إلا الله أي لا يغفرها أحد سواه كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا سلام ابن مسكين والمبارك عن الأسود بن سريع أن النبي صلى أذنبت فعد فاستغفر ربك فقالها في الرابعة وقال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقوله تعالى ومن يغفر قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنباً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذنبت فاستغفر ربك قال فإني أستغفر ثم أعود فأذنب قال فإذا وجلالي لا أزال أغفر لهما ما استغفروني وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمر بن خليفة سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت عن أنس عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال إبليس: يا رب وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى: وعزتي بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان وروى الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم العتاري وسلم قال: عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منها فإن إبليس قال أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم الحافظ أبو يعلى حدثنا محرز بن عون حدثنا عثمان بن مطر حدثنا عبد الغفور عن أبي نضرة عن أبي رجاء عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بن مالك رضي الله عنه قال: بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية بكى وقال ورسول رب العالمين كما دل عليه الكتاب المبين من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين وقد قال عبدالرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين عن سيد الأولين والآخرين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضع لهم وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من توضع نحوه وضوئي هذا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد حديث حسن وقد ذكرنا طرفيه والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما يشهد بصحة هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه بن المديني والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والبخاري والدارقطني من طرق عن عثمان بن المغيرة به وقال الترمذي: هو

تفسير ابن كثير

من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء قال مسعر فيصلي وقال سفيان ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له. وهكذا رواه علي وإذا حدثني عنه غيره استحلفته فإذا حلف لي صدقته وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عن علي بن ربيعة عن أسماء بن الحكم الفزاري عن علي رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعتني الله بما شاء منه. سعد به. ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد بن حنبل حدثنا مسعر وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول له الرب وعزتي لأنصرك ولو بعد حين. ورواه الترمذي وابن ماجه من وجه آخر من حديث اللؤلؤ والياقوت وترايبها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ولو لم تذبذبا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال لبنه ذهب ولبنه فضة وملاطها المسك الأذفر وحشاؤها أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد فقال: لو أنتم تكونون على كل حال على الحال التي كنتم عليها عندي لصاغتكم الملائكة بأفهمهم. ولزارتكم في بيوتكم حدثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة قلنا يا رسول الله: إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقناك لعبدني فليعمل ما شاء. أخرجاه في الصحيحين من حديث إسحق بن أبي طلحة بنحوه حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا به قد غفرت لعبدني ثم عمل ذنبا آخر فقال: رب إنني عملت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل: عبدني علم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أنني قد غفرت أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدني ثم عمل ذنبا آخر فقال: رب إنني عملت ذنبا فاغفره فقال تبارك وتعالى علم عبدني أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بهريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا أذنب ذنبا فقال: رب إنني أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل: عبدني عمل ذنبا فعلم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام بن يحيى عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي قوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم أي إذا صدر منهم

- من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار أي من أنواع المشروبات خالدين فيها أي ماكنين فيها ونعم أجر العاملين يمدح تعالى الجنة. 136
ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم أي جزاؤهم على هذه الصفات مغفرة
من قبلكم من أتباع الأنبياء ثم كانت العقوبة لهم والدائرة على الكافرين ولهذا قال تعالى فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. 137
يقول تعالى مخاطبا عباده المؤمنين لما أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون قد خلت من قبلكم سنن أي قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم وهدي وموعظة يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم وهدي لقلوبكم وموعظة أي زاجر عن المحارم والمآثم. 138
قال تعالى هذا بيان للناس يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها
تعالى مسليا للمؤمنين ولا تهنوا أي لا تضعفوا بسبب ما جرى ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون. 139

قال

قال: قال عمر بن الخطاب لما نزلت زين للناس حب الشهوات قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا فنزلت قل أونبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا الآية. 14
الزائلة والله عنده حسن المآب أي حسن المرجع والثواب. وقد قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد المأمورة الكثيرة النسل والسكة النخل المصطف والمأبورة الملقة. ثم قال تعالى ذلك متاع الحياة الدنيا أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن هيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة وقوله تعالى والأنعام يعني الإبل والبقر والغنم والحراث يعني الأرض المتخذة للغراس والزراعة. وقال الإمام أحمد حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعامة عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول: اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم فاجعلني من أحب ماله وأهله إليه أو أحب أهله وماله إليه بن جعفر عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من فرس والربيع بن أنس وأبي سنان وغيرهم. وقال مكحول: المسومة الغرة والتحجيل وقيل غير ذلك. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد فعن ابن عباس رضي الله عنهما: المسومة الراعية والمطهمة الحسان وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبزي والسدي فهذه لصاحبها ستر كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية: وأما المسومة احتاجوا إليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون وتارة تربط فخرا ونواء لأهل الإسلام فهذه على صاحبها وزر وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها محمد بن موسى الحرسي عن حماد بن زيد مرفوعا والموقوف أصح. وحب الخيل على ثلاثة أقسام تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عارم عن حماد عن سعيد الحرسي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: القنطار ملء مسك الثور ذنبا قال أبو محمد: ورواه ألف ومائتا دينار وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وقال الضحاك: من العرب من يقول القنطار ألف ومائتا دينار ومنهم من يقول: اثنا عشر ألفا. وقال عن عبد الله بن محمد بن أبي مريم عن عمرو بن أبي سلمة فذكر بإسناده مثله سواء. وروى ابن جرير عن الحسن البصري عنه مرسلا أو موقوفا عليه: القنطار الطويل ورجل آخر قد سماه يعني يزيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله قنطار يعني ألف دينار وهكذا رواه الطبراني هكذا رواه الحاكم وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقي أنبأنا عمرو بن أبي سلمة أنبأنا زهير يعني ابن محمد أنبأنا حميد

تفسير ابن كثير

قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى والقناطير المقنطرة؟ قال: القنطار ألفا أوقية صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بن يعقوب حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد اللخمي حدثنا محمد بن عمرو بن أبي سلمة حدثنا زهير بن محمد حدثنا حميد الطويل ورجل آخر عن أنس بن مالك له قنطار من الأجر عند الله القنطار منه مثل الجبل العظيم ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه. وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو العباس محمد عن موسى عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية إلى ألف أصبح منكر أيضا والأقرب أن يكون موقوفا على أبي بن كعب كغيره من الصحابة. وقد روى ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن إبراهيم بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية وهذا حديث وأبي الدرداء أنهم قالوا: القنطار ألف ومائتا أوقية. ثم قال ابن جرير رحمه الله: حدثنا زكريا بن يحيى الضريز حدثنا شعبة حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي اثنا عشر ألف أوقية الأوقية خير مما بين السماء والأرض هذا أصح وهكذا رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل وابن عمر وحكاه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة صالح عن أبي هريرة موقوفا كرواية وكيع في تفسيره حيث قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة قال القنطار بكر بن أبي شيبه عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة به وقد رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن أبي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر ألف أوقية كل أوقية خير مما بين السماء والأرض وقد رواه ابن ماجه عن أبي أربعون ألفا وقيل ستون ألفا وقيل سبعون ألفا وقيل ثمانون ألفا وقيل غير ذلك: وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عاصم عن أبي صالح المفسرون في مقدار القنطار على أقوال وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره وقيل: ألف دينار وقيل ألف ومائتا دينار وقيل اثنا عشر ألفا وقيل والتجبر على الفقراء فهذا مذموم وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقربات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعا. وقد اختلف ممدوح كما ثبت في الحديث تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لا شريك له فهذا محمود وقالت عائشة رضي الله عنها: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء إلا الخيل وفي رواية: من الخيل إلا النساء. وحب البنين إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله وقوله في الحديث الآخر حب إلي النساء والطيب وجعلت قرعة عيني في الصلاة بالترغيب في التزويج والاستكثار منه وإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء وقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال يخبر تعالى

قال ابن عباس: في مثل هذا لنرى من يصبر على مناجزة الأعداء ويتخذ منكم شهداء يعني يقتلون في سبيله ويبدلون مهجهم في مرضاته. 140 وتلك الأيام نداؤها بين الناس أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة ولهذا قال تعالى وليعلم الله الذين آمنوا أي إن كنتم قد أصابتمكم جراح وقتل منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به. وقوله ويمحق الكافرين أي فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحققهم وفنائهم. 141 أي يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب وإلا رفع لهم

جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أي لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا وبرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقاومة الأعداء. 142 الآية. وقال تعالى الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الآية. ولهذا قال ههنا أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين تبتلوا بالقتال والشدائد. كما قال تعالى في سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ثم قال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم الرجال للقتال والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس كما تتخيل الشاة صداقة الكبش وعداوة الذئب. 143 فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ولهذا قال تعالى فقد رأيتموه يعني الموت شاهدتموه وقت حد الأسنة واشتباك الرماح وصفوف وطلبتموه فدونكم فقاتلوا وصابروا. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموه أي قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتحترقون عليه وتودون مناجزتهم ومصابرتهم فما حصل لكم الذي تمنيتموه

على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت والله إنني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني. 144 سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم والله لا نقلب ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض. وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن بكر فتلاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها. وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففرقت حتى محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل إلى قوله وسيجزى الله الشاكرين قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو

تفسير ابن كثير

يكلم الناس وقال: اجلس يا عمر قال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى وما بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها. وقال الزهري: وحدثنني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغطى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال: عقيل عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل فدخل المسجد وعمر رضي الله عنهما أن الصديق رضي الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن حيا وميتا. وكذلك ثبت في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تفيد القطع وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر أعقابكم أي رجعتهم القهقري ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين أي الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه واتبعوا رسوله رسول قد خلت من قبله الرسل. رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة. ثم قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف أفان مات أو قتل انقلبتم على دمه فقال له: يا فلان أشعرت أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل وما محمد إلا الرسل أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه. قال ابن أبي نجيح عن أبيه: أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشطح في كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله وإنما كان قد ضرب رسول الله فشجه في رأسه فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك لما انهزم ما انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمداً

فأولئك كان سعيهم مشكورا ولهذا قال ههنا وسنجزى الشاكرين أي سنعطيههم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم. 145 وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الله منها وما قسم له في الدنيا كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة نصيب ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي من كان عمله للدنيا فقد ناله منها ما قدره الله له ولم يكن له في الآخرة من نصيب ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ثم أقحم فرسه دجلة فلما أقحم الناس فلما رأهم العدو قالوا: ديوان فهربوا. وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها عن حبيب بن ظبيان قال: قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة يعني دجلة وما كان لنفسهم في القتال فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه كما قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدى قال: سمعت أبا معاوية عن الأعمش من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وكفوله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وهذه الآية فيها تشجيع للجناء وترغيب لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا أي لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له ولهذا قال كتابا مؤجلا كفوله وما يعمر قوله تعالى وما كان

وقال ابن عباس وما استكانوا تخشعوا وقال ابن زيد: وما ذلوا لعدوهم وقال محمد بن إسحق والسدي وقتادة: أي ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم. 146 والربيع بن أنس: وما ضعفوا بقتل نبيهم وما استكانوا يقول: فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله لقليل الربيون بفتح الراء وقال ابن زيد: الربيون الأتباع والرية والربانيون الولاة فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا قال قتادة أيضا: علماء صبر أي أبرار أتقياء. وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل قال ورد بعضهم عليه فقال: لو كان كذلك والحسن وقتادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني: الربيون الجموع الكثيرة وقال عبدالرزاق عن معمر عن الحسن ربيون كثير أي علماء كثير وعنه في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره وقرأ بعضهم قاتل معه ربيون كثير أي ألوف وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة الصابرين فجعل قوله معه ربيون كثير حالا وقد نصر هذا القول السهيلي وبالغ فيه وله اتجاه لقوله فما وهنوا لما أصابهم الآية وكذا حكاه الأموي القتل ومعه ربيون أي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب على أعقابكم وقيل: وكمن من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير. وكلام ابن إسحق في السيرة يقتضي قولاً آخر فإنه قال وكأين من نبي أصابه سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل فعذله الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم أفان مات أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم و انقلبتم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا ثم اختار قراءة من قرأ قتل معه ربيون كثير لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما من الربيين ممن لم يقتل قال: ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك لأنه قال: لو قتلوا لم يكن لقلول الله فما وهنوا وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم قال: وأما الذين قرءوا قتل معه ربيون كثير فإنهم قالوا: إنما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وإنما نفى الوهن والضعف عن بقي نفوسهم يوم أحد وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قيل: معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال تعالى مسلينا للمؤمنين عما كان وقع في

أي لم يكن لهم هجير إلا ذلك ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. 147

أي النصر والظفر والعاقبة وحسن ثواب الآخرة أي جمع لهم ذلك مع هذا والله يحب المحسنين. 148

تفسير ابن كثير

والآخرة ولهذا قال تعالى إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه. 149 يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا

ورضوان من الله أكبر أي أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم ثم قال تعالى والله بصير بالعباد أي يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء. 15 وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا ورضوان من الله أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدا ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى التي في براءة ولا خطر على قلب بشر خالدين فيها أي ماكثين فيها أبد الأبد لا يبعثون عنها حولا وأزواج مطهرة أي من الدنس والخبث والأذى والحيز والنفاس تجري من تحتها الأنهار أي تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت للناس أو أخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ثم أخبر عن ذلك فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ولهذا قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم أي قل يا محمد

ثم بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال. 150 قال تعالى بل الله مولاكم وهو خير الناصرين

كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة تأخر الوعد الذي كان مشروطا بالثبات والطاعة. 151 وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أن ذلك كان يوم أحد لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل فلما واجهوهم يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين في قوله تعالى إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب رواه ابن أبي حاتم. وقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه قال ابن عباس: وعدهم الله النصر وقد قلوب الذين كفروا الرعب قال: قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب فرجع إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا. من نبي إلا وقد سأل الشفاعة وإني قد اختبأت شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئا تفرد به أحمد. وروى العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى سنلقي في بعث إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وليس أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي بردة عن أبيه أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب على العدو. ورواه مسلم من حديث ابن وهب: وقال الإمام الدمشقي سكن البصرة عن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه به وقال: حسن صحيح وقال سعيد بن منصور: أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث وطهوره ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف في قلوب أعدائي وأحلت لي الغنائم ورواه الترمذي من حديث سليمان التيمي عن سيار القرشي الأموي مولاهم أو قال على الأمم بأربع أرسلت إلى الناس كافة وجعلت لي الأرض كلها ولأمتي مسجدا وطهورا فأينما أدركت رجلا من أمتي الصلاة فعنده مسجده وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن سيار عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلني الله على الأنبياء بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة. الظالمين وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وما أوهام النار وبئس مئوى

فضرب بها على يده فقال هذه يد عثمان اذهب بها الآن معك ثم رواه البخاري من وجه آخر عن أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب. 152 مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه: وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه بن عفان فر يوم أحد؟ قال: نعم قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا قال: نعم قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا قال: نعم فكبر فقال القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر فأتاه فقال إني سائلك عن شيء فحدثني قال: سل قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان ثابت بن أنس بنحوه. وقال البخاري أيضا: حدثنا عبدان حدثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء أحد فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشاما أو ببنانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم هذا لفظ البخاري وأخرجه مسلم من حديث إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به المشركون فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ فقال: أين يا سعد إني أجد ريح الجنة دون عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي صلى الله عليه وسلم لئن أشهدني الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد فلقى يوم أحد فهزم الناس فقال: اللهم حتى قتل رضي الله عنه وقال البخاري: حدثنا حسان بن حسان حدثنا محمد بن طلحة حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن عمه يعني أنس بن النضر غاب فقال: ما يخليكم؟ فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل القوم فقاتل بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدة في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم بن عوف وأبي طلحة رواه ابن مردويه في تفسيره وقوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليبتليكم قال ابن إسحق: حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد وسلم الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود وكذا روي عن عبد الرحمن

تفسير ابن كثير

الحارثية فدفعته لقريش فلاثوا بها وقال السدي عن عبد خير عن علي بن عبد الله بن مسعود قال: ما كنت أرى أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم. قال محمد بن إسحاق: فلم يزل لواء المشركين صريعا حتى أخذته عمرة بنت عقبة قليل ومالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأوتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن جده أن الزبير بن العوام قال: والله لقد رأيته أنظر إلى خدم هند وصواحباتها مشمرات هوارب ما دون أخذهن كثير ولا حتى قتلوه فقال حذيفة: يغفر الله لكم قال عروة: فوالله ما زلت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل. وقال محمد بن إسحاق حدثني يحيى إيليس: أي عباد الله أخرجكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي قال: قالت فوالله ما احتجزوا البخاري أيضا: حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركين فصرخ ولم تسؤني تفرد به البخاري من هذا الوجه ثم رواه عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن البراء بنحوه: وسيأتي بأبسط من هذا وقال الله عليه وسلم أجيئوه قالوا: ما نقول؟ قال قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال وستجدون مثله لم أمر بها أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيئوه قالوا: ما نقول؟ قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيئوه فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال له: كذبت يا عدو الله أبقي الله لك ما يحزنك قال أبو سفيان: وجوههم فأصيب سبعون قتيلا فأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال لا تجيبوه فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه فقال: رفعن عن سوقهن وقد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله بن جبير: عهد إلي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا فلما أبوا صرف جبير وقال لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا. فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن حتى جاءه بآخر فوضع إلى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة تفرد به أحمد أيضا. وقال البخاري: حدثنا عبيد في النار قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكلت شيئا؟ قالوا: لا قال ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة فقال أبو سفيان: لقد كان في القوم مثله وإن كانت لعن غير ملائنا ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرنى قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سواء أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلكم ففي النار يعذبون لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا: الله مولانا والكافرون لا مولى لهم فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر فيوم علينا ويوم لنا أنصفنا أصحابنا فجاء أبو سفيان فقال أعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل فقالوا: الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان: ساعة حتى قتل فلما أرهقوه أيضا قال رحم الله رجلا ردهم عنا فلم يزل يقول ذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ما تسعة سبعة من الأنصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم صلى الله عليه وسلم فلما أرهقوه قال رحم الله رجلا ردهم عنا قال: فقام رجل من الأنصار فقاتل من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم لبيبتيكم فلما خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ما أمروا به أفرد النبي صلى الله عليه وسلم في أحد خلف المسلمين يجهنز على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر إنه ليس منا أحد يريد الدنيا حتى أنزل الله منكم من يريد الدنيا ومنكم به ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها فقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال: إن النساء كن يوم عثمان بن سعيد عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس به وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمي نكرهه هذا حديث غريب وسياق عجيب وهو من مراسلات ابن عباس فإنه لم يشهد أحدا ولا أبوه وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي النضر الفقيه عن خبنا وخسرنا إذن. فقال أبو سفيان: إنكم ستجدون في قتلكم مثلا ولم يكن ذلك على رأي سراتنا قال: ثم أدركته حمية الجاهلية فقال: أما إنه إن كان ذلك لم عمر قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر الأيام دول وإن الحرب سجال قال: فقال عمر: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلكم في النار قال: إنكم تزعمون ذلك فقد قد أنعمت قال: عنها فقال: أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وهذا أنا ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ألا أجيئهم قال بلى فلما قال: أعل هبل قال عمر: الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان: مرة أخرى ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى إلينا فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعل هبل مرتين يعني إلهي أين ابن أبي كبشة أين نعرفه بكتفيه إذا مشى قال: ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال: فرقي نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على قوم آدموا وجه رسول الله ويقول كانوا تحت المهراس وصاح الشيطان قتل محمد فلم يشكوا به أنه حق فلا زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين صلى الله عليه وسلم أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المشركون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار إنما الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب بعضهم بعضا والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان النصر لرسول الله ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم هكذا وشبك بين يديه وانتشبو فلما أخل الرماة تلك الخلعة التي كانوا فيها دخلت نقتل فلا تنصرون وإن رأيتمونا نغتم فلا تشركونا فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم وأناخوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعا في العسكر ينهبون يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة الآية. وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع وقال: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا

تفسير ابن كثير

صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه يقول ابن عباس والحسن الفشل حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من النبي صلى الله عليه وسلم في موطن كما نصره يوم أحد فأنكرنا ذلك! فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله إن الله يقول في يوم أحد ولقد ذو فضل على المؤمنين قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبدالرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم قال ابن جريج: قوله ولقد عفا عنكم قال: لم يستأصلكم وكذا قال محمد بن إسحق رواهما ابن جرير والله من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتيكم ثم أداهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم ولقد عفا عنكم أي غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد الأمر وعصيتهم كما وقع للرامة من بعد ما أراكم ما تحبون وهو الظفر بهم منكم من يريد الدنيا وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة ومنكم أي أول النهار إذ تحسونهم أي تقتلونهم بإذنه أي بتسليطه إليكم قال ابن جريج قال ابن عباس الفشل الجبن وتنازعتم في قال ولقد صدقكم الله وعده

من الجراح والقتل قاله ابن عباس وعبدالرحمن بن عوف والحسن وقتادة والسدي والله خبير بما تعملون سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جل وعلا. 153 أن نبيكم قد قتل وميل العدو عليكم ونبوكم منهم: وقوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أي على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم ولا ما أصابكم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم ظنكم وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال فأثابكم غما بغم فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إليكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه. وعن السدي: الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة والثاني إشراف العدو عليهم وقد تقدم هذا القول عن السدي. قال ابن جرير: في أنفسكم من قول: قتل نبيكم فكان ذلك متتابعاً عليكم غما بغم وقال مجاهد وقتادة: الغم الأول سماعهم قتل محمد والثاني ما أصابهم من القتل والجراح والفتح والثاني بإشراف العدو عليهم. وقال محمد بن إسحق فأثابكم غما بغم أي كرباً بعد كرب قتل من قتل من إخوانكم وعلوا عدوكم عليكم وما وقع رواهما ابن مردويه. وروي عن عمر بن الخطاب نحو ذلك وذكر ابن أبي حاتم عن قتادة نحو ذلك أيضاً وقال السدي: الغم الأول بسبب ما فاتهم من الغنيمة أن يعلونا. وعن عبدالرحمن بن عوف: الغم الأول بسبب الهزيمة والثاني حين قتل محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة الأول بسبب الهزيمة وحين قتل محمد صلى الله عليه وسلم والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم كما تقول العرب نزلت ببني فلان ونزلت على بني فلان. وقال ابن جرير: وكذا قوله ولأصلبتكم في جذوع النخل أي على جذوع النخل قال ابن عباس: الغم الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رماداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم وقوله تعالى فأثابكم غما بغم أي فجزاكم غما على غم رباعيته وهشمت البيضة على رأسه صلى الله عليه وسلم فكانت فاطمة تغسل الدم وكان علي يسكب عليه الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد أنه سئل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت يقاتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلي نظر إلى هذا فاستشهد. وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبدالعزيز أن مالكا أبا أبي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد مص الجرح حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل له مجه فقال لا والله لا أمجه أبداً ثم أدير بن معين والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وغيرهم وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه الضياء المقدسي في كتابه وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث من جهة إسحق بن يحيى هذا فإنه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وأحمد ويحيى عبيدة السهم بفيه فجعل ينضضه كراهية أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استل السهم بفيه فبدرت ثنية أبي عبيدة وذكر تمامه واختاره الحافظ فأصلحنا من شأنه ورواه الهيثم بن كليب والطبراني من حديث إسحق بن يحيى به. وعند الهيثم قال أبو عبيدة أنشدك الله يا أبا بكر إلا تركتني؟ فأخذ أبو شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت أصبعه أقسمت عليك بحقي لما تركتني قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ووقع ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما فأصلحنا من أن يتناولها بيده فيؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقع ثنيته مع الحلقة وذهبت لأصنع ما صنع فقال: صاحبكم يريد طلحة وقد نزع فلم نلتفت إلى قوله قال: وذهبت لأنزع ذلك من وجهه فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني فتركته فكره الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكما رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشي خطفا لا أعرفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهيت إلى رسول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ودونه وأراه قال: حمية فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني فقلت يكون رجلا من قومي أحب إلي وبين المشركين عن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة: ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص: وقال أبو داود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى لك. قال الواقدي: والذي ثبت عندنا أن الذي أدمى وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن قميئة والذي دمي إن نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ليس معه أحد ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال: والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع خرجنا أربعة من كل ناحية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في وسطها كل ذلك يصرف عنه: ولقد رأيته عبدالله بن شهاب الزهري يومئذ يقول: دلوني على محمد لا نجوت أبي سبرة عن إسحق بن عبدالله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحدا فنظرت إلى النبل يأتي

تفسير ابن كثير

حين كسر رباعيته وأدمى وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار وذكر الواقدي عن ابن وسلم وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن عثمان الحريري عن مقسم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد ما علمته لسيء الخلق مبعضا في قومه ولقد كفاني فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله صلى الله عليه وقاص. فحدثني صالح بن كيسان عن من حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص وإن كان الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن إسحق: أصيبت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج في وجنته وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي عكرمة عن ابن عباس: قال اشتد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول وأشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله وأخرجه البخاري أيضا من حديث ابن جريح عن عمرو بن دينار عن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ يشير إلى رباعيته رجل يقول لا تسقه فإن هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف وثبت في الصحيحين من رواية عبدالرزاق عن معمر عن همام بن منبه أبي بن خلف ببطن رايغ فإني لأسير ببطن رايغ بعد هوي من الليل فإذا أنا بنار تتأجج لي فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يهيج به العطش وإذا عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك: وقال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انفض ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأ منها عن فرسه مرارا وذكر الواقدي صلى الله عليه وسلم الحرب من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذكر لي فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا وهو يقول: لا نجوت إن نجوت فقال القوم: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا منه تناول رسول الله في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب بنحوه وذكر محمد بن إسحق قال: لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف أقتل أبيًا ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلى النار فشحقا لأصحاب السعير وقد رواه موسى بن عقبة من طعنته دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له: ما أجزعك إنما هو خدش؟ فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة وطعنه فيها بحرته فوقع إلى الأرض عن فرسه ولم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فقتل مصعب بن عمير الله صلى الله عليه وسلم حلفته قال بل أنا أقتله إن شاء الله. فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعا وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد فحمل على نحوه. وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال: كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغت رسول فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ما أنصفنا أصحابنا. رواه مسلم عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم أرهقوه أيضا فقال من يردهم عنا وله الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل: أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار واثنين من قريش فلما أرهقوه قال من يردهم عنا وله الجنة أو بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد وثابت عن في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: رأيت يوم أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين عليهما ثياب سعد: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناولني النبل ويقول ارم فذاك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمي به وثبت محمد بن إسحق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كنانته يوم أحد وقال ارم فذاك أبي وأمي وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان بن معاوية وقال وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هشام بن هشام الزهري قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نثل لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا طلحة بن عبد الله وسعد عن حديثهما. يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يعني يوم أحد. وفي الصحيحين من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي قال: الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون. وقد روى البخاري عن أبي بكر بن أبي شبة عن وكيع عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت أنامله فقال: حس فقال رسول الله لو قلت بسم الله أذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء ثم صعد رسول قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت ثم قتل فلحقوه فلم يزل يقول مثل قوله الأول فيقول طلحة فأن يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان لهؤلاء فقال طلحة مثل قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل قوله فقال رجل من الأنصار: فأن يا رسول الله فقاتل عنه وأصحابه يصعدون طلحة فقال رجل من الأنصار: فأن يا رسول الله فقاتل عنه وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ثم قتل الأنصاري فلحقوه فقال ألا رجل عشر رجلا من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال ألا أحد لهؤلاء فقال طلحة: أنا يا رسول الله فقال كما أنت يا البيهقي في دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقي معه أحد ولا مولى لكم وقد رواه البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصرا ورواه من حديث إسرائيل عن أبي إسحق بأبسط من هذا كما تقدم والله أعلم وروى

تفسير ابن كثير

الله أعلى وأجل قال: لنا العزى ولا عزى لكم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه؟ قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال قولوا الله مولانا لم أمر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز يقول أعل هبل أعل هبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال قولوا أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عدت لأحياء كلهم وقد أبقي الله لك ما يسوؤك فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثله أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتهم فمما ملك عمر نفسه أفي القوم محمد أفي القوم محمد أفي القوم محمد؟ ثلاثا قال: فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة فأصابوا منا سبعين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين سبعين أسيرا وسبعين قتيلا قال أبو سفيان: الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في آخرهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيب من إليكم قال فهزمهم قال: فلقد والله رأيت النساء يشتدون على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلالهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله: الغنيمة أي قوم الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير قال: ووضعهم موضعا وقال إن رأيتمونا تخططنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل عشر رجلا من أصحابه كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جعل رسول الله صلى رقص الحفان يعلو في الجبل فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل الحقان صغار النعم. كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أفرد في اثني إلى أن قال: لبت أشياخي بيدر يشهدوا جزع الخرزج من وقع الأسل حين حلت بقاء بركه واستحر القتل في عبد الأشل ثم خفوا عند ذاك رقصا قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التي يقول في أولها. يا غراب البين أسمعت فق إنما تنطق شيئا قد فعل إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم وكذا قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد. قال عبد الله بن الزبير: قد يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد في الله عليه وسلم يدعو الناس إلي عباد الله إلي عباد الله فذكر الله صعودهم إلى الجبل ثم ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إياهم فقال إذ تصعدون ولا قال السدي لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فهزمهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها. فجعل الرسول صلى والخوف والرعب والرسول يدعوكم في أخراكم أي وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء وإلى الرجعة والعودة والكرة: تصعدون أي في الجبل هاربين من أعدائكم وقرأ الحسن وقتادة إذ تصعدون أي في الجبل ولا تلون على أحد أي وأنتم لا تلون على أحد من الدهش قوله تعالى إذ تصعدون ولا تلون على أحد أي صرفكم عنهم إذ

الخبث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والله عليم بذات الصدور أي بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر. 154 قدره الله عز وجل وحكم حتم لا محيد عنه ولا مناص منه وقوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم أي يختبركم بما جرى عليكم ليميز من الأمر شيء ما قتلنا ههنا لقول معتب رواه ابن أبي حاتم قال الله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم أي هذا قدر إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعته إلا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله يقولون لو كان لنا قال: قال الزبير: لقد رأيته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره قال فوالله ههنا أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير شيء فقال تعالى قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا أهل الرب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة ثم أخبر تعالى عنهم أنهم يقولون في تلك الحال هل لنا من الأمر من الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا إلى آخر الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهر لهم تلك الساعة أنها الفيصلة وأن الإسلام قد باد وأهله وهذا شأن أنفسهم يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية كما قال في الآية الأخرى بل ظننتم أن لن ينقلب منكم يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله ولهذا قال وطائفة قد أهمتهم وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكأنها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال الله فإن الله عز وجل يقول ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا يغشى طائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية أي إنما هم أهل شك وريب في الله عز عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وأخذه قال والطائفة أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحق الثقفي حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومي حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان عن أنس قال: قال أبو طلحة: كنت فيمن ألقى عليه النعاس الحديث وهكذا رواه عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ من النعاس لفظ الترمذي وقال حسن صحيح ورواه النسائي أيضا عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن قتيبة عن ابن أبي عدي كلاهما عن حميد والحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميل تحت جحفته عن أنس عن أبي طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وأخذه وقد رواه الترمذي والنسائي يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وأخذه ويسقط وأخذه. هكذا رواه في المغازي معلقا ورواه في كتاب التفسير مسندا عن شيبان عن قتادة الله وفي الصلاة من الشيطان وقال البخاري وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة من أنس عن أبي طلحة قال: كنت فيمن تغشاه النعاس

تفسير ابن كثير

الآية. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم ووكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود قال: النعاس في القتال من مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال في سورة الأنفال في قصة بدر إذ يغشيكم النعاس أمانة منه يقول تعالى ممتنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمانة وهو النعاس الذي غشيهم وهم

وسلم بسهم ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم فقد شهد وأما قوله إني تركت سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو فأتته فحدثه بذلك. 155
الله عنهم وأما قوله إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله صلى الله عليه
لم أفر يوم حنين فكيف يعيرني بذلك ولقد عفا الله عنه فقال تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا
أبلغه أني لم أفر يوم حنين قال عاصم يقول يوم أحد ولم أتخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر قال فانطلق فأخبر بذلك عثمان قال: فقال عثمان أما قوله إني
عمرو حدثنا زائدة عن عاصم عن شقيق قال لقي عبدالرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبدالرحمن
ابن عمر في شأن عثمان وتوليه يوم أحد وأن الله عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله ولقد عفا عنكم ومناسب ذكره هنا قال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن
بعدها ثم قال تعالى ولقد عفا الله عنهم أي عما كان منهم من الفرار إن الله غفور حلیم أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم وقد تقدم حديث
إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أي ببعض ذنوبهم السالفة كما قال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة
قال تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان

في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره والله بما تعملون بصير أي علمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شيء. 156
على موتاهم وقتلاهم ثم قال تعالى ردا عليهم والله يحيي ويميت أي بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ولا يزداد
وما قتلوا أي ما ماتوا في السفر وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم أي خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة
لإخوانهم أي عن إخوانهم إذا ضربوا في الأرض أي سافروا للتجارة ونحوها أو كانوا غزى أي كانوا في الغزو لو كانوا عندنا أي في البلد ما ماتوا
قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا
ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد الدال عليه

تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع حطامها الفاني. 157
قوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
من مات أو قتل فمصييره ومرجه إلى الله عز وجل فيجزيه بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر فقال تعالى ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون. 158
ثم أخبر تعالى بأن كل

تفرد به أيضا وقوله تعالى فإذا عزمته فتوكل على الله أي إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه إن الله يحب المتوكلين. 159
زكريا بن أبي زائدة وعلي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه
عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن تفرد به. وقال أيضا حدثنا أبو بكر حدثنا يحيى بن
داود والترمذي وحسنه النسائي من حديث عبدالملك بأبسط من هذا. ثم قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا أسود بن عامر عن شريك عن الأعمش
شعبة حدثنا يحيى بن بكير عن سفيان عن عبدالملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المستشار مؤتمن. ورواه أبو
عن علي بن أبي طالب قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم؟ فقال مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم. وقد قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي
عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما. وروى ابن مردويه
قال: نزلت في أبي بكر وعمر وكانا حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وأبوي المسلمين. وقد روى الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا عبدالحميد
وشاورهم في الأمر قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
محمد بن محمد البغدادي حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر حدثنا سعيد بن أبي مريم أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى
في الحروب ونحوها وقد اختلف الفقهاء هل كان واجبا عليه أو من باب الندب تطييبا لقلوبهم؟ على قولين وقد روى الحاكم في مستدركه: أنبأنا أبو جعفر
على أهلي من سوء وأبنوهم بمن؟ والله ما علمت عليه إلا خيرا واستشار عليا وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم
جننا معتمرين فأجابه إلى ما قال: وقال صلى الله عليه وسلم في قصة الإفك أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أنبأنا أهلي ورموهم وإيم الله ما علمت
السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عباد فترك ذلك. وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين؟ فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال أحد وإنما
المدينة أو يخرج إلى العدو فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم. وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامنذ فأبى ذلك عليه
يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون. وشاورهم أيضا أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم. وشاورهم في أحد في أن يقعد في
ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب فنحن معك وبين
تطيبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير فقالوا: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك

تفسير ابن كثير

غريب. ولهذا قال تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر. ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث عن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أمرني بمداواة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض حديث ولا يجزي بالسينة السيئة ولكن يعفو ويصفح. وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي أنبأنا بشر بن عبيد حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن المسعودي لهم تأليفا لقلوبهم كما قال عبدالله بن عمرو إني أرى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك غليظ القلب أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك فقال: يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي. تفرد به أحمد ثم قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك والفظ الغليظ المراد حدثنا حياة حدثنا بقية حدثنا محمد بن زياد حدثني أبو راشد الحراني قال: أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي وقال: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله به وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم وقال الإمام أحمد كقوله عما قليل وهكذا ههنا قال فيما رحمة من الله لنت لهم أي برحمة من الله. وقال الحسن البصري: هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعثه بك وبهم. وقال قتادة فيما رحمة من الله لنت لهم يقول: فبرحمة من الله لنت لهم وما صلة والعرب تصلها بالمعرفة كقوله فيما نقضهم ميثاقهم وبالنكرة فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لجزره وأطاب لهم لفظه فيما رحمة من الله لنت لهم أي بأي شيء جعلك الله لهم لينا لولا رحمة الله يقول تعالى مخاطبا رسوله ممتنا عليه وعلى المؤمنين

أي بك وبكتابك وبرسولك فاغفر لنا ذنوبنا أي بإيماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك وقنا عذاب النار. 16
يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى الذين يقولون ربنا إنا آمنة المؤمنين وهذه الآية كما تقدم من قوله وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ثم أمرهم بالتوكل عليه فقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون. 160
قوله تعالى إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل

من الغنيمة فقال أسمع بلالا ينادي ثلاثا قال: نعم قال فما منعك أن تجيء فاعتذر إليه فقال كلا أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك. 161
إذا غنم غنيمة أمر بلالا فينادي في الناس فيجوز بغنائهم فيخمسه ويقسمه فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال: يا رسول الله هذا كان مما أصبناه من غل يأت بما غل يوم القيامة ونعم الغل المصحف يأتي أحكم يوم القيامة وقال أبو داود: عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير عن شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم قال لما أمر بتحريق المصاحف قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أيها الناس غلوا المصاحف فإنه جاء به يوم القيامة. ثم قال: قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى وكيع أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحق من جبير بن مالك قال: أمر بالمصاحف أن تغير قال: فقال ابن مسعود: من استطاع منكم أن يغسل مصحفا فليغسله فإنه من غل شيئا وقد قال البخاري وقد امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة على الغال ولم يحرق متاعه والله أعلم وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر يجمع رحله فيحرق ويجلد دون حد المملوك ويحرم نصيبه وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا: لا يحرق متاع الغال بل يعزز تعزير مثله: بن عبيد عن الحسن قال: عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه: ثم روى عن معاوية عن أبي إسحق عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن علي قال: الغال سالم فقط وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل ومن تابعه من أصحابه وقد رواه الأموي عن معاوية عن أبي إسحق عن يونس صالح بن محمد بن زائدة به. وقال علي بن المديني والبخاري وغيرهما: هذا حديث منكر من رواية أبي واقد هذا وقال الدارقطني: الصحيح أنه من فتوى وكذا رواه علي بن المديني وأبو داود والترمذي من حديث عبدالعزيز بن محمد الدراوردي زاد أبو داود وأبو إسحق الفزاري كلاهما عن أبي واقد الليثي الصغير وجدتم في متاعه غلولا فأحرقوه قال. وأحسبه قال واضربه قال. فأخرج متاعه في السوق فوجد فيه مصحفا فسأل سالما؟ فقال: به وتصدق بتمنه. في متاع رجل غلولا قال: فسأل سالم بن عبدالله فقال حدثني أبي عبدالله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحمد: حدثنا أبو سعيد حدثنا عبدالعزيز بن محمد حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبدالله أنه كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم فوجد سعد إياك أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء قال: لا أخذه ولا أجى به فأعفاه. ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه حديث آخر قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال يا بعبرا أو شاة فإنه يحمله يوم القيامة؟ قال عبدالله بن أنيس: بلى ورواه ابن ماجه عن عمرو بن سوار عن عبدالله بن وهب به حديث آخر قال ابن جرير: بن أنيس حدثه أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوما الصدقة فقال: ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة من غل منها بن وهب حدثني عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن موسى بن جبير حدثه أن عبدالله بن عبد الرحمن بن الأنصاري حدثه أن عبدالله والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به وقال الترمذي: حسن صحيح حديث آخر عن عمر رضي الله عنه قال ابن جرير. حدثني أحمد بن عبد الرحمن الله صلى الله عليه وسلم اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون قال: فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وكذا رواه مسلم وفلان شهيد حتى أتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عبادة ثم قال رسول أبو زميل حدثني عبدالله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد انت به فذلك قوله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني سماك الحنفي

تفسير ابن كثير

عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الحجر يرمى به في جهنم فيهوي سبعين خريفا ما يبلغ قعرها ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل به: بن مردويه: أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنبأنا عبد الحميد بن صالح أنبأنا أحمد بن أبان عن علقمة عن مرثد عن أبي بردة يوم القيامة تجيء على ظهره بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غلته قال: إذا لا أنطلق قال إذا لا أكرهك تفرد به أبو داود. حديث آخر قال أبو بكر شيبة حدثنا جرير عن مطرف عن أبي الجهم عن أبي مسعود الأنصاري قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا ثم قال انطلق أبا مسعود لا ألفينك الله صلى الله عليه وسلم ردوا الخياط والمخييط فإن الغلول عار وشار على أهله يوم القيامة حديث آخر قال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم وقد روى ابن ماجه بعضه عن المفلاج به. حديث آخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد في الحضر والسفر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة إنه لينجي الله به من الهم والغم وأقيموا حدود الله في القريب من ظهر البعير من المغنم ثم يقول مالي فيه إلا مثل ما لأحدكم إياكم والغلول فإن الغلول خزي على صاحبه يوم القيامة أدوا الخيط والمخييط وما فوق ذلك حدثنا عبيد بن الأسود عن القاسم بن الوليد عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجية عن عباد بن الصامت قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الوبرة بعثته ساعيا على آل فلان فغل نمرة فدرع الآن مثلها من نار حديث آخر قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي المفلاج وكان ثقة فلزق في درعي وتأخرت وظننت أنه يريدني فقال مالك؟ قلت أحدثت حدثا يا رسول الله! قال وما ذاك؟ قال: إنك قلت لي قال: لا ولكن هذا قبر فلان فيتحدث معهم حتى ينحدر إلى المغرب قال أبو رافع: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا إلى المغرب إذ مر بالبقيع فقال أف لك أف لك رجل من آل أبي رافع عن الفضل بن عبد الله بن أبي رافع عن أبي رافع قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل مسلم وأبو داود من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية عن أبي إسحق الفزاري عن ابن جريج حدثني منبوذ ذاك؟ قال سمعتك تقول كذا وكذا قال وأنا أقول ذاك الآن من استعملناه على عمل فليجى بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذه وما نهى عنه انتهى وكذا رواه غل يأتي به يوم القيامة قال: فقام رجل من الأنصار أسود قال مجاهد: هو سعد بن عبادة كأي أنظر إليه فقال يا رسول الله أقبل مني عملك قال وما حدثني قيس عن عدي بن عميرة الكندي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملا فكتمنا منه مخيطا فما فوقه فهو فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك أخرجه من حديث أبي حيان به حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك لا ألفين أحكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني على رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك لا ألفين أحكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حممة وابن جرير عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال لا ألفين أحكم يجيء يوم القيامة بن شداد وأبي حميد وابن عمر حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمي عن أبي زرعة عن ابن عمر يأت بما غل يوم القيامة لهذا دعوتك فامض لعملك هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي الباب عن عدي بن عميرة وبريدة والمستورد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فلما سرت أرسل في أثري فرددت فقال أتدري لم بعثت إليك؟ لا تصيبين شيئا بغير إذني فإنه غلول ومن يغفل الترمذي في كتاب الأحكام: حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودي عن المغيرة بن شبل عن قيس بن أبي حازم عن معاذ بن جبل قال: بعثني وسلم قال هدايا العمال غلول وهذا الحديث من أفراد أحمد وهو ضعيف الإسناد وكأنه مختصر من الذي قبله والله أعلم حديث آخر قال أبو عيسى آخر قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حميد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه من حديث سفيان بن عيينة وعند البخاري واسألوا زيد بن ثابت وغير وجه عن الزهري ومن طرق عن هشام بن عروة كلاهما عن عروة به. حديث ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه: ثم قال اللهم هل بلغت ثلاثا وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد: بصرت به بعيني وسمعته أذني واسألوا زيد بن ثابت أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته إذ كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر لي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي: أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر يقول: حدثنا أبو حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي محمد فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك. لم يروه أحد من أهل الكتب الستة. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يحمل جملا له رغاء يقول: يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قسما من آدم ينادي يا محمد يا لأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يا محمد يا محمد فأقول: لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا حفص بن بشر حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله: رواه أبو جعفر محمد الفريابي عن موسى بن مروان فقال: عن عبد الرحمن بن جبير بدل جبير بن نفيير وهو أشبه بالصواب. حديث آخر قال له مسكن فليكتسب مسكنا قال: قال أبو بكر أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق. قال شيخنا الحافظ المزي المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما فإن لم يكن أحمد وقد رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر فقال: حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا المعافي حدثنا الأوزاعي عن الحارث بن يزيد عن جبير بن نفيير عن فليتنخذ منزلا أو ليست له زوجة فليتنزوج أو ليس له خادم فليتنخذ خادما أو ليس له دابة فليتنخذ دابة ومن أصاب شيئا سوى ذلك فهو غال. هكذا رواه الإمام

تفسیر ابن کثیر

بن يزيد عن عبدالرحمن بن جبير قال سمعت المستورد بن شداد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من ولي لنا عملا وليس له منزل فإذا قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن نمير حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة والحارث صلى الله عليه وسلم قال أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض تجدون الرجلين جارين في الأرض أو في الدار فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعا متعددة. قال الإمام أحمد حدثنا عبدالملك حدثنا زهير يعني ابن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن عطاء بن يسار عن أبي مالك الأشجعي عن النبي يغفل يأتي بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضا في أحاديث بن أنس: نزلت هذه الآية يوم بدر وقد غل بعض أصحابه ورواه ابن جرير عنهما ثم حكى بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى يتهم بالخيانة ثم قال تعالى ومن بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يبلغ أمته وقرأ الحسن البصري وطاووس ومجاهد والضحاك وما كان لنبي أن يغفل بضم الياء أي يخان. وقال قتادة والربيع العوفي عن ابن عباس وما كان لنبي أن يغفل أي بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضا وكذا قال الضحاك. وقال محمد بن إسحق وما كان لنبي أن يغفل من غير وجه عن ابن عباس نحو ما تقدم وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك. وقال أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: اتهم المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقد فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغفل وروي جميعا عن قتيبة عن عبدالواحد بن زياد به وقال الترمذي حسن غريب ورواه بعضهم عن خصيف عن مقسم يعني مرسلًا ورواه ابن مردويه من طريق فقال بعض الناس: لعل رسول الله أخذها فأكثرها في ذلك فأنزل الله وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأتي بما غل يوم القيامة وكذا رواه أبو داود والترمذي الشوارب حدثنا عبدالواحد بن زياد حدثنا خصيف حدثنا مقسم حدثني ابن عباس أن هذه الآية وما كان لنبي أن يغفل نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر يوم بدر فقالوا: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله وما كان لنبي أن يغفل أي يخون. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالملك بن أبي أن يخون. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح حدثنا أبو إسحق الفزاري عن سفيان بن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال: فقدوا قطيفة قوله تعالى وما كان لنبي أن يغفل قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد: ما ينبغي لنبي

تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى وقوله أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لآقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الآية. 162 وأجير من وبيل عقابه ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن كقوله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير أي لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه قوله تعالى

درجات مما علموا الآية ولهذا قال تعالى والله بصير بما يعملون أي وسيوفيهـم إياها لا يظلمهم خيرا ولا يزيدهم شرا بل يجازي كل عامل بعمله. 163 يعني أهل الخير وأهل الشر درجات وقال أبو عبيدة والكسائي: منازل يعني متفاوتون في منازلهم درجاتهم في الجنة ودرجاتهم في النار كقوله تعالى ولكل ال تعالى هم درجات عند الله قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق:

والحكمة يعني القرآن والسنة وإن كانوا من قبل أي من قبل هذا الرسول لفي ضلال مبين أي لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد. 164
أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم ويعلمهم الكتاب
في الامتنان أن يكون الرسل إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام عنه. ولهذا قال تعالى يتلو عليهم آياته يعني القرآن ويزكيهم
في الأسواق وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى وقال تعالى يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم فهذا أبلغ
جنسكم وقال تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد الآية وقال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون
أي من جنسهم ليمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به كما قال تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها أي من
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم

حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتكم يعني بذلك الرماة إن الله على كل شيء قدير أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه. 165
وسلم مرسلًا. وقال محمد بن إسحق وابن جرير والربيع بن أنس والسدي قل هو من عند أنفسكم أي بسبب عصيانكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة. وروى أبو أسامة عن هشام نحوه. وروى عن ابن سيرين عن عبيدة عن النبي صلى الله عليه
وهكذا رواه النسائي والترمذي من حديث أبي داود الحفري عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن سفيان بن سعيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين به
وإخواننا ألا نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما نكره؟ قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر
أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر لهم ذلك فقالوا: يا رسول الله عشاننا
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين إما أن يقدموا فتضرب
حدثنا الحسين حدثنا إسماعيل بن علي عن ابن عون ح قال سنيد وهو حسين وحدثني حجاج عن جريح عن محمد عن عبيدة عن علي قال: جاء جبريل
الفداء وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن غزوان وهو قراد بن نوح بإسناده ولكن بأطول منه وهكذا قال الحسن البصري وقال ابن جرير: حدثنا القاسم
رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فأنزل الله أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم بأخذكم
لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه. وكسرت

تفسير ابن كثير

حدثنا أبي أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا قراد بن نوح حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: بدر فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا وأسروا سبعين أسيرا قُلتُم أني هذا أي من أين جرى علينا هذا قل هو من عند أنفسكم قال ابن أبي حاتم: يقول تعالى أولما أصابتكم مصيبة وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتلى السبعين منهم قد أصبتم مثلها يعني يوم

وَقَتْلَهُمْ لَجَمَاعَةٍ مِنْكُمْ وَجَرَّاحُهُمْ لِآخَرِينَ كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ أَي الَّذِينَ صَبَرُوا وَثَبَّتُوا وَلَمْ يَتَزَلَّزَلُوا. 166
قال تعالى وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيأذن الله أي فراركم بين يدي عدوكم

على المسلمين بسب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتالا لا محالة ولهذا قال تعالى والله أعلم بما يكتُمون. 167
أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ومنه قولهم هذا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فإنهم يتحققون أن جندا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة يتحرقون حال أقرب إلى الكفر وفي حال أقرب إلى الإيمان لقوله هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ثم قال تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان استدلووا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال فيكون في نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ومضى النفاق وأهل الريب واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم قالوا: لو بن أبي ابن سلول بثلث الناس فقال: أطاعهم فخرج وعصاني ووالله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انحاز عنه عبدالله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حيان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قائلين لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال مجاهد يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربا لجنناكم ولكن لا تلقون قتالا. قال محمد بن إسحق: حدثني محمد بن مسلم وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو صالح والحسن والسدي: يعني كثروا سواد المسلمين وقال الحسن بن صالح ادفعوا بالدعاء وقال غيره رابطوا فتعللوا ابن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الإتيان والقتال والمساعدة ولهذا قال أو ادفعوا قال ابن عباس وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعني بذلك أصحاب عبدالله بن أبي

بروج مشيدة فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد عن جابر بن عبدالله: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه. 168
عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين أي إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون والموت لابد آت إليكم ولو كنتم في قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى قل فادعوا قال تعالى الذين

تقدم في حواصل طير خضر فهي كالكوكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بأنفسها فنسأل الله الكريم المنان أن يمينتنا على الإيمان. 169
يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه قوله يعلق أي يأكل وفي هذا الحديث إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة وأما أرواح الشهداء فكما عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة فإن الإمام أحمد رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله عن الزهري أيضا فيها وتأكُل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة هنالك ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح والله أعلم وقد روي في مسند الإمام أحمد حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون من الجنة بكرة وعشية تفرد به أحمد وقد رواه ابن جريج عن أبي كريب حدثنا عبدالرحمن بن سليمان وعبيدة عن محمد بن إسحق وبه وهو إسناده جيد وكان الأنصاري عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فيه قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم وأقتل فيك مرة أخرى قال إنه سلف مني أنه إليها لا يرجع. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحق حدثنا الحارث بن فضيل بالخير قال شعرت بأن الله أحيا أباك فقال تمن علي عبيدي ما شئت أعطك قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وهو عيسى بن عبدالله إن شاء الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر يا جابر ألا أبشرك قال: بلى بشرك الله الأنصاري عن أبيه عن جابر به نحوه وكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق علي بن المديني به وقد رواه البيهقي أيضا من حديث أبي عبادة الأنصاري يرجعون قال أي رب فأبلغ من ورائي فأُنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية. ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليل كفاحا قال علي: والكفاح المواجهة قال سلمي أعطك قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل إنه قد سبق مني القول أنهم إليها لا يا جابر مالي أراك مهتما؟ قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك دينا وعيالا قال: فقال ألا أخبرك ما كلم الله أحد قط إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك طلحة بن خراش بن عبدالرحمن بن خراش بن الصمت الأنصاري قال: سمعت جابر بن عبدالله قال: نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مردويه: حدثنا عبدالله بن جعفر حدثنا هارون بن سليمان أنبأنا علي بن عبدالله المديني أنبأنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري سمعت ربههم يبرزون ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وكذا قال قتادة والربيع والضحاك أنها نزلت في قتلى أحد. حديث آخر قال أبو بكر بن

تفسير ابن كثير

بن إسماعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند أنبت. وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي إسحق الفزاري عن سفيان بن إدريس عن محمد بن إسحق به ورواه أبو داود والحاكم عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وهذا رواه أحمد ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن إسحق به. ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وما بعدها. وهكذا في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لنلا يزهدها في الجهاد ولا ياكلوا عن الحرب الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن أبي إسحق حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس قال: قال رسول النساء من طرق عن شعبة عن محمد بن المنكر عن جابر قال: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي وذكر تمامه بنحوه حديث صلى الله عليه وسلم لم ينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبكيه أو ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وقد أسنده هو ومسلم عن شعبة عن ابن المنكر سمعت جابرا قال: لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يهنون والنبي وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن أبا جابر وهو عبد الله بن عمر وبين حرام الأنصاري رضي الله عنه قتل يوم أحد شهيدا. قال البخاري: وقال أبو الوليد وسلم أعلمت أن الله أحيا أباك فقال له: تمن فقال له أرد الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى قال: إني قضيت أنهم ليها لا يرجعون تفرد به أحمد من هذا الوجه. علي بن عبد الله المدني حدثنا سفيان بن محمد بن علي بن ربيعة السلمي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الشهيد فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى مما يرى من فضل الشهادة تفرد به مسلم من طريق حماد. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا وقد روي نحوه من حديث أنس وأبي سعيد حديث آخر قال الإمام أحمد أي شيء ننتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم إطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ فقالوا: تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية. ولا عنا ورضينا عنه ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناها زمانا وأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وقد قال أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل وقال ابن إسحق: حدثني أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآنا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي فأمنا بالله ورسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى وسلم فخرج حتى أتى حول بيتهم فاجتثى أمام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة إني رسول الله إليكم إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال بعضهم لبعض أياكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال أراه أبو ملحان الأنصاري - أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري فخرج أولئك نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فقعوا فيه ثم بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله إلى أهل بئر معونة قال: لا أدري أربعين أو سبعين وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار. قال محمد بن جرير: حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة حدثنا إسحق يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم

فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه. وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة. 17 بن أبي مطر عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال: سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: يا رب أمرتني فأطعتك وهذا السحر فافغر لي فنظرت يقول: يا نافع هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح رواه ابن أبي حاتم. وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن حريث كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وآخره فأنتهى وتره إلى السحر. وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ثم له؛ الحديث. وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطني في ذلك جزءا على حدة فرواه من طرق متعددة. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: من الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فاستجب له؟ هل من مستغفر فأغفر وثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه من جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل بالأسحار دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار وقد قيل: إن يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه سوف أستغفر لكم ربي أنه أخرهم إلى وقت السحر. والخضوع والمنفقين أي من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات وصلة الأرحام والقربات وسد الخلات ومواساة ذوي الحاجات والمستغفرين أي في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات والصادقين فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة والقانتين والقنوت الطاعة ثم قال تعالى الصابرين

تفسير ابن كثير

عليه وسلم يدعو على الذين قتلوههم ويلعنهم قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع أن بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. 170 من خلفهم الآية وقد ثبت في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من الكرامة وأخبرهم أي ربهم أني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه فاستبشروا بذلك فذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ما عرفناه من الكرامة فإذا شهدوا القتال بأشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم وما بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم إذا قدم قال سعيد بن جبيرة: لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم قال السدي يؤتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيسر على ما تركوه وراءهم نسأل الله الجنة وقال محمد بن إسحق ويستبشرون أي ويسرون بلحق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم بما هم فيه من النعمة والغبطة ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون إلى آخر الآية أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم وهم فرحون قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون

جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم وقلمنا ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم. 171 لا يضيع أجر المؤمنين قال محمد بن إسحق: استبشروا أي سروا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآيات قال تعالى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله

الله هذه الآية وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد إن هذا السياق نزل في شأن غزوة حمراء الأسد وقيل نزلت في بدر الموعود والصحيح الأول. 172 جموعا وأنني راجع إليهم فجاء التجار فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل فتبعوهم فبلغ أبا سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه فلقى عيرا من التجار فقال ردوا محمدا ولكم من الجعل كذا وكذا وأخبروهم أني قد جمعت الله في قلبه الرعب فمن ينتدب في طلبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أصابهم القرع إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف رجوعهم والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب وقال الحسن البصري في قوله الذين استجابوا لله والرسول من فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه نعم قال فإذا وافيتموه فأخبروه أنه قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد قالوا نريد المدينة قال ولم؟ قالوا نريد الميرة؟ قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غدا زبيبا بعاظا إذا وافيتمونا؟ قالوا من جيش أحمد لا وخش تنابله وليس يوصف ما أنذرت بالقيـل قال فتنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبدالقيس فقال أين تريدون؟ لما سموا برئيس غير مخذول فقلت ويل ابن حرب من لقانكم إذا تغطمت البطحاء بالخيـل إني نذير لأهل السيل ضاحية لكل ذي إربة منهم ومعقول قلت: كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل تردى بأسد كرام لا تنابله عند اللقاء ولا ميل معازيل فظلت أعدو أظن الأرض مائلة قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فإني أنهاك عن ذلك ووالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر قال وما قلت؟ قال عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فهم من الحنق عليكم بشيء لم أر مثله قط قال: ويلك ما تقوله؟ قال والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد وأصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا محمدا وأصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟ لنكرن على بقيتهم ثم لنفرغن ولوددنا أن الله عافك فيهم ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ كان مشركا فقال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك والأربعاء ثم رجع إلى المدينة وقد مر به كما حدثني عبدالله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم ومشرکهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فأقام بها الاثنين والثلاثاء سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع الآية. ثم قال ابن إسحق فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي أولياء فقال: إن الناس قد جمعو لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه وقال إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد لأحضض الناس فانتدب معه الصديق وعمر وعثمان ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرين على مثلها حتى عام مقبل فجاء الشيطان يخوف بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرع واشتكتوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم واشتد عليهم الذي أصابهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قذف الله في قلبه الرعب وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وإنهم قدموا في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعدما كان منه ما كان فرجع إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وقال ابن جرير: حدثني محمد بن سعد حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال: إن الله قذف

تفسير ابن كثير

الثقات من وقفه على عائشة رضي الله عنها كما قدمناه ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير لأنه ابن إن كان أبوك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع أبو بكر والزبير ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية من أصل كتابه أنبأنا سمويه أنبأنا عبد الله بن الزبير أنبأنا سفيان أنبأنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر وأبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان به وقد رواه الحاكم أيضاً من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن التيمي عن عروة وقال: قالت لي عائشة إن أباك ولم يخرجاه كذا قال: ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وهذبة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة به وهكذا رواه سعيد بن منصور وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصم عن أبي العباس الدوري عن أبي النضر عن أبي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة به: ثم قال صحيح الإسناد عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يرجع في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير هكذا رواه البخاري منفرداً به بهذا السياق والرسول الآية. قلت لعروة: يا ابن أختي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه يوم أحد وانصرف انتهبنا إلى ما انتهى إليه المسلمون. وقال البخاري: حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها الذين استجابوا لله وسلم؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جراحاً منه فكان إذا غلب حملته عقبة حتى جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو وقلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان قد شهد أحداً قال: شهدنا أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخي فرجعنا وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم. قال محمد بن إسحق: فحدثني عبد الله بن خازم بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً فأن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال: يا بني إنه لا ينبغي كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره وقال محمد بن إسحق: كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال فلما تعد غزوة فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واثقوا أجر عظيم. وروى ابن مردويه من حديث فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة الشك من سفيان فقال المشركون: نرجع من قابل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لما رجع المشركون عن أحد قالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم: بنس ما صنعتم ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين الجراح والإتخان طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال: ويربهم أن بهم قوة وجلدا ولم يأذن لأحد سوى من حضر الواقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما سنذكره فانتدب المسلمون على ما بهم من في سيرهم ندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعهم والرسول من بعد ما أصابهم القرع. هذا كان يوم حمراء الأسد وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم فلما استمروا قوله تعالى الذين استجابوا لله

القرآن فسلمت لها زينب ثم قالت كيف قلت حين ركب راحلة صفوان بن المعطل قالت: قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت زينب قلت كلمة المؤمنين. 173 وقد رويناه عن أم المؤمنين زينب وعائشة رضي الله عنهما أنها تفاخرتا فقالت زينب زوجني الله وزوجكن أهاليكن وقالت عائشة نزلت براءتي من السماء في فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نقول؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا. وقد روي هذا من غير وجه وهو حديث جيد مطرف عن عطية عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ بقية عن يحيى بن خالد عن سيف وهو الشامي ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. وقال الإمام أحمد حدثنا أسباط حدثنا صلى الله عليه وسلم إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردوا على الرجل فقال: ما قلت؟ قال: قلت حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن سيف عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال المقضي في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبي العباس قالوا أنبأنا أبو خيثمة بن مصعب بن سعد أنبأنا موسى بن عيينة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقعت فقال إن القوم قد جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية ثم قال ابن مردويه حدثنا دعلج بن أحمد حدثنا الحسن بن سفيان عن محمد بن عبد الله الرافعي عن أبيه عن جده أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقبهم أعرابي من خزاعة حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له يوم أحد إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأنزل الله هذه الآية وروى أيضاً بسنده جرير وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري أنبأنا أبو بكر بن عياش عن

تفسير ابن كثير

الوكيل وقال عبدالرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبدالله بن عمرو وقال هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار. رواه ابن مالك بن إسماعيل عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس قال كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار حسبنا الله ونعم به والعجب أن الحاكم أبا عبدالله رواه من حديث أحمد بن يونس به ثم قال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ثم رواه البخاري عن أبي غسان حسبنا الله ونعم الوكيل. وقد رواه النسائي عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبدالله كلاهما عن يحيى بن أبي بكر عن أبي بكر وهو ابن عياش قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا الله ونعم الوكيل وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس قال أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل فاخشوهم فزادهم إيمانا الآية أي الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما اكثرثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به وقالوا حسبنا قوله تعالى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم

هو: قد نفرت من رفقتي محمد وعجوة من يثرب كالعنجد فهي على دين أبيها الأتلد قد جعلت ماء قديد موعد وماء ضجنان لها ضحى الغد 174 وقال في ذلك. نفرت قلوصي من خيول محمد وعجوة منتورة كالعنجد واتخذت ماء قديد مواعي قال ابن جرير هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ إنما المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال فقدم رجل من المشركين فأخبر أهل مكة بخيل محمد صلى الله عليه وسلم لموعده أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول لم يمسههم سوء الآية. قال وهي غزوة بدر الصغرى رواه ابن جرير وروى أيضا عن القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريح قال: لما عمد رسول الله عسى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا فوافقوا السوق فيها فابتاعوا فذلك قول الله عز وجل فانقلبوا بنعمة الله وفضل إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال هذا أبو سفيان قال لمحمد صلى الله عليه وسلم موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم فاشترها رسول الله صلى الله عليه وسلم فريح فيها مالا فقسمة بين أصحابه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى الذين قال لهم الناس عن يعلى بن مسلم عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال النعمة أنهم سلموا والفضل أن عبرا مرت في أيام الموسم حدثنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد حدثنا محمد بن نعيم حدثنا بشر بن الحكم حدثنا مبشر بن عبدالله بن رزين حدثنا سفيان بن حسين أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم بنعمة من الله وفضل لم يمسههم سوء مما أضرهم لهم عدوهم واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وقال البيهقي قال تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسههم سوء أي لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من

الآية. وقال تعالى إنا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. 175 وقال كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز وقال ولينصرن الله من ينصره وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم المتوكلون وقال تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال تعالى أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون علي وألبأوا إلي فإني كافيك وناصرهم كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه إلى قوله قل حسبي الله عليه يتوكل أولياءه أي يخوفكم أولياءه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين أي إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا قال تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف

شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة أي حكمته فيهم أنه يريد بمشيتته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة ولهم عذاب عظيم. 176 في الكفر وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق فقال تعالى ولا يحزنك ذلك إنهم لن يضروا الله يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك الذين يسارعون

عن ذلك إخبارا مقررا إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوا هذا بهذا لن يضروا الله شيئا أي ولكن يضرون أنفسهم ولهم عذاب أليم. 177 قال تعالى مخبرا

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وكقوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون. 178 إثما ولهم عذاب مهين كقوله أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وكقوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث قال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا

يديه ومن خلفه رسدا ثم قال تعالى فآمنوا بالله ورسله أي أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم. 179 ذلك. ثم قال تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء كقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين قال تعالى وما كان الله ليطالعكم على الغيب أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن فأنزل الله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي حتى يخرج المؤمن من الكافر روى ذلك كله ابن جرير ثم قال مجاهد: ميز بينهم يوم أحد وقال قتادة: ميز بينهم بالجهاد والهجرة وقال السدي: قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا عن يؤمن به منا ومن يكفر به ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

تفسير ابن كثير

الذي امتحن الله به المؤمنين فذكر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهتك به ستار المنافقين فظهر مخالفتهم يميز الخبيث من الطيب أي لابد أن يعقد شيء من المحنة يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر يعني بذلك يوم أحد قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل: عبيد عهد إلي وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبيد الجنة. 18 تحدثني قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة فأقمت سنة فكننت على بابها فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة قال: حدثني أبو وائل عن عبد الله قال: قالها مرارا قلت: لقد سمع فيها شيئا فغدوت إليه فودعته ثم قلت يا أبا محمد إني سمعتك تردد هذه الآية قال: أوما بلغك ما فيها قلت: أنا عندك منذ شهر لم إن الدين عند الله الإسلام ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة إن الدين عند الله الإسلام فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهدج من الليل فمر بهذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم عبدان بن أحمد وعلي بن سعيد الرازي قال: حدثنا عمار بن عمر المختار حدثني أبي حدثني غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش عليه وسلم حين قرأ هذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة قال: قال وأنا أشهد أي رب وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عمر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصاري حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن الزبير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا على ذلك من الشاهدين يا رب وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال: حدثنا علي بن حسين حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني حدثنا الزبير بن العوام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقيق بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثنا أبو سعيد الأنصاري عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن جميع الأحوال كذلك لا إله إلا هو تأكيد لما سبق العزيز الحكيم الذي لا يرام جنبه عظمة وكبرياء الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وقال بشهادته فقال شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام قائما بالقسط منصوب على الحال وهو في الخلاق وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه وهو الغني عما سواه كما قال تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك الآية ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم شهد تعالى وكفى به شهيدا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم وأصدق القائلين أنه لا إله إلا هو أي المنفرد بالإلهية لجميع

فيه فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل: فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم والله بما تعملون خير أي بنباتكم وضمايركم. 180 هذا في معناه وقد يقال: إن هذا أولى بالدخول والله سبحانه وتعالى أعلم. وقوله تعالى ولله ميراث السموات والأرض أي فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين مرسلًا. وقال العوفي عن ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها رواه ابن جرير والصحيح الأول وإن دخل شجاع يتلمظ حتى يطوقه. ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزعة واسمه حجر بن بيان عن أبي مالك العبدى موقوفا ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة أبي قزعة عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه إلا خرج له من جهنم ماله عنده فيمنعه إياه إلا دعا له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذي منع لفظ ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن المنثى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن البجلي ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يأتي الرجل مولاه فيسأله من فضل كنزك الذي خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقيه يده فيقضها ثم يتبع سائر جسده إنسانه جيد قوي ولم يخرجوه. وقد رواه الطبراني عن جرير بن عبد الله معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك بعده كنزا مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه فيقول: من أنت ويليك فيقول: أنا عن ابن مسعود موقوفا. حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن في مستدركه من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري كلاهما عن أبي إسحق السبيعي عن أبي وائل عن ابن مسعود به ورواه ابن جرير من غير وجه بن أبي راشد زاد الترمذي: وعبد الملك بن أعين كلاهما عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود به وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه الحاكم ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة. وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جامع عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه يفر منه فيتبعه فيقول أنا كنزك وجه عن أبي صالح عن أبي هريرة. ومن حديث محمد بن حميد عن زياد الخطمي عن أبي هريرة به. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن جامع صالح عن أبي هريرة قلت ولا منافاة بين الروایتين فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين والله أعلم وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه من غير عبد الله بن أبي سلمة به ثم قال النسائي: ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن دينار عن أبي شجاعا أقرع له زبيبتان ثم يلزمه يطوقه يقول: أنا مالك أنا كنزك وهكذا رواه النسائي عن الفضل بن سهل عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثل له ماله يوم القيامة من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن الققعاق بن حكيم عن أبي صالح به. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا حجين بن المثنى حدثنا الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم إلى آخر الآية. تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه وقد رواه ابن حبان في صحيحه فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا

تفسير ابن كثير

مضرة عليه في دينه وربما كان في دنياه. ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال البخاري: حدثنا عبد الله بن منير قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم أي لا يحسبن البخل أن جمعه المال ينفعه بل هو

ووعيد ولهذا قرنه تعالى بقوله وقتلهم الأنبياء بغير حق أي هذا قولهم في الله وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء. 181 قلت ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء الآية. رواه ابن أبي حاتم وقوله سنكتب ما قالوا تهديد يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك وقال: ما الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر فقال: شديدا وقال: والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبوك ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما أعطاك الربا فغضب أبو بكر رضي الله عنه ف ضرب وجهه فنحاص ضربا في التوراة والإنجيل. فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وإنه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإننا عنه لأغنياء ولو كان له أشيع فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندهم قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدارس فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأخبارهم ومعه حبر يقال إن الله فقير ونحن أغنياء الآية رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم. وقال محمد بن إسحق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قالت اليهود: يا محمد: افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى من

قال تعالى ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد أي يقال لهم ذلك تقريبا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا. 182 المتقبلة فلم قتلتموهم أي فلم قابلتموهم بالكذب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم إن كنتم صادقين أنكم تتبعون الحق وتتقادون للرسول. 183 قاله ابن عباس والحسن وغيرهما. قال الله عز وجل قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات أي بالحجج والبراهين وبالذي قلتهم أي وبنار تأكل القرايين الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها قوله تعالى الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار يقول تعالى تكذيبا لهؤلاء

البينات وهي الحجج والبراهين القاطعة والزبر وهي الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين والكتاب المنير أي الواضح الجلي. 184 فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير أي لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاءوا به من قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم فإن كذبوك

الغرور قال: هي متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله. 185 وفي الحديث والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع إليه وقال قتادة في قوله تعالى وما الحياة الدنيا إلا متاع قليلة زائلة كما قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال وما أوتيتهم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى. إليه. وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع به وقوله تعالى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور تصغير لشأن الدنيا وتحقير لأمرها وأنها دينية فانية رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى وأنتم مسلمون ما رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الآية فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وتقدم عند قوله تعالى ولا تموتن إلا إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا حميد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن علي عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لموضع أبو حاتم وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن عمرو. هذا ورواه ابن مردويه من وجه آخر فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن اقرءوا إن شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة. وقد رواه بهذه الزيادة حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها عن النار وأدخل الجنة فقد فاز أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال جعفر بن محمد فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام. وقوله فمن زحزح توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءهم أت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما الأويسي حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما توفي النبي صلى وحقيرها قليلا وكثيرها كبيرا وصغيرها فلا يظلم أحدا مثقال ذرة ولهذا قال تعالى وإنما توفون أجوركم يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد العزيز وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت العدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليها

تفسير ابن كثير

الملائكة وحمة العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخرًا كما كان أولًا وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فهو تعالى وحده الذي لا يموت والجن والإنس يموتون وكذلك يخبر تعالى إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن

فبايعوا وأسلموا فكل من قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤدي فماله دواء إلا الصبر في الله والاستعانة بالله والرجوع إلى الله. 186 صناديد كفار قريش قال عبدالله بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبد الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام الآية. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله له فيهم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا فقتل الله به تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا الآية وقال الله شريك بذلك الذي فعل به ما رأيته فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك ولقد اصطالح أهل هذه البحيرة على أن يتوجه فيعصوبه بالعصاة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك صلى الله عليه وسلم يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب يريد عبدالله بن أبي قال كذا وكذا فقال سعد: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد فقال له النبي فقال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثارون وجل وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن أبي: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًا فلا تؤذنا به في مجالسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن أبي أنفة بردائه وقال: لا تغربوا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل ودعاهم إلى الله عز قبل أن يسلم ابن أبي وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركون وعبد الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين وفي المجلس عبدالله بن رواحة فلما فديكة وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عباد بن بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبدالله بن أبي بن سلول وذلك فقال: حدثنا أبو اليمان أن أناسًا شعيب عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه قطيفة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم هكذا ذكره مختصرًا. وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولًا المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا قال: أبو اليمان حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأمرهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله فقال تعالى وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا يقول تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلًا لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب أي لابد أن يبتلي المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ويبتلي المؤمن على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء ولتسمعن من الذين قوله تعالى لتبطلن في أموالكم وأنفسكم كقوله تعالى ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات إلى آخر الآيتين.

فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار. 187 أن يسلكوا مسلهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئًا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف فبنست الصفقة صفقتهم وبنست البيعة بيعتهم. وفي هذا تحذير للعلماء السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأن ينهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره فإذا أرسله الله تابعه فكتموا ذلك وتعوضوا هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على

يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد وبالياء على الإخبار عنهم أي لا تحسب أنهم ناجون من العذاب: بل لابد لهم منه ولهذا قال تعالى ولهم عذاب أليم. 188 وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال: بلى يا رسول الله فعاش حميدا وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب وقوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وأجدي أحب الجمال ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا قال: يا رسول الله والله لقد خشيت أن أكون هلكة قال لم؟ قال نهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل وأجدي أحب الحمد ونهى الله عن الخيلاء ما ذكر والله أعلم. وقد روى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري عن محمد بن ثابت الأنصاري أن ثابت بن قيس الأنصاري الله عنهم وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم؟ فقال له ما ذكرناه. ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء لأن الآية عامة في جميع أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال مروان: يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي على ما شهدت لك؟ فقال له أبو سعيد: شهدت الحق فقال زيد: أولا تحمديني على ما شهدت الحق؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم عن رافع بن خديج أبو سعيد وهذا يعلم ذلك يعني رافع بن خديج ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري: ألا تحمديني على سرورهم بالنصر والفتح فقال مروان: أين هذا من هذا؟ فقال أبو سعيد: وهذا يعلم هذا؟ فقال مروان: أكذلك يا زيد؟ قال: نعم صدق أبو سعيد. ثم قال يتخلفون إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا فإن كان فيه نكبة فرحوا بتخلفهم وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم وحمدوهم

تفسير ابن كثير

أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل؟ فقال أبو سعيد: إن هذا ليس من ذاك إنما ذاك أن ناسا من المنافقين بن سعد عن زيد بن أسلم قال: قال أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت: كنا عند مروان فقال: يا أبا سعيد رأيت قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية. كذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام عليه وسلم فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه فذكره وقال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم أنبأنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري: أن رجلا من المنافقين بن جريج بنحوه. ورواه البخاري أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس البخاري في التفسير ومسلم والترمذي والنسائي في تفسيريهما وابن أبي حاتم وابن خزيمة والحاكم في مستدركه وابن مردويه كلهم من حديث عبد الملك شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه وهكذا رواه ثمنا قليلا فبئس ما يشترتون لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية. وقال ابن عباس: سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه وإنما نزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به قال: اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس ما لكم بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بما لم يعطوا كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزد الله إلا قلة وفي الصحيحين أيضا المتشيع قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية يعني بذلك المرانين المتكثرين

كل شيء والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء فها هو ولا تخالفوه واحذروا غضبه ونقمته فإنه العظيم الذي لا أعظم منه القدير الذي لا أقدر منه. 189 قال تعالى ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير أي هو مالك

الله أي من جحد ما أنزل الله في كتابه فإن الله سريع الحساب أي فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه. 19 الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرههم فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقا ثم قال تعالى ومن يكفر بآيات الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم فقال وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم أي بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في وكلا المعنيين صحيح ولكن هذا على قول الجمهور أظهر والله أعلم ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعدما قامت عليهم الحجة بإرسال الإسلام بكسر إنّه وفتح أن الدين عند الله الإسلام أي شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام والجمهور قرءوها بالكسر على الخبر الله الإسلام وذكر ابن جرير: أن ابن عباس قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله كما قال تعالى ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه الآية. وقال في هذه الآية مخبرا بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام إن الدين عند الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم فمن لقي الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمتقبل إخبارا منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام

الذين لا يعقلون الذين قال الله فيهم وكأين من آية في السموات والأرض يَمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون. 190 وكل ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا قال تعالى لآيات لأولي الأبواب أي العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها. وليسوا كالصم البكم والنهار أي تعاقبهما وتعارضهما الطول والقصر. فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرا ويقصر الذي كان طويلا سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص واختلاف الليل إن في خلق السموات والأرض أي هذه في ارتفاعها واتساعها وهذه في انخفاضها وكتافتها واتضاعها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب لآيات لأولي الأبواب فليتفكروا فيها. وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بمكة والله أعلم. ومعنى الآية أن الله تعالى يقول فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً فدعا ربه فنزلت هذه الآية إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى؟ قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا يحيى الحماني حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتت قريش قال الطبراني:

والعبث قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم وتجيرنا به من عذابك الأليم. 191 وخلق الباطل فقالوا سبحانه أي عن أن تخلق شيئا باطلا فقنا عذاب النار أي يا من خلق الخلق بالحق والعدل يا من هو منزّه عن النقائص والعيب قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا أي ما خلقت هذا الخلق عبثا بل بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى ثم نزّهوه عن العبث وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ومدح عباده المؤمنين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض

تفسير ابن كثير

الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته فقال: وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون من الثمر غيرته وأهله سرعة الدهر بالغير نحمد الله وحده إن في ذا المعتبر إن في ذا لعة للبيب إن اعتبر وقد ذم تقضى وما شعور رب عيش قد كان فوق المنى مونق الزهر في خرب من العيون وظل من الشجر وسرور من النباتات وطيب الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن: نزهة المؤمن الفكر لذة المؤمن العبر نحمد الله وحده نحن كل على خط رب لاه وعمره قد الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن اذكر وقال ابن أبي الصبر وقلبك الفكر ولا تهتم برزق غد وعن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: أنه بكى يوما بين أصحابه فسئل عن ذلك؟ فقال: فكرت في التفكير. وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضعيفا واتخذ المساجد بيتا وعلم عينيك البكاء وجسدك وقال الحسن بن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة. وقال بشر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه. وقال الحسن البصري: يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلثه الآخر تنفس للفكرة. وقال بعض فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: كل شيء هالك إلا وجهه وعن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصدتان فناداه فقال: يا راهب إن عندك كنز من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر. كنز الرجال وكنز الأموال. وعن ابن عمر: أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة ذكر النار ومقامها وأطباقها وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله. وقال عبدالله بن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزلة وقال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكرتم وشاهدوا الموقف بقلوبكم وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار وأشعروا قلوبكم وأبدانكم قط إلا فهم ولا فهم امرؤ قط إلا علم ولا علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عمر بن عبدالعزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن والفكرة في نعم الله أفضل العبادة. وصمته تفكرا ونظرة عبرا. قال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة. قال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ الفكر نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت: إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن عيسى عليه السلام أنه قال: طوبى لمن كان قلبه تذكرا والاعتبار. وعن الحسن البصري أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وقال الفضيل: قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. وقال سفيان بن عيينة: الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل وألستهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض أى يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته واختياره ورحمته. وقال الله صلى الله عليه وسلم قال صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنبك أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضائيرهم وصف تعالى أولي الأبواب فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم كما ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين: أن رسول النار فقد أخزيته أي أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع وما للظالمين من أنصار أي يوم القيامة لا مجير لهم منك ولا محيد لهم عما أردت بهم. 192

قالوا ربنا إنك من تدخل

واتبعناه ربنا فاعفر لنا ذنوبنا أي بإيماننا واتباعنا نبيك أي استرنا وكفر عنا سيئاتنا فيما بيننا وبينك وتوفنا مع الأبرار أي ألحقنا بالصالحين. 193 سمعنا مناديا ينادي للإيمان أي داعيا يدعو إلى الإيمان وهو الرسول صلى الله عليه وسلم أن آمنوا بربكم فآمنوا أي يقول آمنوا بربكم فآمنوا أي فاستجبنا له ربنا إننا

أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة. مظاهر بن أسلم ضعيف. 194 إسحق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمر وقال: أنبأنا هشام بن عمار أنبأنا سليمان بن موسى الزهري أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومي أنبأنا سعيد بن وهو يعقلهن. حديث آخر فيه غرابة. قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن نمير حدثنا إسحق بن إبراهيم البستي ح قال وحدثنا حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينبجيه من هذا الويل؟ فأطرق هنيهة ثم قال يقرؤهن عبيد بن السائب قال: قيل للأوزاعي ما غاية التفكير فيهن؟ قال: يقرأهن وهو يعقلهن قال ابن أبي الدنيا: وحدثني قاسم بن هاشم حدثنا علي بن عياش عبدالعزيز سمعت سنيذا يذكر عن سفيان هو الثوري رفعه قال من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله يعد عشرة قال الحسن بن عبدالعزيز: فأخبرني بن عمير على عائشة فذكر نحوه. وهكذا رواه عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن شجاع بن أشرس به ثم قال: حدثني الحسن بن عمران بن موسى عن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى بن زكريا عن إبراهيم بن سويد النخعي عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد لأولى الأبواب إلى قوله سبحانه ففنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها. وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا؟ وما لي لا أبكي وقد نزل علي الليلة إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات دموه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فأذنه بصلاة الفجر ثم قال: الصلاة يا رسول الله فلما رآه بلال يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ثم بكى حتى رأيت دموه قد بلغت حجره قالت: ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده قالت ثم بكى حتى رأيت إني لأحب قريك وأحب هواك قالت فقام إلى قربة في البيت فما أكثر من صب الماء ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت أن دموه قد بلغت حقويه قالت قال: فبكت ثم قالت: كل أمره كان عجباً أتاني في ليلتي حتى دخل معي في فراشي حتى لصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة ائذني لي أتعبد لربي قالت

تفسیر ابن کثیر

زرغباً تزدد حبا قالت: إنا لنحب زيارتك وغشيانك قال عبدالله بن عمر: دعيانا من بطالتكما هذه أخبرينا بأعجب ما رأيتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خدرها فسلمنا عليها فقالت: من هؤلاء؟ قال: فقلنا هذا عبدالله بن عمر وعبيد بن عمير قالت: يا عبيد بن عمير ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: ما قال الأول: في تفسيره عن جعفر بن عوف الكلبي عن أبي حباب عن عطاء قال: دخلت أنا وعبدالله بن عمر وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقد رواه عبد بن حميد بصلاة الصبح قالت: فقال يا رسول الله ما يبيحك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي إلى القرية فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكي حتى بل لحيته ثم سجد فبكي حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكي حتى إذا أتى بلال يؤذنه أمره كان عجباً أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل قالت: فقلت والله إنني لأحب قربك وإنني أحب أن تعبد ربك فقام ما يمنعك من زيارتنا؟ قال قول الشاعر: زرغباً تزدد حبا فقال ابن عمر ذرينا أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت: كل عن الكلبي وهو ابن حباب عن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب فقالت: يا عبيد الحديث الآخر قال ابن مردويه: حدثنا علي بن إسماعيل حدثنا أحمد بن علي الحراني حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا حشرج بن نباة الواسطي حدثنا أبو مكرم فليتفكروا فيها لفظ ابن مردويه. وقد تقدم هذا الحديث من رواية الطبراني في أول الآية وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مكية والمشهور أنها مدنية ودليله وسلم فقالوا: ادع ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً فدعا ربه عز وجل فنزلت إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب قال: عصاه ويده البيضاء للناظرين. وأتوا النصاري فقالوا: كيف كان عيسى فيكم؟ فقالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبي صلى الله عليه وبن مردويه وابن أبي حاتم من حديث جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جببر عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا نورا ومن تحتي نورا وأعظم لي نورا يوم القيامة وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح من رواية كريب عن ابن عباس رضي الله عنه. ثم روى ابن ثم قال: اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا ومن بين يدي نورا ومن خلفي نورا ومن فوقي خرج ذات ليلة بعدما مضى ليل فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب إلى آخر السورة. طريق أخرى رواها ابن مردويه من حديث عاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه عن عن سعيد بن جببر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها. وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه حديثاً في ذلك أيضاً الله صلى الله عليه وسلم عليها حتى سمعت غطيته ثم استوى على فراشه قاعداً قال: فرفع رأسه إلى السماء فقال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات قلت: نعم قال فمه؟ قلت: أمرني العباس أن أبيت بكم الليلة قال فالحق الحق فلما دخل قال: افترض عبدالله؟ قال: فأتى بوسادة من مسوح قال فنام رسول صلاته قال: فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة العشاء الأخيرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيري قام فمر بي فقال من هذا؟ عبدالله؟ أبي إسحق عن المنهال بن عمرو عن علي بن عبدالله بن عباس عن عبدالله بن عباس قال: أمرني العباس أن أبيت بال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ عباس رضي الله عنهما قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي حدثنا أبو يحيى عن أبي مسرة أنبأنا خالد بن يحيى أنبأنا يونس عن وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به ورواه مسلم أيضاً وأبو داود من وجوه أخر عن مخزومة بن سليمان به طريق أخرى لهذا الحديث عن ابن ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح. عنهما فقامت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقامت إلى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى ففتلها فصلى النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال ابن عباس رضي الله فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من منامه فجعل يمسح بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته قال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحق الصنعاني عن ابن أبي مريم به ثم رواه البخاري من طرق عن مالك عن مخزومة بن سليمان عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب الآيات ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح. وهكذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال إن في خلق السموات والأرض واختلاف سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني شريك بن عبدالله بن أبي نمر عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة فتحدثت غريب. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهدجه فقال البخاري رحمه الله: حدثنا الله صلى الله عليه وسلم قال العار والتخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة في المقام بين يدي الله عز وجل ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار حديث يدريك. وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحافظ أبو شريح حدثنا المعتمر حدثنا الفضل بن عيسى حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبدالله حدثه أن رسول والله أعلم ولا تخزنا يوم القيامة أي على رءوس الخلائق إنك لا تخلف الميعاد أي لا بد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين عبيدي أغسلوهم بنهر البياضة فيخرجون منه نقاء بياضاً فيسرحون في الجنة حيث شاءوا وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ومنهم من يجعله موضوعاً رءوسهم مقطعة في أيديهم تتج أوداجهم دماً يقولون: ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فيقول الله: صدق وسلم عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً لا حساب عليهم وبعث منها خمسين ألفاً شهداء وفود إلى الله وبها صفوف الشهداء

تفسير ابن كثير

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن أبي عقاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك قيل: معناه على الإيمان برسلك. وقيل: معناه على أسنة رسلك وهذا أظهر

فأله لا يبغى على مؤمن فإذا أنزل بأحدكم شيئا مما يحب فليحمد الله وإذا أنزل به شيئا مما يكره فليصبر وليحتسب فإن الله عنده حسن الثواب. 195

قال ابن أبي حاتم: ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال الوليد بن مسلم أخبرني جرير بن عثمان أنا شداد بن أوس كان يقول: أيها الناس لا تتهموا الله في قضائه كثيرا كما قال الشاعر: إن يعذب يكن غراما وإن يعط جزى فإنه لا يبالي وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا. عين رأته ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله ثوابا من عند الله أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزى عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا مقبلا غير مدبر أي كفايا؟ قال: نعم؟ ثم قال: كيف قلت فأعاد عليه ما قال فقال: نعم إلا الذي قاله لي جبريل أنفا ولهذا قال تعالى لا كفرن يقاتل في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه. وقد ثبت في الصحيحين أن رجلا قال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم وقال تعالى وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وقوله تعالى وقتلوا وقتلوا وهذا أعلى المقامات أن حتى ألقوهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال وأودوا في سبيلي أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده كما قال تعالى يخرجون هاجروا أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران وأخرجوا من ديارهم أي ضايقتهم المشركون بالأذى لهم مخبرا أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله بعضكم من بعض أي جميعكم في ثوابي سواء فالذين دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقوله تعالى أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى هذا تفسير للإجابة أي قال المؤمنين ذوي الأبواب لما سألو ما سألو مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب آخر آية نزلت هذه الآية. فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض إلى آخرها. رواه ابن مردويه ومعنى الآية أن الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة. ثم قال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت: فأنزل الله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى إلى آخر الآية: وقالت الأنصار هي أول طعينة قدمت علينا وقد رواه سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أم سلمة قال قالت أم سلمة: يا سول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. يقول تعالى فاستجاب لهم ربهم أي فأجابهم ربهم كما قال الشاعر: وداع دعا: يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب قال

يقول تعالى لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتنين بأعمالهم السيئة. 196

أهلهم رويما أي قليلا وقال تعالى أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين. 197

الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون وقال تعالى نمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ وقال تعالى فمهل الكافرين الآية كقوله تعالى ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد وقال تعالى إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجا وجميع ما هم فيه متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وهذه

الله يقول وما عند الله خير للأبرار ويقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين. 198

ابن أبي جعفر عن نوح بن فضالة عن لقمان عن أبي داود أنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له وما من كافر إلا والموت خير له ومن لم يصدقني فإن وقرأ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا إسحاق حدثنا مسعود ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها لئن كان برا لقد قال الله تعالى وما عند الله خير للأبرار وكذا رواه عبدالرزاق عن الثوري عن الأعمش به قال: الأبرار الذين لا يؤذون الذر. وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن الأسود قال عبدالله يعني ابن عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وهذا أشبه والله أعلم. ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن رجل عن الحسن عيسى بن يونس عن عبدالله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار عن عبدالله بن عمرو قال: إنما سماهم الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك عليك حقا كذا لولدك عليك حق كذا رواه ابن مردويه عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا الرصافي عن محارب بن دثار عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما سمو الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك الله خير للأبرار وقال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن نصر حدثنا أبو طاهر سهل بن عبدالله أنبأنا هشام بن عمار أنبأنا سعيد أنبأنا يحيى أنبأنا عبدالله بن الوليد لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر أن مآلهم النار قال بعده لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند وهكذا

ولهذا قال تعالى أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب قال مجاهد سريع الحساب يعني سريع الإحصاء. رواه ابن أبي حاتم وغيره. 199

آمن بنبيه وآمن بي وقوله تعالى لا يشتركون بالله ثمنا قليلا أي لا يكتمون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبذلون ذلك مجانا أبي حاتم وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم رجلا من أهل الكتاب

تفسير ابن كثير

وعرفوا الإسلام فأعطاهم الله تعالى أجر اثنين للذي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد صلى الله عليه وسلم واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم رواه ابن سالت الحسن البصري عن قول الله وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية. قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوه الآية. ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد وإن من أهل الكتاب يعني مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور بنا فقال: لداء بنصر الله عز وجل خير من دواء بنصرة الناس. وفيه نزلت وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: نزل بالنجاشي عدو من أرضهم فجاء المهاجرون فقالوا: إنا نحب أن تخرج نقاتل معك وترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت في مستدركه أنبأنا أبو العباس السيارى بمرور حدثنا عبد الله بن علي الغزال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق حدثنا ابن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور. وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم فأنزل الله وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية. وقال أبو داود حدثنا محمد بن عمرو الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق حدثني أخاكم أصحمة قد مات فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى كما يصلي على الجنائز فكبّر أربعاً. فقال المنافقون يصلي على عالج مات بأرض الحبشة ورواه أيضاً ابن جرير من حديث أبي بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي إن طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه ابن مردويه عن طريق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ما تقدم. مات بأرض الحبشة فنزلت وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله الآية. ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: لما توفي النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لأخيكم فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعرج إن أخطأ لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه. وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه عن حديث حماد بن البطارقة والقساوسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم. وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وقال أولئك لهم أجرهم عند ربهم الآية. وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشي ملك الحبشة وعنده أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى إلى قوله تعالى فأتابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها الآية. وهكذا قال ههنا ولم يبلغوا عشرة أنفس وأما النصارى منهم يهتدون وينقادون للحق كما قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلاً كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود وقال تعالى قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً قال تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتتون أجرهم مرتين صبروا الآية. وقد قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به الآية. وقد سواء كانوا هوداً أو نصارى. وقد قال تعالى في سورة القصص الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من الله ثمنا قليلاً أي لا يكتفون ما بأيديهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم الإيمان ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة أنهم خاشعون لله أي مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشترطون بآيات يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق

تقدم الكلام على قوله الم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وتقدم الكلام على قوله الله لا إله إلا هو الحي القيوم في تفسير آية الكرسي. 2 الحديث الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين الله لا إله إلا هو الحي القيوم و الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم عند تفسير آية الكرسي وقد قد ذكرنا

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أخرجه بي من النار رواه البخاري في الصحيح إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث. 20 فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ويناوله نعليه فمضى فأثاه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قل لا إله إلا الله الناس عامة. وقال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه: أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءه أرسلت به إلا كان من أهل النار رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود وقال كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي عليه وسلم بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأميهم امتثالاً لأمر الله له بذلك. وقد روى عبدالرزاق عن معمر لكم جميعاً وقال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه صلى الله عليه وسلم هو الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث فمن ذلك قوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله وهو الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وما ذلك إلا لحكمته ورحمته وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه من يشاء ويبطل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى والله بصير بالعباد أي هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة للذين أوتوا الكتاب والأمة فإن أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ أي والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم وهو الذي يهدي

تفسير ابن كثير

محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما بعثه الله به: الكتابيين من المليين والأميين من المشركين فقال تعالى وقال له ومن اتبعني أي على ديني يقول كمثلتي كما قال قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني الآية ثم قال تعالى أمرا لعبده ورسوله فإن حاجوك أي جادلوك في التوحيد فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن أي فقل أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ولا ند له ولا ولد ولا صاحبة ثم قال تعالى

فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون يقول: غدا إذا لقيتموني انتهى تفسير سورة آل عمران ولله الحمد والمنة نسأله الموت على الكتاب والسنة آمين. 200 جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل واتقوا الله لعلكم تفلحون يقول: اتقوني لمعاد حين بعثه إلى اليمن اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن لعلكم تفلحون أي في الدنيا والآخرة وقال ابن الفرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك الحسنات؟ وقوله تعالى واتقوا الله أي في جميع أمواركم وأحالككم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله أو ما علمت أن إن رجلا قال: يا رسول الله علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر وتصوم فلا تفطر؟ فقال يا رسول نعم قال: فاكذب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا وأمل على الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحتي ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قال قلت: نبينا قول الصحيح صادق لا يكذب لا يستوي غبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلهب هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب قال بدمائنا تتخضب أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السناكب والغبار الأطيب ولقد أتاننا من مقال في سنة سبعين ومائة وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة. يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا من طريق محمد بن إبراهيم ابن أبي سكينه قال: أملي على عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وودعته للخروج وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض وإن الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وهكذا روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب إليه عمر: أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجا وإنه لن يغلب عسر يسرين الأعوام والأيام. وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا مطرف بن عبد الله المديني حدثنا مالك بن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع فهذا آخر ما تيسر إيراد من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ولله الحمد على جزيل الإنعام وعلى تعاقب وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماء إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس لا بأجرة سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فإن الله يقول: وإن منكم إلا وادها. تفرد به أحمد رحمه الله. حديث آخر روى البخاري في صحيحه بن غيلان حدثنا رشدين عن زياد عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حرس من وراء المسلمين متطوعا إلا من حديث شعيب بن زريق قال: وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة قلت وقد تقدما ولله الحمد والمنة. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينا لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله. ثم قال: حسن غريب لا نعرفه حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر بن عمار وحدثنا شعيب بن زريق أبو شيبه عن عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: سمعت بن الحباب به وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح به وأتم وقال في الروايتين: عن أبي علي البجلي. حديث آخر قال الترمذي: دمعت أو بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرة في سبيل الله. وروى النسائي منه حرمت النار إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد دعا به قلت أنا رجل آخر فقال ادن فدنوت فقال من أنت؟ قال: فقلت أبو ريحانة فدعا بدعاء دون ما دعا به للأصاري ثم قال: حرمت النار على عين الله قال: ادن فدنا منه فقال من أنت؟ فتسمى له الأنصاري ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه قال أبو ريحانة: فلما سمعت ما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى من يحرسنا هذه الليلة فأدعوه له بدعاء يكون له فيه فضل؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول وسلم في غزوة فأتينا ذات ليلة إلى شرف فبتنا عليه فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر في الأرض يدخل فيها ويلقي عليه الجحفة يعني الترس فلما الرعيني يقول: سمعت أبا عامر البجلي. قال الإمام أحمد: وقال غيره زائدا أبا علي الحنفي يقول: سمعت أبا ريحانة يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الحراني عن أبي توبة وهو الربيع بن نافع به. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عبد الرحمن بن شريح سمعت محمد بن شمير وسلم هل نزلت الليلة؟ قال: لا إلا مصليا أو قاضي حاجة فقال له أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرتني فلما أصبحنا طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قضى صلاته قال أبشروا فقد جاءكم فارسكم فجعلنا ننظر في خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل أحسستم فارسكم فقال رجل: يا رسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت إلى الشعب حتى عليه وسلم استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تغز من قبلك الليلة فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين يحرسنا الليلة قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله قال فاركب فركب فرسا له فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير ابن كثير

وكذا فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياهم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله ثم قال من حتى كانت عشية فحضرت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا أبو داود: حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية يعني ابن سلام حدثني السلولي أنه حدثه سهل ابن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله حارس الحرس فيه انقطاع بين عمر بن عبدالعزيز وعقبة بن عامر فإنه لم يدركه والله أعلم. حديث آخر قال آخر قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا عبدالعزيز بن محمد بن صالح بن محمد بن زائدة عن عمر بن عبدالعزيز عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال وغير واحد من الأئمة. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال الحاكم: روى عن أنس أحاديث موضوعة. حديث سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة السنة ثلاثمائة يوم واليوم كألف سنة. وهذا حديث غريب أيضا وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة حدثنا محمد بن شعيب بن شابور عن سعيد بن خالد بن أبي طويل سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة في أجر الرباط إلى يوم القيامة. هذا حديث غريب من هذا الوجه بل منكر وعمر بن صحيح متهم حديث آخر قال ابن ماجه: حدثنا عيسى بن يونس الرملي أجرا أراه قال: من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها فإن رده الله تعالى إلى أهله سالما لم يكتب عليه سيئة ألف سنة وتكتب له الحسنات ويجري عليه اعظم أجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرس ليلة وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان وقد تقدم سياق مسلم بمفرده حديث آخر قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة حدثنا محمد بن يعلى السلمي حدثنا عمرو بن صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان. من شرحبيل بن السمط وقد رواه مسلم والنسائي من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة كلاهما عن شرحبيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسي عن من هذا الوجه وقال هذا حديث حسن وفي بعض النسخ زيادة وليس إسناده بمتصل: وابن المنكر لم يدرك سلمان قلت الظاهر أن محمد بن المنكر سمعه يقول رباط يوم في سبيل الله أفضل أو قال خير من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وقى فتنة القبر ونمى له عمله إلى يوم القيامة. تفرد به الترمذي عليه وعلى أصحابه فقال: ألا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال بلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عيسى الترمذي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان حدثنا محمد بن المنكر قال: مر سلمان الفارسي بشرحبيل بن السمط وهو في مرابطة له وقد شق الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة وعنده زيادة في آخره فقال يعني عثمان فليرباط امرؤ كيف شاء هل بلغت؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد حديث آخر من هذا الوجه قال محمد يعني البخاري أبو صالح مولى عثمان اسمه بركان وذكر غير الترمذي أن اسمه الحارث والله أعلم وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وهو على المنبر يقول: إني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عني ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بداله الحسن بن علي الخلال حدثنا هشام بن عبد الملك حدثنا الليث بن سعد حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان صلى الله عليه وسلم يقول من رباط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة قيامها وصيامها طريق أخرى عن عثمان رضي الله عنه قال الترمذي حدثنا إني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم يمتني أن أحدثكم به إلا الظن بكم وبصحابتكم فليخترن لنفسه أو ليدع سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال: خطب عثمان الناس فقال: أيها الناس يقول حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليها ويصام نهارها. وهكذا رواه أحمد عن روح عن كهمس عن مصعب بن ثابت عن عثمان وقد على منبره: إني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمتني أن أحدثكم به إلا الظن بكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه رباط سنة حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال: قال عثمان وهو يخطب عن محمد بن عمرو بن حلحلة الديلي عن أسحق بن عبد الله عن أم الدرداء ترفع الحديث قالت من رباط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت وغدا عليه ربح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا إسحق ابن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش موسى أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا وقى فتنة القبر وأمن من الفرع الأكبر عليه عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن عن الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفرع الأكبر طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله أجرى وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد. حديث آخر قال ابن ماجه في سننه حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عمله حتى يبعث ويأمن الفتان. رواه الحارث بن محمد بن أبي الهامة في مسنده عن المقرئ وهو عبد الله بن زيد إلى قوله حتى يبعث دون ذكر الفتان بن عاهان سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ميت يختم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله يجري عليه أيضا. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا حسن بن موسى وأبو سعيد وعبد الله بن يزيد كلهم عن عبد الله بن لهيعة حدثنا مشرح يوم القيامة ويأمن فتنة القبر. وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هانئ الخولاني وقال الترمذي حسن صحيح وأخرجه ابن حبان في صحيحه فضالة بن عبيد يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى

تفسير ابن كثير

آخر قال الإمام أحمد: حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح أخبرني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الحيني أخبره أنه سمع الله عليه وسلم أنه قال رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها. حديث آخر روى مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن من كرام الله عليه وسلم أن يربط في ذلك وذكر كثرة الثواب فيه فروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي أن ابن مردويه له أنه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه والله أعلم وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو في نحو العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن قلت لا قال: إنه لم يكن يا ابن أخي في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه ابن جرير وقد تقدم سياق بن الزبير حدثني داود بن صالح قال: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا وربطوا قال واتقوا الله لعلكم تفلحوا فذلك هو الرباط في المساجد وهذا حديث غريب من هذا الوجه جدا. وقال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال وهو قول الله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا عن أبي أيوب قال: وقد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم ب الأجر؟ قلنا نعم يا رسول الله وما هو؟ بن علي أنبأنا محمد بن عبد الله بن سلام البرنوثي أنبأنا محمد بن غالب الإنطاكي أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن أنبأنا الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قلنا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في أماكنها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط. وقال ابن مردويه حدثنا محمد عن زيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل بن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب؟ الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال ابن جرير أيضا حدثني موسى بن سهل الرملي حدثني يحيى بن واضح حدثنا محمد بن مهاجر حدثني يحيى بن زيد عن شرحبيل بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره وانتظار بن ثابت عن داود بن صالح عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثني ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبري عن جده وهوام وربطوا في مساجدكم واتقوا الله فيما عليكم لعلكم تفلحوا. وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب نزلت في قوم يعمرن المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم أنزلت اصبروا أي على الصلوات الخمس وصابروا أنفسكم فيم نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا قلت لا. قال أما إنه لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يربطون فيه ولكنها أبو جحيفة علي بن يزيد الكوفي أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال أقبل علي أبو هريرة يوما فقال أتدري يا ابن أخي إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط. وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا وروى ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضرأ ولا لشدة ولا لرءاء حتى يموتوا مسلمين وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو واستكبروا على الخلق قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة فقال تعالى فبشرهم بعذاب أليم أي موجه مهين. 21 بن مسعود رضي الله عنه قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار وأقاموا سوق بقلهم من آخره رواه ابن أبي حاتم ولهذا لما أن تكبروا عن الحق ذكر الله عز وجل وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصافي محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبي الحسن مولى بني أسد عن مكحول به وعن عبد الله ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من بني إسرائيل فأمرنا من قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرن عن أبي قبيصة بن ذئب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال رجل قتل نبيا النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص عمر بن حفص يعني ابن ثابت بن زراراة الأنصاري حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد عن مكحول وهذا هو غاية الكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق وغمط الناس. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم إلا كونهم دعواهم إلى الحق ويقتلون الذين يأمرن بالقسط من الناس والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا التي بلغتهم إياها الرسل استكبارا عليهم وعنادا لهم وتعاطفا على الحق واستنكافا عن اتباعه ومع هذا قتلوا هذا دم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم

لا يوجد تفسير لهذه الآية 22

أمرهم به فيهما من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنهما وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد. 23 منكرا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابينهم اللذين بأيديهم وهما التوراة والإنجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما

يقول تعالى

أمرهم به فيهما من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنهما وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد. 24
منكرا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابينهم اللذين بأيديهم وهما التوراة والإنجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما يقول تعالى

ومجازيهم به ولهذا قال تعالى فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه أي لا شك في وقوعه وكونه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. 25
وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر والله تعالى سألهم عن ذلك كله وحاكم عليهم
قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه أي كيف يكون حالهم

الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك إلا بنقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك. وملك ذي العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك. 26
ابن عساكر في ترجمة إسحق بن أحمد من تاريخه عن المأمون الخليفة أنه رأى في قصر ببلاد الروم مكتوبا بالحميرية فغرب له فإذا هو بسم الله ما اختلف
ذلك وهكذا يعطي النبوة لمن يريد كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته وقال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض الآية وقد روى الحافظ
عظيم قال الله ردا عليهم أنهم يقسمون رحمة ربك الآية أي نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ولنا الحكمة البالغة والحجة التامة في
الآية أي أنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد كما رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع فصولات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار ولهذا قال تعالى قل اللهم مالك الملك
الرسول في العلم بالله وشريعته واطلاعه على الغيوب الماضية والآتية وكشفه له عن حقائق الآخرة ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها وإظهار
على الإطلاق ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبيا من الأنبياء ولا رسولا من
نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه الأمة لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء
الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن. وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر
يقول تبارك وتعالى قل يا محمد معظما لربك وشاكرا له ومفوضا إليه ومتوكلا عليه اللهم مالك الملك أي لك الملك كله تؤتي الملك من تشاء وتنزع

من آل عمران قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. 27
عن عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية
وتقتصر على آخرين لما لك في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة. قال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا العلاني حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد حدثنا أبي
والبيضة من الدجاجة. وما جرى هذا المجرى في جميع الأشياء وترزق من تشاء بغير حساب أي تعطي من شئت من المال ما لا يعده ولا يقدر على إحصائه
من الحي أي تخرج الزرع من الحب والحب من الزرع والنخلة من النواة والنواة من النخلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والدجاجة من البيضة
ثم تأخذ من هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان وهكذا في فصول السنة ربيعا وصيفا وخريفا وشتاء وقوله تعالى وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت
وقوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل أي تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا فيعتدلان

بن سابط عن ميمون بن مهران قال: قام فينا معاذ فقال: يا بني أود أني رسول رسول الله إليكم تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار. 28
أي إليه المرجع والمنقلب ليجازي كل عامل بعمله. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبي حسين عن عبد الرحمن
ثم قال تعالى ويحذركم الله نفسه أي يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أوليائه. ثم قال تعالى وإلى الله المصير
أنس ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان الآية وقال البخاري: قال الحسن التقية إلى يوم القيامة
ابن عباس: ليس التقيّة بالعمل إنما التقيّة باللسان وكذا رواه العوفي عن ابن عباس إنما التقيّة باللسان وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن
من شرهم فله أن يتقيهم بظاهرة لا بباطنه ونيتته كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم. وقال الثوري: قال
كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير وقوله تعالى إلا أن تتقوا منهم تقاة أي من خاف في بعض البلدان والأوقات
أولياء بعضهم من بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم الآية. وقال سبحانه وتعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب والذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة إلى أن قال ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل وقال تعالى يا أيها الذين
من دون المؤمنين ثم تواعد على ذلك فقال تعالى ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله كما قال تعالى
نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة

بالعقوبة وإن أنظر من أنظر منهم فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر. ولهذا قال بعد هذا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية. 29
نافذة في جميع ذلك وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم فإنه عالم بجميع أمورهم وهو قادر على معاجلتهم
وجميع ما في الأرض والسموات لا يغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال والله على كل شيء قدير أي وقدرته

تفسير ابن كثير

عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر وأنه لا يخفى عليه منهم خافية بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات يخبر تبارك وتعالى

الله عليه وسلم وإنزال القرآن العظيم عليه. وقوله وأنزل التوراة أي على موسى بن عمران والإنجيل أي على عيسى ابن مريم عليهما السلام. 3
على عباد الله والأنبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد صلى فيه ولا ريب بل هو منزل من عند الله أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله مصدقا لما بين يديه أي من الكتب المنزلة قبله من السماء وقوله تعالى نزل عليك الكتاب بالحق يعني نزل عليك القرآن يا محمد بالحق أي لا شك

من رأفته بهم حذرهم نفسه وقال غيره: أي رحيم بخلقه يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم. 30
الله نفسه أي يخوفكم عقابه ثم قال جل جلاله مرجيا لعباده لئلا ييأسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه والله رؤوف بالعباد قال الحسن البصري:
كان مقرونا به في الدنيا وهو الذي جراه على فعل السوء يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ثم قال تعالى مؤكدا ومهددا ومتوعدا ويحذركم قدم وأخر فما رأى من أعماله حسنا سره ذلك وأفرحه وما رأى من قبيح ساءه وغصه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد كما يقول لشيطانة الذي يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما

هذا منكر الحديث. ثم قال تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم أي باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته. 31
الله صلى الله عليه وسلم وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟ قال الله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال أبو زرعة: عبد الأعلى حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا عبد الله بن موسى بن عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب. وقال الحسن البصري الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ولهذا قال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله أي يحصل لكم فوق ما الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على

ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته كما سيأتي تقريره عند قوله تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين الآية إن شاء الله تعالى. 32
إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقيلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه عن أمره فإن الله لا يحب الكافرين فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب ثم قال تعالى أمرا لكل أحد من خاص وعام قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا أي تخالفوا

البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليه السلام. 33
وجهارا فلم يزداهم ذلك إلا فرارا فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد بعثه إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وانتقم له لما طالت مدته بين ظهرائي قومه يدعوه إلى الله ليلا ونهارا سرا فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة واصطفى نوحا عليه السلام وجعله أول رسول يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض فاصطفى آدم عليه والسلام خلقه بيده ونفخ

إياذ بن رخييم بن سليمان بن داود عليهما السلام فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم كما سيأتي بيانه في سورة الأنعام إن شاء الله تعالى وبه الثقة. 34
قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: هو عمران بن ياشم بن ميثا بن حزقيا بن إبراهيم بن غرايا ابن ناوش بن أجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم أي السميع لدعائي العليم بنيتي ولم تكن تعلم ما في بطني أذكرا أم أنثى. 35
يهبها ولدا فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون محررا أي خالسا مفرغا للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت: يا هي أم مريم عليها السلام وهي حنة بنت فاقوذ. قال محمد بن إسحق: وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوما طائرا يزق فرخه فاشتتهت الولد فدعت الله تعالى أن امرأة عمران هذه

قال: قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن بالحجاب. 36
بن قسيط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأصل الحديث وهكذا رواه الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي يونس عن أبي هريرة ورواه ابن وهب أيضا عن ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة ورواه محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وروي من حديث قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول

تفسير ابن كثير

اقرأوا إن شئتم وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم أخرجاه من حديث عبدالرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرغ عن بقية عن الزبيدي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه إياه إلا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك كما قال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب ولو صح لحمل على أنه اشتهر اسمه بذلك يومئذ والله أعلم وقوله إخبارا عن أم مريم أنها قالت وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم أي عوذتها ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن ولده إبراهيم وسماه إبراهيم فإسناده لا يثبت وهو مخالف لما في الصحيح مرتين بعقيقته يذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه فقد رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وروى ويدهم وهو أثبت وأحفظ والله أعلم. وكذا صلى الله عليه وسلم في المجلس سماه المنذر فأما حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل غلام أسميه؟ قال سم ابنك عبدالرحمن وثبت في الصحيح أيضا: أنه لما جاء أبو أسيد بابنه ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرد إلى منزلهم فلما ذكر رسول الله مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فحنكه وسماه عبدالله. وفي صحيح البخاري: أن رجلا قال: يا رسول الله ولد لي الليلة ولد فما مقررنا وبذلك ثبتت السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ولد لي الليلة ولد سميت به أسم أبي إبراهيم أخرجاه وكذلك ثبت فيهما أن أنس بن في العباد وخدمة المسجد الأقصى وإني سميتها مريم فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا وقد حكى قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم وأن ذلك من تمام قولها وقرئ بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل وليس الذكر كالأُنثى أي في القوة والجلد فلما وضعتها قالت: رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت

عليه وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعا قالت: وبقيت الجفنة كما هي قالت: فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا. 37 فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا وسئلت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب عليه وسلم فلما رآه حمد الله وقال من أين لك هذا يا بنية؟ قالت: يا أبت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله وقال الحمد فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك قال هلمي يا بنية قالت فأثبته بالجفنة منها فوضعت في جفنة لها وقالت: والله لأؤثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين إلى شبة طعام فبعثت فاطمة فقال يا بنية هل عندك شيء أكله فإني جائع؟ قالت: لا والله بأبي أنت وأمي فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتى الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سهل بن زنجلة حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا عبدالله بن لهيعة عن محمد بن المنكدر دلالة على كرامات الأولياء وفي السنة لهذا نظائر كثيرة فإذا رأى زكريا هذا عندها قال يا مريم أنى لك هذا أي يقول من أين لك هذا؟ قالت هو من عند فأكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وعن مجاهد وجد عندها رزقا أي علما أو قال: صحفا فيها علم رواه ابن أبي حاتم والأول أصح وفيه عندها رزقا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي: يعني وجد عندها خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال: الخالة بمنزلة الأم ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها فقال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد أيضا توسعا فعلى هذا كانت في حضنة خالتها وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة بنت حمزة أن تكون في حضنة ذكره ابن إسحق وابن جرير وغيرهما وقيل: زوج أختها كما ورد في الصحيح فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحق ذلك مريم لذلك ولا منافاة بين القولين والله أعلم وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا ولأنه كان زوج خالتها على ما الفاء ونصب زكريا على المفعولية أي جعله كافلا لها قال ابن إسحق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة وذكر غيره: إن بني إسرائيل أصابته سنة جذب فكفل زكريا أي جعلها شكلا مليحا ونظرا بهيجا ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين فلماذا قال وكفلها زكريا بتشديد يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها ذيرة وأنه أنبتها نباتا حسنا

ذلك كبيرة وعاقرا لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا وقال رب هب لي من لدنك أي من عندك ذرية طيبة أي ولدا صالحا إنك سميع الدعاء. 38 فأكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد وإن كان شيخا كبيرا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيئا وكانت امرأته مع لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام

من الصالحين هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الأولى كقوله لأم موسى إنا رادوه إليك وجعلوه من المرسلين. 39 النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: هب لي من لدنك ذرية طيبة كأنه قال ولدا له ذرية ونسل وعقب والله سبحانه وتعالى أعلم. وقوله ونبيا النساء بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم من الفواحش والقاذورات ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإبلاذهن بل قد يفهم وجود ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنياه غيره فقال: حبيب إلي من دنياكم هذا لفظه. والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة بتحسينهن وقيامه عليهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن بل قد صرح أنها

تفسير ابن كثير

بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه: درجة عليا وهي درجة مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنحها إما حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حضور عنها وقيل: قال القاضي عياض في كتابه الشفاء: اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان حضورا ليس كما قاله بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا فإنه كان سيدا وحضورا ونبيا من الصالحين ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: وكان ذكره مثل هذه القذاة. وقد عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ابن آدم يلقي الله بذنب يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن حماد ومحمد بن سلمة المرادي قالوا: حدثنا حجاج بن سليمان المقرئ عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان الله عليه وسلم ما من عبد يلقي الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول وسيدا وحضورا قال: وإنما ذكره مثل هدبة الثوب وأشار بأنملته حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذا وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة فهذا موقف أصح إسنادا من المرفوع ورواه ابن المنذر في تفسيره: حدثنا أحمد بن داود السمناني بن العاص يقول: ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا ثم قرأ سعيد وسيدا وحضورا ثم أخذ شيئا من الأرض فقال: الحضور من ذكره هذا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو عن ابن العاص لا يدري عبد الله أو عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وسيدا وحضورا قال: ثم تناول شيئا من الأرض فقال كان ذكره مثل هذا حديثا غريبا جدا فقال: حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي حدثني سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام عن يحيى بن سعيد عن المسيب ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في الحضور: الذي لا ينزل الماء وقد روى ابن أبي حاتم في وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء وعطية العوفي أنهم قالوا: الذي لا يأتي النساء. وعن أبي العالية والربيع بن أنس: هو الذي لا يولد له ولا ماء له. وقال لا يغلبه الغضب وقال ابن زيد: هو الشريف وقال مجاهد وغيره هو الكريم على الله عز وجل. وقوله وحضورا روي عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقال ابن عباس والثوري والضحاك السيد الحليم التقي: قال سعيد بن المسيب: هو الفقيه العالم وقال عطية: السيد في خلقه ودينه وقال عكرمة: هو الذي وهكذا قال السدي أيضا. وقوله وسيدا. قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبيرة وغيرهم: الحليم وقال قتادة: سيدا في العلم والعبادة. إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه له في بطن أمه وهو أول من صدق عيسى وكلمة الله عيسى وهو أكبر من عيسى عليه السلام قتادة: وعلى سنته ومنهجه. وقال ابن جريج: قال ابن عباس في قوله مصدقا بكلمة من الله قال: كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم: والربيع بن أنس والضحاك وغيره في هذه الآية مصدقا بكلمة من الله أي عيسى ابن مريم. وقال الربيع بن أنس: هو أول من صدق بعيسى ابن مريم. وقال يحيى لأن الله أحياء بالإيمان. وقوله مصدقا بكلمة من الله. روى العوفي وغيره عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدي مناجاته وصلاته. ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة أن الله يبشرك بيحيى أي بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى. قال قتادة وغيره: إنما سمي تعالى فناده الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أي خاطبته الملائكة شفاها خطابا أسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس قال الله

عذاب شديد أي يوم القيامة والله عزيز أي منيع الجناب عظيم السلطان ذو انتقام أي ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وأنبياءه العظام. 4 بالفرقان ههنا التوراة فضعيف أيضا لتقدم ذكر التوراة والله أعلم. وقوله تعالى إن الذين كفروا بآيات الله أي جحدوا بها وأنكروها وردوها بالباطل لهم القرآن. واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله نزل عليك الكتاب بالحق وهو القرآن. وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح أن المراد والبيئات والدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك. وقال قتادة والربيع بن أنس: الفرقان ههنا هذا القرآن هدى للناس أي في زمانهما وأنزل الفرقان وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل والغي والرشاد بما يذكره الله تعالى من الحجج من قبل أي من قبل

أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال أي الملك كذلك الله يفعل ما يشاء أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه أمر. 40 فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة وأخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر قال رب

في هذه الحال فقال تعالى اذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار وسيأتي طرف آخر في بسط هذا المقام في أول سورة مريم إن شاء الله تعالى. 41 ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح كما في قوله ثلاث ليال سويا ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح قال رب اجعل لي آية أي علامة أستدل بها على وجود الولد مني قال آيتك

في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة حيث خلق منها ولدا من غير أب فقال تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. 42 عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره الله وقضاه مما فيه محنة لها ورفعته سائر الطعام وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة عيسى ابن مريم عليه السلام في كتابنا البداية والنهاية ولله الحمد المنة ثم أخبرنا تعالى شعبة به ولفظ البخاري كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على

تفسير ابن كثير

صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون. وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طريق عن وقال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا آدم العسقلاني حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن مردويه أيضا ومن طريق شعبة عن معاوية بن قررة عن أبيه قال سول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون تفرد به الترمذي صححه. وقال عبدالله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه قال: كان ثابت البناني يحدث بكر بن زنجويه حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة الله صلى يقول: خير نساها مريم بنت عمران وخير نساها خديجة بنت خويلد. أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام به مثله وقال الترمذي: حدثنا أبو بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به. وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول أحناءه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط ولم يخرج من هذا الوجه سوى مسلم فإنه رواه عن محمد إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال: كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساء ركب الإبل نساء قريش من الأكداد والوساوس واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة لجلالته على نساء العالمين. قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك أن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشفرتها وطهارتها هذا

نزل الماء الأصفر في عينيها وذكر ابن أبي الدنيا ثنا الحسن ابن عبدالعزيز ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال: كانت مريم عليها السلام تغتسل في كل ليلة. 43 وفيه مقال: ثنا علي بن بحر بن بري ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله: يا مريم اقنتي لربك واسجدي قال: سجدت حتى راكعة وساجدة وقائمة حتى نزل ماء الأصفر في قدميها رضي الله عنها وأرضاها. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمته من طريق محمد بن يونس الكديمي لقول الله تعالى يا مريم اقنتي لربك قال الحسن: يعني اعبد لربك واسجدي واركعي مع الراكعين أي كوني منهم وقال الأوزاعي: ركعت في محرابها من طريق ابن لهيعة عن دراج به وفيه نكارة. وقال مجاهد: كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها والقنوت هو طول الركوع في الصلاة يعني امتثالا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة ورواه ابن جرير قال تعالى وله من السموات والأرض كل له قانتون وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين أما القنوت فهو الطاعة في خشوع كما

ثبت ويقال: إنه ذهب صاعدا يشق جرية الماء وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبههم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين. 44 بعض: أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقتنعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأبهم ثبت في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضا والسدي وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم في ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة وصاحب قرباننا فقال زكريا: ادفعوها لي فإن خالتهما تحتي فقالوا: لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا فذلك حين اقتنعوا بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حررتها وهي أنثى ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا أردّها إلى بيتي فقالوا: هذه عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة قال: ثم خرجت بها يعني مريم في خرقها إلى بني الكاهن بن هرون أخي موسى عليهما السلام قال: وهم يومئذ يولون في في شأن مريم أيهم يكلفها وذلك لرغبتهم في الأجر قال ابن جرير: حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره وما كنت لديهم أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقتنعوا ثم قال لرسوله بعدما أطلعه على جلية الأمر: ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك أي نقصه عليك

منحه الله به وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. 45 له وجهها في الدنيا والآخرة ومن المقربين أي له وجهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما مسيح القدمين لا أخص لهما وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوي العاهات برى بإذن الله تعالى وقوله تعالى عيسى ابن مريم نسبة إلى أمه حيث لا أب بيانه اسمه المسيح عيسى ابن مريم أي يكون هذا مشهورا في الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك وسمي المسيح قال بعض السلف: لكثرة سياحته وقيل: لأنه كان الله يبشرك بكلمة منه أي يولد يكون وجوده بكلمة من الله أي يقول له كن فيكون وهذا تفسير قوله مصدقا بكلمة من الله كما ذكره الجمهور على ما سبق هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها وله عظيم له شأن كبير قال الله تعالى إذ قالت الملائكة يا مريم إن

أبي حازم عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد إلا ثلاث: عيسى وصبي كان في زمن جريج وصبي آخر. 46 صغره إلا عيسى وصاحب جريج وقال ابن أبي حاتم: حدثنا حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة حدثنا الحسين يعني المروزي حدثنا جرير يعني ابن صالح قال محمد بن إسحق: عن يزيد بن عبدالله بن قسيط عن محمد بن شريحيل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكلم أحد في عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره معجزة وآية وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه ومن الصالحين أي في قوله وعمله له علم صحيح وعمل

تفسير ابن كثير

قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا أي يدعو إلى

شيئا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر أي إنما نأمر مرة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشيء سريعا كلمح البصر. 47 ولم يقل يفعل كما في قصة زكريا بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة وأكد ذلك بقوله إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي فلا يتأخر لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال كذلك الله يخلق ما يشاء أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيئا وصرح ههنا بقوله يخلق ما يشاء مناجاتها: رب أني يكون لي ولد ولم يمسنني بشر تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج ولست بغيا حاشا لله فقال فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل قالت في

الكتاب الذي نزل على موسى بن عمران والإنجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليهما السلام. وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا. 48 عيسى عليه السلام: إن الله يعلمه الكتاب والحكمة الظاهر المراد بالكتاب ههنا الكتابة والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة والتوراة والإنجيل: فالتوراة يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها

في بيوتكم أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر له في بيته لغد إن في ذلك أي في ذلك كله لآية لكم أي على صدقي فيما جئتكم به. 49 من مثله لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وما ذلك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا وقوله وأنهم بما تأكلون وما تدخرون في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد أو على مداواة الأكمه والأبرص وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد. وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعث وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة وتعظيم السحرة فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار وأحيي الموتى بإذن الله قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر ولا يبصر ليلا وقيل بالعكس وقيل: الأعشى وقيل: الأعمش وقيل: هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي والأبرص معروف من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله وأبرئ الأكمه قيل: إنه الذي يبصر نهارا إلى بني إسرائيل قائلا لهم أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وكذلك كان يفعل يصور قوله ورسولا

يخبر تعالى أنه يعلم غيب السماء والأرض لا يخفى عليه شيء من ذلك. 5

في الآية الأخرى ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه والله أعلم. ثم قال وجئتكم بآية من ربكم أي بحجة ودلالة على صدقي فيما أقوله لكم. 50 وهو الصحيح من القولين ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئا وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ وانكشف لهم عن الغطاء في ذلك كما قال ومصدقا لما بين يدي من التوراة أي مقرا لهم ومثبتا ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة إن كنتم مؤمنين

فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه أي أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه هذا صراط مستقيم. 51

نذب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم نذبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحوارى الزبير. 52 قيل: كانوا قصارين وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل: صيادين. والصحيح أن الحوارى الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى مخبرا عنهم قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد أنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الحواريون رضي الله عنهم وأرضاهم. وهكذا عيسى ابن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ولهذا رجل يؤوبني حق أبلغ كلام ربي فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي حتى وجد الأنصار فأووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر مع الله وقول مجاهد أقرب. والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر من منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال: من أنصاري إلى الله قال مجاهد: أي من يتبعني إلى الله وقال سفيان الثوري وغيره: أي من أنصاري يقول تعالى فلما أحس عيسى أي استشعر

عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال: مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا إسناد جيد. 53 وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل

وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادا للحق ملازما لهم وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد ولهذا قال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. 54 ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم فإنه نجى نبيه ورفعهم وتركهم في ضلالهم يعمهون يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبهم روزنة ذلك البيت إلى السماء وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى فأخذوه وأهانوه وصلبوه زنية حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم ورفعهم من

تفسير ابن كثير

أن هنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب وأنه ولد مخبرا عن ملائكة بني إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام وإرادته بالسوء والصلب حين تماثلوا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان وكان كافرا ثم قال تعالى

إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين. 55 الروم مقتلة عظيمة جدا لم ير الناس مثله ولا يرون بعدها نظيرها وقد جمعت في هذا جزء مفردا ولهذا قال تعالى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا فوقهم إلى يوم القيامة وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيئون ما فيها من الأموال ويقتلون شيئا الآية فهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقا سلبوا النصرى بلاد الشام وأجنوهم إلى الروم فلجئوا إلى مدينتهم القسطنطينية ولا يزال الإسلام وأهله الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي كسرى وقصروا قيصر وسلبوهما كنوزهما وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الساعة ولا يزال قانما منصورا ظاهرا على كل دين فهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها واحتازوا جميع الممالك ودانت لهم جميع الدول وكسروا ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الدين الحق الذي لا يبدل ولا يغير إلى قيام وسيد ولد آدم على الإطلاق الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته مما قد حرفوا وبدلوا من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي خاتم الرسل في هذا كله قاهرون لليهود أيده الله عليهم لأنه أقرب إلى الحق منهم وإن كان الجميع كفارا عليهم لعائن الله فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكان إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد وبنى المدينة المنسوبة إليه واتبعه طائفة الملكية منهم وهم وصلوا إلى المشرق وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين جهلا منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة وأحل في زمانه لحم الخنزير على ذلك قريبا من ثلثمائة سنة ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل: حيلة ليفسده فإنه كان فيلسوفا وقيل: أمته ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله وآخرون قالوا هو الله وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة. وقد حكى الله مقاتلهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعة بعده فممنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبدالله ورسوله وابن راجع إليكم قبل يوم القيامة وقوله تعالى ومطهرك من الذين كفروا أي برفعي إياك إلى السماء وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. قال في قوله تعالى إني متوفيك يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه قال الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود إن عيسى لم يمت وإنه ولا يقبل إلا الإسلام. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي أحمد بن عبدالرحمن حدثنا عبدالله بن أبي جعفر عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا والضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى عليه السلام أي بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم إلى قوله وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام من النوم: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أمانتنا الحديث وقال تعالى: وبكفرهم وقولهم على مريم الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل الآية. وقال تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها إدريس عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعها قال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير توفيه هو رفعه. وقال منبه قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه قال ابن إسحق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه قال إسحق بن بشر عن إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعد ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إني متوفيك أي مميتك. وقال محمد بن إسحق عن لا يهتم عن وهب بن اختلف المفسرون في قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلي فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر تقديره

من النصرى عذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق وما لهم من الله من واق. 56 وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه

آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيه أجورهم أي في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والظفر وفي الآخرة بالجنات العاليات والله لا يحب الظالمين. 57 وأما الذين

من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وههنا قال تعالى: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. 58 ونزله عليك من اللوح المحفوظ فلا مرية فيه ولا شك كما قال تعالى في سورة مريم ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره هو مما قاله تعالى وأوحاه إليك ثم قال تعالى

تفسير ابن كثير

بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ولهذا قال تعالى في سورة مريم ولنجعل له آية للناس وقال ههنا الحق من ربك فلا تكن من الممترين. 59
بطلانا وأظهر فسادا ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى
والأخرى وإن جاز ادعاء البنية في عيسى لكونه مخلوقا من غير أب فجوز ذلك في آدم بالطريق الأولى ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواه في عيسى أشد
كتمل آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم بل خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى
يقول جل وعلا إن مثل عيسى عند الله في قدرة الله حيث خلقه من غير أب

عليهم لعائن الله وقد تقلب في الأحشاء وتنقل من حال إلى حال كما قال تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث. 6
تعريض بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر لأن الله صورته في الرحم وخلقته كيف يشاء فكيف يكون إلها كما زعمته النصارى
وسعيد لا إله إلا هو العزيز الحكيم أي هو الذي خلق وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له وله العزة التي لا ترام والحكمة والأحكام وهذه الآية فيها
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء أي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقي

الحق من ربك فلا تكن من الممترين أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه وماذا بعد الحق إلا الضلال. 60
ولم يخرجاه هكذا. قالوا: وقد رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلا وهذا أصح وقد روى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك. 61
عن علي بن عيسى عن أحمد بن محمد بن الأزهر عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند به بمعناه. ثم قال: صحيح على شرط مسلم
أنفسنا وأنفسكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وأبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة. وهكذا رواه الحاكم في مستدركه
وسلم والذي بعثني بالحق لو قال: لا لأمطر عليهم الوادي نارا قال جابر: وفيهم نزلت ندع أبناءك وأبنائك ونساءك ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم قال جابر
الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
أبي هند عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والطيب فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعنه الغداة قال: فغدا رسول
بالله ولا باليوم الآخر الآية وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكي حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار عن داود بن
قال: كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح وهي قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
كله لهم على ألفي حلة في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة وذكر تمام الشروط وبقية السياق والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع لأن الزهري
الرحيم هذا ما كتب النبي صلى الله عليه وسلم لنجران إن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم وترك ذلك
الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شريحيل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنه حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب بسم الله الرحمن
فمهما حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعل وراءك أحدا يثرب عليك؟ فقال شريحيل: سل صاحبي فسألها فقالا: ما يرد
فتلقى شريحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: إني قد رأيت خيرا من ملاعنتك فقال وما هو؟ فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليتلك إلى الصباح
على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك فقال أصحابه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: أرى أن أحكمه فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا فقالا له: أنت وذاك قال:
عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة وأنا لأدنى العرب منهما جوارا ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعنه لا يبقى منا
إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي وإني والله أرى أمرا ثقيلا والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكتنا أول العرب طعنا في عينيه وردا
الخبر أقبل مشتتلا على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شريحيل لصاحبيه: لقد علمتما أن الوادي
هذه الآية إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم إلى قوله الكاذبين فأبوا أن يقرؤا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم
فيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى فأصبح الغد وقد أنزل الله
لمعهم ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ما تقول
حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم يعودون إليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس
فما الرأي منكما أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا
فقالوا يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتابا فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصديقنا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا
تلك الحلل وخواتيم الذهب فأنطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس
من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم
بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها
صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شريحيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شريحيل الأصبحي وجبار
المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله
في الصوامع وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت
و عبد الله فأمره الأسقف فتتحنى فجلس ناحية فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح
إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شريحيل

تفسير ابن كثير

من ذي أصبح من حمير فأقراه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال مثل قول شرحبيل فقال له الأسقف: تنح فاجلس فتنحى عبدالله فجلس ناحية فبعث الأسقف فيه برأيه واجتهدت لك فقال الأسقف: تنح فاجلس فتنحى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبدالله بن شرحبيل وهو وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما مؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في أمر النبوة رأي ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى إلى شرحبيل فقرأه فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعرا شديدا وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة وكان من همدان ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام فلما أتى الأسقف إله إبراهيم وإسحق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم أنتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب أما بعد فإني عن جده قال يونس وكان نصرانيا فأسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان باسم أبو سعيد ومحمد بن موسى بن الفضل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جدا ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام قال البيهقي: حدثنا أبو عبدالله الحافظ يجدون مالا ولا أهلا وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبدالرزاق عن معمر بن عبد الكريم به وقال الترمذي: حسن صحيح وقد روى البيهقي لو فعل لأخذتة الملائكة عيانا ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولأوأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا عن عبدالكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو جهل قبحه الله إن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته قال: فقال الله صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو يزيد حدثنا قرة من حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن صلة عن ابن مسعود بنحوه. وقال البخاري: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد عن أبي قلابة عن أنس عن رسول رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن صلة عن حذيفة بنحوه وقد رواه أحمد والنسائي وابن ماجه لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الأمة. لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا: إنا نعطيك ما سألنا وأبعث معنا رجلا آمينا ولا تبعث معنا إلا آمينا فقال لأبعثن معكم رجلا آمينا حق أمين فاستشرف قال: جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعنا قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا هذا السياق وزيادات أخر. وقال البخاري: حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه رافع بن خديج: أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه إلا أنه قال في الأشراف: كانوا اثني عشر وذكر بقيته بأطول من فيه قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عن يمينه وشماله فجعلت أطاول له إيراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجرا فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر فإنكم عندنا رضا قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتوني العشي أبعث معكم القوي الأمين فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن أبعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم. ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم فإن كنتم نفعل فيما دعوتنا إليه ثم انصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبدالمسيح ماذا ترى؟ فقال: واللّه يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا نبي والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعتهم أن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال: فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله الصليب وأكلكما الخنزير قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قال إنكما لم تسلما فأسلما قالا: بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولدا وعبادتكما تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن. فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقتنا وقضينا فيقولون: لو كان واحدا ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم الله آية للناس ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون: لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله. ويحتجون على الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا وذلك كله بأمر الله وليجعله اختلاف أمرهم يقولون: هو الله ويقولون: هو ولد الله ويقولون: هو ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الى المشرق قال: فكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبدالمسيح والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم فصولا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية من جمال رجال بني الحارث بن كعب قال: يقول من رأيهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

تفسير ابن كثير

تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فدخلوا عليه وقد كان يعرف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وشأنه ما علمه من الكتب المتقدمة ولكن حمله ذلك على الاستمرار في النصرانية لما يرى من وكان رجلا من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدر عن إلا عن رأيهم والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم صاحب مدارسهم بن الحارث وزيد وقيس ويزيد وابناه وخويلد وعمرو وخالد وعبدالله ومحسن وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم يؤول أمرهم إليهم وهم: العاقب واسمه عبدالمسيح والسيد وهو الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأويس محمد بن إسحاق بن يسار وغيره: قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة وغيره: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا إن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنية والإلهية فأنزل الله صدر في هذه السورة ردا عليهم كما ذكره الإمام ثم نبهت أي نلتعن فنجعل لعنة الله على الكاذبين أي منا ومنكم. وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران: ظهور البيان فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أي نحضرهم في حال المباهلة ثم قال تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد

عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا. أي عن هذا إلى غيره. 62 ثم قال الله تعالى إن هذا لهو القصص الحق أي هذا الذي قصصناه

الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به وسيجزيه على ذلك سر الجزاء وهو القادر الذي لا يفوته شيء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نقمته. 63 فإن الله عليم بالمفسدين أي من عدل عن

وفي عدم الصلاة على المنافقين وفي قوله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وفي قوله عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن الآية. 64 أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل لم يكن نزل بعد ثم أنزل القرآن موافقة له صلى الله عليه وسلم كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب في الحجاب وفي الأسارى وفق ما فعله عبدالله بن جحش في تلك السرية قبل بدر ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك. الرابع يحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عن المباهلة لا على وجه الجزية بل يكون من باب المهادنة والمصالحة ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض الخمس والأربعة أخماس ابن إسحق إلى بضع وثمانين آية ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان. الثالث يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وأن الذي بذلوه مصالحة مرة قبل الحديبية ومرة بعد الفتح. الثاني يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران إلى هذه الآية وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ويكون قول هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب وبين ما ذكره محمد بن إسحق والزهري؟ والجواب من وجوه. أحدها يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران. وقال الزهري: هم أول من بذل الجزية ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح فما الجمع بين كتابة إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. وقد ذكر محمد بن إسحق وغير واحد أن صدر سورة اتباع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتك أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي فإن تولوا عن هذا النصف أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ثم قال تعالى ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله. وقال طاغوتا ولا نارا ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه إنه لا إله إلا بقوله سواء بيننا وبينكم أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ثم فسرها بقوله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها هذا الخطاب

قبل أن ينزل الله التوراة على موسى وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ولهذا قال تعالى أفلا تعقلون. 65 النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم الآية أي كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا وقد كان زمنه رضي الله عنه قال: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت كل طائفة منهم أنه كان منهم كما قال محمد بن إسحق بن يسار حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام ودعوى

تفسير ابن كثير

ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها ولهذا قال تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون. 66
بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لا يعلمون فأفكر الله عليهم
به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم الآتية. هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما
قال تعالى ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم

مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي منهم أبي وخليل ربي عز وجل. 67
وسلم والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم. قال سعيد بن منصور حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق عن أبي الضحى عن
وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه
من المشركين وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا الآية. ثم قال تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه
قال تعالى ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما أي متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان وما كان

السلام ثم قرأ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا الآية وقوله والله ولي المؤمنين أي ولي جميع المؤمنين برسله. 68
عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي منهم أبي و خليل الله عز وجل إبراهيم عليه
ولم يذكر مسروقا وكذا رواه الترمذي من طريق وكيع عن سفيان ثم قال: وهذا أصح لكن رواه وكيع في تفسيره فقال: حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي إسحق
والبزار من حديث أبي أحمد الزبيري عن سفيان الثوري عن أبيه به. ثم قال البزار: ورواه غير أبي أحمد عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن عبدالله
إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه الآية. وقد رواه الترمذي

يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيهم إياهم الإضلال وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم مكور بهم. 69
في مرضاته لا يتعاضمون على من فوقهم ولا يحفرون من دونهم. ثم قال تعالى عنهم مخبرا أنهم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا. 7
ابن المنذر في تفسيره: حدثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم: حدثنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد قال: يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله المتذلون لله
ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله وهذا إسناده صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة. وقال
حازم عن أبي سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل القرآن على سبعة أحرف والمرء في القرآن كفر قالها ثلاثا
من طريق هشام بن عمار عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب به وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا زهير بن حرب حدثنا أنس بن عياض عن أبي
أنزل كتاب الله ليصدق بعضه فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا به. وما جهلتم فكلوه إلى عالمه وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث
بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما
فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم. وقال الإمام أحمد حدثنا معمر عن الزهري عن عمرو
بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنسا وأبا أمامة وأبا الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم
وجهاها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا فياض الرقي حدثنا عبيدالله
يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولهذا قال تعالى وما يذكر إلا أولوا الأبواب أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على
من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد كقوله أفلا
وقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا أي وجاء الملائكة صفوفا صفوفا. وقوله إخبارا عنهم إنهم يقولون آمنا به أي المتشابه كل من عند ربنا أي الجميع
يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم إلى قوله يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الآية
ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله يقولون آمنا به حال منهم وساغ هذا وأن
التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله نبئنا بتأويله أي بتفسيره فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على والراسخون في العلم لأنهم يعلمون ويفهمون
وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل ويكون قوله والراسخون في العلم مبتدأ ويقولون آمنا به خبره وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو
من قبل وقوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور
قال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى وقال يا أبت هذا تأويل رؤيائي
به الكفر وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل ومن العلماء من فصل وهذا المقام
من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد فانسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفتت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع
بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير: وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا
من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به وكذا قال الربيع بن أنس. وقال محمد
والراسخون في العلم وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا
عبدالله بن مسعود إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكذا عن أبي بن كعب واختار ابن جرير هذا القول. ومنهم من يقف على قوله
إلا الله ويقول الراسخون آمنا به. وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبدالعزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله. وحكى ابن جرير أن في قراءة

تفسير ابن كثير

بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به . وقال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ: وما يعلم تأويله بن عمار حدثنا ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه يقولون آمنا به الآية وإن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يبالون عنه غريب جداً. وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا هشام أممي إلا ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذوه المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا أخاف على هذا القول عن عائشة وعروة وأبي الشعثاء وأبي نهيك وغيرهم. وقال الحافظ أبو القاسم في المعجم الكبير: حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل قال: التفسير على أربعة أنحاء فتفسير لا يعذر أحد في فهمه وتفسير تعرفه العرب من لغاتها وتفسير يعلمه الراسخون في العلم وتفسير لا يعلمه إلا الله ويروى غير تأويله لم يخرجوه. وقوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله اختلف القراء في الوقف ههنا فقبل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه أنه بلغه عن حذيفة أو سمعه منه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر إن في أممي قوما يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على في مستدركه بهذه الزيادة. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب بن عبد الله هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا وما هم يا رسول الله؟ قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الحاكم كثيرة منتشرة ثم انبعثت القدريّة ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في قوله وستفترق قتلهم أجراً لمن قتلهم ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتلهم بالنهروان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل هذا أي من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في أعدل أيامني على أهل الأرض ولا تأمنوني فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفي رواية خالد بن الوليد في قتله فقال دعه فإنه يخرج من ضئضئ بهذه المقالة فقال قائلهم: وهو ذو الخويصرة بقر الله خاصرته أعدل فإنك لم تعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خبت وخسرت إن لم أكن فتنة الخوارج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين فكانهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة ففاجأوه غير وجه عن أبي غالب عن أبي أمامة فذكره وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابي ومعناه صحيح فإن أول بدعة وقعت في الإسلام قلوبهم زيف فيتبعون ما تشابه منه قال هم الخوارج وقد رواه ابن مردويه من به وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فأما الذين في منه ابتغاء الفتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة عن حماد بن سلمة عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية فيتبعون ما تشابه صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سهيل حدثنا الوليد بن مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه فقال رسول الله وقد رواه ابن أبي حاتم فقال: حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري وحماد بن سلمة عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد حسن صحيح وذكر أن يزيد بن إبراهيم التستري تفرد بذكر القاسم في هذا الإسناد وقد رواه غير واحد عن ابن أبي مليكة عن عائشة ولم يذكر القاسم كذا قال ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم لفظ البخاري وكذا رواه الترمذي أيضاً عن بندار عن أبي داود الطيالسي عن يزيد بن إبراهيم به وقال هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات إلى قوله وما يذكر إلا أولو الأبواب قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رأيتم الذين يتبعون العقبني عن يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية حدثني عائشة فذكره وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ومسلم في كتاب القدر من صحيحه وأبو داود في السنة من سننه ثلاثتهم عن عن عائشة ورواه ابن جرير من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحي كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عائشة وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة فرواه الترمذي عن بندار عن أبي داود الطيالسي عن أبي عامر الخراز فذكره ورواه سعيد بن منصور في سننه عن حماد بن يحيى عن عبدالله بن أبي مليكة محمد بن الفضل السدوسي ولقبه عارم حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة به وتابع أيوب أبو عامر الخراز وغيره عن ابن أبي مليكة عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أيوب وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به ورواه أبو بكر بن المنذر في تفسيره من طريقين عن أبي النعمان إسماعيل بن علي وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن أيوب به ورواه محمد بن يحيى العبدى في مسنده عن عبد الوهاب الثقفي به وكذا رواه عبدالرزاق عن معمر هكذا وقع هذا الحديث في مسند الإمام أحمد من رواية ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه من طريق الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً إلى قوله أولو الأبواب فقال إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يعقوب عن عبدالله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك وقوله تعالى وابتغاء تأويله أي تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل بن حيان والسدي يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن وقد قال عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وغير ذلك من الآيات المحكمة المصروفة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله. بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وبقوله إن مثل عيسى

تفسير ابن كثير

عليهم ولهذا قال الله تعالى ابتغاء الفتنة أي الإضلال لأتباعهم إياها ما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة ويحرفون عن الحق. ولهذا قال الله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل فيتبعون ما تشابه منه أي إنما يأخذون عما وضع عليه. قال: والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريح وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاههم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل عليه محمد بن إسحق بن يسار رحمه الله حيث قال منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريح ولا تحريف الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك. وأما هاهنا فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص إنما هو في تفسير قوله كتابا متشابهات مثاني هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد والمثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة به رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان وعن مجاهد المتشابهات يصدق بعضها بعضا وهذا وقال مقاتل بن حيان: لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن وقيل في المتشابهات: المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل بن يعمر: الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام. وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبيرة: هن أم الكتاب لأنهن مكتوبات في جميع الكتب بن زيد عن إسحاق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة ترجعا في هذه الآية هن أم الكتاب وأخر متشابهات فقال أبو فاختة: فواتح السور. وقال يحيى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه إلى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن أبي حاتم وحكاه عن سعيد بن جبيرة به قال: حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد ما يؤمر به ويعمل به وعن ابن عباس أيضا أنه قال: المحكمات قوله تعالى قل تعالوا أتتكم من ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا والآيات بعدها وقوله تعالى في المحكم والمتشابه فروي عن السلف عبارات كثيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه وأحكامه يرجع إليه عند الاشتباه وأخر متشابهات أي تحتل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد وقد اختلفوا أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى هن أم الكتاب أي أصله الذي أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس يخبر تعالى

قال تعالى منكرا عليهم يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أي تعلمون صدقها وتحققون حقها. 70

لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون أي تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تعرفون ذلك وتحققونه. 71 يا أهل الكتاب

محمد أول النهار فآمنوا وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلمهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا وهكذا روى عن قتادة والسدي والربيع وأبي مالك. 72 آخر النهار مكرًا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه. وقال العوفي عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب إذا لقيتم أصحاب وقال ابن أبي نجیح: عن مجاهد في قوله تعالى إخبارا عن اليهود بهذه الآية يعني يهودا صلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الصبح وكفروا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين ولهذا قالوا لعلمهم يرجعون هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلمهم يرجعون الآية.

والعلم والتصرف التام ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة. 73 الحجة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء أي الأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع يمن على من يشاء بالإيمان منكم ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الإيمان به أو يحاجوكم به عند ربكم أي يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم فتقوم به عليكم الدلالة وترتكب التي نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين وقوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الأمي في كتبكم فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم. قال الله تعالى قل إن الهدى هدى الله أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله وقوله تعالى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي تطمئنوا وتظهروا سرهم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين

أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء وهداكم به إلى أكمل الشرائع. 74 والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم أي اختصكم

قال نبي الله صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلة إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر. 75 حاتم: حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا يعقوب حدثنا جعفر عن سعيد بن جبيرة قال: لما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم. وكذا رواه الثوري عن أبي إسحق بنحوه وقال ابن أبي ابن عباس فقال: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا بذلك بأس قال: هذا كما قال

تفسير ابن كثير

فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت. قال عبدالرزاق أنبأنا معمر عن أبي إسحق الهمداني عن أبي صعصعة بن يزيد أن رجلا سأل أموال الأميين وهم العرب فإن الله قد أحلها لنا قال الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون أي وقد اختلقوا هذه المقالة واثبتوها بهذه الضلالة وهو خطأ لما تقدم وقوله ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل أي إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال: لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد كذا قال في مسنده هكذا مطولا عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به. ورواه البزار في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن عمر بن دينار راشدا هكذا رواه البخاري في موضع معلقا بصيغة الجزم وأسند في بعض المواضع من الصحيح عبدالله بن صالح كاتب الليث عنه. ورواه الإمام أحمد الذي أتيت فيه قال: هل كنت بعثت إلى بشيء؟ قال: ألم أخبرك أني لم أجد مركبا قبل هذا قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشب فأنصرف بألف كسرهما وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل وهو في ذلك يلتبس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان سلفه لينظر لعل مركبا يجيئه بماله فإذا بالخشب التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وإنني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإنني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أني استسلفت فلانا ألف دينار فسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا وسألني كفيلا فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها ليقدم عليه في الأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة أن يسلفه ألف دينار فقال: اتتني بالشهداء أشهدهم فقال: كفى بالله شهيدا فقال: اتتني بالكفيل قال: كفى بالله كفيلا قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يذكر ههنا الحديث الذي علقه البخاري في غير موضع من صحيحه ومن أحسنها سياقه في كتاب الكفالة حيث قال: وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة عن زياد بن الهيثم حدثني مالك بن دينار قال: إنما سمي الدينار لأنه دين وثار. وقيل: معناه من أخذه بحقه فهو دينه. ومن أخذه بغير حقه فله النار ومناسب أولى أن لا يؤديه إليك. وقد تقدم الكلام على القنطار في أول السورة وأما الدينار فمعروف. وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا سعيد بن عمرو السكوتي حدثنا بقية من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما أي بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقه وإذا كان هذا صنيعه في الدينار فما فوقه منهم الخونة ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم فإن منهم من إن تأمنه بقنطار أي من المال يؤده إليك أي وما دونه بطريق الأولى أن يؤده إليك ومنهم يخبر تعالى عن اليهود بأن

كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأمهم بذلك واتقى محارم الله واتبع طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم فإن الله يحب المتقين. 76 بلى من أوفى بعده واتفق أي لكن من أوفى بعده واتفق منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث قال تعالى

كاذبا ورجل بايع إماما فإن أعطاه وفى له وإن لم يعطه لم يف له ورواه أبو داود والترمذي من حديث وكيع وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. 77 ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعني غير وجه عن العوام. الحديث السادس قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوثق فيها رجلا من المسلمين فنزلت هذه الآية إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية. ورواه البخاري من عرفة حدثنا هشيم أنبأنا العوام يعني ابن حوشب عن إبراهيم بن عبدالرحمن يعني السكسكي عن عبدالله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلعة له في السوق فحلف متبرئ من والديه راغب عنهما ومتبرئ من ولده ورجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم وتبرأ منهم. الحديث الخامس قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله تعالى عبادا لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا ينظر إليهم قيل: ومن أولئك يا رسول الله؟ قال يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية. الحديث الرابع قال أحمد: حدثنا يحيى بن غلان قال حدثنا رشيد بن زياد عن سهل بن معاذ عن أنس الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان قال: وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية إن الذين الله صلى الله عليه وسلم: بينتك إنها بترك وإلا فيمينه قال: قلت يا رسول الله مالي بينة وإن تجعلها يمينه تذهب بنري إن خصمي امرؤ فاجر فقال: رسول أبو عبدالرحمن؟ فحدثناه فقال: كان في هذا الحديث خاصمة ابن عم لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر كانت لي في يده فجددني فقال رسول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان قال: فجاء الأشعث بن قيس فقال: ما يحدثكم الأعمش طريق أخرى قال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن شقيق بن سلمة حدثنا عبدالله بن مسعود لليهودي: احلف. فقلت يا رسول الله إذا يحلف فيذهب مالي فأنزله الله عز وجل إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية أخرجاه من حديث ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني أرضي فقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألك بينة؟ قلت: لا فقال الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان فقال الأشعث: في والله كان تركها له كلها ورواه النسائي من حديث عدي بن عدي به. الحديث الثالث قال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبدالله قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فقال امرؤ القيس: ماذا لمن تركها يا رسول الله؟ فقال الجنة قال: فاشهد أني قد

تفسير ابن كثير

أرضى فقال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان قال رجاء: وتلا رسول الله في أرض ففضى على الحضرمي بالبينة فلم يكن له بينة ففضى على امرئ القيس باليمين فقال الحضرمي: أمكنته من اليمين يا رسول الله؟ ذهبت ورب الكعبة عميرة عن أبيه عدي هو ابن عميرة الكندي قال: خاصم رجل من كندة يقال له امرؤ القيس بن عامر رجلا من حضر موت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غريب من هذا الوجه. الحديث الثاني قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد عن جرير بن حازم حدثنا عدي بن عدي أخبرني رجاء بن حيوة والعرس بن حتى يفرق بينهما موت أو ظعن قلت: ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله؟ قال التاجر الحلاف أو قال البائع الحلاف والفقيه المحتال والبخيل المنان . يسافرون فيطول سراحهم حتى يحبوا أن يمسا الأرض فينزلون فيتحنى أحدهم فيصلح حتى يوقظهم لرحيلهم والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه يشنؤهم الله قال: قلته سمعته قلت: فمن هؤلاء الذين يحبهم الله؟ قال: الرجل يلقي العدو في فنة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه والقوم قال: أما إنه لا يخالني أن كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما سمعته منه فما الذي بلغك عني؟ قلت بلغني أنك تقول: ثلاثة يحبهم الله وثلاثة إسماعيل عن الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن أبي الأحمس قال: لقيت أبا ذر فقلت له بلغني عنك أنك تحدث حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال المسبل والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمنان. ورواه مسلم وأهل السنن من حديث شعبة به طريق أخرى قال الإمام أحمد: حدثنا اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم؟ خسروا وخابوا قال: وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبة قال علي بن مدرك أخبرني قال: سمعت أبا زرعة عن خرشة بن الحر عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر بهم إلى النار ولهم عذاب أليم. وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلنذكر منها ما تيسر الحديث الأول قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا ينظر إليهم يوم القيامة أي برحمة منه لهم يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ولا يزكيهم أي من الذنوب والأنداس بل يأمر القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة أولئك لا خلاق لهم في الآخرة أي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ولا يكلمهم الله ولا تعالى إن الذين يعتاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته للناس وبيان أمره وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان يقول

المعرب المعبر وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد وأما إن عني كتب الله التي هي كتبه من عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء. 78 قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص. وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة ونقصان ووهب فاحش وهو من باب تفسير ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فأما كتب الله فإنها محفوظة ولا تحول رواه ابن أبي حاتم فإن عني وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه وقال وهب بن منبه: إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم وهكذا روى البخاري عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيلون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله لكنهم يحرفونه ويتأولونه على غير تأويله. ولهذا قال الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن أنس: يلوون ألسنتهم بالكتاب يحرفونه عن المراد به ليوهمو الجهلة أنه في كتاب الله كذلك وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله أن منهم فريقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ويزيلونه

حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها تعلمون أي تفهمون معناه وقرئ تعلمون بالتشديد من التعليم وبما كنتم تدرسون تحفظون ألفاظه. 79 وعطية العوفي والربيع بن أنس. وعن الحسن أيضا يعني أهل عبادة وأهل تقوى. وقال الضحاك في قوله بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ابن عباس وأبو رزين وغير واحد أي حكماء علماء حلماء وقال الحسن وغير واحد: فقهاء وكذا روى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة وعطاء الخراساني ونصحوا الخلق وبلغوهم الحق وقوله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أي ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين قال رسله الكرام. فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة فقاموا بذلك أتم القيام بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه إنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم فالجهلة من الأحرار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ الله تعالى اتخذوا أحرارهم وrehبانهم أربابا من دون الله الآية. وفي المسند والترمذي كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله ما عبدوهم قال بلى البصري: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال: ذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحرارهم وrehبانهم كما قال للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل فلائ لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأخرى ولهذا قال الحسن ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في ذلك من قولها ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة إلى قوله بعد إذ أنتم مسلمون فقوله محمد وإليه تدعون؟ أو كما قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني وسلم ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما نعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحرار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه قال محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد عن

تفسير ابن كثير

الكتاب وسورة قصيرة يجهر بالقراءة فلما قام إلى الثالثة ابتدأ القراءة فدنوت منه حتى إن ثيابه لتمس ثيابه فقرأ هذه الآية ربنا لا تزغ قلوبنا الآية. 8
هذا الأثر الوليد أيضا عن ابن جابر عن يحيى بن يحيى الغساني عن محمود بن لبيد عن الصنابحي أنه صلى خلف أبي بكر المغرب فقرأ في الأوليين بفاتحة أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك قال كنت أقرأ قل هو الله أحد وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم عن مالك والأوزاعي كلاهما عن أبي عبيد به: وروى في خلافته فقال عمر لقيس: كيف أخبرتني عن أبي عبد الله قال عمر: فما تركناها منذ سمعناها منه وإن كنت قبل ذلك لعلني غير ذلك فقال له رجل على تمس ثيابه فسمعتة يقرأ بأم القرآن وهذه الآية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا الآية قال أبو عبيد: وأخبرني عباد بن نسي أنه كان عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه المغرب فقرأ أبو بكر في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورتين من قصار المفصل وقرأ من الركعة الثالثة قال: دنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن عباد بن نسي أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول: أخبرني أبو عبد الله الصنابحي أنه صلى وراء أبي بكر الصديق وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب لفظ ابن مردويه. وقال عبد الرزاق عن مالك عن أبي عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك أستغفر لك لذني وابن مردويه من حديث أبي عبد الرحمن المقبري زاد النسائي وابن حبان وعبد الله بن وهب كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب حدثني عبد الله بن الوليد التجيبي أنت الوهاب غريب من هذا الوجه ولكن أصله ثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة وقد رواه أبو داود والنسائي بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاعه أما تسمعي قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلت يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء فقال ليس من قلب إلا وهو حدثنا العباس بن الوليد الخلال أنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله أنا سعيد بن بشير عن قتادة عن حسان الأعرج عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول محمد النبي اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ثم قال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي أيضا عن المثنى عن الحجاج بن منهال عن عبد الحميد بن بهرام به مثله وزاد قلت: يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعوبها لنفسي قال بلى قلولي اللهم رب قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام به مثله ورواه ليتقلب؟ قال نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا إن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ السكّن سمعتها تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت: قلت يا رسول الله وإن القلب من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب رواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن أسماء بنت يزيد بن بن حوشب عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ثم قرأ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا أنت الوهاب قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال جميعا حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر تشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم وهب لنا من لدنك رحمة تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتزيدنا بها إيمانا وإيقانا إنك أي لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمته عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما

من رسلنا أجمعنا من دون الله آلهة يعبدون وقال إخبارا عن الملائكة ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين. 80
نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت الآية وقال واسأل من أرسلنا من قبلك دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ومن ثم قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا

عهدي وقال محمد بن إسحق إصري أي ثقل ما حملتم من عهدي أي ميثاقى الشديد المؤكد قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. 81
جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة والسدي: يعني من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة أي لهما أعطيتمكم من كتاب وحكمة ثم إلى عيسى عليه السلام لهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام

الذي لا يليق إلا له والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه. 82
كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس: وكذلك هو الشفيق في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ولهذا لو كان موسى حيا بين أظهرهم ما حل له إلا أن يتبعني وفي بعض الأحاديث لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعي فالرسول محمد خاتم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق وإنه والله وتركتموني لزللتكم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحق حدثنا حماد عن الشعبي عن جابر قال: بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا قال: فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه

تفسير ابن كثير

عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبدالله بن ثابت قلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: رضيت بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني أمرت بأخ لي يهودي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه مثل قول علي وابن عباس وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق أنبأنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبدالله والحسن البصري وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه ولهذا روى الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرننه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرننه. وقال طاووس أي عن هذا العهد والميثاق فأولئك هم الفاسقون. قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه فمن تولى بعد ذلك

مجاهد عن ابن عباس وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها قال: حين أخذ الميثاق وإليه يرجعون أي يوم المعاد فيجازي كلا بعمله. 83 من في السموات والأرض طوعا وكرها قال: هو كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقال أيضا: حدثنا سفيان عن الأعمش عن في السلاسل وسيأتي له شاهد من وجه آخر ولكن المعنى الأول للآية أقوى. وقد قال وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد وله أسلم وأما كرها فمن أتى به من سبائا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون وقد ورد في الصحيح عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة عن النبي صلى الله عليه وسلم وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها أما من في السموات فالملائكة وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن النضر العسكري حدثنا سعيد بن حفص النفيلي حدثنا محمد بن محسن العكاشي حدثنا الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح لله كرها فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع. وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية على معنى آخر فيه غرابة فقال الحافظ وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله والكافر مستسلم طوعا وكرها الآية وقال تعالى أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفیی ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات الله وحده لا شريك له الذي له أسلم من في السموات والأرض أي استسلم له من فيهما طوعا وكرها كما قال تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو عبادة

فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل وبكل كتاب أنزل لا يكفرون بشيء من ذلك بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله وبكل نبي بعثه الله. 84 يعني بذلك التوراة والإنجيل والنبیون من ربهم وهذا يعم جميع الأنبياء جملة لا نفرق بين أحد منهم يعني بل نؤمن بجميعهم ونحن له مسلمون ويعقوب أي من الصحف والوحي والأسباط وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل وهو يعقوب الاثنى عشر وما أوتي موسى وعيسى قال تعالى قل آمنا بالله وما أنزل علينا يعني القرآن وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق

منه وهو في الآخرة من الخاسرين تفرد به أحمد قال أبو عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد: عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة. 85 فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى إنك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطي. قال الله في كتابه ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل فيقول إنك على خير ثم يجيء الصيام فيقول يا رب أنا الصيام فيقول إنك على خير ثم تجيء الأعمال كل ذلك يقول الله إنك على خير ثم يجيء الإسلام الله صلى الله عليه وسلم تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يا رب أنا الصلاة فيقول إنك على خير وتجيء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة أمرنا فهو رد وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عباد بن راشد حدثنا الحسن حدثنا أبو هريرة إن ذاك ونحن بالمدينة قال: قال رسول طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من عمل عملا ليس عليه ثم قال تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه الآية. أي من سلك

ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به العماية؟ ولهذا قال تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين. 86 تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات أي قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول فقرأ عليه فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق وإن رسول الله لأصدق منك وإن الله لأصدق الثلاثة قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه فقوله وسلم ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله فيه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم إلى قوله غفور رحيم. قال: فحملها إليه رجل من قومه الإسناد يخرجاه. وقال عبدالرزاق أنبأنا جعفر بن سليمان حدثنا حميد الأعرج عن مجاهد قال: جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وآله إلى قوله فإن الله غفور رحيم فأرسل إليه قومه فأسلم وهكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان من طريق داود بن أبي هند به. وقال الحاكم: صحيح رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبدالله بن بزيع البصري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان

ثم قال تعالى أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين أي يلعنهم الله ويلعنهم خلقه. 87

خالد بن فيها أي في اللعنة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي لا يفترون عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة. 88

تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من تاب إليه تاب عليه. 89

تفسیر ابن کثیر

ثم قال

دعائهم إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه وتجزئ كلا بعلمه وما كان عليه في الدين من خير وشر. 9 قوله ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه أي يقولون في

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم هكذا رواه وإسناده جيد. 90
بن يزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس: أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم
ولهذا قال ههنا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون أي الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغي. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عبد الله
أي استمر إلى الممات ومخبراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات كما قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت الآية
يقول تعالى متوعدا ومهددا لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفرا

تفعل فيرد إلى النار ولهذا قال أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين أي وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه. 91

كيف وجدت منزلك؟ فيقول: يا رب شر منزل فيقول له أتفتدي مني بطلاع الأرض ذهباً؟ فيقول أي رب نعم فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم وتمن فيقول: ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرار لما يرى من فضل الشهادة ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له يا ابن آدم أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل فيقول: سل أبليك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبليت إلا أن تشرك. وهكذا أخرجه البخاري ومسلم طريق أخرى وقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا حماد عن ثابت عن حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني عن أكنث مفتديا به؟ قال: فيقول نعم فيقول نعم فيقول الله قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر مثل الأرض ذهباً ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها. وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج به على الأول فدل على أنه غيره. وما ذكرناه أحسن من أن يقال إن الواو زائدة والله أعلم ويقترض ذلك أن لا ينقذه من عذاب الله شيء ولو كان قد أنفق تقبل منهم ولهم عذاب أليم ولهذا قال تعالى ههنا إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به فعطف ولو افتدى عدل ولا ينفعه شفاعة وقال لا بيع فيه ولا خلال وقال إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما ذلك؟ فقال لا إنه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضاً ذهباً ما قبل منه كما قال تعالى ولا يقبل منها قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه قرية كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عبدالله بن جدعان وكان يقري الضيف ويفك العاني ويطعم الطعام هل ينفقه ثم قال تعالى إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أي من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً ولو كان ما أعطاني الله فلم أجد شيئاً أحب إلي من جارية لي رومية فقلت: هي حرة لوجه الله فلو أنني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها يعني تزوجتها. 92

محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبدالله بن عمر قال: قال عبدالله حضرتني هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فذكرت بخبير فما تأمرني به؟ قال حبس الأصل وسبل الثمرة وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني حدثنا يزيد بن هرون حدثنا يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه أخرجاه وفي الصحيحين أن عمر قال: يا رسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو الله حيث أراك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رباح ذاك مال رباح وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة: أفعل رسول الله إن الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخراها عند الله تعالى يا رسول المسجد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال أبو طلحة: يا عن أبي إسحق بن عبدالله بن أبي طلحة سمع أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة روى وكيع في تفسيره عن شريك عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون لن تنالوا البر قال الجئة وقال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا مالك

كان حلا لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل ثم قال تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فإنها ناطقة بما قلناه. 93

وملة أبيه إبراهيم فما بالهم لا يؤمنون؟ ولهذا قال تعالى كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة أي بعض ما حرم في التوراة فما بالهم لم يتبعوه بل كذبوه وخالفوه؟ وكذلك ما بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين القويم والصرط المستقيم ثم حرم عليهم ذلك في التوراة. وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم وهذا هو النسخ بعينه. فكذاك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله في هاجر لما تسرى بها على سارة. وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغا وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين الله عز وجل قد أذن لأدم في تزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك بعد ذلك وكان التسري على الزوجة مباحا في شريعة إبراهيم عليه السلام وقد فعله إبراهيم الأرض يأكل منها ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل وألبانها فاتبعه بنوه في ذلك وجاءت التوراة بتحريم ذلك وأشياء أخرى زيادة على ذلك وكان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع فإن الله تعالى قد نص في كتابهم التوراة أن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب في عيسى وأمه كيف خلقه الله بقدرته ومشيئته وبعثه إلى بني إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى شرع في الرد على اليهود قبحهم الله تعالى وبيان الطعام على حبه الآية المناسبة الثانية لما تقدم بيان الرد على النصارى واعتقادهم الباطل في المسيح وتبيين زيف ما ذهبوا إليه وظهور الحق واليقين

تفسير ابن كثير

مما تحبون. فهذا هو المشروع عندنا وهو الإنفاق في طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهي كما قال تعالى وآتى المال على حبه وقال تعالى ويطعمون إحداهما أن إسرائيل عليه السلام حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله وكان هذا سائغا في شريعتهم فله مناسبة بعد قوله لن تناولوا البر حتى تنفقوا استئنا به واقتداء بطريقه قال: وقوله من قبل أن تنزل التوراة أي حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قلت: ولهذا السياق بعد ما تقدم مناسبتان. فنذر لله لئن عافاه الله لا يأكل عرقا ولا يأكل ولد ماله عرق وهكذا قال الضحاك والسدي كذا رواه وحكاه ابن جرير في تفسيره قال: فاتبعه بنوه في تحريم ذلك ابن جريج والعوفي عن ابن عباس: كان إسرائيل عليه السلام وهو يعقوب يعتريه عرق النساء بالليل. وكان يقلقه ويزعجه عن النوم ويقطع الوجع عنه بالنهار بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين والآية بعدها وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد العجلي به نحوه وقال الترمذي حسن غريب. وقال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما التي فتابعك إن أخبرتنا بها: إنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحب؟ قال جبريل عليه السلام قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال مخراق من نار يزر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال صوته قالوا: صدقت إنما بقيت واحدة وهي قال بعضهم يعني الإبل فحرم لحومها قالوا: صدقت قالوا: أخبرك ما هذا الرعد؟ قال ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو في يديه وإذا علا ماء المرأة أثنت قالوا أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا قال أحمد: عن علامة النبي؟ قال تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا: أخبرك كيف تؤثت المرأة وكيف تذكر قال يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال والله على ما نقول وكيل قال هاتوا قالوا: أخبرنا بن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك قل من كان عدوا لجبريل الآية ورواه أحمد أيضا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به طريق أخرى قال أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عبد الله اللهم اشهد قال وإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه قالوا: فعند ذلك نفارقك ولو كان وليك غيره لتابعناك فعند ذلك قال الله تعالى نعم قال اللهم اشهد عليهم قال وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا: اللهم نعم قاله أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرها بإذن الله وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله قالوا: اللهم نعم فقال اللهم اشهد عليهم وقال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا: النوم ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا أخبرنا على أربع خلال أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى وأخبرنا بهذا النبي الأمي في نبي قال سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا ففرتموه لتتابعني على الإسلام قالوا فذلك لك قالوا: حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال: قال ابن عباس: حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم

دائما وإنه لم يبعث نبيا آخر يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرنا فأولئك هم الظالمون. 94

أي فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة

صراط مستقيم ديننا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وقال تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين. 95 عليه وسلم فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم كما قال تعالى قل إني هدانى ربي إلى به وفيما شرعه في القرآن فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين أي اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل صدق الله أي قل يا محمد صدق الله فيما أخبر

على وزن بدر والقادس لأنها تظهر من الذنوب والمقدسة والناسة بالنون وبالباء أيضا والباسة والحاطمة والرأس وكوئاء والبلدة والبنية والكعبة. 96 البيت وما سوى ذلك مكة. وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة مكة وبكة والبيت العتيق والبيت الحرام والبلد الأمين والمأمون وأم رحم وأم القرى وصلاح والعرش في رواية وميمون بن مهران: البيت وما حوله بكة وما وراء ذلك مكة وقال أبو مالك وأبو صالح وإبراهيم النخعي وعطية العوفي ومقاتل بن حيان: بكة موضع الله عنه قال: مكة من الفج إلى التنعيم وبكة من البيت إلى البطحاء. وقال شعبة عن المغيرة عن إبراهيم: بكة البيت والمسجد وكذا قال الزهري. وقال عكرمة عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان. وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي عنها وقيل: لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون. قال قتادة: إن الله بك به الناس جميعا فيصلي النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها. وكذا روى أهل الكتاب. وقوله تعالى للذي بكة بكة من أسماء مكة على المشهور قيل: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف والأشبه والله أعلم أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو ويكون من الزاميتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناء آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس فإنه كما ترى الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا

تفسير ابن كثير

في أول سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا. وزعم السدي أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا والصحيح قول علي رضي الله عنه. فأما الحديث في الأرض؟ قال: لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا وذكر تمام الخبر في كيفية بناء إبراهيم البيت وقد ذكرنا ذلك مستقصى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعة قال: قام رجل إلى علي رضي الله عنه فقال: ألا تحدثني عن البيت أهو أول بيت وضع عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك قال: كانت البيوت قبله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله. وحدثنا أبي البخاري ومسلم من حديث الأعمش به. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا سعيد بن سليمان عن شريك عن مجالد عن الشعبي قلت: ثم أي؟ قال المسجد الأقصى قلت: كم بينهما؟ قال أربعون سنة قلت: ثم أي قال ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد وأخرجه أحمد: حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال المسجد الحرام ولا يحججون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه ولهذا قال تعالى مبارك أي وضع مباركا وهدي للعالمين وقد قال الإمام إليه ويعتكفون عنده للذي ببكة يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون

عنه: لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين. 97 مات يهوديا أو نصرانيا وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه. وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر حدثني عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه وقال البخاري: هلال هذا منكر الحديث. وقال ابن عدي: هذا الحديث ليس بمحفوظ. وقد روى أبو بكر الإسماعيلي الحافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي به وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال وهلال مجهول والحارث يضاعف في هذا الحديث. بن الفياض حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني فذكره بإسناده مثله ورواه الترمذي عن محمد بن علي القطعي عن مسلم بن إبراهيم عن هلال بن عبد الله مولى إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي حدثنا هلال صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديا أو نصرانيا وذلك بأن الله قال ولله على الناس حج البيت من استطاع بن إبراهيم وشاذ بن فياض قال: حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله غني عن العالمين وروى ابن أبي نجيع عن مجاهد نحوه. وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود حدثنا مسلم صلى الله عليه وسلم إن الله فرض على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا فقالوا: لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا قال الله تعالى ومن كفر فإن الله عن عكرمة قال: لما نزلت ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود: فنحن مسلمون قال الله عز وجل فأخضهم فجحهم يعني فقال لهم النبي عن العالمين قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه. وقال سعيد بن منصور عن سفيان عن ابن أبي نجيع عن أبي جناب يعني الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: من استطاع إليه سبيلا قال: قال الزاد والبغير وقوله تعالى ومن كفر فإن الله غني قوله تعالى من استطاع إليه سبيلا قال: من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلا. وعن عكرمة مولاة أنه قال: السبيل الصحة وروى وكيع بن الجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد الحج فليتعجل ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي معاوية الصريه به. وقد روى وكيع وابن جرير عن ابن عباس في فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له وقال أحمد أيضا: حدثنا أبو معاوية حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي عن مهران بن أبي صفوان عن ابن عباس قال: قال إسرائيل الملائني عن فضيل يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجلوا إلى الحج يعني الفريضة ما السبيل؟ قال الزاد والراحلة ورواه وكيع في تفسيره عن سفيان عن يونس به وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق أنبانا الثوري عن إسماعيل وهو أبو حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا فقالوا: يا رسول الله الله عز وجل من استطاع إليه سبيلا فليل ما السبيل؟ قال الزاد والراحلة ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث. ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة ولكن في أسانيدنا مقال كما هو مقرر في كتاب الأحكام والله أعلم. وقد اعتنى الحافظ أبو بكر وقد روى عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والربيع بن أنس وقاتادة نحو ذلك وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى من حديث صلى الله عليه وسلم فقال له ما السبيل؟ قال الزاد والراحلة وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير به ثم قال ابن أبي حاتم: بن عبد الله العامري حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن محمد بن عباد بن جعفر قال: جلست إلى عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات سوى الجوزي هذا وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث لكن قد تابعه غيره فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبدالعزيز وهو الجوزي قال الترمذي: ولا يرفعه إلا من حديثه وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه كذا قال ههنا وقال في كتاب الحج: هذا حديث حسن لا يشك أفضل يا رسول الله؟ قال العج والثج فقام آخر فقال: ما السبيل يا رسول الله؟ قال الزاد والراحلة هكذا رواه ابن ماجه من حديث إبراهيم بن يزيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من الحاج يا رسول الله؟ قال الشعث التفل فقام آخر فقال أي الحج في كتب الأحكام. قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد الرحمن بن حميد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا إبراهيم بن يزيد قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث

تفسير ابن كثير

ثم ظهور الحصر يعني ثم الزمن ظهر الحصر ولا تخرج من البيوت وأما الاستطاعة فأقسام تارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه وتارة بغيره كما هو مقرر الأبد . وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه في حجته هذه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر عن سراقه بن مالك قال: يا رسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ قال لا بل للأبد وفي رواية بل لأبد عن أنس بن مالك قال: قالوا: يا رسول الله الحج في كل عام؟ قال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولولم تقوموا بها لعذبتم . وفي الصحيحين البخاري قال: لم يسمع أبو البخري من علي وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبي سفيان عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وكذا رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به ثم قال الترمذي: حسن غريب. وفيما قال نظر لأن سبيلا قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ فسكت قالوا يا رسول الله في كل عام؟ قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا حدثنا منصور بن وردان عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن أبيه عن البخري عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه وابن ماجه والحاكم من حديث الزهري به ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه. وروى من حديث أسامة بن زيد. وقال الإمام أحمد: الله أفي كل عام؟ فقال لو قتلها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فهو تطوع رواه أحمد وأبو داود والنسائي ابن عباس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال: يا رسول نحوه. وقد روى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبي حفصة عن الزهري عن أبي سنان الدؤلي واسمه يزيد بن أمية عن واختلافهم على أنبيائهم وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه. ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون به قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد الحج والعمرة لله والأولى أظهر. وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا وإنما به عبد بن المؤمل وليس بالقوي. وقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا هذه آية وجوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هي قوله وأتموا عن عطاء عن عبد الله بن عباس: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا له ثم قال: تفرد أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن سليمان بن الواسطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن بن أبي عياش عن يحيى بن جعدة بن هيرة في قوله تعالى ومن دخله كان آمنا قال: آمنا من النار وفي معنى هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي. أخبرنا نحوه وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أزهري السمان حدثنا بشر بن عاصم عن زريق بن مسلم الأعمى مولى بني مخزوم حدثني زياد رواه الإمام أحمد وهذا لفظه والتزمي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن صحيح وكذا صحح من حديث ابن عباس نحوه. وروى أحمد عن أبي هريرة الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بالحروره بسوق مكة يقول والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة. رواه مسلم. وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول فقيل لأبي شريح ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح إن الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة وعن جابر رضي الله عنه قال: الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب إن مكة حرمتها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص بقتل رسول الله صلى قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به: أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال عن أبي هريرة مثله أو نحوه ولهما واللفظ لمسلم أيضا عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: أذن لي أيها الأمير أن أحدثك شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلي خلاها فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليبوتهم فقال إلا الإذخر ولهما فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قلبي ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقال يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والأرض الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا. ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيذه عن أوكاره وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها كما ثبتت ولا يسقى فإذا خرج أخذ بذنبه. وقال الله تعالى أولم يروا أننا جعلنا حراما آمنا ويتخطف الناس من حولهم الآية. وقال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي أبو يحيى التميمي عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى ومن دخله كان آمنا قال: من عاذ بالبيت أعاده البيت ولكن لا يؤوى ولا يطعم وغيره: كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيج حتى يخرج. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا مجاهد وقوله تعالى ومن دخله كان آمنا يعني حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية كما قال الحسن البصري عمرو: الحجر كله مقام إبراهيم: وروى عن سعيد بن جبيرة أنه قال: الحج مقام إبراهيم هكذا رأيته في النسخة ولعله الحجر كله مقام إبراهيم. وقد صرح بذلك سعيد وعمرو الأودي قالا: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى مقام إبراهيم قال: الحرم كله مقام إبراهيم ولفظ

تفسير ابن كثير

بن حيان وغيرهم. وقال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة: وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو مقام إبراهيم أي فمنهم مقام إبراهيم والمشارع وقال مجاهد أثر قدميه في المقام آية بينة وكذا روى عن عمر بن عبدالعزيز والحسن وقتادة والسدي ومقاتل من مقام إبراهيم مصلى وقد قدمنا الأحاديث في ذلك فأغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة وقال العوفي عن ابن عباس في قوله فيه آيات بينات إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف. لأن الله تعالى قد أمرك بالصلاة عنده حيث قال واتخذوا به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى فيه آيات بينات أي دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم وإن الله عظمه وشرفه ثم قال تعالى مقام إبراهيم يعني الذي لما ارتفع البناء استعان

الرسول المبشر به بالكذب والجحود والعناد فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون أي وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون. 98
آدم وخاتم الأنبياء ورسول رب الأرض والسماء وقد توعدهم الله على ذلك وأخبرهم بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي سيد ولد للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراد من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم

الرسول المبشر به بالكذب والجحود والعناد فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون أي وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون. 99
آدم وخاتم الأنبياء ورسول رب الأرض والسماء وقد توعدهم الله على ذلك وأخبرهم بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي سيد ولد للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراد من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم

سورة 4

تمام الحديث وهكذا رواه أحمد وأهل السنن عن ابن مسعود في خطبة الحاجة وفيها ثم يقرأ ثلاث آيات هذه منها يا أيها الناس اتقوا ربكم الآية. 1
أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ثم حضهم على الصدقة فقال تصدق رجل من ديناره من درهمه من صاع بره من صاع تمره. وذكره عريهم وفقهم قام فخطب الناس بعد صلاة الظهر فقال في خطبته يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة حتى ختم الآية. ثم قال يا في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه أولئك النفر من مضر. وهم مجتابو النار أي من يراك وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب. ولهذا ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة ليعطف بعضهم على بعض ويحثهم على ضعفائهم. وقد ثبت رقبيا أي هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم كما قال والله على كل شيء شهيد. وفي الحديث الصحيح عبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه غير واحد. وقرأ بعضهم والأرحام بالخفض على العطف على الضمير في به أي تساءلون بالله وبالأرحام كما قال مجاهد وغيره. وقوله إن الله كان عليكم الضحاك: واتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به واتقوا الأرحام إن تقطعوها ولكن بروها وصلوها قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن والضحاك والربيع الله الذي تساءلون به والأرحام أي واتقوا الله بطاعتكم إياه قال إبراهيم ومجاهد والحسن الذي تساءلون به أي كما يقال أسألك بالله وبالحرم. وقال وحواء رجالا كثيرا ونساء ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر. ثم قال تعالى واتقوا شيء في الضلع أعلاه فإن ذهب تقيمه كسرته وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وقوله وبث منها رجالا كثيرا ونساء أي وذرا منها أي من آدم فجعلت نهمتها في الرجل وخلق الرجل من الأرض لجعلت نهمته في الأرض فاحبسوا نساءكم. وفي الحديث الصحيح إن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج فأنس إليها وأنست إليه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا وكيع عن أبي هلال عن قتادة عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل بها من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلقه وهو نائم فاستيقظ فراها فأعجبته ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. يقول تعالى أمرا خلقه بتقواه وهي عبادته وحده لا شريك له ومنها لهم على قدرته التي خلقهم أبي نعيم عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول: سلوني عن سورة النساء فإني قرأت القرآن وأنا صغير ميلا عظيما والثالثة يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ثم ذكر قول ابن مسعود سواء يعني في الخمسة الباقية وروى الحاكم من طريق لبيبن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب الله عليكم والله عليم حكيم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا روى من طريق صالح المري عن قتادة عن ابن عباس قال: ثماني آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولهن يريد الله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا رواه ابن جرير. ثم قال: خمس آيات من النساء لهن أحب إلى من الدنيا جميعا إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وقوله وإن تك حسنة يضاعفها وقوله أنفسهم جاءوك الآية ثم قال: هذا إسناد صحيح إن كان عبدالرحمن سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن ابن مسعود

تفسير ابن كثير

الله لا يظلم مثقال ذرة الآية وإن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية وإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وولو أنهم إذ ظلموا بشئ العبد حدثنا مسعر بن كدام عن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرنى أن لي بها الدنيا وما فيها إن صلى الله عليه وسلم لا حبس وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أبو البخترى عبد الله بن محمد شاعر حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت وروى من طريق عبد الله بن لهيعة عن أخيه عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت سورة النساء قال رسول الله سورة النساء قال العوفي عن ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة. وكذا روى ابن مردويه

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير الآية فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم. 10 الآية انطلق من كان عنده يتييم فعزل طعامه من شرابه وشرابه فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا وتقدم في سورة البقرة من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما عن عثمان بن محمد عن المقرئ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج مال الضعيفين المرأة واليتيم أي أوصيكم بجنتاب مالهما بن علي بن المثنى عن عقبة بن مكرم. قال ابن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر العبدى حدثنا عبد الله بن جعفر الزهري تر أن الله قال: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة عن عقبة بن مكرم وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أحمد الحارث عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث يوم القيامة القوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا قيل يا رسول الله من هم؟ قال ألم اليتيم. وقال ابن مردويه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير حدثنا زياد بن المنذر عن نافع بن نارا وسيصلون سعيرا وقال السدي: يبعث أكل مال اليتيم يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينييه يعرفه كل من رآه يأكل مال فتقذف في أحدهم حتى يخرج من أسفله ولهم جوار وصراخ قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم قال انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير: رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم ثم يجاء بصخرة من نار حدثنا أبي حدثنا عبيدة أخبرنا عبدالعزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله ما رأيت ليلة أسري بك؟ بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات قال ابن أبي حاتم: ثور بن زيد عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال الشرك نارا وسيصلون سعيرا أي إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون نارا تتأجج في بطونهم يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث سليمان بن بلال عن ولهذا قال إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم

كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ومن خرج غازيا في سبيل الله فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة وهذا حديث غريب من هذا الوجه. 100 بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات بعد قوله فهو شهيد وإن له الجنة وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن زياد حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن إسحاق عن حميد بن أبي حميد عن عطاء قتل أو رفضته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فهو شهيد. وروى أبو داود من حديث بقية من فضل الله إلى آخره وزاد بالجيش فيدخله الجنة وإما أن يرجع في ضمان الله وإن طالب عبدا فنفصه حتى يرده إلى أهله مع ما نال من أجر أو غنيمة ونال من فضل الله فمات أو الله عليه وسلم يقول إن الله قال من انتدب خارجا في سبيلي غازيا ابتغاء وجهي وتصديق وعدي وإيمانا برسلي فهو في ضمان على الله إما أن يتوفاه بن شريح الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن أبيه حدثنا مكحول عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري أنبأنا أبو مالك قال: سمعت رسول الله صلى بالتنعيم فنزلت هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت الآية. وقال الطبراني حدثنا الحسن بن عروبة البصري حدثنا حيوة إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة فقلت إني لغني وإنى ل ذو حيلة فتجهز يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأدركه الموت وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن سالم عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة بن العيص الزرقى الذي كان مصاب البصر وكان بمكة فلما نزلت وعلى آله وسلم فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم فنزلت ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله الآية. عبد الرحمن بن سليمان حدثنا أشعث هو ابن سوار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنا أنها تعم حكمه مع غيره أن لم يكن ذلك سبب النزول والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا سليمان بن داود مولى عبد الله بن جعفر حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أهله أو ذوي رحمه ولم يكن معي أحد من بني أسد بن عبد العزى ولا أرجو غيره وهذا الأثر غريب جدا فإن هذه القصة مكينة ونزول هذه الآية مدني فلعله أراد قال الزبير: فكننت أتوقعه وأنتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة فما أجزني شيء حزن وفاته حين بلغتنى لأنه قل أحد ممن هاجر من قريش إلا ومعه بعض فنهشته حية في الطريق فمات فنزلت فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحاما حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الخزاعي عن المنذر بن عبد الله عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قتل قصصا فقد استوجب الجنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شعبة الخزاعي دابة فمات فقد وقع أجره على الله أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله يعني بحتف أنفه على فراشه والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل الله عليه وسلم يقول من خرج من بيته مجاهدا في سبيل الله ثم قال وأين المجاهدون في سبيل الله فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله أو لدغته

تفسیر ابن کثیر

حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن محمد بن عبدالله بن عتيك عن أبيه عبدالله بن عتيك قال: سمعت رسول الله صلى أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية أنه لما جاءه الموت ناء بصدرة إلى الأرض التي هاجر إليها. وقال الإمام أحمد تانبا وقال هؤلاء إنه لم يصل بعد فأمرؤا أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها فأمر الله هذه أن تقترب من هذه وهذه أن تبعد فوجدوه يعبد الله فيه فلما ارتحل من بلده مهاجرا إلى البلد الأخرى أدركه الموت في أثناء الطريق فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقال هؤلاء إنه جاء وتسعين نفسا ثم أكمل بذلك العابد المائة ثم سأل عالما هل له من توبة فقال له ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أرشده إلى أن يتحول من بلده إلى بلد أخرى أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه . وهذا عام في الهجرة وفي جميع الأعمال ومنه الحديث الثابت في الصحيحين في الرجل الذي قتل تسعة عليه وآله وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها والسنن من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله أي ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والمسانيد كثيرا وسعة أي من الضلالة إلى الهدى ومن القلة إلى الغنى وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله والله أعلم أنه المنع الذي يتخلص به ويراغم به الأعداء قوله وسعة يعني الرزق قاله غير واحد منهم قتادة حيث قال في قوله يجد في الأرض مراغما وكذا روي عن الضحاك والربيع بن أنس والثوري وقال مجاهد: مراغما كثيرا يعني متزحزا عما يكره وقال سفيان بن عيينة مراغما كثيرا يعني بروجوا والظاهر العرب راغم فلان قومه مراغما ومراغمة قال النابغة قال جعدة. كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمهرب وقال ابن عباس: المراغم التحول من أرض إلى أرض. كثيرا وسعة وهذا تحريض على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه والمراغم مصدر تقول وقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما

يُصلي الإمام ببطانة ركعة ثم يجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء وهؤلاء إلى مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعة فيكون للإمام ركعتان ولكل طائفة ركعة ركعة. 101 حدثنا شعبة عن سماك الحنفي قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال: ركعتان تمام غير قصر إنما القصر في صلاة المخافة فقلت وما صلاة المخافة ؟ فقال: واحتج على قصر الصلاة في السفر بفعل الشارع لا بنص القرآن وأصرح من هذا ما رواه ابن جرير أيضا. حدثنا أحمد بن الوليد القرشي حدثنا محمد بن جعفر وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل عملا عملنا به فقد سمي صلاة الخوف مقصورة وحمل الآية عليها لا على قصر صلاة المسافرين وأقره ابن عمر على ذلك شهاب عن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد أنه قال لعبدالله بن عمر: إنا نجد في كتاب الله قصر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة المسافرين فقال عبدالله: إنا قال بعد ما حكاه من الأقوال في ذلك وهو الصواب. وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبدالله بن عبدالحكم حدثنا ابن أبي فديك حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن فهم بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم. روى ذلك ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن مجاهد والسدي وعن جابر وابن عمر واختار ذلك أيضا فإنه بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الظهر بأربع ركعات بركوعهم وسجودهم وقيامهم معا جميعا يفتنوه عن الصلاة فالتقصير ركعة وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم الآية أن الصلاة إذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام التقصير لا يحل إلا أن يخاف من الذين كفروا أن جناح أن تقصروا من الصلاة قال: ذاك عند القتال يصلي الرجل الراكب تكبيرتين حيث كان وجهه وقال أسباط عن السدي في قوله وإذا ضربتم في الأرض في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إلى قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا وهكذا قال جوير عن الضحاك في قوله فليس عليكم فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية فبين المقصود من القصر ههنا وذكر صفته وكيفيته ولهذا لما عقد البخاري كتاب صلاة الخوف صدره بقوله تعالى وإذا ضربتم فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة قصر الكيفية كما في صلاة الخوف ولهذا قال إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الآية ولهذا قال بعدها وإذا كنت عباس وعائشة على أن صلاة السفر ركعتان وأنها تامة غير مقصورة كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه وإذا كان كذلك فيكون المراد بقوله تعالى أصل الصلاة ركعتان ولكن زيد في صلاة الحضر فلما استقر ذلك صح أن يقال إن فرض صلاة الحضر أربع كما قاله ابن عباس والله أعلم لكن اتفق حديث ابن ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد عن طاوس نفسه فهذا ثابت بن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي ما تقدم من عائشة رضي الله عنها لأنها أخبرت أن نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة فكما يصلي في الحضر قبلها وبعدها فكذلك يصلي في السفر. ورواه بن عبدالله الشكري زاد مسلم والنسائي وأيوب بن عائذ كلاهما عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبدالله بن عباس قال: فرض الله الصلاة على لسان عن زبيد عن عبدالرحمن عن كعب بن عجرة عن عمر فالحق أعلم. وقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي عوانة الوضاح أبي يعلى الموصلي من طريق الثوري عن زبيد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن الثقة عن عمر فذكره وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد وفي غيره وهو الصواب إن شاء الله وإن كان يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي قد قالوا إنه لم يسمع منه وعلى هذا أيضا فقال فقد وقع في بعض طرق من طرق عن زبيد اليامي به وهذا إسناد على شرط مسلم وقد حكم مسلم في مقدمة كتابه بسماع ابن أبي ليلى عن عمر وقد جاء مصرحا به في هذا الحديث وصلاة الفطر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه أحمد حدثنا وكيع وسفيان وعبدالرحمن عم زبيد اليامي عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن عمر رضي الله عنه قال: صلاة السفر ركعتان وصلاة الأضحية ركعتان يكون المراد بالقصر ههنا قصر الكمية لأن ما هو الأصل لا يقال فيه فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أصرح من ذلك دلالة على هذا ما رواه الإمام

تفسير ابن كثير

التنيسي ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعني والنسائي عن قتيبة أربعتهم عن مالك به قالوا فإذا كان أصل الصلاة في السفر هي الثنتين فكيف أنها قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. وقد روى هذا الحديث البخاري عن عبد الله بن يوسف وهو قول مجاهد والضحاك والسدي كما سيأتي بيانه واعتضدوا أيضا بما رواه الإمام مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها فهذه الأحاديث دالة صريحا على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف ولهذا قال من قال من العلماء إن المراد من القصر ههنا إنما هو قصر الكيفية لا الكمية فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان. ورواه البخاري أيضا من حديث الثوري عن الأعمش به وأخرجه مسلم من طرق عنه منها عن قتيبة كما تقدم. عنه فاسترجع ثم قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين حدثنا إبراهيم سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات فقليل في ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله بكر وعمر وعثمان صدرا من إمارته ثم أتمها وكذا رواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به وقال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا عبد الواحد عن الأعمش وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عبيد الله أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين وأبي حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو إسحاق سمعت حارثة بن وهب قال: صلى الله عليه وسلم بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ما كان بمنى ركعتين. عليه وسلم الظهر والعصر بمنى أكثر ما كان الناس وأمنه ركعتين. ورواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن ابن أبي إسحاق السبيعي عنه به ولفظ البخاري يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي به وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: صليت مع النبي صلى الله من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة قلت: أقمتكم بمكة شيئا قال: أقمتنا بها عشرة. وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن صحيح وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يحيى بن أبي إسحاق قال سمعت أنسا يقول: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زاذان عن محمد بن سيرين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين فصلى ركعتين ثم قال الترمذي بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قلت وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن هشيم عن منصور عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد الحذاء عن عبد الله بن عون به. قال أبو عمر بن عبد البر وهكذا رواه أيوب وهشام ويزيد بن إبراهيم التستري عن محمد ابن سيرين عن ابن عباس قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ونحن آمنون لا نخاف بينهما ركعتين ركعتين. وهكذا رواه النسائي ابن عمر عن ركعتين في السفر فقال: هي رخصة نزلت من السماء فإن شئتم فردوها. وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون حدثنا ابن عون عن وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى حدثنا علي بن محمد بن سعيد حدثنا مناجب حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن أبي الوداك قال: سألت قال سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال: ركعتان فقلت أين قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ونحن آمنون فقال: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح من حديث عمر ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ورجاله معروفون. وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بن مغول عن أبي حنظلة الحذاء السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار به. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وقال علي بن المديني هذا حديث حسن عنه: عجت مما عجت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صداقته. وهكذا رواه مسلم وأهل عمر بن الخطاب قلت له قوله ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال لي عمر بن الخطاب رضي الله اللاتي في حجوركم من نسائكم الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس حدثنا ابن جريج عن أبي عمار عن عبد الله بن ربيعة عن يعلى بن أمية قال: سألت وأهله والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب أو على حادثه فلا مفهوم له كقوله تعالى ولا تكثرها فتياكم على البغاء إن أردن تحصنا وكقوله تعالى وربائبكم هذه الآية فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة بل ما كانوا ينهضون إلا إلى غزو عام أو في سرية خاصة. وسائر الأحيان حرب للإسلام أبي حنيفة والثوري وداود لعموم الآية وخالفهم الجمهور وأما قوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول فهذا مرسل. ومن قائل يكفي مطلق السفر سواء كان مباحا أو محظورا حتى لو خرج لقطع الطريق وإخافة السبيل ترخص لوجود مطلق السفر وهذا قول قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم قال: جاء رجل فقال يا رسول الله إنى رجل تاجر أختلف إلى البحرين فأمره أن يصلي ركعتين مخمصة غير متجانف لإثم الآية كما أباح له تناول الميتة مع الاضطراب بشرط أن لا يكون عاصيا بسفره وهذا قول الشافعي وأحمد وغيرهما من الأئمة وقد عن مالك في رواية عنه نحوه لظاهر قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ومن قائل لا يشترط سفر القرية بل لابد أن يكون مباحا لقوله فمن اضطر في اختلافهم في ذلك فمن قائل لابد أن يكون سفر طاعة من جهاد أو حج أو عمرة أو طلب علم أو زيارة أو غير ذلك كما هو مروي عن ابن عمر وعطاء ويحيى أن تقصروا من الصلاة أي تخففوا فيها إما من كميتها بأن تجعل الرباعية ثنائية كما فهمه الجمهور من هذه الآية واستدلوا بها على قصر الصلاة في السفر على أي سافرت في البلاد كما قال تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله الآية وقوله فليس عليكم جناح يقول تعالى وإذا ضربتم في الأرض

مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم أي بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم إليها لبستموها بلا كلفة إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا. 102 عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية وهو أحد قولي الشافعي ويدل عليه قول الله تعالى ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم بن مردويه في سرد طرقه وألفاظه وكذا ابن جرير ولنحرره في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول فصلت ركعة ركعة وهذا الحديث رواه الجماعة في كتبهم من طريق معمر به ولهذا الحديث طرق كثيرة عن الجماعة من الصحابة وقد أجاد الحافظ أبو بكر

تفسير ابن كثير

على العدو وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة أخرى ثم سلم بهم ثم قامت كل طائفة منهم عن أبيه قال وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة قال هي صلاة الخوف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مقبلة جماعة كثيرون في الصحيح والسنن والمسانيد. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك أنبأنا معمر عن الزهري عن سالم وأله وسلم ركعتين ولهم ركعة ورواه النسائي من حديث شعبة ولهذا الحديث طرق عن جابر وهو في صحيح مسلم من وجه آخر بلفظ آخر وقد رواه عن جابر هؤلاء حتى قاموا في مقام أولئك حتى قاموا في مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى ركعة وسجدتين ثم سلم فكانت للنبي صلى الله عليه جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم صلاة الخوف فقام صف بن يديه وصف خلفه فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين ثم تقدم ركعتين وللقوم ركعة ركعة ثم قرأ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن الحكم عن يزيد الفقير عن بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس وسلم وسلم الذين خلفه وسلم أولئك فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد بهم سجدتين ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عند القتال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال إذ أقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى فصف بطائفة وطائفة وجهها قبل العدو فصلى بهم عمر بن الهيثم حدثنا المسعودي عن يزيد الفقير قال: سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين في السفر أقصرهما فقال: الركعتان في السفر تمام إنما القصر واحدة فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين تفرد به من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو قطن الذين معه ركعتين وانصرفوا فكانوا مكان الطائفة الذين كانوا بإزاء العدو ثم انصرف الذين كانوا بإزاء العدو فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فكان الناس طائفتين طائفة بإزاء العدو وطائفة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالطائفة إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قال لا ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فقال جنتكم من عند خير الناس فلما حضرت الصلاة من يمنعني قال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ومن يمنعني قال: كن خير أخذ قال أتشهد أن لا قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب حفصة فجاء رجل منهم يقال له غوث بن الحارث حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال: وأمر المؤمنين بأخذ السلاح. ورواه الإمام أحمد فقال: حدثنا شريح حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس الليشكري عن جابر بن عبد الله قال: فصلى بهم ركعتين والآخرين يحرسونهم ثم سلم فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين فيومئذ أنزل الله في إقصار الصلاة من القوم وطائفة أخرى تحرسهم فصلى الله عليه وسلم بالذين يلونه ركعتين ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا في مصاف أصحابهم ثم جاء الآخرون قال الله يمنعي منك قال: فسل السيف ثم تهدده وأوعده ثم نادى بالترجل وأخذ السلاح ثم نودي بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة لقريش آتية من الشام حتى إذا كنا بنخلة جاء رجل من القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد هل تخافني قال لا قال فمن يمنعني حدثني أبي عن قتادة عن سليمان بن قيس الليشكري أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة أي يوم أنزل أو أي يوم هو فقال جابر: انطلقنا ننقل عيرا إخوانهم وأنت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم في الصلاة ولكن يحرس بعضهم بعضا وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا معاذ بن هشام قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الناس معه فكبر وكبروا معه وركع وركع ناس منهم ثم سجد وسجدوا معه ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا البخاري حيث قال: حدثنا حيوة بن شريح حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عن جرير بن عبد الحميد والنسائي من حديث شعبة وعبد العزيز بن عبد الصمد كلهم عن منصور به وهذا إسناد صحيح وله شواهد كثيرة فمن ذلك ما رواه الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم. ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه وهكذا رواه أبو داود عن سعيد بن منصور الله عليه وسلم والصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف. قال: فصلاها رسول الله صلى الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ثم ركع فركعوا جميعا ثم رفع فرفعوا جميعا ثم سجد النبي صلى قال: ثم ركع فركعنا جميعا ثم رفع فرفعوا جميعا ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس بين الظهر والعصر وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة قال فحضرت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح قال: فصفا خلفه صفين الله صلى الظهر فقالوا لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أنبائهم وأنفسهم قال فنزل جبريل بهذه الآيات عن أبي عياش الزرقى قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا رسول أبي عياش الزرقى واسمه زيد بن الصامت رضي الله عنه عند الإمام أحمد وأهل السنن فقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد قال فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا الآيتين فنزلت صلاة الخوف وهذا سياق غريب جدا ولكن لبعضه شاهد من رواية صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم إن لهم أخرى مثلها في أثرها فكيف نصلي فأنزل الله عز وجل وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه قال: سألت قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إنا نضرب في الأرض من منعنا منهم ولنذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة أولا قبل ذكر صفتها قال ابن جرير حدثني ابن المثنى حدثني إسحاق حدثنا عبد الله بن هاشم أنبأنا سيف بأيدينا على من نراه ولا ندفعها إلا إلى من صلاته أي دعاؤه سكن لنا ومع هذا رد عليهم الصحابة وأبوا عليهم هذا الاستدلال وأجبروهم على أداء الزكاة وقاتلوا

تفسير ابن كثير

من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم قالوا فنحن لا ندفع زكّاتنا بعده صلى الله عليه وسلم إلى أحد بل نخرجها نحن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله وإذا كنت فيهم فبعده فتوت هذه الصفة فإنه استدلال ضعيف ويرد عليه مثل قول مانعي الزكاة الذين احتجوا بقوله خذ من هذه الآية الكريمة حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة فلولا أنها واجبة ما ساع ذلك وأما من استدلل بهذه الآية على أن صلاة الخوف منسوخة بعد فرادى ورجالا وركبانا مستقبلي القبله وغير مستقبليها ثم ذكر حال الاجتماع والإنتماء بإمام واحد وما أحسن ما استدلل به من ذهب إلى وجوب الجماعة تعالى وإذا كنت فيهم فأقم لهم الصلاة أي إذا صليت بهم إماما في صلاة الخوف وهذه حاله غير الأولى فإن تلك قصرها إلى ركعة كما دل عليه الحديث وهذا غريب جدا وقد ثبت الأحاديث بعد الخندق بصلاة الخوف وحمل تأخير الصلاة يومئذ على ما قاله مكحول والأوزاعي أقوى وأقرب والله أعلم فقوله كل العجب أن المزي وأبا يوسف القاضي وإبراهيم بن إسماعيل بن عليّة ذهبوا إلى أن صلاة الخوف منسوخة بتأخيرها عليه الصلاة والسلام يوم الخندق بن سعد كاتبه وخليفة بن الخطاب وغيرهم وقال البخاري وغيره كانت ذات الرقاع بعد الخندق لحديث أبي موسى وما قدم إلا في خيبر والله أعلم. والعجب لأن غزوة ذات الرقاع كانت قبل الخندق في قول جمهور علماء السير والمغازي وممن نص على ذلك محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي ومحمد ولكن كان ذلك في إمارة عمر بن الخطاب ولم ينقل أنه أنكر عليهم ولا أحد من الصحابة والله أعلم قال هؤلاء وقد كانت صلاه الخوف مشروعة في الخندق لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وكأنه المختار لذلك والله أعلم. ولمن جرح إلى ذلك له أن يحتج بصنيع أبي موسى وأصحابه يوم فتح تستر فإنه يشتهر غالبا مع أبي موسى ففتح لنا قال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها انتهى ما ذكره ثم أتبعه بحديث تأخير الصلاة يوم الأحزاب ثم بحديث أمره إياهم أن أنس بن مالك: حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن القتال أو يأمنوا فيصلوا ركعتين فإن لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين فإن لم يقدروا فلا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا وبه قال مكحول وقال ولقاء العدو قال الأوزاعي إن كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماء كل امرئ لنفسه فإن لم يقدروا على الإيماء أخرها الصلاة حتى ينكشف أبي سعيد الخدري الذي رواه الشافعي رحمه الله وأهل السنن ولكن يشكل عليه ما حكاه البخاري في صحيحه حيث قال باب الصلاة عند مناهضة الحصون من الطائفة الملعونة اليهود. وأما الجمهور فقالوا هذا كله منسوخ بصلاة الخوف فإنها لم تكن نزلت بعد فلما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك وهذا أبين في حديث إلى إصابة الحق في نفس الأمر وإن كان الآخرون معذورين أيضا والحجة ههنا في عذرهم في تأخير الصلاة لأجل الجهاد والمبادرة إلى حصار الناكثين للعهد في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين وقد تكلمنا على هذا في كتاب السيرة وبيننا أن الذين صلوا العصر لوقتها أقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل المسير ولم يرد منا تأخر الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها في الطريق وأخر آخرون منهم صلاة العصر فصلوها بعدها يوم بني قريظة حين جهز إليهم الجيش لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة فأدركتهم الصلاة في أثناء الطريق فقال منهم قائلون: لم يرد منا لعذر القتال والمناجزة كما أخر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب الظهر والعصر فصلاهما بعد الغروب ثم صلى بعدهما المغرب ثم العشاء وكما قال فلا يتركها في نفسه يعني بالنية رواه سعيد بن منصور في سننه عن إسماعيل بن عياش عن شعيب بن دينار عنه قاله أعلم. ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة على ظاهره في الاجتزاء بتكبير واحدة كما هو مذهب إسحاق بن راهويه وإليه ذهب الأمير عبد الوهاب بن بخت المكي حتى قال: فإن لم يقدر على التكبير أحمد بن حنبل وأصحابه وبه قال جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وكعب وغير واحد من الصحابة والسدى ورواه ابن جرير ولكن الذين حكوه إنما حكوه فيجزيك ركعة واحدة توميء بها إيماء. فإن لم تقدر فسجدة واحدة لأنها ذكر الله وقال آخرون يكفي تكبيرة واحدة فلعلة أراد ركعة واحدة كما قاله الإمام أبو عصام العبادي عن محمد بن نصر المروزي أنه يرى رد الصبح إلى ركعة في الخوف وإليه ذهب ابن حزم أيضا وقال إسحاق بن راهويه: أما عند المسابقة وبه قال أحمد بن حنبل قال المنذري في الحواشي وبه قال عطاء وجابر والحسن ومجاهد والحكم وقتادة وحماد وإليه ذهب طاوس والضحاك وقد حكى ولهم أن يمشوا والحالة هذه ويضربوا الضرب المتتابع في متن الصلاة. ومن العلماء من قال: يصلون والحالة هذه ركعة واحدة لحديث ابن عباس المتقدم. وصلاة السفر ثم تارة يصلون جماعة وتارة يلتحم الحرب فلا يقدر على الجماعة بل يصلون فرادى مستقبلي القبله وغير مستقبليها ورجالا وركبانا الخوف أنواع كثيرة فإن العدو تارة يكون تجاه القبله وتارة يكون في غير صوبها والصلاة تكون رباعية وتارة تكون ثلاثية كالمغرب: وتارة تكون ثنائية كالصبح صلاة

كوقت الحج وقال زيد بن أسلم إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال منجما كلما مضى نجم جاء نجم يعني كلما مضى وقت وجاء وقت. 103
علي والحسن ومقاتل والسدي وعطية العوفي وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتا كتابا موقوتا قال ابن عباس أي مفروضا وقال أيضا: أن للصلاة وقتا كوقت الحج وكذا روى عن مجاهد وسالم بن عبد الله وعلي بن الحسين ومحمد بن فأقيموا الصلاة أي فأتوموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها وخشوعها وركوعها وسجودها وجميع شؤونها وقوله تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم أي في سائر أحوالكم ثم قال تعالى فإذا اطأتم فاقموا الصلاة أي فإذا أمنتكم وذهب الخوف وحصلت الطمأنينة الحرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وإن كان هذا منهيا عنه في غيرها ولكن فيها أكد لشدة حرمتها وعظمتها ولهذا قال تعالى فإذا قضيت الصلاة فاذكروا ولكن ها هنا أكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها كما قال تعالى في الأشهر يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف وإن كان مشروعا مرغبا فيه أيضا بعد غيرها

وكان الله عليما حكيما أي هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويمضيه من أحكامه الكونية والشرعية وهو المحمود على كل حال. 104

تفسير ابن كثير

كتابه وعلى لسان رسوله صلى وهو وعد حق وخبر صدق وهم لا يرجون شيئا من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلانها من الله ما لا يرجون أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم والجراح والآلام ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في فإنهم يألمون كما تألمون أي كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال تعالى وترجون وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم أي لا تضعفوا في طلب عدوكم بل جدوا فيهم وقتلوهم واقعدوا لهم كل مرصد إن تكونوا تألمون فقال: الله المستعان فلم نلبث أن نزل القرآن: إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما يعني بني أبيرق. 105 مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فكلمته فقال عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت قال قتادة: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم سآمر في ذلك فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له أسيد بن عروة فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا فاما الطعام فلا حاجة لنا فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ففعلوا فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أهل بيت سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة قالوا: إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسلنا في الدار حتى لم نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم قال: وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجلا منا له صلاح وإسلام فلما قد عدى علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا قال فتحسسنا في الدار وسألنا فقبل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا له وفي المشربة سلاح ودرع وسيف فعدى عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح فلما أصبح أتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي إنه الرجل منها فخص بها نفسه وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعه بن زيد حملا من الدرهم فجعله في مشربة حاجة وفاقاة في الجاهلية والإسلام وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرهم ابتاع الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الرجل الخبيث أو كما قال الرجل وقالوا ابن الأبيرق قالها قالوا وكانوا أهل بيت الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله لبعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا وقال فلان كذا وكذا فإذا سمع أصحاب رسول بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا يقول من جامعه وابن جرير في تفسيره: حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم نزلت في سارق بني أبيرق على اختلاف سياقاتهم وهي متقاربة وقد روى هذه القصة محمد بن إسحاق مطولة فقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية بهتاناً وإنما مبینا يعني السارق والذين جادلوا عن السارق وهذا سياق غريب وقد ذكر مجاهد وعكرمة وقاتدة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنها يعمل سوءاً أو يظلم نفسه الآية يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب ثم قال ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم برينها فقد احتمل بالكذب يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآيتين. يعني الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين ثم قال عز وجل ومن واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم الآية ثم قال تعالى للذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤس الناس فأنزل الله إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما الله إن صاحبنا برئ وإن صاحب الدرع فلان وقد أخطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رءوس الناس وجادل عنه فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك فقام رسول بيت رجل برئ وقال لنفر من عشيرته إني غيبته الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده فانطلقوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقالوا: يا نبي بها رجل من الأنصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعي فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في روى ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن نفرا من الأنصار غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فسرقت درع لأحدهم فأظن ثم استهما ثم ليحل كل منكما صاحبه وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به وزاد إني إنما أقضى بينكما برأي فيما لم ينزل علي فيه وقد في عنقه يوم القيامة فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقي لأخي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إذا قلتما فاذهبا فاقتما ثم توخيا الحق بينكما يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاما الله عليه وسلم في موارث بينهما قد درست ليس عندهما بينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن أو ليزرها وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أقضي بنحو مما أسمع ولعل أحكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال ألا وقوله لتحكم بين الناس بما أراك الله احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان صلى الله عليه وسلم أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وبما ثبت في الصحيحين يقول تعالى مخاطبا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق أي هو حق من الله وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه واستغفر الله أي مما قلت لقتادة إن الله كان غفورا رحيما. 106

تفسير ابن كثير

عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق بمعناه أتم منه وفيه الشعر ثم قال: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. 107

بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إسرائيل وقد روى هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه المستدرک عن ابن العباس الأصم عن أحمد بن يعقوب كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني عن محمد بن سلمة به ثم قال في آخره قال محمد بن سلمة سمع مني هذا الحديث يحيى الصائغ حدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني حدثنا محمد بن سلمة فذكره بطوله ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في تفسيره عن محمد بن عياش بن أيوب والحسن عن أبيه عن جده ورواه ابن أبي حاتم عن هاشم بن القاسم الحراني عن محمد بن سلمة به ببعضه ورواه ابن المنذر في تفسيره حدثنا محمد بن إسماعيل يعني لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني ورواه يونس بن بكير وغير واحد عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسل لم يذكروا فيه شعر فأخذت رحله فوضعت على رأسها ثم خرجت به فرمته في الأبطح ثم قالت: أهديت لي شعر حسان ما كنت تأتيني بخير. لفظ الترمذي هذا حديث غريب الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا فلما نزل على سلافة بنت سعد هجاها حسان بن ثابت بأبيات من بنت سعد بن سمية أنزل الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا إن إسلامه مدخولا فلما أتته بالسلاح قال: يا ابن أخي هي في سبيل الله فعرفت أن إسلامه كان صحيحا فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشرکين فنزل على سلافة عليه وعلى آله وسلم بالسلاح فردّه إلى رفاعة فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح وكان سيخا قد عمى أو عشى الشك من أبي عيسى في الجاهلية وكنت أرى مبينا قوله للبيد ولولا فضل الله عليك ورحمته إلى قوله فسوف نؤتيه أجرا عظيما فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إلى قوله رحيمًا أي لو استغفروا الله لغفر لهم ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه إلى قوله إثمًا على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم ولهذا قال وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا تهديد لهم ووعد. 108

من الناس ولا يستخفون من الله الآية هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم ويجاهرون الله بها لأنه مطلع وقوله تعالى يستخفون

السر وأخفى ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ يوم القيامة في ترويح دعواهم أي لا أحد يومئذ يكون لهم وكيلا ولهذا قال أم من يكون عليهم وكيلا. 109

في الدنيا بما أبدوه أو أبدى لهم عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر وهم متعبدون بذلك فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى الذي يعلم ثم قال تعالى ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا الآية. أي هب أن هؤلاء انتصروا

فرض من الله حكم به وقضاه والله عليم حكيم الذي يضع الأشياء في محالها ومعطي كلا ما يستحقه بحسبه ولهذا قال إن الله كان عليما حكيمًا. 11

وساويًا بين القسمين في أصل الميراث والله أعلم وقوله فريضة من الله أي هذا الذي ذكرناه من تفصيل الميراث وإعطاء بعض الورثة أكثر من بعض هو بالعكس ولذا قال آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي أن النفع متوقع ومرجو من هذا كما هو متوقع ومرجو من الآخر فلها فرضنا لهذا وهذا عن ابن عباس إنما نسخ الله ذلك إلى هذا ففرض لهؤلاء بحسبهم لأن الإنسان قد يأتيه النفع الدنيوي أو الآخروي أو هما من أبيه مالا يأتيه من ابنه وقد يكون في أصل الميراث على خلاف ما كان عليه الأمر في الجاهلية وعلى خلاف ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من كون المال للولد وللأبوين الوصية كما تقدم كان حافظا للفرائض معنتيا بها وبالحساب فالله أعلم وقوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي إنما فرضنا للأب والأبناء وساويًا بين الكل دون بني العلات يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه. ثم قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث الحارث وقد تكلم فيه بعض أهل العلم قلت لكن أبي طالب قال: إنكم تقرؤون من بعد وصية يوصي بها أو دين وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية وإن أعيان بني الأم يتوارثون النظر يفهم من فحوى الآية الكريمة وروى أحمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفاسير من حديث ابن إسحاق عن الحارث بن عبد الله الأعور عن علي بن الكلالة من لا ولد له ولا والد. وقوله من بعد وصية يوصي بها أو دين أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية وذلك عند إمعان لهم دون أبيهم. ثم قال ابن جرير: وهذا قول مخالف لجميع الأمة. وقد حدثني يونس أخبرنا سفيان أخبرنا عمرو عن الحسن بن محمد عن ابن عباس أنه قال: الحسن بن يحيى حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أبي طaus عن أبيه عن ابن عباس قال: السدس الذي حجبته الأخوة الأم لهم إنما حجبوا أمهم عنه ليكون حسن. لكن روى عن ابن عباس بإسناد صحيح أنه كان يرى أن السدس الذي حجبوه عن أمهم يكون لهم وهذا قول شاذ رواه ابن جرير في تفسيره فقال: حدثنا الأخ الواحد عن الثلث ويجبها ما فوق ذلك وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم عن الثلث أن أباهم يلي إنكاحهم ونفقته عليهم دون أمهم وهذا كلام أبي حدثنا عبدالعزيز بن المغيرة حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة نحوه وقوله فإن كان له إخوة فلأمه السدس أضروا بالأم ولا يرثون ولا يحجبها روى عبدالرحمن بن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال: الأخوان تسمى إخوة وقد أفردت لهذه المسئلة جزءا على حدة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا وفي صحة هذا الأثر نظر فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس ولو كان هذا صحيحا عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخفاء به والمنقول عنهم خلافه وقد التفت قال الله تعالى فإن كان له إخوة فالأخوان ليسا بلسان قومك إخوة فقال عثمان: لا أستطيع تغيير ما كان قبلي ومضى في الأمصار وتوارث به الناس. ذكرناه كحكم الإخوة عند الجمهور. وقد روى البيهقي من طريق شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه دخل على عثمان فقال: إن الأخوين لا يردان الأم عن مع ذلك يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس فيفرض لها مع وجودهم السدس فإن لم يكن وارث سواها وسوى الأب أخذ الأب الباقي. وحكم الأخوين فيما والله أعلم. والحال الثالث من أحوال الأبوين وهو اجتماعهما مع الأخوة سواء كانوا من الأبوين أو من الأب أو من الأم فإنهم لا يرثون مع الأب شيئا ولكنهم الباقي بعد ذلك وهو سهم وللأب الباقي بعد ذلك وهو سهمان. ويحكى هذا عن ابن سيرين وهو مركب من القولين الأولين وهو ضعيف أيضا والصحيح الأول

تفسير ابن كثير

فيبقى خمسة للأب. وأما في مسألة الزوج فتأخذ ثلث الباقي لثلاث تأخذ أكثر من الأب لو أخذت ثلث المال فتكون المسألة من ستة: للزوج النصف ثلاثة للأم ثلث فتأخذ ثلثه. والقول الثالث أنها تأخذ ثلث جميع المال في مسألة الزوجة خاصة فإنها تأخذ الربع وهو ثلاثة من اثني عشر وتأخذ الأم الثلث وهو أربعة الفرائض وهذا فيه نظر بل هو ضعيف لأن ظاهر الآية إنما هو إذا استبدت جميع التركة وأما هنا فيأخذ الزوج أو الزوجة الفرض ويبقى الباقي كأنه جميع التركة وروى عن علي ومعاذ بن جبل نحوه. وبه يقول شريح وداود الظاهري واختاره أبو الحسين محمد بن عبدالله بن اللبان البصري في كتابه الإيجاز في علم أنها تأخذ ثلث جميع المال لعموم قوله فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن الآية أعم من أن يكون معها زوج أو زوجة أو لا وهو قول ابن عباس. هذا قول عمر وعثمان وأصح الروايتين عن علي وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور العلماء. والثاني تأخذ ثلث الباقي في المسئلتين لأن الباقي كأنه جميع الميراث بالنسبة إليهما وقد جعل الله لها نصف ما جعل للأب فتأخذ ثلث الباقي ويأخذ الأب الباقي ثلثيه للأم وهو الثلثان فلو كان معهما زوج أو زوجة ويأخذ الزوج النصف والزوجة الربع ثم اختلف العلماء ماذا تأخذ الأم بعد ذلك ؟ على ثلاثة أقواله: أحدها أنها الحال الثاني أن ينفرد الأبوان بالميراث فيفرض للأم الثلث والحالة هذه ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض فيكون قد أخذ ضعفي ما حصل للميت إلا بنت واحدة فرض لها النصف وللأبوين لكل واحد منهما السدس وأخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب ولأبويه لكل واحد منهما السدس إلى آخره الأبوان لهما في الإرث أحوال أحدها أن يجتمعا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس فإن لم يكن واحدة فلها النصف فلو كان للبنتين النصف لنص عليه أيضا فلما حكم به للواحدة على انفرادها دل على أن البنتين في حكم الثلاث والله أعلم وقوله تعالى الأولى. وقد تقدم في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين فدل الكتاب والسنة على ذلك وأيضا فإنه قال وإن كانت كون الثلثين للبنتين من حكم الأختين في الآية الأخيرة فإنه تعالى حكم فيها للأختين بالثلثين وإذا ورث الأختان الثلثين فلأن يرث البنتان الثلثين بالطريق لا هنا ولا هناك فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه وهذا ممتنع: ثم قوله فلهن ثلثا ما ترك لو كان المراد ما قاله لقال فلهما ثلثا ما ترك وإنما استفيد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك قال بعض الناس: قوله فوق زائدة وتقديره فإن كن نساء اثنتين كما في قوله فاضربوا فوق الأعناق وهذا غير مسلم يغني شيئا وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم ويعطونه الأكبر فالأكبر رواه ابن أبي حاتم وابن جرير أيضا وقوله فإن كن عليه وسلم ينسأه أو نقول له فيغير فقالوا: يا رسول الله تعطى الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ويعطى الصبي الميراث وليس أو الثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حظ الأنثيين وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا: تعطى المرأة الربع وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للزوجة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع وقال العوفي عن ابن عباس يوصيكم الله في أولادكم للذكر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال: كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ولدها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ قالوا: لا يا رسول الله قال فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها وقال البخاري ههنا: حدثنا محمد بن يوسف تدور على ولدها فلما وجدته من السبي أخذته فألصقته بصدري وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم لأصحابه أترون هذه طارحة الوالدة بولدها حيث أوصى الوالدين بأولادهم فعلم أنه أرحم بهم منهم كما جاء في الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبي فرق بينها وبين ولدها فجعلت أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى. وقد استنبط بعض الأذكىاء من قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين أنه تعالى أرحم بخلقه من الميراث وفاوت بين الصنفين فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق فناسب للذكر مثل حظ الأنثيين أي يأمركم بالعدل فيهم فإن أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل ولكن ذكرنا الحديث ههنا تبعا للبخاري فإنه ذكره ههنا والحديث الثاني عن جابر أشبه بنزول هذه الآية والله أعلم. فقوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتي فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات ولم يكن له بنات وإنما كان يرث كلاله وأمه الثمن وما بقي فهو لك وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن عبدالله بن محمد بن عقال به قال الترمذي: ولا يعرف إلا من حديثه. إلا ولهما مال قال: فقال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال: أعط ابنتي سعد الثلثين صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدا إن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان قال أحمد: حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله هو ابن عمرو الرقي عن عبدالله بن محمد بن عقال عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج به ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر. حديث آخر في سبب نزول الآية على فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله ؟ فنزلت يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعقل شيئا فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش به الناس كله. وقال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني ابن المنكدر عن جابر بن عبدالله رواه ابن ماجه وفي إسناده ضعيف. وقد روي من حديث ابن مسعود وأبي سعيد وفي كل منهما نظر. قال ابن عيينة: إنما سمى الفرائض نصف العلم لأنه يبتلى وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتي الإفريقي عن عبدالرحمن بن رافع التنوخي عن عبدالله بن عمرو مرفوعا العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة.

تفسير ابن كثير

والله المستعان. وقد ورد الترغيب في تعليم الفرائض وهذه الفرائض الخاصة من أهم ذلك روى أبو داود وابن ماجه من حديث عبدالرحمن بن زياد بن أنعم في ذلك مما هو كالتفسير لذلك. ولنذكر منها ما هو متعلق بتفسير ذلك. وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والأدلة والحجاج بين الأئمة فموضعه كتب الأحكام هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السور هن آيات علم الفرائض وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ومن الأحاديث الواردة

على رغم أنف أبي الدرداء قال: فرأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه بأصبعه هذا حديث غريب جدا من هذا الوجه بهذا السياق وفي إسناده ضعف. 110 وإن زنى وإن سرق ثم استغفر ربه غفر له ؟ قال نعم ثم قلت الثانية قال نعم ثم قلت الثالثة قال نعم وإن زنى وإن سرق ثم استغفر الله غفر الله له الله يجد الله غفورا رحيمًا فأردت أن أبشر أصحابي قال أبو الدرداء وكانت قد شقت على الناس الآية التي قبلها من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الدرداء فأخذ ركوة من ماء فاتبعته فمضى ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته فقال إنه أتاني آت من ربي فقال: إنه من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر يحدث قال: كان رسول الله صلى إذا جلسنا حوله وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع ترك نعليه في مجلسه أو بعض ما عليه وأنه قام فترك نعليه قال أبو حدثنا أحمد بن حازم حدثنا موسى بن مروان الرقي حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي عن تمام بن نجيح حدثني كعب بن زهل الأزدي قال: سمعت أبا الدرداء أبان بن أبي عياش عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث عن علي عن الصديق بنحوه وهذا إسناده لا يصح وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي بن دحيم فأحسن الوضوء ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له لأن الله يقول ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية ثم رواه من طريق بن مهران الدبائغ حدثنا عمر بن يزيد عن عبدخير عن علي قال: سمعت أبا بكر هو الصديق يقول: سمعت رسول الله صلى يقول ما من عبد أذنب فقام فتوضأ آل عمران أيضا وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من وجه آخر عن علي فقال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحراني حدثنا داود وقد تكلمنا على هذا الحديث وعزينا به إلى من رواه من أصحاب السنن وذكرنا ما في سننه من مقال في مسند أبي بكر الصديق وقد تقدم بعض ذلك في سورة يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له وقرأ هاتين الآيتين ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية رسول الله شيئا نفعتني الله فيه بما شاء أن ينفعني منه وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يذنب ذنبا ثم حدثنا شعبة عن عثمان بن المغيرة قال: سمعت علي بن ربيعة من بني أسد يحدث عن أسماء أو ابن أسماء من بني فزارة قال: قال علي 1: كنت إذا سمعت من سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا قال: فمسحت عينها ثم مضت. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن امرأة فجرت فحبلت فلما ولدت قتلت ولدها قال عبدالله بن مغفل لها النار فانصرفت وهي تبكي فدعاها ثم قال ما أرى أمرك إلا أحد أمرين من يعمل الله يجد الله غفورا رحيمًا وقال أيضا: حدثني يعقوب حدثنا هشيم عن ابن عون عن حبيب بن أبي ثابت قال: جاءت امرأة إلى عبدالله بن مغفل فسألته جعل الماء لكم طهورا وقال تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر على بابه وإذا أصاب البول منه شيئا قرضه بالمقراض فقال رجل: لقد أتى الله بني إسرائيل خيرا فقال عبدالله رضي الله عنه: ما آتاكم الله خير مما آتاهم مثني حدثنا محمد بن أبي عدي حدثنا شعبة عن عاصم عن أبي وائل قال: قال عبدالله: كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب أو كبيرا لم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال رواه ابن جرير. وقال ابن جرير أيضا: حدثنا محمد بن فقال تعالى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أخبر الله عباده بعفوه وحلمه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن أذنب ذنبا صغيرا كان يخبر تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان

أحد عن أحد وإنما على كل نفس ما عملت لا يحمل عنها غيرها ولهذا قال تعالى وكان الله عليما حكيما أي من علمه وحكمته وعدله ورحمته كان ذلك. 111 وقوله ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه الآية كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى الآية يعني أنه لا يغنى

أطلع الله على ذلك رسوله صلى ثم هذا التقرير وهذا التوبيخ عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بصفاتهم فارتكب مثل خطيئتهم فعليه مثل عقوبتهم. 112 القبيح ذلك الرجل الصالح وهو لبيد بن سهل كما تقدم في الحديث أو زيد بن السمين اليهودي على ما قاله الآخرون وقد كان بريئا وهم الظلمة الخونة كما ثم قال ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا الآية يعني كما اتهم بنو أبيرق بصنيعهم

تدري ما الكتاب إلى آخر السورة وقال تعالى وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ولهذا قال وكان فضل الله عليك عظيما. 113 أنزل عليه من الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة وعلمك ما لم تكن تعلم أي قبل نزول ذلك عليك كقوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرك ما كنت يكن الأمر كما أنهو إلى رسول الله صلى ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلاءها لرسول الله صلى ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال وعصمته له وما وما يضررونك من شيء يعني أسيد بن عروة وأصحابه يعني بذلك لما أثنوا على بني أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم وهم صلحاء برآء ولم عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان وذكر قصة بني أبيرق فأُنزل الله لهم طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضررونك من شيء وقال الإمام ابن أبي حاتم: أنبأنا هاشم بن القاسم الحراني فيما كتب إلي حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق وقوله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما

يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله أي مخلصا إلى ذلك محتسبا ثواب ذلك عند الله عز وجل فسوف نؤتيه أجرا عظيما أي ثوابا جزيلا كثيرا واسعا. 114

بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا ثم قال البزار وعبدالرحمن بن عبدالله العمري لين وقد حدث بأحاديث لم يتابع عليها ولهذا قال ومن

تفسير ابن كثير

بن عمر حدثنا أبي عن حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب ألا أدلك على تجارة قال: بلى يا رسول الله قال تسعى في إصلاح حديث أبي معاوية وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا شريح بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين قال: وفساد ذات البين هي الحالقة ورواه أبو داود والترمذي من معاوية عن الأعمش عن عمرو بن محمد عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن الزهري به نحوه قال الإمام أحمد: حدثنا أبو يرخس في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. قال: وكانت أم كلثوم بنت بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا وقالت لم أسمعها أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا صالح بن كيسان حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن أمه أم كلثوم بن يزيد بن حنيش عن سعيد بن حسان به ولم يذكر أقوال الثوري إلى آخرها ثم قال الترمذي حديث غريب لا يعرف إلا من حديث ابن حنيش قال الإمام هذا بعينه أو ما سمعت الله يقول في كتابه والعصر إن الإنسان لفي خسر أخ فهو هذا بعينه وقد روي هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث محمد أو معروف أو إصلاح بين الناس فهو هذا بعينه أو ما سمعت الله يقول يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أن له الرحمن وقال صوابا فهو لا له إلا ذكر الله عز وجل أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فقال سفيان: أو ما سمعت الله في كتابه يقول لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة عن أم صالح رده علي فقال: حدثني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه بن الحارث حدثنا محمد بن زيد بن حنيش قال: دخلنا على سفيان الثوري نعوذ فدخل علينا سعيد بن حسان فقال له الثوري الحديث الذي كنت حدثتني أو إصلاح بين الناس أي إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا محمد بن سليمان يقول تعالى لا خير في كثير من نجواهم يعني كلام الناس إلا من أمر بصدقة أو معروف

القيامة كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم والآية وقال تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا. 115 فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقوله ونذرهم في طفيتانهم يعمهون وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا له كما قال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك ولهذا تواعد تعالى على ذلك بقوله نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها وإن كان بعضهم قد أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك قد ذكرنا منها طرفا صالحا في كتاب أحاديث الأصول ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي عول عليه الشافعي رحمه الله لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم وقد وردت عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له وقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون الرسول من بعدما تبين له الهدى أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم فصار في شق والشرع في شق وذلك عن وقوله ومن يشاقق

أبي بن كعب قال: مع كل صنم جنية. وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سلمة الباهلي عن عبد العزيز بن محمد عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عائشة. 116 من دونه إلا إنانا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن غيلان أنبأنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن واقد عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية عن أي فقد سلك غير الطريق الحق وضل عن الهدى وبعد عن الصواب وأهلك نفسه وخسرهما في الدنيا والآخرة وفاتته سعادة الدنيا والآخرة وقوله إن يدعون أنه قال: ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية ثم قال هذا حسن غريب وقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ما دون ذلك الآية وذكرنا ما يتعلق بها من الأحاديث في صدر هذه السورة وقد روى الترمذي: حدثنا ثوير بن أبي فاختة سعيد بن علفة عن أبيه عن علي قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة وهي قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر

وقال تعالى إخبارا عن الملائكة أنهم يقولون يوم القيامة عن المشركين الذين ادعوا عبادتهم في الدنيا بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون. 117 أي هو الذي أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر كما قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان الآية. الإنان كل شيء ميت ليس فيه روح إما خشبة يابسة وإما حجر يابس. ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهو غريب وقوله وإن يدعون إلا شيطانا مريدا والضحاك عن ابن عباس وإن يدعون من دونه إلا إنانا قال: يعني موتى وقال مبارك يعني ابن فضالة عن الحسن إن يدعون من دونه إلا إنانا قال الحسن والعزى الآيات وقال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانا الآية وقال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الآيتين وقال علي بن أبي طلحة أربابا وصوروهن جوارى فحكموا وقلدوا وقالوا هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبدهن الملائكة وهذا التفسير شبيه بقول الله تعالى أفرأيتم اللات مالك والسدي ومقاتل نحو ذلك وقال ابن جرير عن الضحاك في الآية: قال المشركون للملائكة بنات الله وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى قال فاتخذوهن إن يدعون من دونه إلا إنانا قالت: أوأنا. وروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وأبي جواره وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أي معينا مقدرا معلوما قال قتادة من كل ألفا تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. 118

وقوله لعنه الله أي طرده وأبعده من رحمته وأخرجه من

قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا أي فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفائتها. 119 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم ثم على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تجدون بها من جدعاء وهو صحيح مسلم عن عياض بن حماد قال: ذلك أمرا أي لا تبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد فليغيرن خلق الله يعني دين الله عز وجل وهذا كقوله فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله على قول من جعل وقال ابن عباس في رواية عنه ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والحكم والسدي والضحاك وعطاء الخراساني في قوله ولأمرنهم عز وجل ثم قال: ألا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عز وجل يعني قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا لعن الله من فعل ذلك وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله وأبى صالح والثوري وقد ورد في حديث النهي عن ذلك وقال ابن الحسن البصري يعني بذلك الوشم وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه وفي لفظ: ولأمرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس: يعني بذلك خصي الدواب وكذا روى عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض وقتادة وأغرمهم من أنفسهم قوله ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام قال قتادة والسدي وغيرهما: يعني تشقيقتها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة ولأصلنهم أي عن الحق ولأمنينهم أي أزين لهم ترك التوبة وأعدهم الأمانى وأمرهم بالتسوية والتأخير

كان حيلة ووسيلة إلى زيادة بعض الورثة ونقصان بعضهم فهو حرام بالإجماع وينص هذه الآية الكريمة غير مضار وصية من الله والله عليم حليم. 12 أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فلم يخص وارثا ولا غيره انتهى ما ذكره فتمت كان الإقرار صحيحا مطابقا لما في نفس الأمر جرى فيه هذا الخلاف ومتى الناس لا يجوز إقراره لسوء الظن بالورثة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث وقال الله تعالى إن الله يأمركم وعمر بن عبدالعزيز وهو اختيار أبي عبد الله البخاري في صحيحه واحتج بأن رافع بن خديج أوصى أن لا تكشف الفزارية عما أغلق عليه بابها قال: وقال بعض مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والقول القديم للشافعي رحمهم الله وذهب في الجديد إلى أنه يصح الإقرار وهو مذهب طاووس وعطاء والحسن يصح لأنه مظنة التهمة وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وهذا ويقرأ ابن عباس غير مضار قال ابن جرير والصحيح الموقوف ولهذا اختلف الأئمة في الإقرار للوارث هل هو صحيح أم لا ؟ على قولين أحدهما لا سعيد الأشج عن عائذ بن حبيب عن داود بن أبي هند ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ عن داود عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا وفي بعضها عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا الإضرار في الوصية من الكبائر وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي بمغنى المساكين وروى عنه غير واحد من الأئمة وقال فيه أبو حاتم الرازي: هو شيخ وقال علي بن المديني: هو مجهول لا أعرفه لكن رواه النسائي في سننه قال الإضرار في الوصية من الكبائر وكذا رواه ابن جرير من طريق عمر بن المغيرة هذا وهو أبو حفص بصري سكن المصيصة قال ابن عساکر: ويعرف أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو النضر الدمشقي الفراديسي حدثنا عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم والحيث بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه أو يزيده على ما فرض الله له من الفريضة فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمه وشرعه. ولهذا قال ابن بن اللبان الفرضي رحمه الله في كتابه الإيجاز وقوله من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار أي لتكن وصيته على العدل لا على الإضرار والجور ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر بن الهذيل والإمام أحمد ويحيى بن آدم ونعيم بن حماد وأبي ثور وداود بن علي الظاهري واختاره أبو الحسين لم يختلف عنه في ذلك وهذا قول أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وهو المشهور عن ابن عباس وهو مذهب الشعبي وابن أبي ليلى وأبي حنيفة وأبي يوسف وإسحاق بن راهويه وكان علي بن أبي طالب لا يشرك بينهم بل يجعل الثلث لأولاد الأم ولا شيء لأولاد الأبوين والحالة هذه لأئمتهم عصبه وقال وكيع بن الجراح: سعيد بن المسيب وشريح القاضي ومسروق وطاووس ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي وعمر بن عبدالعزيز والثوري وشريك وهو مذهب مالك والشافعي حمارا ألسنا من أم واحدة؟ فشرك بينهم وصح التشريك عن عثمان وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم وبه يقول هذه المسئلة في زمان أمير المؤمنين عمر فأعطى الزوج النصف والأم السدس وجعل الثلث لأولاد الأم فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان قول الجمهور للزوج النصف وللأم أو الجدة السدس ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم وقد وقعت أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث واختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي زوج وأم أو جدة واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الأبوين فعلى مثل حظ الأنثى قال الزهري: ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الآية هي التي قال الله تعالى فيها فإن كانوا وإن كثر ذكورهم وإنائهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنا يونس عن الزهري قال: قضى عمر أن ميراث الأخوة من الأم بينهم للذكر في الميراث سواء والثالث لا يرثون إلا إن كان ميتهم يورث كلاله فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد ولا ولد ابن الرابع أنهم لا يزدادون على الثلث أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وإخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه أحدها: أنهم يرثون من أدلوا به وهي الأم والثاني أن ذكورهم وإنائهم أي من أم كما هو في قراءة بعض السلف منهم سعد بن أبي وقاص وكذا فسرها أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا بن اللبان: وقد روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك وهو أنه من لا ولد له والصحيح عنه الأول ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد. وقوله تعالى وله أخ أو أخت

تفسير ابن كثير

وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور السلف والخلف بل جميعهم وقد حكى الإجماع عليه غير واحد وورد فيه حديث مرفوع قال أبو الحسين عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة عباس يقول: كنت آخر الناس عهدا بعمر فسمعتة يقول القول: ما قلت وما قلت وما قلت قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد. وهكذا قال علي وابن مسعود وصح أبا بكر في رأي رآه. كذا رواه ابن جرير وغيره وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا محمد بن يزيد عن سفيان عن سليمان الأحول عن طاوس قال: سمعت ابن فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: الكلالة من لا ولد له ولا والد. فلما ولي عمر قال: إني لأستحي أن أخالف بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة فقال: أقول فيها برأيي يشتركن فيه وقوله من بعد وصية إلخ الكلام عليه كما تقدم وقوله تعالى وإن كان رجل يورث كلالة الكلاله مشتقة من الإكليل وهو الذي يحيط أولاد البنين وإن سفلوا حكم أولاد الصلب ثم قال ولهن الربع مما تركتم إلى آخره وسواء في الربع أو الثمن الزوجة والزوجتان الاثنتان والثلاث والأربع ولدا فلكم الربع مما تركن من بعد الوصية أو الدين وقد تقدم أن الدين مقدم على الوصية وبعده الوصية ثم الميراث وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء وحكم يقول تعالى ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا متن عن غير ولد فإن كان لهن

الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلى قوله وإن الظالمين لهم عذاب أليم. 120 الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب وافترى في ذلك ولهذا قال الله تعالى وما يعدهم الشيطان إلا غرورا كما قال تعالى مخبرا عن إبليس يوم المعاد وقال وقوله تعالى وهذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أوليائه وبمئنيهم بأنهم هم

يجدون عنها محيصا أي ليس لهم عنها مندوحة ولا مصرف ولا خلاص ولا مناص ثم ذكر تعالى حال السعداء والأتقياء ومآلهم من الكرامة التامة. 121 وقوله أولئك أي المستحسنون له فيما وعدهم ومناهم ماوَاهم جهنم أي مصيرهم ومآلهم يوم القيامة ولا

الحديث كلام الله وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. 122 ومن أصدق من الله قبلا أي لا أحد أصدق منه قولاً أي خبراً لا إله إلا هو ولا رب سواه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته إن أصدق وعد الله حقا أي هذا وعد من الله ووعد الله معلوم حقيقته أنه واقع لا محالة ولهذا أكد بالمصدر الدال على تحقيق الخبر وهو قوله حقا ثم قال تعالى ما نهوا عنه من المنكرات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا خالدين فيها أبداً أي بلا زوال ولا انتقال فقال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أي صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات وتركوا

إلا أن يتوب فيتوب الله عليه رواه ابن أبي حاتم والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال لما تقدم من الأحاديث وهذا اختيار ابن جرير والله أعلم. 123 عن ابن عباس وسعيد بن جببر أنهما فسرا سوء ههنا بالشرك أيضا وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ابن وكيع حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن من يعمل سوءا يجز به قال الكافر ثم قرأوه نجاري إلا الكفور وهكذا روي عباس قال: قيل يا رسول الله من يعمل سوءا يجز به قال نعم ومن يعمل حسنة يجز بها عشرة فلهك من غلب واحدته عشراته وقال ابن جرير: حدثنا إنسان حتى وجد حره حتى مات رضي الله عنه تفرد به أحمد. حديث آخر روى ابن مردويه من طريق حسين بن واقد عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن قال فدعا أبي على نفسه أنه لا يفارقه الوعك حتى يموت في أن لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة فما مسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: رأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها قال: كفارات قال أبي وإن قلت قال حتى الشوكة فما فوقها أخرجاه. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد بن إسحاق حدثني زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهيمه إلا كفر الله من سيئاته فإنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة في الدنيا إلا كفر الله بها من خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحكم في قدمه وقال عطاء بن يسار عن أبي سعيد وأبي يعمل سوءا يجز به بكينا وحزنا وقلنا: يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء قال أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا حديث روح ومعمّر كلاهما عن إبراهيم بن يزيد عن عبد الله بن إبراهيم سمعت أبا هريرة يقول: لما نزلت هذه الآية ليس بأمانيكيم ولا أمانى أهل الكتاب من حتى الشوكة يشاركها والنكبة ينكبها هكذا رواه أحمد عن سفيان بن عيينة ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ورواه ابن جرير من لما نزلت من يعمل سوءا يجز به شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة آخر قال سعيد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمر بن عبد الرحمن بن محيصن سمع محمد بن قيس بن مخزومة يخبر أن أبا هريرة رضي الله عنه قال:

حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه. حديث الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية من يعمل سوءا يجز به قال: إن المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في القبض عند الموت وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو القاسم حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن يزيد بن المهاجر عن عائشة قالت: سئل رسول في كفه فيفزع لها فيجدها في جيبه حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما أن الذهب يخرج من الكير. طريق أخرى قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن الآية منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عائشة هذه مبايعة الله للعبد مما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة فيضعها أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابنته أنها سألت عائشة عن هذه الآية من يعمل سوءا يجز به فقالت: ما سألتني أحد عن هذه

تفسير ابن كثير

العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها رواه ابن جرير من حديث هشيم به ورواه أبو داود من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخراز به. طريق أخرى قال أبي مليكة عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله إني لأعلم أشد آية في القرآن فقال ما هي يا عائشة قلت: من يعمل سوءا يجز به فقال هو ما يصيب يجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذيه طريق أخرى قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا ابن بشير حدثنا هشيم عن عامر عن ابن عن عائشة أن رجلا تلا هذه الآية من يعمل سوءا يجز به فقال إنا لنجزى بكل ما عملناه هلكنا إذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم . حديث آخر قال سعيد بن منصور أنبأنا عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سواد حدثه أن يزيد بن أبي يزيد حدثه عن عبيد بن عمير عن أبا بكر قال: لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر: يا رسول الله كل ما نعمل نؤاخذ به ؟ فقال: يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا فهو كفارة جرير: حدثني عبدالله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قالا: أنبأنا زيد بن الحباب حدثنا عبدالملك بن الحسن المحاربي حدثنا محمد بن زيد بن منقذ عن عائشة أشد هذه الآية من يعمل سوءا يجز به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء طريق أخرى قال ابن عامر السعدي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان بن مهران عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال: قال أبو بكر الصديق يا رسول الله ما الله عليه وسلم إنما هي المصيبات في الدنيا طريق أخرى عن الصديق قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري حدثنا محمد بن قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء بن أبي رباح قال: لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر جاءت قاصمة الظهر فقال رسول الله صلى الترمذي عن يحيى بن موسى وعبد بن حميد عن روح بن عباد به ثم قال وموسى بن عبيدة يضعف ومولى بن سباع مجهول وقال ابن جرير: حدثنا القاسم بكر وأصحابك المؤمنون فإنكم تجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة وكذا رواه مالك يا أبا بكر قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا آية نزلت علي قال: قلت بلى يا رسول الله أقرأنيها فلا أعلم أنى قد وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا أقرئك حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثنا روح بن عباد حدثنا موسى بن عبيدة حدثني مولى بن السباع قال: سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق قال: كنت الله عليه وسلم من يعمل سوءا يجز به في الدنيا والآخرة ثم قال لا نعلمه يروي عن الزبير إلا من هذا الوجه وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن كامل قال بسطام قال كنت مع ابن عمر فمر بعبدالله بن الزبير وهو مصلوب فقال رحمة الله عليك يا أبا خبيب سمعت أباك يعني الزبير يقول: قال رسول الله صلى عطاء به مختصرا وقال في مسند ابن الزبير: حدثنا إبراهيم بن المستمر العروقي حدثنا عبدالرحمن بن سليم بن حيان حدثني أبي عن جدي حيان بن بسطام أبا بكر الصديق يقول: قال رسول الله صلى من يعمل سوءا في الدنيا يجز به ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن الفضل بن سهل عن عبدالوهاب بن الله لك ثلاثا أما والله ما علمتك إلا صواما قواما وصالا للرحم أما والله إني لأرجو مع مساوي ما أصبت أن لا يعذبك الله بعدها قال: ثم التفت إلي فقال: سمعت قال: قال عبدالله بن عمر: انظروا المكان الذي فيه عبدالله بن الزبير مصلوبا فلا تمرن عليه قال فسها الغلام فإذا عبدالله بن عمر ينظر إلى ابن الزبير فقال يغفر أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن هشام بن جهمية حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبدالوهاب بن عطاء حدثنا زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد عطاء عن زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد عن ابن عمر قال: سمعت أبا بكر يقول: قال رسول الله صلى من يعمل سوءا يجز به في الدنيا وقال بن منصور عن خلف بن خليفة عن إسماعيل بن أبي خالد به ورواه الحاكم من طريق سفيان الثوري عن إسماعيل به وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالوهاب بن الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر أأست تمرض أأست تنصب أأست تحزن أأست تصيبك الأواء قال بلى قال فهو مما تجزون به ورواه سعيد الله عنه قال: يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به فكل سوء عملناه جزينا به فقال النبي صلى الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا إسماعيل عن أبي بكر بن أبي زهير قال: أخبرت أن أبا بكر رضي على أسنة الرسل الكرام ولهذا قال بعده من يعمل سوءا يجز به كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد روي أن هذه تعالى ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به أي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه وصدقته الأعمال وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه ولا كل من قال إنه على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان ولهذا قال إلا من كان هودا أو نصارى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتلمي ولكن ما وقر في القلوب أسلم وجهه لله وهو محسن إلى قوله واتخذ الله إبراهيم خليلا وقال مجاهد: قالت العرب: لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة ونعمل بكتابنا ففرض الله بينهم وقال ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به الآية وخير بين الأديان فقال ومن أحسن دينا ممن ونبينا خير الأنبياء وقال أهل الإنجيل مثل ذلك وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام وكتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيين وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم والضحاك وأبي صالح وغيرهم وكذا روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: تخاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب به ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن الآية. ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان. وكذا روي عن السدي ومسروق نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فأنزل الله ليس بأمانيك ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز قال قتادة ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون:

الكلام على الفتيل وهو الخيط الذي في شق النواة وهذا النقيير وهما في نواة التمرة والقطمير وهو اللفافة التي على نواة التمرة والثلاثة في القرآن. 124

تفسير ابن كثير

من عباده ذكرانهم وإنائهم بشرط الإيمان وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقيير وهو النقرة التي في ظهر نواة التمرة وقد تقدم الآخرة والعباد بالله من ذلك ونسأله العافية في الدنيا والآخرة والصفح والعفو والمسامحة شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن الآية لما ذكر الجزاء على السيئات وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا وهو الأجود له وإما في وقوله ومن

من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وهكذا جاء في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل إذا اشتد غليانها من البكاء. 125 وحدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد السلمي حدثنا الوليد عن إسحاق بن يسار قال لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ألقى في قلبه الوجع حتى أن خفقان قلبه ليسمع البلاد لآتيه ثم لا أبرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال: ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم قال فبم اتخذني ربي خليلاً؟ قال إنك تعطي الناس ولا تسألهم. بإذن ربه قال ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذ خليلاً قال من هو فوالله إن أخبرتني به ثم كان بأقصى الناس فخرج يوماً يلتمس أحداً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً فقال: يا عبدالله ما أدخلك داري بغير إذني قال: دخلتها حدثنا محمد يعني ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن أبي قيس عن عاصم عن أبي راشد عن عبيد بن عمير قال: كان إبراهيم عليه السلام يضيف ولم يخرجاه وكذا روي عن أنس بن مالك وغير واحد من الصحابة والتابعين والأئمة من السلف والخلف. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبد القزويني من أن تكون الخلعة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط البخاري يوم القيامة ولا فخر وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها وقال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: أتعجبون ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله ويخليها ومعها فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كلمه وعيسى روحه وكلمته وآدم اصطفاه الله وهو كذلك وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال: ألا وإني حبيب الله من أن الله كلم موسى تكليماً وقال آخر فعيسى روح الله وكلمته وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم أن فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول: عجب إن الله اتخذ من خلقه خليلاً لإبراهيم خليله وقال آخر ماذا بأعجب عبدالله الحنفي حدثنا زمعة أبو صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه خليلاً وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبدالرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني بمكة حدثنا جندب بن عبدالله البجلي وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خبطة خطبها قال أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله وجاء من طريق لما قام له به من الطاعة التي يحبها ويرضاها ولهذا ثبت في الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في آخر الله فسماه الله بذلك خليلاً وفي صحة هذا ووقوعه نظر وغايته أن يكون خبراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب وإنما سمي خليل الله لشدة محبته لربه عز وجل فوجدوا دقيقاً فعجبوا منه وخبزوا فاستيقظ فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك فقال نعم هو من عند خليلي برجوعي إليهم بغير ميرة وليظنوا أنني أتيتهم بما يحبون ففعل ذلك فتحول ما في الغرائر من الرمل دقيقاً فلما صار إلى منزله نام وقام أهله ففتحو الغرائر من أهل مصر ليمتار طعاماً لأهله من قبله فلم يصب عنده حاجته فلما قرب من أهله بمفاضة ذات رمل فقال: لو ملأت غرائري من هذا الرمل لثلا يغتم أهلي وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم أنه إنما سماه الله خليلاً من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جذب فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل وقال بعضهم سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون قال: إن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ واتخذ الله إبراهيم خليلاً فقال رجل من القوم لقد قرت عين أم إبراهيم. إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين الآية والآية بعدها وقال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن به وفي كل مقام من مقامات العبادة فكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير وقال تعالى وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن الآية وقال تعالى الخلعة التي هي أرفع مقامات المحبة وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه كما وصفه به في قوله وإبراهيم الذي وفي قال كثير من علماء السلف أي قام بجميع ما أمر راد وقوله واتخذ الله إبراهيم خليلاً وهذا من باب الترغيب في اتباعه لأنه إمام يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له فإنه انتهى إلى درجة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين والحنيف هو المائل عن الشرك قصداً أي تاركاً له عن بصيرة ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده عنه حنيفاً وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة كما قال تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي الآية وقال تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة كان ضالاً جاهلاً ومتى جمعها كان عمل المؤمنين الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم الآية. ولهذا قال تعالى واتبع ملة إبراهيم ظاهرة بالمتابعة وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد فمتى فقد الإخلاص كان منافقاً وهم الذين يراءون الناس ومن فقد المتابعة من الهدى ودين الحق وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أي يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون متابعا للشرعية فيصح أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتساباً وهو محسن أي اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله ثم قال تعالى ومن

من عباده ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ولا تخفى عليه ذرة لما تراءى للناظرين وما توارى. 126 حكم ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته وقوله وكان الله بكل شيء محيطاً أي علمه نافذ في جميع ذلك لا تخفى عليه خافية

تفسير ابن كثير

وقوله ولله ما في السموات وما في الأرض أي الجميع ملكه وعبيده وخلقه وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قضى ولا معقب لما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما تهيجا على فعل الخيرات وامتنالا للأوامر وأن الله عز وجل عالم بجميع ذلك وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه. 127 في قوله وأن تقوموا لليتامى بالقسط كما إذا كانت ذات جمال ومال نكحتها واستأثرت بها كذلك إذا لم تكن ذات مال ولا جمال فأنكحها واستأثرت بها وقوله وما ما كتب لهن فتهى الله عن ذلك وبين لكل ذي سهم سهمه فقال للذكر مثل حظ الأنثيين صغيرا أو كبيرا وكذا قال سعيد بن جبير وغيره. قال سعيد بن جبير فإذا ماتت ورثها. فحرم الله ذلك ونهى عنه وقال في قوله والمستضعفين من الولدان كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات وذلك قوله لا تؤتوهن فيلقى عليها ثوبه فإذا فعل ذلك فلم يقدر أحد أن يتزوجها أبدا فإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها وإن كانت دميمة منعها الرجال أبدا حتى تموت في ماله الذي بينه وبينها كما قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وهي قوله في يتامى النساء الآية كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة في الآية الأولى التي في أول السورة وتارة لا يكون فيها رغبة لدمامتها عنده أو في نفس الأمر فنهاء الله عز وجل أن يعرضها عن الأزواج خشية أن يشركوه فتارة يرغب في أن يتزوجها فأمره الله أن يمهرها أسوة أمثالها من النساء فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء فقد وسع الله عز وجل وهذا المعنى بالقسط من أجل رغبتهم عنهن وأصله ثابت في الصحيحين من طريق يونس بن يزيد الأبلبي والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحل له تزويجها أن تنكحوهن رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حتى تكون قليلة المال والجمال فهوا أن ينكحوا من رغبوها في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا الآية الأولى التي قال الله وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبهذا الإسناد عن عائشة قالت: وقول الله عز وجل وترغبون بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب الآية قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليه في الكتاب. على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الآية وكذلك رواه مسلم عن أبي كريب ابن أبي شيبه كلاهما عن أبي أسامة وقال ابن أبي حاتم: قرأت وترغبون أن تنكحوهن قالت عائشة: هو الرجل تكون عنده اليتمية هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العنق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجه عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن إلى قوله قال البخاري: حدثنا

بن مزاحم وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن أبي شيبه حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة قال: 128 وإن وقع القسم السوري ليلة وليلة فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك ذلك أوفر الجزاء وقوله تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه فإنه وتفقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا وإن تنجشوا مشقة الصبر على ما تكرهون منهم وتقسموا لهن أسوة أمثالهن فإن الله عالم بذلك وسيجزيكم على الله الطلاق ثم رواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن معروف بن محارب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر معناه مرسلا وقوله 0 وإن تحسنوا كثير بن عبيد عن محمد بن خالد عن معروف بن واصل عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الحلال إلى كان الوفاق أحب إلى الله من الفراق قال والصلح خير بل الطلاق بغض إليه سبحانه وتعالى ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه جميعا عن رضي الله عنها ولم يفارقها بل تركها من جملة نسائه وفعله ذلك لتتأسى به أمته في مشروعية ذلك وجوازه فهو أفضل في حقه عليه الصلاة والسلام ولما على ترك بعض حقه للزوج وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية كما أمسك النبي صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة على أن تركت يومها لعائشة بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني التخيير أن يخير الزوج لها بين الإقامة والفراق خير من تمادي الزوج على أثره غيرها عليها والظاهر من الآية أن صلحهما ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار فذكره بطوله والله أعلم وقوله والصلح خير قال علي بل استقر على الأثرة فأمسكها على ذلك فكان ذلك صلحهما ولم ير رافع عليه إثما حين رضيت أن تستقر عنده على الأثرة فيما أثر به عليها وهكذا رواه بتمامه ثم عاد فأثر عليها الشابة فناشدته الطلاق فقال لها ما شئت إنما بقيت لك تطليقة واحدة فإن شئت استقررت على ما تربين من الأثرة وإن شئت فارقتك فقالت لا الله عليه وسلم كانت عنده امرأة حتى إذا كبرت تزوج عليها فتاة شابة وأثر عليها الشابة فناشدته الطلاق فطلقها تطليقة ثم أمهلها حتى إذا كادت تحل راجعها الصلح الذي قال الله عز وجل فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وقد ذكر لي أن رافع بن خديج الأنصاري وكان من أصحاب النبي صلى يعرض عليها أن يطلقها أو تستقر عنده على ما كانت من أثره في القسم من ماله ونفسه صلح له ذلك وكان صلحها عليه. كذلك ذكر سعيد بن المسيب وسليمان الرجل وإعراضه عن امرأته في قوله وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا إلى تمام الآيتين أن المرء إذا نشز عن امرأته وأثر عليها فإن من الحق أن أنبأنا أبو اليمان أخبرني شعيب بن أبي حمزة عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أن السنة في هاتين الآيتين. اللتين ذكر الله فيهما نشوز يسار بأطول من هذا السياق وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني أنبأنا علي بن محمد بن عيسى امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا الآية وقد رواه الحاكم في مستدركه من طريق عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن سعد بن المسيب وسليمان بن بنت محمد بن مسلم كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرا إما كبيرا أو غيره فأراد طلاقها فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك فأنزل الله عز وجل وإن وغير واحد من السلف والأئمة ولا أعلم في ذلك خلافا أن المراد بهذه الآية هذا والله أعلم. وقال الشافعي: أنبأنا ابن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب أن به وكذا فسرها ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد بن جبير والشعبي وسعيد بن جبير وعطاء وعطيه العوفي ومكحول والحسن والحكم بن عتبة وقتادة

تفسير ابن كثير

جعلت له من أيامها فلا حرج وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن حماد بن سلمة وأبي الأحوص ورواه ابن جرير من طريق إسرائيل أربعتهم عن سماك عليهما قال علي: يكون الرجل عنده المرأة فتنبو عيناه عنها من دماستها أو كبرها أو سوء خلقها أو قذوها فكره فراقه فإن وضعت له من مهرها شيئا حل له وإن سماك بن حرب عن خاله بن عرعة قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فسأله عن قول الله عز وجل وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح للمرأة الشاب يلمس ولدها فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين الهسجاني حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص عن فسأله آخر عن هذه الآية وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا ثم قال عن مثل هذا فاسألوا ثم قال هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنّها فيتزوج قال ابن جرير حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالوا: حدثنا جرير عن أشعث عن ابن سيرين قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فسأله عن آية فكرهه فضربه بالدرّة لا تطلقني وأنت في حل من شأني وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير وجه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم ولله الحمد والمنة. عائشة في قوله وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا قالت: هو الرجل يكون له المرأتان إحداهما قد كبرت والأخرى دميمة وهو لا يستكثر منها فتقول: يكون لها ولد ويكون لها صحبة فتقول: لا تطلقني وأنت في حل من شأني. حدثني المثنى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عائشة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير قالت هذا في المرأة تكون عند الرجل فلعله لا يكون بمستكثر منها ولا يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل فنزلت هذه الآية. وقال ابن جرير: حدثنا وكيع حدثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وإن امرأة أنبأنا عبدالله أنبأنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا قال الرجل تكون عنده المرأة المسنة ليس بمستكثر منها أن أبعث مع نسائك يوم القيامة فراجعها فقالت: فإنني جعلت يومي وليتي لحبة رسول الله صلى وهذا غريب مرسل. وقال البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل له على طريق عائشة فلما رآته قالت له: أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه واصطفاك على خلقه لما راجعتني فإنني قد كبرت ولا حاجة لي في الرجال. لكن أريد بن يحيى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن أبي برة قال: بعث النبي صلى إلى سودة بنت زمعة بطلاقها فلما أن أتاها جلست عبدالعزيز عن محمد الدراوردي عن هشام بن عروة بنحوه مختصرا والله أعلم. وقال أبو العباس محمد بن عبدالرحمن الدعولي في أول معجمه: حدثنا محمد في مستدركه ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد رواه ابن مردويه من طريق أبي بلال الأشعري عن عبدالرحمن بن أبي الزناد به نحوه ومن رواية فقبل ذلك رسول الله صلى قالت عائشة ففي ذلك أنزل الله وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا وكذلك رواه أبو داود عن أحمد بن يونس به والحاكم مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فبييت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفترت أن يفارقها رسول الله صلى يا رسول الله يومى هذا لعائشة عائشة أنها قالت له: يا ابن أخي: كان رسول الله صلى لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا ويدنو من كل امرأة من غير فقال: حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أخبرنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن صلى لعائشة فقبل ذلك رسول الله صلى قال البيهقي وقد رواه أحمد بن يونس عن الحسن بن أبي الزناد موصولا وهذه الطريقة رواها الحاكم في مستدركه امرأة قد أسنت وفترت أن يفارقها رسول الله صلى وضنت بمكانها منه وعرفت من حب رسول الله صلى عائشة ومنزلتها منه فوهبت يومها من رسول الله أنبأنا عبدالرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال: لما أنزل الله في سودة وأشباهاها وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا وذلك أن سودة كانت زمعة وهبت يومها لعائشة فكان النبي صلى يقسم لهل بيوم سودة وفي صحيح البخاري من حديث الزهري عن عروة عن عائشة نحوه وقال سعيد بن منصور عباس أن رسول الله صلى توفى عن تسع نسوة وكان يقسم لثمان. وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة بنت شيء فهو جائز ورواه الترمذي عن محمد بن المثنى عن أبي داود الطيالسي به وقال حسن غريب وقال الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل ونزلت هذه الآية وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما الآية قال ابن عباس: فما اصطلحا عليه من أبو داود الطيالسي: حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى فقالت: يا رسول الله سودة بنت زمعة عزم رسول الله صلى على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة فقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك ذكر الرواية بذلك قال جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ثم قال والصلح خير أي من الفراق وقوله وأحضرت الأنفس الشح أي الصلح عند المشاحة خير من الفراق ولهذا لما كبرت من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقوقها عليه وله أن يقبل ذلك منها فلا حرج عليها في بذلها ذلك له ولا عليه في قبوله منها ولهذا قال تعالى فلا وتارة في حال اتفاهه معها وتارة في حال فراقه لها فالحالة الأولى ما إذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه يقول تعالى مخبرا ومشرعا من حال الزوجين تارة في حال نفور الرجل عن المرأة

أي وإن أصلحت في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم الله في جميع الأحوال غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض. 129 ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال: كان يقال ولا يعرف هذا الحديث مرفوعا إلا من حديث همام وقوله وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيمًا إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيى عن قتادة به. وقال الترمذي إنما أسنده همام الطيالسي أنبأنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان فمال إلى معلقة. قال ابن عباس ومجاهد. وسعيد بن جبير والحسن والضحاك والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان معناه لا ذات زوج ولا مطلقة وقال أبو داود مرسلًا قال: وهذا أصح وقوله فلا تميلوا كل الميل أي فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية فتذروها كالمعلقة أي فتبقى هذه الأخرى فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب هذا لفظ أبي داود وهذا إسناد صحيح لكن قال الترمذي رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابه

تفسير ابن كثير

أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك عائشة يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبها أكثر من غيرها كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن نزلت هذه الآية ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم في

ولم ينقص بعضها بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفريضة وقسمته يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. 130 من الميت واحتياجهم إليه وفقدهم له عند عدمه هي حدود الله فلا تعتدوها ولا تتجاوزوها. ولهذا قال ومن يطع الله ورسوله أي فيها فلم يزد بعض الورثة أي هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم

هو خير له منها ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه وكان الله واسعاً حكيماً أي واسع الفضل عظيم المن حكيماً في جميع أفعاله وأقذاره وشرعه. 130 ثم قال تعالى وهذه هي الحالة الثالثة وهي حالة الفراق وقد أخبر الله تعالى أنهما إذا تفرقا فإن الله يغنيهما عنها ومغنيها عنه بأن يعوضه الله من

فإن الله لغني حميد وقال فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد أي غني عن عباده حميد أي محمود في جميع ما يقدره ويشعره. 131 له ثم قال وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض الآية كما قال تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لقومه إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً وأنه الحاكم فيهما ولهذا قال ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أي وصيناكم بما وصيناكم به من تقوى الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض

وقوله ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً أي هو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب الشهيد على كل شيء. 132 السلف: ما أهون العباد على الله إذا أضاعوا أمره وقال تعالى إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز أي وما هو عليه بممتنع. 133 الله على ذلك قدير أي هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عصيتموه كما قال وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قال بعض وقوله إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان

والشقاوة بين الناس في الدنيا والآخرة وعدل بينهم فيما علمه فيهم ممن يستحق هذا وممن يستحق هذا. ولهذا قال وكان الله سميعاً بصيراً. 134 لتكن همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضر والنفع وهو الله الذي لا إله إلا هو الذي قد قسم السعادة فإن قوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ظاهر في حصول الخير في الدنيا والآخرة أي بيده هذا وهذا فلا يقتصر قاصر المهمة على السعي للدنيا فقط بل كقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله وباطل ما كانوا يعملون ولا شك أن هذه الآية معناها ظاهر وأما تفسيره الآية الأولى بهذا ففيه نظر الدنيا وهو ما حصل لهم من المغانم وغيرها مع المسلمين وقوله والآخرة أي وعند الله ثواب الآخرة وهو ما ادخره لهم من العقوبة في نار جهنم جعلها على بعض الآية وقد زعم ابن جرير أن المعنى في هذه الآية من كان يريد ثواب الدنيا أي من المنافقين الذين أظهروا الإيمان لأجل ذلك فعند الله ثواب من كان يريد حرث الآخرة نذله في حرثه الآية وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد إلى قوله انظر كيف فضلنا بعضهم وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا الآية وقال تعالى له همة إلا الدنيا اعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة وإذا سألته من هذه وهذه أعطاك وأعناك وأقناك كما قال تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة أي يا من ليس

الله عليه وسلم خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسئلهما ولهذا توعدهم الله بقوله فإن الله كان بما تعملون خبيراً أي وسيجازيكم بذلك. 135 قال تعالى وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب الآية والإعراض هو كتمان الشهادة وتركها. قال تعالى ومن يكتنها فإنه أثم قلبه وقال النبي صلى إن شاء الله تعالى وقوله وإن تلوا أو تعرضوا قال مجاهد وغير واحد من السلف تلوا أي تحرفوا الشهادة وتغيروها والي هو التحريف وتعتمد الكذب. من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. وسيأتي الحديث مسنداً في سورة المائدة عليه وسلم يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال: والله لقد جئتمكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم على أي حال كان كما قال تعالى ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ومن هذا قول عبد الله بن رواحة لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في صلحهما وقوله فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشئونكم بل الزموا العدل الحق حاكم على كل أحد وقوله إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما أي لا ترعاه لغناه ولا تشفق عليه لفقره والله يتولاهما بل هو أولى بهما منك واعلم بما كل أمر يضييق عليه وقوله أو الوالدين والأقربين أي وإن كانت الشهادة على والديك وقربتك فلا تراهم فيها بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم فإن أنفسكم أي اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرتك عليك فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من الله كما قال وأقيموا الشهادة لله أي أدوها ابتغاء وجه الله فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا خالية من التحريف والتبديل والكتمان ولهذا قال ولو على يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه وقوله شهداء يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل فلا

ثم قال تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً أي فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد. 136

تفسير ابن كثير

على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد في معاشهم ومعادهم وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة لهذا قال تعالى والكتاب الذي أنزل من قبل الذي نزل على رسوله يعني القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة وقال في القرآن نزل لأنه نزل متفرقا منجم المستقيم أي بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه فأمرهم بالإيمان به وبرسوله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله وقوله والكتاب وأركانه ودعائمه وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقديره وتثبيته والاستمرار عليه كما يقول المؤمن في كل صلاة اهدنا الصراط يأمركم تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه

أنه قال: يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الآية إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا. 137 ثم ازدادوا كفرا قال: تمادوا على كفرهم حتى ماتوا وكذا قال مجاهد. وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المعلى عن عامر الشعبي عن علي رضي الله عنه ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى على ضلاله وازداد حتى مات فإنه لا توبة بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا مخرجا ولا طريقا إلى الهدى ولهذا قال لم يكن الله يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر

الحقيقة يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة ويقولون لهم إذا خلوا بهم إنما نحن معكم إنما نحن مستهزون أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة. 138 يعني أن المنافقين من هذه الصفة فإنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بمعنى أنهم معهم في ثم قال

في النار تفرد به أحمد وأبو ریحانة هذا هو أزدی ويقال أنصاري واسمه شمعون بالمعجمة فيما قاله البخاري وقال غيره بالمهمله والله أعلم. 139 عن حميد الكندي عن عبادة بن نسي عن أبي ریحانه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وفخرا فهو عاشرهم لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ويناسب هنا أن نذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو بكر بن عياش ولكن المنافقين لا يعلمون والمقصود من هذا التهيج على طلب العزة من جناب الله والإقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين كلها لله وحده لا شريك له ولمن جعلها له كما قال تعالى في الآية الأخرى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فقال الله تعالى منكرا عليهم فيما سلوكه من موالة الكافرين أبيتغون عندهم العزة ثم أخبر الله تعالى بأن العزة

بلغ ذلك الفوز العظيم. وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أشعث وأكمل به وقال الترمذي: حسن غريب وسياق الإمام أحمد أتم وأكمل. 14 ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضران في الوصية فتجب لهما النار وقال قرأ علي أبو هريرة من ههنا من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار حتى بن عبدالله بن جابر الحداني حدثني شهر بن حوشب أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله عذاب مهين قال أبو داود في باب الإضرار في الوصية من سننه: حدثنا عبيدة بن عبدالله أخبرنا عبدالصمد حدثنا نصر بن علي الحراني حدثنا الأشعث بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة. قال ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم تلك حدود الله إلى قوله الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى وحاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بالإهانة في العذاب الأليم المقيم قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبدالله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول أي لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به ولهذا يجازيه

الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدا ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والغسلين لا الزلال. 140 لقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلمهم يتقون وقوله إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا أي كما أشركوهم في رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية قال مقاتل بن حيان: نسخت هذه الآية التي في سورة الأنعام يعني نسخ قوله إنكم إذا مثلتم واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك هو قوله تعالى في سورة الأنعام وهي مكية وإذا وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه فلماذا قال تعالى إنكم إذا مثلتم في المأثم كما جاء في الحديث من كان يؤمن بالله يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلتم أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وقوله وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى

من التسليط له عليه والإذلال ومن قال منهم بالصحة بأمره بإزالة ملكه عنه في الحال لقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. 141 إلى قوله نادمين وقد استدلل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصح قول العلماء وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافر لما في صحة ابتياعه من مصانعتهم الكافرين خوفا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم كما قال تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا الآية وعلى هذا فيكون ردا على المنافقين فيما أملوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين وفيما سلوكه بأن يسלטوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة كما قال تعالى أبي مالك الأشجعي يعني يوم القيامة. وقال السدي: سبيلا أي حجة ويحتمل أن يكون المعنى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أي في الدنيا

تفسير ابن كثير

سبيلا. وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال ذلك يوم القيامة. وكذا روى السدي عن ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فقال علي رضي الله عنه أنه قاله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن الأعمش عن زر عن سبيع الكندي قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال كيف هذه الآية في الحياة الدنيا لما له في ذلك من الحكمة فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصل ما في الصدور وقوله ولن يجعل الله إيقانهم. قال تعالى فالله يحكم بينكم يوم القيامة أي بما يعلمه منكم أيها المنافقون من البواطن الرديئة فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهرا كقوله استحوذ عليهم الشيطان وهذا أيضا تودد منهم إليهم فإنهم كانوا يصنعون هؤلاء هؤلاء ليحفظوا عندهم ويأمنوا كيدهم وما ذاك إلا لضعف إيمانهم وقلة نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين أي ساعدناكم في الباطن وما ألواناهم خبالا وتخذيلا حتى انتصرتهم عليهم وقال السدي: نستحوذ عليكم نغلب عليكم المؤمنين بهذه المقالة وإن كان للكافرين نصيب أي إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد فإن الرسل تبلى ثم يكون لها العافية قالوا ألم ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم فإن كان لكم فتح من الله أي نصر وتأييد وظفر وغنيمة قالوا ألم تكن معكم أي يتوددون إلى يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء بمعنى

فيها إلا قليلا وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر المدني عن العلاء بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حسن صحيح. 142
الله عليه وسلم تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق: يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله هم في صلاتهم ساهون لاهون وعما يراد بهم من الخير معرضون. وقد روى الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل وقوله ولا يذكرون الله إلا قليلا أي في صلاتهم لا يخشون ولا يدرون ما يقولون بل بكر المقدمي حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه أو ممراتين حسنتين لشهد الصلاة ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن إبراهيم بن أبي برجال ومعهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار وفي رواية والذي نفس بيده لو علم أحدكم أنه يجد عرقا سمينا على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حبوا ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيصلي بالناس ثم أنطلق معي لا يرون فيها غالبا كصلاة العشاء وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أثقل الصلاة بواطنهم الفاسدة فقال يراءون الناس أي لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة. ولهذا يتخلفون كثيرا عن الصلاة التي عن ابن عباس نحوه فقولته تعالى وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى هذه صفة ظواهرهم كما قال ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ثم ذكر تعالى صفة شديد الفرح فإنه يناجي الله وإن الله تجاهه يغفر له ويحببه إذا دعاه ثم يتلو هذه الآية وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى وروى من غير هذا الوجه زحر عن خالد بن أبي عمران عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه من طريق عبيد الله. بن ويعيل به إلى النار عيادا بالله من ذلك وقوله وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى الآية هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي وبئس المصير وقد ورد في الحديث من سمع الله به ومن رآه رايا الله به وفي الحديث الآخر إن الله يأمر بالعبء إلى الجنة فيما يبدو للناس عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم إلى قوله كما قال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية وقوله وهو خادعهم أي هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخدلهم الله يوم القيامة وأن أمرهم يروج عنده كما أخبر تعالى عنهم أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسداد ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده والضمان ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرا فكذلك يكون حكمهم عند أول سورة البقرة قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا وقال ههنا إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ولا شك أن الله لا يخادع فإنه العالم بالسرائر قد تقدم في

والمنافقون الذين أضلهم عن سبيل النجاة فلا هادي لهم ولا منقذ لهم مما هم فيه فإنه تعالى لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون. 143
تعرف ولهذا قال تعالى ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا أي ومن صرفه عن طريق الهدى فلن تجد له وليا مرشدا فإنه من يضل الله فلا هادي له الله عليه وآله وسلم كان يقول مثل المنافق كمثل ثاغية بين غنمين رأت غنما على نشز فأنتها وشامتة فلم تعرف ثم رأت غنما على نشز فأنتها فشامتة فلم عنده فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى أذى فغرقه وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك. قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى قطع ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر أن هلم إلي فإنني أخشى عليك. وناداه المؤمن أن هلم إلي فإن عندي وعندي يحظى له ما مصرحين بالشرك قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب مثلا للمؤمن وللمنافق وللکافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر فوقع المؤمن الكافر. وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن قتادة مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء يقول ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة قال فجاءه سيل فأغرقه فالذي عبر هو المؤمن والذي غرق المنافق مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والذي مكث الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي ويلك أين تذهب إلى الهلكة ارجع عودك على بدئك وناداه الذي عبر هلم إلى النجاة فجعل

تفسير ابن كثير

عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله هو ابن مسعود قال: مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد فوقع أحدهم فغير ثم وقع الشاة العائرة بين الغنمين ورواه أحمد أيضا من طرق عن عبيد بن عمير عن ابن عمر ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد بن موسى أخبرنا إسرائيل الغنمين فقال ابن عمر: ويلكم لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل عثمان بن مادويه عن يعفر بن زودي قال: سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين وغضب فلما رأى ذلك ابن عمر قال: أما إنى لو لم أسمعه لم أرد ذلك عليك. طريقة أخرى عن ابن عمر قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أتت هؤلاء نطحتها وإذا أتت هؤلاء نطحتها فقال ابن عمر ليس كذلك إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كشاة بين غنمين قال فاختطف الشيخ بن علي قال: بينما عبيد بن عمير يقص وعنده عبد الله بن عمر فقال عبيد بن عمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كالشاة بين ربيين إذا تقولون ولكني شاهدي الله إذا قال كالشاة بين الغنمين فقال هو سواء فقال هكذا سمعته. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن ابن جعفر محمد من الغنم إن أتت هؤلاء نطحتها وإن أتت هؤلاء نطحتها فقال له ابن عمر كذبت فأثنى القوم على أبي خيرا أو معروفا فقال ابن عمر ما أظن صاحبكم إلا كما ذات يوم بمكة وعبد الله بن عمر معه فقال ابن أبي عبيدة: قال أبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الربيين جويرية عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد حدثنا الهذيل بن بلال عن ابن أبي عبيدة أنه جلس محمد بن أبي شيبه عن عبدة عن عبد الله به مرفوعا ورواه حماد بن سلمة عن عبيد الله أو عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعا. ورواه أيضا صخر بن بن يوسف بن عبيد الله به مرفوعا وكذا رواه إسماعيل بن عياش وعلي بن عاصم عن عبيد الله به مرفوعا عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وكذا رواه عثمان بن محمد بن المثنى مرة أخرى عن عبدالوهاب فوقف به على ابن عمر ولم يرفعه قال: حدثنا به عبدالوهاب مرتين كذلك قلت وقد رواه الإمام أحمد عن إسحاق صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع تفرد به مسلم وقد رواه عن عليه وسلم ولا إلى هؤلاء يعني اليهود. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن محمد بن المثنى حدثنا عبدالوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي وتارة يميل إلى أولئك كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا الآية. وقال مجاهد مذبذب بين ذلك لا إلى هؤلاء يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ولا مع الكافرين ظاهرا وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وقوله مذبذب بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء يعني المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر فلا

سلطان في القرآن حجة وهذا إسناد صحيح وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي والنضر بن عربي. 144 إياكم. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قوله سلطانا مبينا قال كل منهم تقاة ويحذركم الله نفسه أي يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيه ولهذا قال ههنا أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا أي حجة عليكم في عقوبته أحوال المؤمنين الباطنة إليهم كما قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم وإفشاء

من أليم العذاب ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب عليه وقبل ندمه إذا أخلص في توبته وأصلح عمله واعتصم بربه في جميع أمره. 145 أن ابن مسعود سئل عن المنافقين فقال: يجعلون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار ولن تجد لهم نصيرا أي ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم أي مغلقة مقفلة لا يهتدي لمكان فتحها وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو أسامة حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبدالرحمن وكيع عن سفيان عن سلمة عن خيثمة عن ابن مسعود إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار قال في توابيت من حديد مبهمة عليهم ومعنى قوله مبهمة يعن ابن مسعود إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار قال في توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مقفلة ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن لها أبواب تطبق عليهم فتوقد من تحتهم ومن فوقهم وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبد الله بن شاذان عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار قال الدرك الأسفل بيوت الدرك الأسفل من النار قال في توابيت ترتج عليهم. كذا رواه ابن جرير عن ابن وكيع عن يحيى بن يمان عن سفيان الثوري به ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر أي في أسفل النار وقال غيره: النار درجات كما أن الجنة درجات وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة إن المنافقين في ثم أخبر تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار أي يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ. قال الوالبي عن ابن عباس في الدرك الأسفل من النار

أي في زمرتهم يوم القيامة وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ثم قال تعالى مخبرا عن غناه عما سواه وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم. 146 عن عمران عن عمرو بن مرة عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخلص دينك يكفك القليل من العمل فأولئك مع المؤمنين الصالح وإن قل. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران فقال تعالى إلا الذين تابوا وأصلحو واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله أي بدلوا الرياء بالإخلاص فينفعهم العمل

وآمنتهم أي أصلحتهم العمل وآمنتهم بالله ورسوله وكان الله شاكرا عليهما أي من شكر شكر له ومن آمن قلبه به علمه وجازاه على ذلك أوفر الجزاء. 147 فقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم

تفسير ابن كثير

إلا بهذا الإسناد ورواه أبو جحيفة وهب بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ويوسف بن عبد الله بن سلام عن النبي صلى الله عليه وسلم. 148

داود في كتاب الأدب عن أبي توبة الربيع عن نافع عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر عن محمد بن عجلان به ثم قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة على الطريق فكل من مر به قال: مالك؟ قال: جاري يؤذيني فيقول اللهم العنه اللهم أخذه قال: فقال الرجل ارجع إلى منزلك والله لا أؤذك أبدا وقد رواه أبو عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي جارا يؤذيني فقال له: أخرج متاعك فضعه على الطريق فأخذ الرجل متاعه فطرحه إلى وجوب الضيافة ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمر بن علي حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا محمد بن عجلان عن أبيه وأبي نعيم عن سفيان الثوري ثلاثتهم عن منصور به وكذا رواه أبو داود من حديث أبي عوانة عن منصور به. ومن هذه الأحاديث وأمثالها ذهب أحمد وغيره كل مسلم فإن أصبح بفنائهم محروما كان دينا عليه فإن شاء اقتضاه وإن شاء تركه ثم رواه أيضا عن غندر عن شعبة. وعن زياد بن عبد الله البكائي عن وكيع أيضا: حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن منصور عن الشعبي عن المقدم بن أبي كريمة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة الضيف واجبة على أيما مسلم ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فإن حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقري ليلته من زرعه وماله تفرد به أحمد من هذا الوجه وقال أحمد أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا الجودي يحدث عن سعد بن المهاجر عن المقدم بن أبي كريمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فما ترى في ذلك؟ فقال: إذا نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم وقال الإمام من حديث ابن لهيعة كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير مرثد بن عبد الله عن عقبة بن عامر قال: قلنا يا رسول الله إنك تبعنا فننزل بقوم فلا يقرؤنا يجهر لصاحبه بالسوء من القول وكذا روى عن غير واحد عن مجاهد نحو هذا وقد روى الجماعة سوى النسائي والترمذي من طريق الليث بن سعد والترمذي من القول إلا من ظلم قال: قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج فيقول أساء ضيافتي ولم يحسن. وفي رواية هو الضيف المحول رحله فإنه قال فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم حتى يؤدي الآخر إليه حق ضيافته وقال ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم قال ضاف رجل رجلا فلم يؤد إليه حق ضيافته فلما خرج آخر الناس فقال: ضفت فلانا فلم يؤد إلي حق ضيافتي صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن الصباح عن مجاهد في قوله لا يحب ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقال أبو داود: حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظلمه من غير أن يعتدي عليه وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية هو الرجل يشتمك فتشتمه ولكن إن افتري عليك فلا تفتري عليه لقوله عليه وآله وسلم لا تسبخي عنه وقال الحسن البصري لا يدع عليه ويلقل اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه وفي رواية عنه قال: قد رخص له أن يدعو أبو داود: حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا سفيان عن حبيب عن عطاء عن عائشة قال سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله إلا من ظلم وإن صبر فهو خير له وقال قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية

بعضهم سبحانه على عفوك بعد قدرتك وفي الحديث الصحيح ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبدا يعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه. 149

على عقابهم ولهذا قال: فإن الله كان عفوا قديرا ولهذا ورد في الأثر أن حملة العرش يسبحون الله فيقول بعضهم: سبحانه على حلمك بعد علمك ويقول أيها الناس خيرا أو أخفيتموه أو عفوتهم عمن أساء إليكم فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته وقوله: أي إن تظهلوا

صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية واليهوديين ولم يجلداهم قبل ذلك فدل على أن الرجم ليس بحتم بل هو منسوخ على قولهم والله أعلم. 15

بمقتضى هذا الحديث وهو الجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب الزاني وذهب الجمهور إلى أن الثيب الزاني إنما يرجم فقط من غير جلد قالوا: لأن النبي عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حبس بعد سورة النساء وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى القول وينفيان والثيبان يجلدان ويرجمان والشيخان يرجمان هذا حديث غريب من هذا الوجه وروى الطبراني من طريق ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن لهيعة عن وينفيان وروى الطبراني من طريق ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن لهيعة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البكران يجلدان وينفيان والثيبان يجلدان ويرجمان ويرجمان والشيخان يرجمان. هذا حديث غريب من هذا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عباس بن حمدان حدثنا أحمد بن داود حدثنا عمرو بن عبد الغفار حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن مسروق عن والرجم وكذا رواه أبو داود مطولا من حديث الفضل بن دهم ثم قال: وليس هو بالحافظ كان قصابا بواسط. حديث آخر قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا بن المحيق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة جلد مائة ورجم بالحجارة. وقد روى الإمام أحمد أيضا هذا الحديث عن وكيع بن الجراح عن الحسن حدثنا الفضل بن دهم عن قبيصة بن حرب عن سلمة الله لهن سبيلا فلما ارتفع الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا خذوا قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي عرف ذلك في وجهه فأنزلت أو يجعل بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن مبارك بن فضالة من طرق عن قتادة عن الحسن عن حطان عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر

تفسير ابن كثير

عني قد جعل الله لهم سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر جلد مائة ثم نفي سنة. وقد رواه مسلم وأصحاب السنن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أثر عليه وكرب لذلك وتغير وجهه فأنزل الله عز وجل عليه ذات يوم فلما سرى عنه قال: خذوا وهو أمر متفق عليه قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت النور فنسخها بالجلد أو الرجم وكذا روى عن عكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وعطاء الخراساني وأبي صالح وقتادة وزيد بن أسلم والضحاك أنها منسوخة حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهم سبيلا فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك. قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة من الخروج منه إلى أن تموت ولهذا قال: واللاتي يأتين الفاحشة يعني الزنا من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن

ورسله يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله أي في الإيمان ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أي طريقا ومسلكا. 150 أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية ولهذا قال تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله فوسمهم بأنهم كفار بالله أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين بعد يوشع خليفة موسى بن عمران والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت ثم كفروا بشرعه فرجع من بين أظهرهم والله أعلم. والمقصود لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والتصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى والسامرة لا يؤمنون بنبي وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادم إلى ذلك فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود عليهم يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والتصارى حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء

وقاتلوه فسلط الله عليهم الذل الديوي الموصول بالذل الأخروي وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله في الدنيا والآخرة. 151 كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة وخالفوه وكذبوه وعادوه كفروا به إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته رسول الله لآمنوا بنظيره وبمن هو أوضح دليلا وأقوى برهانا منه لو نظروا حق النظر في نبوته وقوله وأعدنا للكافرين عذابا مهينا أي كما استهانوا بمن ثم أخبر تعالى عنهم فقال: أولئك هم الكافرون حقا أي كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به لأنه ليس شرعيا إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه

الجليل والعطاء الجميل فقال أولئك سوف يؤتيهم أجورهم على ما آمنوا بالله ورسله وكان الله غفورا رحيمًا أي لذنوبهم أي إن كان لبعضهم ذنوب. 152 وبكل نبي بعثه الله كما قال تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله الآية. ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب وقوله: والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يعني بذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله

من لم يعبد العجل منهم من عبده فجعل يقتل بعضهم بعضا ثم أحياهم الله عز وجل وقال الله تعالى فغفونا عن ذلك وآتيناه موسى سلطانا مبينا. 153 سورة الأعراف وفي سورة طه بعد ذهاب موسى إلى مناجاة الله عز وجل ثم لما رجع وكان ما كان جعل الله توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه أن يقتل إلا يسيرا حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة الآيتين ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسوط في بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام في بلاد مصر وما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليم فما جاوزوه نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وقوله تعالى ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات أي من فأخذتهم الصاعقة بظلمهم أي بطغيانهم وبغيهم وعتوهم وعنادهم وهذا مفسر في سورة البقرة حيث يقول تعالى وإذ قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى المذكور في سورة سبحان وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا والآيات ولهذا قال تعالى فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة إلى فلان وفلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك كما هو الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة قال ابن جريج: سألوه أن ينزل عليهم صحفا من الله مكتوبة قال محمد بن كعب القرظي والسدي وابن قتادة: سأل اليهود رسول

حديث صفوان بن عسال في سورة سبحان عند قوله: ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وفيه: وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت. 154 وتحيلوا على ارتكاب ما حرم الله عز وجل كما هو مبسوط في سورة الأعراف عند قوله: واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآيات وسيأتي لهم لا تعدوا في السبت أي وصيانتهم بحفظ السبت والتزام ما حرم الله عليهم ما دام مشروعا لهم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي شديدا فخالفوا وعصوا أي اللهم حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد ونكولنا عنه حتى تهنا في التيه أربعين سنة فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حنطة في شعرة وقلنا بقوة الآية وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا أي فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل فإنهم أمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجدا وهم يقولون حطة. وسجدوا وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم كما قال تعالى وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بميثاقهم وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عليه السلام ورفع الله على رؤوسهم جبلا ثم ألزموا فالتزموا ثم قال ورفعنا فوقهم الطور

تفسير ابن كثير

ما ادعوه من كل وجه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة فلا يؤمنون إلا قليلا أي تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان. وقلة الإيمان. 155
القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول لأنها في غلف وفي أكنة قال الله بل هي مطبوع عليها بكفرهم وعلى القول الثاني عكس عليهم أي أوعية للعلم قد حوته وحصلته رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقد تقدم نظيره في سورة البقرة قال الله تعالى: بل طبع الله عليها بكفرهم فعلى والسدي وقتادة وغير واحد أي في غطاء وهذا كقول المشركين وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه الآية وقيل معناه أنهم ادعوا أن قلوبهم غلف للعلم حق وذلك لكثرة إجرامهم واجترانهم على أنبياء الله فإنهم قتلوا جما غفيرا من الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والعهد التي أخذت عليهم وكفرهم بآيات الله أي حججه وبراهينه والمعجزات التي شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام قوله: وقتلهم الأنبياء بغير وهذا من الذنوب التي ارتكبوها مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى وهو نقضهم المواثيق

من الآية أنهم رموها وابنها بالعظائم فجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك زاد بعضهم وهي حائض فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة. 156
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أنهم رموها بالزنا وكذلك قال السدي وجوبير ومحمد بن إسحاق وغير واحد وهو ظاهر
إليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ولهذا قال: وما قتلوه يقينا أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين. 157
رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن يعني بذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلمه على السرائر والضماير الذي يعلم السر في السموات والأرض العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم أي وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم المؤيد بالمعجزات والبيّنات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو أصدق القائلين ورب العالمين المطلع تحت ذلك المصلوب وبكت ويقال إنه خاطبها والله أعلم وهذا كله من امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه. وأما الباقيون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم حتى ذكروا أن مريم جلست في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقولهم ما كذلك كما قال الله تعالى إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي الآية فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذه فقال: أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو وفتحت روزنه من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو أبيكم يلقي عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة ؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب سبعة عشر نفرا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحضره هنالك. فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخلهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه امثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر وقال رعاياه فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن الناس فلما وصل الكتاب ذلك الزمان وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنها إليه أن في بيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك أمكنهم حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يسكنهم في بلدة بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في طائرا يشاهد طيرانه بإذن الله عز وجل إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يبرئ بها الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ويصور من الطين طائرا ثم ينفخ فيه فيكون الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى حسدوه إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء كقول المشركين يا أيها وقولهم

ابن جرير عن مجاهد: صلبوا رجلا شبه بعيسى ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء حيا واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقى على جميع أصحابه. 158
وبعض النصارى يزعم أنه ليودس ركريايوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول إني لست بصاحبكم أنا الذي دلتكم عليه والله أعلم أي ذلك كان. وقال فأخذه فصلبوه. ثم أن ليودس ركريايوطا ندم على ما صنع فاختنق بحبل حتى قتل نفسه وهو ملعون في النصارى وقد كان أحد المعدودين من أصحابه فقال لهم إذا دخلتم عليه فأني سأقبله وهو الذي أقبل فخذوه فلما دخلوا وقد رفع عيسى ورأى سرجس في صورة عيسى فلم يشك أنه هو فأكب عليه فقبله يرون وفقدوا رجلا من العدة فهو الذي اختلفوا فيه وكانوا لا يعرفون عيسى حتى جعلوا ليودس ركريايوطا ثلاثين درهما على أن يدلهم عليه ويعرفهم إياه فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة قد رأوهم فأحصوا عدتهم فلما دخلوا ليأخذه وجدوا عيسى وأصحابه فيما يشبه للقوم في صورتهم فيقتلوه في مكاني فقال سرجس: أنا يا روح الله. قال: فاجلس في مجلسي فجلس فيه ورفع عيسى فدخلوا عليه فأخذه فصلبوه إسحاق: وحدثني رجل كان نصرانيا فأسلم أن عيسى حين جاءه من الله إني رافعك إلي قال: يا معشر الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة حتى من الخبر عنه فإن كانوا ثلاثة عشر فإنهم دخلوا المدخل حين دخلوا وهم بعيسى أربعة عشر وإن كانوا اثني عشر فإنهم دخلوا المدخل وهم ثلاثة عشر. قال ابن عيسى قال فلا أدري هو من هؤلاء الإثنى عشر أو كان ثالث عشر فجدوده حين أقروا لليهود بصلب عيسى وكفروا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق وكان فيهما ذكر لي رجل اسمه سرجس وكانوا ثلاثة عشر رجلا سوى عيسى عليه السلام جحدته النصارى وذلك أنه هو الذي شبه لليهود مكان ويلاونخس أخو يعقوب واندريس وفيلبس وابن يلما ومنتا وطوماس ويعقوب بن حلقايا ونداوسيس وقتابيا وليودس ركريايوطا قال ابن حميد: قال سلمة

تفسير ابن كثير

ليقتلوه هو وأصحابه وهم ثلاثة عشر بعيسى عليه السلام فلما أيقن أنهم داخلون عليه قال لأصحابه من الحواريين وكانوا اثني عشر رجلا فرطوس ويعقوبس اللهم إن كنت صارفا هذه الكأس عن أحد من خلقك فاصرفها عني وحتى إن جلده من كرب ذلك لبيتفصد دما فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه أجمعوا لذلك منه لم يفلح عبد من عباد الله بالموت فيما ذكر لي فطعنه ولم يجزع منه جزعه ولم يدع الله في صرفه عنه دعاءه حتى إنه ليقول فيما يزعمون جدا. ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: كان اسم ملك بني إسرائيل الذي بعث إلى عيسى ليقتله رجلا منهم يقال له داود فلما لتاب الله عليه. ثم سألهم عن غلام تبعهم يقال له يحيى فقال هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان يحدث بلغة قومه فلينذرهم وليدعهم. سياق غريب وكذا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وفقدوا الذي كان باعه ودل عليه اليهود فسأل عنه أصحابه فقال: إنه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه فقال: لو تاب فجاءهما عيسى فقال: ما تبكيان؟ فقالتا عليك فقال: إني قد رفعتني الله إليه ولم يصبني إلا خيرا وإن هذا شبه لهم فأمرني الحواريين يلقوني إلى مكان كذا فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم فمكت سبعا ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى عليه السلام فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث المصلوب الموتى وتنهز الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون له أنت كنت تحي ثم أخذه آخرون فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكي وأحزنه فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح يسيرة وليأكلن ثمني. فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه وأخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا: هذا من أصحابه فجحد وقال: ما أنا بصاحبه فتركوه. الراعي وتفرق الغنم وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه. ثم قال: الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعي أحدكم بدرهم لي ليلة واحدة تعينوني فيها فقالوا: والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرا وما نريد دعاء إلا حبل بيننا وبينه فقال يذهب الدعاء أن يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله أما تصبرون فلا يتعاطم بعضهم على بعض وليبذل بعضهم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما حاجتي الليلة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في أنا منه فأفروه حتى إذا فرغ من ذلك قال: أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فإنكم ترون أني خيركم فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بتيابيه فتعاطموا ذلك وتكأهوه فقال ألا من رد علي الليلة شيئا مما أصنع فليس مني ولا من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما فقال: أحضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهاهم وقام يخدمهم فلما ما حدثني المثنى حدثنا إسماعيل عن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول: إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع عيسى وظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك وهذا سياق غريب جدا. قال ابن جرير: وقد روي عن وهب نحو هذا القول وهو بالجنة؟ فقال رجل منهم أنا فخرج إليهم وقال أنا عيسى وقد صورته الله على صورة عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم فظنوا أنهم قد قتلوا صورهم الله عز وجل كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتونا ليرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشري نفسه منكم اليوم ابن حميد. حدثنا يعقوب القمي عن هارون بن عنترة عن وهب بن منبه قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليه كريب عن أبي معاوية بنحوه وكذا ذكره غير واحد من السلف أنه قال لهم أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة. وقال ابن جرير: حدثنا الكافران على المسلمة فقتلوا فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ورواه النسائي عن أبي كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة: كان فينا عبدالله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة: فقال: أنا فقال: هو أنت ذاك فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنه في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي قال: ثم قال أيكم يلقي عليه شبيهي عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا أي منيع الجناح لا يرام جناحه ولا يضام من لاذبابه حكيما أي في جميع ما يقدره ويقضيه من عبودية الله عز وجل وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس إلى قوله العزيز الحكيم . 159 النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته فإله أعلم وقوله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله وأقر أنه رفع وله مائة وخمسون سنة فشاذ غريب بعيد وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة عيسى ابن مريم من تاريخه عن بعض السلف أنه يدفن مع سنة في الصحيح وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة أنه على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلثين سنة وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه يمكت سبع سنين فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله فإنه رفع وله ثلاثة وثلثون آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكت في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وفي حديث عبدالله بن عمر عند مسلم وأقرب الناس به شها ابن قطن قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية هذه كلها ألفاظ البخاري رحمه الله وقد تقدم في حديث عبدالرحمن بن

تفسير ابن كثير

ماء فقلت من هذا ؟ فقالوا ابن مريم فذهبت ألثفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى كأن عينه عنبة طافية قلت من هذا ؟ قالوا الدجال صلى الله عليه وسلم لعيسى أحمر ولكن قال بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يتهاذى بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهراق رأسه الدجال تابعه عبيد الله عن نافع ثم رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: لا والله ما قال النبي ثم رأيت وراءه رجلا جعدا قططا أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت بآبن قطن واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟ قالوا: المسيح آدم الرجال تضرب لمتة بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟ قالوا: هو المسيح ابن مريم ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ولمسلم عنه مرفوعا وأرأى الله عند الكعبة في المنام وإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من ولمسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال إن الله ليس بأعور الله صلى الله عليه وسلم رأيت موسى وعيسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط وله أحمر كأنه خرج من ديماس يعني الحمام ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به الحديث. وروى البخاري من حديث مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رجل مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة قال ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال ربعة وروى البخاري ومسلم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي لقيت موسى كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطا رأيت قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ولا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث انتهى طرفه عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل وفي حديث النواس بن سمعان فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا الوعد الحق الآية. صفة عيسى قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه وقد قال تعالى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب ودليل على اقتراب الساعة وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه كما ثبت في الصحيح إن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء وعلى يديه ولهذا قال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته الآية وهذه الآية كقوله وإنه لعلم للساعة وقرئ لعلم بالتحريك أي أمانة بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان حيث تنزاح عنهم وترتفع شبههم من أنفسهم ولهذا كله يدخلون في دين الإسلام متابعين لعيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين وهذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم المنسوب إلى صنيع النصراني عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وكان أكثر عمارتها من أموالهم وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى وقد بنيت في هذه الأعصار في سنة إحدى وأربعين وسبعمئة منارة للجامع الأموي ببيضاء من حجارة منحوتة عوضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق وأبي شريحة وحذيفة بن أسيد وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح صلى الله عليه وسلم من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجمع بن جارية مسلم أيضا من رواية عبدالعزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي شريحة عن حذيفة بن أسيد الغفاري موقوفا والله أعلم بهذه أحاديث متواترة عن رسول الله من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فرات القزاز به ورواه والدابة وخروج يأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم والدجال وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذكر الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدخان في الصالح والحسان والمسانيد وغير ذلك. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى ابن مريم عليه السلام له فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدا وهي أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة روايتها وجابر وأبي أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو بن عوف وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم ومراده برواية به وقال هذا حديث صحيح قال وفي الباب عن عمران بن حصين ونافع بن عيينة وأبي برزة وحذيفة بن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص بن يزيد عن عمه مجمع بن جارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل ابن مريم الدجال بباب لد وكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الليث لد أو إلى جانب له ورواه أحمد أيضا عن سفيان بن عيينة من حديث الليث والأوزاعي ثلاثتهم عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري عن عبد الله بن زيد الأنصاري عن مجمع بن جارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن نعمان بن سالم به. حديث آخر قال الإمام أحمد: أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق ثم رواه مسلم والنسائي في تفسيره جميعا عن منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوههم إنهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك فتنبت ألا تستجيبيون فيقولون فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليता ورفع ليता من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال: سمعتها

تفسير ابن كثير

الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ويكون ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فبعث وكذا فقال سبحانه الله أولا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا يأجوج ومأجوج الآية. حديث آخر قال مسلم في صحيحه أيضا: حدثنا عبد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال: سمعت ورواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وسنذكره أيضا من طريق أحمد عند قوله تعالى في سورة الأنبياء حتى إذا فتحت إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفنام من الناس فبينما هم كذلك البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال: للأرض أخرجي ثمرك عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاءهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهب نبي الله على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير وجل إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائهم حتى يدركه باب له فيقتله ثم يأتي عيسى قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه. إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه والسلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهردتين واضعا كفيه ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعو ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمدته خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ؟ قال كالغيث استديرته الريح فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث فتروح عليهم سارحتهم أطول وسائر أيامه كأيامكم قلنا: يا رسول الله وذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسرعه في الأرض الشام والعراق فعات يمينا وعات شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا: يا رسول الله فما لبثه في الأرض ؟ قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج من خلة بين حتى ظنناه في طائفة النخل قال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا فقال ما شأنكم ؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه بن نفير الحضرمي أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي ح وحدثنا محمد بن مهران الرازي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر عن جبير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني جابر بن يحيى الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير فتعال فاقتله إلا الفرقد فإنه من شجر اليهود ولنذكر حديث النواس بن سمعان ههنا لشبهه بهذا الحديث. قال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو خيثمة زهير حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله وله من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة الوجه ولبعضه شواهد من أحاديث آخر من ذلك ما رواه مسلم وحديث نافع وسالم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم الطنافسي يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب هذا حديث غريب جدا من هذا قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجزي ذلك عليهم مجرى الطعام. قال ابن ماجه: سمعت أبا الحسن السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله عز وجل يغلي الثور ؟ قال يحرق الأرض كلها وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد ويأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدرهيمات قيل: يا رسول الله وما يرخص الفرس ؟ قال لا تركب لحرب أبدا قيل له فما أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض لها نور الفضة وتنبت نباتها كهو آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترتفع الشحناء والتباغض وتنزح حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتفر الطوال ثم صلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع

تفسير ابن كثير

على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي فقيل له: كيف نصلي يا نبي الله في تلك الأيام القصار؟ قال تقدرون الصلاة كما تقدرون في هذه الأيام اقلته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والشهر كالشهر واليوم كالشهر وأخر أيامه كالشهر يصبح أحدكم به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا العرقة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال: يا عبدالله المسلم هذا يهودي فتعالى هاربا فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب الله الشرقي فيقتله ويهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى عيسى: افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي وتاج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق ذلك الإمام يمشى القهقري ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال؟ قال هم قليل وجلهم يومئذ بيت المقدس وإمامهم رجل صالح فيبين إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام فرجع خرج إليه فينفى الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيف صلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجع المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأدره ضروعا وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطنه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتيهما من نقب من تبقى لهم سائمة إلا هلك وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم رجعت إلى حديث أبي رافع قال وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا الله ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال: قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله. ثم قال المحاربي: كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم قال أبو حسن الطنافسي: فحدثنا المحاربي حدثنا عبيد الله بن الوليد الرصافي عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول ثم يقول انظر إلى عبدي هذا فإنه أبعد الآن ثم يزعم أن له ربا غيبي فيبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربى الله وأنت عدو الله الدجال والله ما نعم فيتمثل له. شيطان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فينشرها بالمنشار. حتى تلقى شقتين فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على إبراهيم وإن من فتنته أن يقول لأعرابي رأيت إن بعثت لك أمك وأباك أتشهد أنى ربك؟ فيقول بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف إياه نبي قبلي: إنه يبدأ فيقول أنا نبي فلا نبي بعدي ثم يثني فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور وإنه مكتوب خليفتي على كل مسلم وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيبعث يمينا ويعيث شمالا ألا يا عباد الله: أيها الناس فاثبتوا وإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين يديكم فأنأ حجيح كل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل حجيح نفسه وإن الله فكان من قوله أن قال لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه وسلم أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال وأنا زرة الشيباني يحيى بن أبي عمرو عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه هذا الوجه. حديث آخر قال أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه: حدثنا علي بن محمد حدثنا عبدالرحمن المحاربي عن إسماعيل بن رافع عن أبي فيقتله ويهزم أصحابه فليس يومئذ شيء يوارى منهم أحدا حتى إن الشجرة تقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يا مؤمن هذا كافر تغرد به أحمد من بعض فيتقدم أميرهم فيصلي حتى إذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فذهب نحو لدجال فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثنودته إن هذا لصوت رجل شيعان وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم: يا روح الله تقدم صل فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على شديدة وجه شديد حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من الشجر: يا أيها الناس أتاكم الغوث ثلاثا فيقول بعضهم لبعض ألفا عليهم التيجان وأكثر من معه اليهود والنساء وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق فيبعثون سرحا لهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم ويصيبهم مجاعة الذي بملتقى البحرين فيصير أهلها ثلاث فرق فرقه تقول نقيم نشامة ننظر ما هو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ومع الدجال سبعون مصر بملتقى البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام ففرع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في أعراض الناس فيهزم من قبل المشرق فأول مصر يرده مصر رجل فحدثنا عن الدجال ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا إليه فجلسنا فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون للمسلمين ثلاثة أمصار بن أي العاص في يوم الجمعة لعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ثم أتينا بطيب فتطيبنا ثم جئنا المسجد فجلسنا إلى عن العوام بن حوشب به نحوه. حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة قال: أتينا عثمان وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولدها ليلا أو نهارا رواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر فقيما عهد إلى ربي عز يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمررون على ماء إلا شربوه قال: ثم يرجع الناس يشكونهم فيهلكه الله إذا رأيته حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك إلى عيسى فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعني قضيبان فإذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص قال: وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها فردوا أمرهم هاشم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن غفارة عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم

تفسير ابن كثير

فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته . حديث آخر قال أحمد: حدثنا خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فيبيناهم يعدون للقتال يسؤون الصوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم عند الله ويفتح التلث لا يفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم تلت لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل تلت هم أفضل الشهداء قال لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين في صحيحه: حدثني زهير بن حرب حدثنا يعلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهيل بن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن بشار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. حديث آخر قال مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وقال إبراهيم ليس بيني وبينه نبي ثم روى عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي عمرة عن أبي هريرة قال: عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم والأنبياء أولاد علات مولى أم برثن صاحب السقاية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وقال: يقاتل الناس على الإسلام. وقد روى البخاري عن أبي اليمان ورواه ابن جرير ولم يورد عند هذه الآية سواه عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم وهو مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون كذا رواه أبو داود عن هدية بن خالد عن همام بن يحيى ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع البقر والذئاب رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر إن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام وسلم قال الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنى أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه والأوزاعي وابن أبي ذئب به. طريق أخرى قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا قتادة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه عليه عقيل والأوزاعي وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن معمر بن عثمان بن عمر عن ابن أبي ذئب كلاهما عن الزهري به وأخره مسلم من رواية يونس عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم تابعه محمد بن المثنى عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري به. طريق أخرى قال البخاري: حدثنا أبو بكر حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال: يؤمن به قبل موت عيسى فلا أدري هذا كله حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة. وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي موسى الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما قال وتلا أبو هريرة وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته الآية فزعم حنظلة أن أبا هريرة هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع سفيان بن عيينة والليث بن سعد ويونس بن يزيد ثلاثتهم عن الزهري به وقال أحمد: حدثنا يزيد حدثنا سفيان هو ابن حسين عن الزهري عن حنظلة عن أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليهلن عيسى ابن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليشننهما جميعا وكذا رواه مسلم منفردا به من حديث ثلاث مرات. طريق أخرى عن أبي هريرة قال الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة السجدة واحدة لله رب العالمين قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته موت عيسى ابن مريم. ثم يعيدها أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون به وأخرجاه من طريق الليث عن الزهري به ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال عليهم شهيدا وكذا رواه عن الحسن الحلواني وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به وأخرجه البخاري ومسلم أيضا من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري أحد وحتى تكون السجدة خيرا له من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله عليه السلام حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يعقوب بن إبراهيم عن أبي صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى القيامة وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له قال البخاري رحمه الله في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقى بالقبول: نزول عيسى ابن مريم هؤلاء وهؤلاء علوا كبيرا وتنزه وتقديس لا إله إلا هو. ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان قبل يوم بما رموه به وأمه من العظام وأطراه النصرى بحيث ادعو فيه ما ليس فيه فرفعه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاء النصرى تنقصه اليهود الآية هذا بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم. ومن تأمل هذا جيدا وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه إيمانه أنه يصير بذلك مسلما ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق أو ضرب سيف أوافترسه سبع فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى فالإيمان به في هذه الحال بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه

تفسير ابن كثير

وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد صلى أو بالمسيح ممن كفر السورة وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن الآية وقال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآيتين وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي بأعمالهم التي شاهدوها منهم قبل رفعه إلى هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته الله قريبا فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يثبتون ذلك ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنورها إن شاء من سياق الآتي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد صلى قوله وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ثم قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا وآله وسلم قبل موت الكتابي ذكر من قال ذلك حدثني ابن المثنى حدثنا الحجاج بن المنهال حدثنا حماد عن حميد قال: قال عكرمة لا يموت النصارى مراد الحسن ما تقدم عنه ويحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء قال ابن جرير: وقال آخرون معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه عن إسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن في قوله إلا ليؤمنن به قبل موته قال: لا يموت أحد منهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت وهذا يحتمل أن يكون عن مجاهد وعكرمة ومحمد بن سيرين وبه يقول الضحاك وجويبر وقال السدي: وحكاه عن ابن عباس ونقل قراءة أبي بن كعب قبل موته. وقال عبدالرزاق تكلم به وهو يهودي وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي هارون الغنوي عن عكرمة عن ابن عباس فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس وكذا صح عن ابن عباس وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام وإن ضرب بالسيف تكلم به قال: وإن هوى إن خر من فوق بيت قال: يتكلم به في الهوى قيل: رأيت إن ضربت عنق أحدهم؟ قال: يلجلج بها لسانه. وكذا روى سفيان الثوري عن خفيف عن عكرمة ابن عباس وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال: هي في قراءة أبي قبل موته ليس يهودي يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى قيل لابن عباس: رأيت يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ولو عجل عليه بالسلاح حدثني إسحاق بن إبراهيم وحبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشر عن خفيف عن سعيد بن جبير عن يؤمن بعيسى حدثنا ابن حميد حدثنا أبو نميلة يحيى بن واضح حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: لا يموت اليهودي حتى في قوله إلا ليؤمنن به قبل موته كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب. قال ابن عباس: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن نجيح عن مجاهد موت الكتابي ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه. كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. قال ابن جرير: وقال آخرون يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به بعيسى قبل إن الله رفع إليه عيسى وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر. وكذا قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق حدثنا جويرية بن بشير قال: سمعت رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد قول الله عز وجل وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال: قبل موت عيسى به قبل موته قال: قبل موت عيسى والله إنه لحي الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا علي بن عثمان الاحقي الحسن البصري: يعني النجاشي وأصحابه رواهما ابن أبي حاتم. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثنا أبو رجاء عن الحسن وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن ابن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به وقال الضحاك عن ابن عباس وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يعني اليهود خاصة وقال ابن مريم عليه السلام وقال العوفي عن أبو عباس مثل ذلك وقال ابن مالك في قوله إلا ليؤمنن به قبل موته قال: ذلك عند نزول عيسى وقبل موت عيسى ابن بشار حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال: قبل موت عيسى ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك: حدثنا تعالى: قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يعني قبل موت عيسى يوجه وقوله

رحيما وقد ثبت في الصحيحين إذا زنت أمة أحكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها أي لا يعيرها بما صنعت بعد الحد الذي هو كفارة لما صنعت. 16 ونزعا عما كان عليه وصلحت أعمالهما وحسنت فأعرضوا عنهما أي لا تعنفوهما بكلام قبيح بعد ذلك لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له إن الله كان توابا عباس مرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وقوله فإن تابا وأصلحا أي أقلعا وقال مجاهد: نزلت في الرجلين إذا فعلا لا يكتن وكأنه يريد اللواط والله أعلم: وقد روى أهل السنن من حديث عمرو بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن الله بالجلد أو الرجم وقال عكرمة وعطاء والحسن وعبد الله بن كثير: نزلت في الرجل والمرأة إذا زنيا وقال السدي: نزلت في الفتیان من قبل أن يتزوجوا. يفعلان الفاحشة فأذوهما قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما: أي بالشتم والتعيير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى نسخ

وقوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما أي واللذان

سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه ولهذا كانوا أعداء الرسل وقتلوا خلقا من الأنبياء وكذبوا عيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهما. 160 ولهذا قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا أي صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق وهذه بعظم ذلك جزيئتهم ببغيتهم وإنا لصادقون أي إنما حرمنا عليهم ذلك لأنهم يستحقون ذلك بسبب بغيتهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه كما قال في سورة الأنعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط من الأطعمة كانت حلالا لهم من قبل أن تنزل التوراة ما عدا ما كان حرم إسرائيل على نفسه من لحوم الإبل وألبانها ثم إنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة قال تعالى كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة وقد قدمنا الكلام على هذه الآية وأن المراد أن الجميع على أنفسهم تشديدا منهم على أنفسهم وتضييقا وتنطعا ويحتمل أن يكون شرعا بمعنى أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالا لهم قبل ذلك كما طيبات كانت أحلت لهم وهذا التحريم قد يكون قدريا بمعنى أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتابهم وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالا لهم فحرموها العظيمة حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو قال: قرأ ابن عباس. يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب

فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه وأكلوا أموال الناس بالباطل قال تعالى وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما. 161 وقوله وأخذهم الربا وقد نهوا عنه أي أن الله قد نهاهم عن الربا

إلا الله ويؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرها. وقوله أولئك هو الخبر عما تقدم سنؤتيهم أجرا عظيما يعني الجنة. 162 الزكاة يحتمل أن يكون المراد زكاة الأموال ويحتمل زكاة النفوس ويحتمل الأمرين والله أعلم والمؤمنون بالله واليوم الآخر أي يصدقون بأنه لا إله إلا الله بالمتعبد بالصلاة الملائكة وهذا اختيار ابن جرير يعني يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة وفي هذا نظر والله أعلم. وقوله والمؤمنون عطف على قوله بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يعني وبالمؤمنين الصلاة وكأنه يقول وبإقامة الصلاة أي يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم أو أن سائق في كلام العرب كما قال الشاعر: لا يبعد قومي الذين هم أسد العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاهد الأزر وقال آخرون: هو مخفوض الناس فقال بعضهم هو منصوب على المدح كما جاء في قوله والمؤمنون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس قال: وهذا كعب وذكر ابن جرير أنها في مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة قال: والصحيح قراءة الجميع ثم رد على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب ثم ذكر اختلاف الإسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله والمقيمون الصلاة هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة وكذا هو في مصحف أبي بن يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسد بن عبيد الذين دخلوا في منهم أي الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع. وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران والمؤمنون عطف على الراسخين وخبره ثم قال تعالى لكن الراسخون في العلم

وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام عند قصصهم من سورة الأنبياء إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. 163 فقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده إلى قوله وآتيناه داود زبوراً والزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام عليه وما هم عليه الآن من الكذب والافتراء ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المقدمين لما سألو النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء قال الله تعالى فقد سألو موسى أكبر من ذلك ثم ذكر فضائهم ومعائبهم وما كانوا من شيء وفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظر فإن هذه الآية التي في سورة الأنعام مكية وهذه الآية التي في سورة النساء مدنية وهي رد عليهم ولا موسى ولا عيسى ولا على نبي من شيء قال فحل حبوته فقال ولا على أحد فأنزل الله عز وجل وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر على مريم بهتانا عظيما قال فلما تلاها عليهم يعني على اليهود وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة جحدوا كل ما أنزل الله وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال أنزل الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء إلى قوله وقولهم على بشر من شيء بعد موسى فأنزل الله في ذلك من قولهما إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده إلى آخر الآيات وقال ابن جرير حدثنا قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: قال سكن وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم أن الله أنزل

ما تسمعون من الصواعق. فهذا موقف على كعب الأحبار وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني إسرائيل وفيها الغث والسمين. 164 كلامه فقال موسى يا رب هذا كلامك قال لا ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له قال يا رب فهل من خلقك شيء يشبه كلامك قال لا وأشد خلقي سبها بكلامي أشد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن جزء بن جابر الخيثمي عن كعب قال إن الله لما كلم موسى كلمه بالأسنة كلها سوى لا أستطيعه قالوا فشبها لنا قال ألم تسمعوا إلى صوت الصواعق فإنه قريب منه وليس به وهذا إسناد ضعيف فإن الفضل الرقاشي هذا ضعيف بمرة. وقال عبد موسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الأسنة كلها وأنا أقوى من ذلك فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا يا موسى صف لنا كلام الرحمن قال عن جابر بن عبد الله أنه. قال لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه فقال له موسى يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به قال: لا يا

تفسير ابن كثير

لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما. فأما الأثر الذي رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكر أيام وصايا كلها فلما سمع موسى كلام الأدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل. وهذا أيضا إسناد ضعيف فإن جويبر أضعف والضحاك من جلد حمار غير ذكي وقال ابن مردويه بإسناده عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن الله ناجى موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة الله بن الحارث عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان وهذا حديث غريب وإسناده لا يصح وإذا صح موقوفا كان جيدا وقد روى الحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث حميد بن قيس الأعرج عن عبد قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء. وقال ابن مردف حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن الحسين بن بهرام حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا هاني بن يحيى عن الحسن بن أبي جعفر عن وكلم الله موسى تكليما فقال له يا ابن اللخاء كيف تصنع بقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحدا من خلقه كما روينا عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم الله موسى تكليما وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب وقرأ على بن أبي طالب على الله قال جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش فقال سمعت رجلا يقرأ وكلم الله موسى تكليما فقال أبو بكر ما قرأ هذا إلا كافر قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش بهذه الصفة ولهذا يقال له الكليم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن سليمان المالكي حدثنا مسيح بن حاتم حدثنا عبد الجبار بن عبد أنذر قومه الدجال وإني قد بين لي ما لم يبين لأحد منهم وأنه أعور وإن ربكم ليس بأعور قوله وكلم الله موسى تكليما وهذا تشريف لموسى عليه السلام حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لخاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد وأولى بالصحة ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم وقد روى هذا الحديث من طريق جابر: بن عبد الله 1 قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي أكثر ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال وذكر تمام الحديث هذا لفظه بزيادة ألف وقد تكون مقحمة والله أعلم. وسياق رواية الإمام أحمد أثبت عن يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية حدثنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أختم ألف ألف نبي أو دري معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن وقد روينا في الجزء الذي فيه رواية أبي يعلى الموصلي قد بين لي فيه ما لم يبين وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب هل تقول الخوارج بالدجال قال: قلت لا فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني خاتم ألف نبي أو أكثر وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه وإني بن الإمام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني عبد المتعالي بن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال: قال أبو سعيد وفضل آية الكرسي ولا حول ولا قوة إلا بالله وأفضل الشهداء وأفضل الرقاب ونبوة آدم وأنه مكلم وعدد الأنبياء والمرسلين كنحو ما تقدم. وقال عبد الله عن أبي المغيرة عن معان بن رقاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الصلاة والصيام والصدقة من نفسك أوتجد عابهم فيما تحب ثم ضرب بيده صدره فقال يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالقف ولا حسب كحسن الخلق. وروى الإمام أحمد قال لا تخف في الله لومة لائم قلت زدني قال يردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تحب وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل المساكين وجالسهم فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك قلت زدني قال صل قرابتك وإن قطعوك قلت زدني قال قل الحق وإن كان مرا قلت زدني لك على أمر دينك قلت زدني قال انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر لك أن لا تزدرى نعمة الله عليك قلت زدني قال أحب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي قلت زدني قال عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان وعون بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض قال: قلت يا رسول الله زدني قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميم القلب ويذهب الأولى صحف إبراهيم وموسى قال: قلت يا رسول الله فأوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك قال: قلت يا رسول الله زدني قال عليك وموسى وما أنزل الله عليك؟ قال نعم اقرأ يا أبا ذر قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هولا يعمل قال: قلت يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي إبراهيم يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن يرى أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه قال: قلت فيها نفسه وساعة يفكر في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد أو مرمة لمعاش بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال وعلى العاقل أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب قال: قلت يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال كانت كلها يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني صحيفة وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وآخرهم عيسى وأول الرسل آدم وآخرهم محمد قال: قلت يا رسول الله كم كتاب أنزله الله؟ قال ما له كتاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين آدم وشيث وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بقلم ونوح وأربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيك يا أبا ذر وأول أنبياء بني إسرائيل موسى

تفسير ابن كثير

طيب قلت فمن كان أولهم؟ قال آدم قلت أنبي مرسل؟ قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبيلة ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال: قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير قال آية الكرسي ثم قال يا أبا ذر وما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة قال: أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها قلت يا رسول الله فأى الصدقة أفضل؟ قال جهد من مقل وسر إلى فقير قلت يا رسول الله فأى آية ما أنزل عليك أعظم؟ مجزئ وعند الله أضعاف كثيرة قلت يا رسول الله فأى الجهاد أفضل قال: من عقر جواده وأهريق دمه قلت يا رسول الله فأى الرقاب أفضل؟ قال فأى الهجرة أفضل؟ قال من هجر السيئات قلت يا رسول الله أى الصلاة أفضل؟ قال طول القنوت فقلت يا رسول الله فأى الصيام أفضل؟ قال: فرض يا رسول الله فأى المؤمنين أفضل؟ قال أحسنهم خلقا قلت يا رسول الله فأى المسلمين أسلم؟ قال: من سلم الناس من لسانه ويده قلت يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة قال الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل قال: قلت يا رسول الله فأى الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله قلت أبى عن جده عن أبى إدريس الخولاني عن أبى ذر قال دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فجلست إليه فقلت يا رسول الله الحسين الأجرى حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن الفريابي إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح والله أعلم. وحديث أبى ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام قال محمد بن الله صلى الله عليه وسلم بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده لا بأس به رجاله بن أبى شيبه حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الصهباء محمد بن حيدر القرشي حدثنا الإمام الأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني قال أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي حدثنا محمد بن عثمان عساكر أنبأنا الإمام أبو بكر بن القاسم بن أبى سعيد الصقار أخبرتنا عمه أبى عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفار أخبرنا الشريف أبو السناكب هبة الله بن أبى من الأنبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت أنا وقد رويناه عن أنس من وجه آخر فأخبرنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي أخبرنا أبو الفضل بن حدثنا محمد بن ثابت العبدي حدثنا معبد بن خاله الأنصاري عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن خلا من إخواني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس وهذا أيضا إسناد ضعيف فيه الربذي ضعيف وشيخه الرقاشي أضعف منه والله أعلم. وقال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع إبراهيم حدثنا موسى بن عبدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله ثمانية آلاف في أربعة آلاف إلى بني بن يزيد ضعيف والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا علي بن أمانة قال: قلت يا نبي الله كم الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جم غفيرا معان بن رفاعة السلمي ضعيف وعلي الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر فقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبى كتابه الموضوعات واتهم به إبراهيم بن هشام هذا ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم وقد روي هذا هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه الأنواع والتقايم وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج بن الجوزي فذكر هذا الحديث في بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وسعيد ونبيك يا أبا ذر وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم فيك. وقد روى قال نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم قلت يا رسول الله نبي مرسل بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبى عن جدي عن أبى إدريس الخولاني عن أبى ذر قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال ما نه ألف وأربعة وعشرون رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره حيث قال حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد قالا حدثنا إبراهيم لم نقصهم عليك أي خلقا آخرين لم يذكروا في القرآن وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين والمشهور في ذلك حديث أبى ذر الطويل وذلك فيما وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى. وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقوله ورسلا أسمائهم في القرآن وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصهم عليك أي من قبل هذه الآية يعني في السور المكية وغيرها وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على وقوله ورسلا

مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين. وفي لفظ آخر من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه. 165 الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وكذا قوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول والندارة وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى ولولا أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا أمره وكذب رسله بالعباب والعذاب وقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة وقوله رسلا مبشرين ومنذرين أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف فقال لهم إني لأعلم والله إنكم لتعلمون أنى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك. فأنزل الله عز وجل لكن انه يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه الآية. 166

تفسير ابن كثير

قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود يشهدون وكفى بالله شهيدا قوله والملائكة يشهدون أي بصدق ما جاءك وأوحى إليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى لك بذلك وكفى بالله شهيدا عبد الرحمن السلمي القرآن وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال قد أخذت علم الله فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل ثم يقرأ قوله أنزله بعلمه والملائكة ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن بن سهيل الجعفري وعبد الله بن المبارك قالا حدثنا عمران بن عيينة حدثنا عطاء بن السائب قال أقراني أبو النتي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا أن يعلمه الله به كما قال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وقال ولا يحيطون به علما وقال من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل. وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولهذا قال أنزله بعلمه أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه وأهل الكتاب قال تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك أي وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو لما ضمن قوله تعالى إنا أوحينا إليك إلى آخر السياق إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم والرد على من أنكر نبوته من المشركين أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله الظالمين لأنفسهم بذلك وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمة وانتهاك محارمه بأنه لا يغفر لهم. 167 وقوله أي كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والافتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بعدا عظيما شاسعا ثم ولا يهديهم طريقا أي سبيلا إلى الخير. 168

إلا طريق جهنم وهذا استثناء منقطع خالدين فيها أبدا الآية. 169

الملك وخرجت الروح في الحلق وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم وغرغت النفس صاعدة في الغلاصم فلا توبة مقبولة حينئذ ولات حين مناص. 17
الله عز وجل وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة ولهذا قال تعالى فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهما حكيما وأما متى وقع الإياس من الحياة وعابن أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني فقد دلت هذه الأحاديث على أن من تاب إلى في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم العتواري كلاهما عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال إبليس يا رب وعزتك لا أزال لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح. فقال الله عز وجل: وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح وقد ورد هذا في حديث مرفوع رواه الإمام أحمد داود حدثنا عمران بن قتادة قال: كنا عند أنس بن مالك وثم أبي قلابة فحدث أبو قلابة فقال: إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فقال: وعزتك وجلالك عن سعيد عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله. حديث آخر قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا أبو العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر وحدثنا ابن بشار حدثنا عبد الأعلى لم يغفر هذا مرسل حسن عن الحسن البصري رحمه الله. وقد قال ابن جرير أيضا رحمه الله: حدثنا ابن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يقبل توبة العبد ما عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغفر أحاديث في ذلك مرسله السلماني فذكر قريبا منه حديث آخر قال أبو بكر بن مردويه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد حدثنا عمران بن عبد الرحيم حدثنا عثمان بن الهيثم حدثنا الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر بنفسه وقد رواه سعيد بن منصور عن الدراوردي عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن يقول إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحية قال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم قال: وأنا سمعت رسول العبد قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت وأبو عامر العقدي عن شعبة حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن السلماني السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فقال إنما أحدثك ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وأبو عمر الحوضي قبل موته بجمعة تيب عليه ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه. فقلت إنما قال الله إنما التوبة على الله للذين يعملون وأخبرني رجل من ملحان يقال له أيوب قال سمعت عبد الله بن عمر يقول: من تاب قبل موته بعام تيب عليه ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ومن تاب من ذلك وقبل موته بيوم وساعة يعلم الله منه التوبة والإخلاص إليه إلا قبل منه حديث آخر قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة عن إبراهيم بن ميمونه عطاء بن أبي رباح قال: سمعت عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه أدنى حديث آخر قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البابلي حدثنا أيوب بن نهيك الحلبي سمعت عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به وقال الترمذي حسن غريب ووقع في سنن ابن ماجه: عن عبد الله بن عمرو وهو وهم إنما هو عبد الله بن عمر بن الخطاب عن مكحول عن جبيرة بن نفيير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر. رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ما لم يغفر وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب ذكر الأحاديث في ذلك قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عياش وعصام بن خالد قال حدثنا ابن ثوبان عن أبيه وقال الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريب. وقال قتادة والسدي: ما دام في صحته وهو مروي عن ابن عباس وقال الحسن البصري: ثم يتوبون من قريب

تفسير ابن كثير

أبو صالح عن ابن عباس من جهالته عمل السوء. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب قال: ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت وقال ابن جريج أخبرني عبدالله بن كثير عن مجاهد قال: كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها. قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه. وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره. عن الذنب وقال قتادة عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة رواه ابن جريج. عمل السوء بجهالة ثم يتوب ولو بعد معاينة الملك يقبض روحه قبل الغرغرة. قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع يقول سبحانه وتعالى إنما يقبل الله التوبة ممن

وقال ههنا وكان الله عليما أي بمن يستحق منكم الهداية فيهديه وبمن يستحق الغواية فيغويه حكيم أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. 170 والأرض أي فهو غني عنكم وعن إيمانكم ولا يتضرر بكفرانكم كما قال تعالى وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله عز وجل فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم ثم قال وإن تكفروا فإن لله ما في السموات ثم قال تعالى يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم أي قد جاءكم محمد صلوات في الآية الأخرى بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد الآية. وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا إلى قوله فردا. 171 بالله وكيفا أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال خيرا لكم أي يكن خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد أي تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا له ما في السموات وما في الأرض وكفى على زعمهم هل اتحدا أو ما اتحدا أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى انتهوا فيهم اليعوقوبية ثم مجمعا ثالثا فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقنونها الولدان من الصغار ليعتقدها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكانية. ثم إنهم اجتمعوا مجمعا ثانيا فحدث الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفا داهية ومحقق ما عداها من الأقوال وانتظم دست أولئك الثلثمائة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتباً ومائة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص. فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلثمائة بثمانية عشر نفرا وقد توافقوا على مقالة فأخذها المشهورة وأنهم اختلفوا عليه اختلافا لا ينضب ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفا فكانوا أحزابا كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولا. ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الأسكندرية في حدود سنة أربعمائة من إلهام ومنهم من يعتقد شريكا ومنهم من يعتقد ولدا وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة. ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم الآية. والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقد من إله إلا إله واحد وكما قال في آخر السورة المذكورة وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني الآية وقال في أولها لقد كفر الذين عيسى وأمه مع الله شريكين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذه الآية والتي في سورة المائدة حيث يقول تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما ورسوله أي فصدقوا بأن الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ولهذا قال تعالى ولا تقولوا ثلاثة أي لا تجعلوا وكما روي في الحديث الصحيح فأدخل على ربي في داره أضافها إليه إضافة تشريف وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد وقوله فآمنوا بالله روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله هذه ناقة الله وفي قوله وطهر بيتي للطائفين بل هي لا ابتداء الغاية كما في الآية الأخرى وقد قال مجاهد في قوله وروح منه أي ورسول منه وقال غيره ومحبة منه والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه أي من خلقه ومن عنده وليست من التبعية كما تقول النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة يدخل من أيها شاء وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به ومن وج آخر عن الأوزاعي به فقوله في الآية والحديث وروح منه حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وقال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هاني عن جنادة زاد من أبواب الجنة الثمانية من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هاني حدثنا جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى عليه السلام. وقال البخاري: مريم أي أعلمها بها كما زعمه في قوله إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه أي يعلمك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى وما كنت ترجو قول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله ألقاها إلى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه هو كقوله كن فيكون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذان بن يحيى يقول في ابنة عمران التي أحصنت فرجها إلى آخر السورة وقال تعالى إخبارا عن المسيح إن هو إلا عبد أنعمنا عليه الآية وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة آدم خطله من تراب ثم قال له كن فيكون وقال تعالى والتي أحصنت فرجها فنفضنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين وقال تعالى ومريم جبريل. قال الله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل

تفسير ابن كثير

لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان الروح التي أرسل بها ربه عز وجل فكان عيسى بإذنه عز وجل وكانت تلك النقخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم والجميع مخلوق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن فلا إله إلا هو ولا رب سواه ولهذا قال إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق على الله إلا الحق أي لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدة وكبريائه وعظمته أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل تفرد به من هذا الوجه. وقوله تعالى ولا تقولوا مالك أن رجلا قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان عن الزهري به ولفظه فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن كذا ولفظه إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال على بن المديني هذا حديث صحيح مسند وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة قال لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ثم رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم قال زعم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوهم في كل ما قاله سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال الله تعالى اتخذوا أحوالهم ورهبانهم أربابا من دون الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله

يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا أي فيجمعهم إليه يوم القيامة ويفصل بينهم بحكمه العدل الذي لا يجوز فيه ولا يحيف. 172 المسيح فأخبر تعالى أنهم عبيد من عباده وخلق من خلقه كما قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الآيات. ولهذا قال ومن المسيح فلماذا قال ولا الملائكة المقربون ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل وقيل إنما ذكروا لأنهم اتخذوا آلهة مع الله كما اتخذ الآيات حيث قال ولا الملائكة المقربون وليس له في ذلك دلالة لأنه إنما عطف الملائكة على المسيح لأن الاستنكاف هو الامتناع والملائكة أقدر على ذلك من لن يستكبر. وقال قتادة: لن يحتشم المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وقد استدلل بعض من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر بهذه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قوله لن يستنكف

الله وليا ولا نصيرا كقوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين ذليلين كما كانوا ممتنعين مستكبرين. 173 موقوفا فهو جيد وأما الذين استنكفوا واستكبروا أي امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الجنة ويزيدهم من فضله قال الشافعية فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في دنياهم وهذا إسناد لا يثبت. وإذا روى عن ابن مسعود عن الأعمش عن سفيان عن عبد الله مرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله أجورهم قال أدخلهم على قدر أعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسعة رحمته وامتنتاه وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن إسماعيل بن عبد الله الكندي ولهذا قال فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله أي فيعطيه من الثواب

وهو الدليل القاطع للعدر والحجة المزيل للشبه ولهذا قال وأنزلنا إليكم فورا مبينا أي ضياء واضحا على الحق قال ابن جريج وغيره هو القرآن. 174 يقول تعالى مخاطبا جميع الناس ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن صراط الله المستقيم وحبل الله المتين. وقد تقدم الحديث بتمامه في أول التفسير ولله الحمد والمنة. 175 والعمليات وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات. وفي حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن قصدا قواما لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات أي يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا في درجاتهم من فضله عليهم وإحسانه إليهم ويهديهم إليه صراطا مستقيما أي طريقا واضحا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم وقال ابن جريج: آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن. رواه ابن جرير فسيدخلهم في رحمة منه وفضل فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به أي جمعوا

قاطبة وهو الذي يدل عليه القرآن كما أرشد الله أنه قد بين ذلك ووضحه في قوله يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم والله أعلم. 176 وهذا الذي قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة في قديم الزمان وحديثه وهو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وقول علماء الأمصار عليه. قال ابن جرير: وقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال إني لأستحي أن أخالف فيه أبو بكر وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول هو ما عدا الولد والوالد. حتى إذا طعن دعا بكتاب فمضى ولم يدر أحد ما كتب فيه فقال إني كنت كتبت كتابا في الجد والكلالة وكنت أستخير الله فيه فرأيت أن أترككم على ما كنتم بن حميد العمري عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن عمر كتب في الجد والكلالة كتابا فمكث يستخير الله يقول اللهم إن علمت فيه خيرا فأمضه وذكر أن عمر شرك بين الإخوة للأب والأب وبين الإخوة للأم في الثلث إذا اجتمعوا وخالفه أبو بكر رضي الله عنهما. وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا محمد

تفسير ابن كثير

بن دينار وسليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر بن الخطاب قال اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت قال ما قلت قلت وما قلت ؟ قال: قلت الكلالة من لا ولد له. ثم قال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زمعة بن صالح عن عمرو وبهذا الإسناد إلى سفيان بن عيينة قال سمعت سليمان الأحول يحدث عن طاوس قال سمعت ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر فسمعتة يقول القول قال: ثلاث لأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بينهما لنا أحب إلي من الدنيا وما فيها الخلافة والكلالة والربا. ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إليك أيحل قتالهم ؟ وعن الكلالة. ثم قال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ثم روى هذا الإسناد عن سفيان بن عيينة عن عمر بن مرة عن عمر قال لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلاث أحب إلي من حمر النعم: من الخليفة بعده ؟ وعن قوم قالوا نقر بالزكاة في أموالنا ولأنؤديها الشيباني بالكوفة حدثنا الهيثم بن خالد حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن عينة عن عمرو بن دينار سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانه يحدث عن عمر بن الخطاب من البيت فتفرقوا فقال لو أراد الله عز وجل أن يتم هذا الأمر لأتمه. وهذا إسناد صحيح وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري حدثنا علي بن محمد بن عقبة شهاب قال أخذ عمر كتفا وجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لأقضي في الكلالة قضاء تحدث به النساء في خدورهن فخرجت حينئذ حية خاتمة النساء فألقى عمر الكتف كذا قال في هذا الحديث وهو مرسل. وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان عن الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن وما تكفيه آية الصيف وآية الصيف التي في النساء وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة فلما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت الآية التي هي وعن عمر بن طاوس أن عمر أمر حفصة أن تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلالة فأملأها عليها في كتف فقال من أمرك بهذا أعمر؟ ما أراه يقيمها هذا ما أرى أباك يعلمها قال فكان عمر يقول ما أراني أعلمها. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال. رواه ابن مردويه ثم رواه من طريق ابن عيينة فكان عمر لم يفهم فقال لحفصة إذا رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب نفس فسله عنها فرأت منه طيب نفس فسألته عنها فقال أبوك ذكر لك الشيباني عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب أن عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تورث الكلالة ؟ قال فأنزل الله يستفتونك الآية قال له طريقا عن حذيفة إلا هذا الطريق ولا رواه عن هشام إلا عبد الأعلى. وكذا رواه ابن مردويه من حديث عبد الأعلى. وقال عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن لقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنني لصادق ووالله لا أزيدك على ذلك شيئا أبدا. ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحدا رواه إلا حذيفة ولا نعلم الله عنه فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة لقد لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيتها كما فوقف النبي صلى الله عليه وسلم وإذا هو بحذيفة وإذا رأس ناقه حذيفة عند ردف راحلة النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في خلافة عمر رضي الأعلى حدثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حذيفة عن أبيه قال نزلت آية الكلالة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له ابن سيرين وحذيفة وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده حدثنا يوسف بن حماد المعنى ومحمد بن مرزوق قالا حدثنا عبد الأعلى بن عبد بينتها له فإنها لم تبين لي كذا رواه ابن جرير ورواه أيضا عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين كذلك بنحوه وهو منقطع بين لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيتها كما لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيدك عليها شيئا أبدا. قال فكان عمر يقول اللهم إن كنت الكلالة فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة فلما كان بعد ذلك سأل عمر عنها حذيفة فقال والله إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه حذيفة عند ردف راحلة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ورأس راحلة عمر عند ردف راحلة حذيفة قال ونزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في بحسب قربه من المتوفى. وقد قال أبو جعفر ابن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علي أنبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين قال كانوا في مسير ورأس راحلة أي لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان والله بكل شيء عليم أي هو عالم بعواقب الأمور ومصالحتها وما فيها من الخير لعباده وما يستحقه كل واحد من القربات ذكورهم وإناتهم أعطى الذكر مثل حظ الأنثيين وقوله يبين الله لكم أي يفرض لكم فرائضه ويحد لكم حدوده ويوضح لكم شرائعه وقوله أن تضلوا فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وقوله وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين هذا حكم العصبات من البنين وبنين الإخوة إذا اجتمع فرض لهما الثلثان وكذا ما زاد على الأختين في حكمهما ومن ههنا أخذ الجماعة حكم البنيتين كما استفيد حكم الأخوات من البنات في قوله فإن كن نساء وسلم قال ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلاولى رجل ذكر وقوله فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك أي فإن كان لمن يموت كلالة أختان فرض أن معه من له فرض صرف إليه فرضه كزوج أو أخ من أم وصرف الباقي إلى الأخ لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكم. وقوله وهو يرثها إن لم يكن لها ولد أي والأخ يرث جميع ما لها إذا ماتت كلالة وليس لها ولد أي ولا والد لأنها لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئا فإن عليه وسلم النصف للبنات ولبنات الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فلأخت فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الخبر النصف وأت ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود فأخبره بقول أبي موسى فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين أقضي فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم في الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري أيضا عن هزيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة النصف وللأخت قال قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النصف للبنات والنصف للأخت ثم قال سليمان قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول بدليل غير هذه الآية وهذه الآية نصت أن يفرض لها في هذه الصورة وأما وراثتها بالتعصيب فلما رواه البخاري من طريق سليمان عن إبراهيم عن الأسود ما ترك قال فإذا ترك بنتا فقد ترك ولدا فلا شيء للأخت وخالفهما الجمهور فقالوا في هذه المسئلة للبنات النصف بالفرض وللأخت النصف الآخر بالتعصيب ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهما كانا يقولان في الميراث ترك بنتا وأختا إنه لاشيء للأخت لقوله إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف لأب وأم فأعطى الزوج النصف والأخت النصف فكلم في ذلك فقال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بذلك. تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد نقل